



مبنى أبو يحيى أسس سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م

الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة  
للشاعر والأديب الكبير  
حسين عبد الله سراج

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كتاب الاثنيينية

(١٨)

الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة

للشاعر والأديب الكبير

حسين عبداللهم سراج

الجزء الثاني

النثر

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجبة

جدة

ح) عبدالمقصود خوجه ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

سراج ، حسين عبدالله

الأعمال الأدبية الكاملة / حسين عبدالله سراج . - جدة ١٤٢٤هـ

٥٣٠٨ ص ؛ ١٧×٢٤سم (ج ٢ ، ٤٨٧ ص ؛ ١٧×٢٤سم)

ردمك ٨-٩٣٤-٤٣-٩٩٦٠

١ - الأدب العربي أ - العنوان .

١٤٢٤/١١٢٢

ديوي ٨ ، ٨١٠

رقم الإيداع : ١٤٢٤/١١٢٢

ردمك : ٨-٩٣٤-٤٣-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

صدرت هذه الأعمال بمناسبة "مكة المكرمة" عاصمة الثقافة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدة

## فهرس المحتويات

.....	من روائع القصص العالمية
.....	تاجر البندقية
.....	ابنة البخيل
.....	المنفى الطويل
.....	اعترافات خادم خاص
.....	الضحية
.....	الدخلاء
.....	والد وولد
.....	البخيل
.....	الزواج أو الموت
.....	العقد الماسي
.....	مأساة البحر
.....	الفرسان الثلاثة
.....	الذبابه
.....	كسرة الخبز
.....	بعد فوات الأوان
.....	اليتيمة
.....	تضحية فتى
.....	مذبحة الأبرياء

.....	فلتزار العاصفة
.....	عقدة الرعد والبرق
.....	مغامرة فوق الجليد
.....	الانتقام الرهيب
.....	جرح لا يرى
.....	زوجة صياد
.....	الحب الخالد
.....	غرام وجحيم ونعيم
.....	ميلاد طفل
.....	طفولة اليتيمين
.....	في المدرسة
.....	في المنزل الجديد
.....	في الجامعة
.....	الجحيم
.....	نداء الطبيعة
.....	لولا القدر
.....	انكل توتو
.....	رباب
.....	جميل . . وبثينة
.....	حب لا يموت
.....	وتضحك الأقدار
.....	ذات ليلة
.....	عمل لا تجزىء عنه صدقة
.....	وداع واستقبال
.....	حكمة فتاة

النظرية الموسيقية عند العرب القدماء .....	
المؤتمر الثاني للدول غير المنحازة .....	
زيارات وتقارير .....	
جمهورية مالاجاسي .....	
كينيا .....	
جمهورية الكونغو الديمقراطية .....	
«جزيرة موريشس» .....	
المسلمون في يوغندا .....	
الجالية الإسلامية بلوس انجلوس .....	
المسلمون في أمريكا الجنوبية .....	
المسلمون في بنما .....	
المسلمون في بوغوتا .....	
المسلمون في سانتياجو .....	
المسلمون في «بيونس إيريس» .....	
المسلمون في جمهورية البرازيل .....	
العودة إلى الولايات المتحدة .....	
المسلمون في نيويورك .....	
اتحاد الطلبة المسلمين .....	
«واجب الشباب المسلم» .....	
المسلمون في جزر الهند الغربية .....	
تanzania .....	
المسلمون في جمهورية إفريقيا الوسطى .....	
المسلمون في جيانا .....	
فهرس المحتويات .....	

## الأعمال النثرية



من روائع القصص العالمية

## تاجر البندقية

- حفل تاريخ العالم بروائع من القصص ما تزال خالدة على مر من الزمن تتحدث عن عبقرية واضعيها، وعظمة منتجيتها، وسمو تفكيرهم، ورفعة فنيهم، وخيالهم الخصب اللامتناهي في أبعاده وآماده وتصوراته واختراعاته وينتظم هذه القصص أسلوب خلاق وتعبير مبدع ومعان سامية، وصور نابضة وأحداث مثيرة واقعية وموضوعية سجلت أروع ما عرفه التاريخ منذ فجره حتى عصرنا الحاضر.

والحديث عن كل رائعة من روائع القصص العالمي بما تستحق من عرض وتحليل واستقراء يتطلب وقتاً طويلاً، ونحن في خلال الوقت المحدد سنحاول أن نلقي للمستمعين والمستمعات أضواء عالية ساطعة على المعالم البارزة في كل قصة من هذه الروائع . . .

ونبدأ حديثنا في الحلقة الأولى من روائع القصص العالمي بالرائعة العالمية الخالدة (تاجر البندقية) لرائد الشعر والقصة وقمتها في انكلترا «وليم شكسبير» . . .

### المعالم البارزة في هذه القصة :

وقف شعراؤنا وكتابنا على منازل المرأة فوصفوا شَعْرها وعينها وشفثتها فالشعر قطعة من الليل والعينان براقتان تنفثان سحر هاروت وماروت،

والشفتان كالأقحوان، وبعبارة أخرى تلهوان بالمفاتن الخارجية للمرأة واغفلوا أعمق وأدق أسرارها، العواطف، الميول، والنزعات.

هذه الأسرار القدسية حاول شكسبير إبرازها في بطلته قصته (بورشيا) فقد منحها ذكاء لمأحاً وسرعة بديهة ودهاء وصبراً ومتانة أعصاب، وزينها بخفة الروح والدعابة والحياء والعفة فحافظ بذلك على «أنوثتها» وقدمها لقراءه كمستقطر العطر كلما نشقناه ذكرنا الزهرة التي حملت عبيره.

إن شخصية (بورشيا) بالصورة التي أظهرها فيها «شكسبير» لا شك أنها أبرز ناحية في القصة... وتأتي بعدها شخصية المرابي اليهودي «شايلوك» التي أحكم شكسبير رسمها فأبرز فيها قذارة اليهود وجشعهم ومحاولتهم السيطرة المالية في البيئة التي يعيشون فيها وحقدهم ودناءتهم وخستهم في سبيل الوصول إلى مآربهم وقسوة قلوبهم التي لا تعرف الرحمة حين تلوح لهم فرصة الانتقام.

وشخصية (شايلوك) هي عقدة الرواية كما يقولون، أما شخصية (أنطونيو) فقد حاول شكسبير أن يضرب بها قول الشاعر العربي:

أيقنت أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفي  
إذ استطاع أن يجسد الوفاء الكامل أو الأمثل في التاجر النبيل القديس  
«أنطونيو».

أما بقية شخوص القصة «بسانيو» زوج «بورشيا» ووصيفتها «نريسا» و«جراتيانو» خادم «بسانيو» فهم في رأيي - النكرات أو المشتركون في الزفة على أصدق تعبير.

### حوادث القصة:

كانت «بورشيا» تعيش في قصر «بلمونت» الفخم الذي يقع قرب مدينة

البندقية وكان القصر مشيداً على ذروة رابيته في منتهى الجمال تصطفق أمواه  
الجداول حول جنباتها وتناغي النسائم شجيراتها.

ورثت «بورشيا» جاها وثروة عن أبيها، وجمالاً تحدثت به الركبان  
وعقلاً راجحاً وعلماً نافعاً وخلقاً فاضلاً ولا عجب أن يتهافت الأمراء  
والكبراء وطلاب المال والجاه إلى خطب ود «بورشيا» وبالتالي قلبها  
فكانت تقف منهم موقف المدلل المعتز بعلمه وتسخر منهم في ظرف  
وأدب وتخلع عليهم بعض الألقاب المضحكة فتسمي المغرم بالخييل «مهرا»  
والمدمن للخمر «أسفنجه».

وكان والد «بورشيا» ترك لها قبيل وفاته ثلاث علب وضع في أحداها  
صورتها وأوصاها بشدة ألا تتزوج إلا من ينتقي العلبة التي فيها صورتها ولقد  
وثق والدها منها فاعلمها في أي العلب الثلاث كانت صورتها وعلم «بسانيو»  
بأمر هذه الوصية فيمن علم وكان جميل الخلق والخلق ينحدر من عائلة  
إيطالية كريمة في البندقية. ولكنه كان فقيراً معدماً فاستشار صديقه التاجر  
الطبيب «أنطونيو» فأنبأه بأمر الوصية وأشار عليه بأن يرمي بدلوه بين الدلاء  
فأجابه «بسانيو»:

- ولكن الوصول إلى «بورشيا» يتطلب اصطناع المال والأبهة والفخامة  
وأنا منهم خال كما تعلم.

فابتسم أنطونيو وقال:

لا عليك يا صديقي سأقترض لك المال اللازم باسمي من المرابي  
اليهودي «شايلوك».

وكان «شايلوك» اليهودي أو (تاجر البندقية) كما حلا لشكسبير أن يسميه  
يتعاطى «الربا» بالإضافة إلى أعمال التجارة الأخرى وكان محتقراً من جميع

تجار مدينة البندقية وفي مقدمتهم التاجر «أنطونيو» الذي كان يهينه كلما التقى بهم ويندد به ويقومه وخستهم ودنائتهم وضعتهم وحقارتهم وكان «شايлок» يتحمل هذه الإهانات ويقيدها في سجل حقه ولؤمه منتظراً اليوم الذي ينتقم فيه لنفسه وقومه من «أنطونيو» وجاء اليوم الذي أنتظره «شايлок» حين راجعه «أنطونيو» طالباً إقراضه ثلاثة الاف دوكة (والدوكة هي العملة المستعملة آنئذ في البندقية) بالفائدة التي يريدتها.

وضحك «شايлок» في قرارة نفسه ورأى الفرصة مؤاتية للانتقام من خصمه اللدود فقال له:

- بالرغم من اهاناتك المتكررة لي ولقومي فإني مستعد لأقراضك هذا المبلغ بدون فائدة.

فدهش أنطونيو وقال:

- وكيف يكون ذلك؟.

فأجاب «شايлок» بكلام ظاهره اللين وباطنه المكر والخديعة.

- سأشترط في صك الدين إنني سأقتطع رطلاً من لحمك إذا لم تسدد المبلغ في اليوم المحدد.

وهزت الدهشة وجه «أنطونيو» وصديقه «بسانيو» وقال الأول:

- وهل هذا الشرط معقول؟.

وتصنع «شايлок» الطيبة وحسن المعاملة وقال:

وهل من المعقول أن أطلب منك الوفاء بهذا الالتزام إذا لا قدر الله ولم تسدد هذا القرض... .

ثم أمعن في ضحكه محاولاً التهوين على المدين... . ووقع «أنطونيو»

على الصك لأنه كان مطمئناً إلى تسديد هذا الدين من مراكبه التجارية التي ستعود عما قريب موسوقة بالبضائع الشرقية .

وأخذ «بسانيو» المال وذهب في جمع من المرافقين والأنباع إلى منزل «بورشيا» يخطب يدها وفتنت به «بورشيا» وكادت لو شاءت أن تدله على العلبة المفقودة ولكنها غالبت نزواتها وحرصت على تنفيذ إرادة أبيها .

وشاء الحظ أن يواتي «بسانيو» فاختار العلبة الصحيحة وأشرفت الفرحة في وجه «بورشيا» بعد أن كادت تموت لو أخطأ «بسانيو» في الاختيار .

ولم يكن «بسانيو» رجلاً عادلاً لبورشيا فقد كان ساذجاً جاهلاً ولكن «بورشيا» التزمت بوصية أبيها ووطنت نفسها على قبول ما ارتضته الأقدار لها .

وفي اليوم الذي جرت فيه مراسم الأكليل وبينما كان العروسان يحتفلان بقرانهما تلقى «بسانيو» رسالة من صديقه «أنطونيو» يعلنه فيها أنه لم يتمكن من تسديد القرض في موعده بسبب النكبة التي حلت به من جراء غرق بواخره التجارية وإن «شاييلوك» اليهودي القذر مصر على أن يسترد دينه بموجب حرفية الصك أي باقتطاع رطل من اللحم من جسمه .

وشحب لون «بسانيو» وارتجف وهو يقرأ الرسالة وأحست «بورشيا» بذلك فسألته عما به . . . فأخبرها بحقيقة أمره وكشف لها أوراقه .

فتناست فعلته في إبان محنته وعزمت على مساعدته فقالت له :

أنها تضع ما لها ونفسها في سبيل تخليص صديقه من ورطته فشكرها وأخذ المال اللازم معه وأسرع لإنقاذ «أنطونيو» ذلك الصديق الذي سجل أروع صفحة في تاريخ الوفاء والشهامة والمروءة .

و«بورشيا» . . . . هل اكتفت بتقديم المال . . . وتطلعت إلى التفكير في الخلاص من «بسانيو» الذي فضحت الظروف خفاياه وخباياه؟ إنها متعلمة وهو

جاهل . . أنها متبحرة وهو طاف . . هل تتركه يواجه مشكلته التي كان هو سببها . . . ورجعت «بورشيا» إلى قلبها تسأله: أحقاً تحب «بسانيو» على عجره وبجره وإذا بفؤاها يجيبها . . . نعم وإذا بها تقرر أن تكون بجانب «بسانيو» تعضده وتسنده وتعززه وتنصره . . .

وعاد «بسانيو» صديقه «أنطونيو» في سجنه ثم ذهب من عنده إلى مقابلة اليهودي «شايلوك» وقدم له قيمة القرض فأبى اليهودي أن يقبل، فعرض عليه القرض وفأئدته فرفض «شايلوك» وأصر على اقتطاع رطل لحم من جسد صديقه . . . ولما رأى «بسانيو» ألا فائدة ترجى من قبوله للمال حتى ولو كان أضعاف القرض لجأ إلى استدرار الرحمة في قلب «شايلوك» فلم يترك في قاموس معرفة كلمة تؤدي إليه إلا استعملها فأصر وأصر «شايلوك» على أن يتقاضى دينه لحم إنساني . . . وغم الأمر على «بسانيو» وأسودت الدنيا في عينيه وزاد الطين بلّة حين علم «بسانيو» من المستشار الذي نصبه «أنطونيو» للدفاع عنه أن الصك واضح والحجة دامغة . . . فرطل اللحم يجب أن يقتطع ولكن هنالك شعوراً وهنالك إحساساً، وأي قاضي مهما بلغ من تعلقه بحرفية القانون يجيز لنفسه أن يأذن باقتطاع لحم إنسان وفاء دين عليه بيد أن القانون إذا استبحيت حرمة صارت أمور الناس إلى الفوضى . فكيف إذن الوصول إلى توفيق بين الناحية الإنسانية والقانونية ولا سيما ولؤم اليهودي وحقده لا يتحولان عن عزمه ولو رد إليه ماله أضعافاً مضاعفة .

وعلمت «بورشيا» بالورطة التي يتخبط فيها زوجها . . . فأهاب بها وفاؤها ونادتها جراتها لتفعل العجائب والمدهشات . . . فقلبت الأمر على نواحيه فهداها عقلها النير إلى حيلة تيقنت أن فيها نجاة صديق زوجها فكاتبته من غير علم «بسانيو» المستشار «بلاريو» الذي كان يدافع عن «أنطونيو» وكان من أقاربها وعرفت منه تفاصيل القضية وطلبت إليه توكيلها عنه للمرافعة

وتزويدها بروب المحاماة.. ففعل هذا وزودها بكتاب إلى دوق البندقية الذي كان ينظر في هذه القضية قائلاً:

إنه بالنظر لمرضه فقد وكل عنه الدكتور بلناست للمرافعة.

ودخلت «بورشيا» قاعة الجلسة في زي المحامين ومعها وصيفتها (غريسا) في زي كاتب المحامي ولما جاء دورها للمرافعة قامت وتطلعت في الحاضرين وتكلمت بصوت رزين هادئ معبر طالبة فيه الرحمة من (شايوك) وقبول المال سداداً للدين... ولما رفض هذا... طلبت منه أن ترى الصك فسلمها إياه فقرأته ثم استدارت إلى الحاضرين: الصك واضح والقانون لا يمكن تغييره... أيها اليهودي، لقد اعطاك القانون هذا الحق فهل أنت مستعد لاستيفائه... فتهلل وجه «شايوك» فرحاً وشحذ نصله وأظهر منتهى الاستعداد. وهنا التفتت «بورشيا» إليه قائلة:

أين الميزان - يجب أن تقتطع أيها اليهودي من صدر «أنطونيو» رطلاً من اللحم لا يزيد ولا ينقص وإلا تعرضت للعقاب. ولما رأته حيرته أردفت قائلة: هل أحضرت معك جراحاً وإلا تعرض «أنطونيو» للموت من النزيف.. فأجاب «شايوك» إن ذلك غير وارد في الصك. فقالت «بورشيا» عندئذ، لقد سمح القانون باقتطاع رطل من لحم «أنطونيو» وأجاز القضاء ذلك.

وهنا صرخ «شايوك» بفرحة قائلاً «أنطونيو».

- تعال... استعد.

ولكن «بورشيا» استمهلتها قائلة:

أيها اليهودي الحقير... هنالك شيء آخر... فالصك لم يعطك حق قطرة دم بل نص على رطل من اللحم فإن استطعت أن تقطع لحماً فافعل ذلك ولكن حذار أن تهرق نقطة دم مسيحي فإنك إن فعلت فستصادر أراضيك



وأموالك وتصبح ملكاً للدولة في البندقية.

ودوت القاعة بالتصفيق وأسقط في يدي «شايلوك» فطلب دفع قيمة الصك نقداً... وهنا هرع «بسانيو» للدفع فمنعته بورشيا وقالت:

أيها اليهودي القذر أنت موقوف لأن القوانين المعمول بها في البندقية تقضي بمصادرة أموالك لصالح الدولة لأنك تأمرت على حياة أحد مواطنيها... وحياتك الآن تحت رحمة الدوق فاركع على ركبتك والتمس منه العفو.

وهنا التفت الدوق إلى «شايلوك» قائلاً:

إننا نعفو عنك قبل أن تطلب، على أن تذهب نصف ثروتك «لانطونيو» والنصف الآخر إلى الدولة.

وهنا قال الرجل الطيب «أنطونيو».

إنني أهب حصتي إلى ابنة «شايلوك» التي تزوجت من الشاب المسيحي «لورنزو» فقال «شايلوك» في ياس:

أوافق على ذلك وأرجوكم السماح لي في الذهاب إلى منزلي فإنني أشعر بالمرض.

وأطلق سراح «أنطونيو» وقال الدوق له: يجب أن تجزل مكافأة محاميك ودعا المحامي إلى الغداء معه فاعتذر بارتباطه بمواعيد مسبقة.

وقدم «بوسانيو» إلى «بورشيا» مقابل اتعابها مبلغ الثلاثة الاف دوكة الذي كان سيدفعها إلى «شايلوك» فاعتذرت من قبولها ونزولاً على إصراره طلبت منه أن يعطيها قفازه فخلعه فشاهدت الخاتم الذي كانت قد أهدته له من قبل... فالتمعت عيناها وسألته أن يعطيها الخاتم جزاء على تخليصها لصديقه

فاعتذر بأنه هدية من زوجه ولا يمكن التفريط بها فتظاهرت بالغضب وانصرفت. . . وكانت «تريسا» قد طلبت من (جراتيانو) أيضاً خاتمه الذي كانت أهدته له يوم أكليلهما فاعتذر كسيده فغضبت هي الأخرى وتبعت سيدتها. فلحق بها «بسانيو» و«جراتيانو» وقدا لهما الخاتمين ولا تسل عن مبلغ سرورهما.

وعادت «بورشيا» إلى قصرها ورجعت إلى (جر الذبول) وعاد «بسانيو» ومعه صديقه «أنطونيو» إلى (بلمونت) حيث قدم صديقه إليها وروى لها قصة المحامي الدكتور الذي كانت نجاة صديقه على يديه فتظاهرت بالفرحة وهنأت أنطونيو بخلاصه وفيما هم يتسامرون سمعوا شجاراً في الجهة الأخرى بين «تريسا» و«جراتيانو» التي اتهمته بأنه أهدى خاتمها إلى امرأة أخرى وهو يحلف أنه أهداه إلى كاتب المحامي الشاب مقتدياً بسيده الذي قدم خاتمه هدية إلى المحامي الشاب. فادعت «بورشيا» الغضب وأثبتت «بسانيو» على فعلته واتهمته بأنه أهدى الخاتم هو الآخر إلى امرأة عزيزة عليه وحاول «بسانيو» دفع التهم عن نفسه وتدخل «أنطونيو» في الأمر.

وهنا أخرجت «بورشيا» نفس الخاتم وأعطته لأنطونيو قائلة:

- أعطه «ليسانيو» ومره ألا يفريط فيه ثانية.

وهنا اكتشف زوجها حقيقة فعلتها بعد أن عبثت به وحيرته، وانفجر الجميع مرحاً وحبوراً بلغ أشده واستوى حين اطلعت «بورشيا» «أنطونيو» على الرسائل التي تلققتها وفيها ما يفيد بسلامة بواخره التجارية وعودتها قريباً موسوقة بالبضائع والخيرات.

وكانت «بورشيا» المرأة المثالية التي ما وجدت إلا في مخيلة شاعر فحل اسمه شكسبير.

## ابنة البخيل

للروائي الفرنسي الشهير «أوفوريه دي بلزاك»

المذيع (١): ولد بلزاك في مدينة «تور» بفرنسا عام ١٧٩٩م وتوفي عام ١٨٥٠م.

المذيع (٢): يعتبر «بلزاك» في القمة من الروائيين العالميين له قصص وروايات خالدة في الأدب الفرنسي والعالمي وقصتنا هذه الأمسية «ابنة البخيل» في طليعة ما ألف بلزاك من قصص وروايات.

الرواي: في مدينة «سومور» بيت قائم على قارعة الطريق، مظلم في بعض مواضعه شديد الحر في الصيف، قارس البرد في الشتاء صاحب هذا البيت يدعى «جرانديه» وهو رجل أثري من صناعة البراميل. تزوج ابنة تاجر خشب غني ثم اشترى ما حول بلدته من الكروم وورث ثروة ضخمة عن بعض أقاربه لم يستطع أحد تحديد مقدارها. وكان أهل سومور يتحدثون في مجالسهم ومقاهيهم وأنديتهم عن هذه الثروة ويلوكون من لذة خصال وصفات «جرانديه» وبخله الفظيع جداً. وكان له ابنة وحيدة اسمها «أوجيني»، قضى نهارها بجوار أمها تساعد في بعض أشغال الإبرة وفي قاعة هي الغرفة اليتيمة أو المسرح الذي تجري فيه حياة الأسرة فالقاعة غرفة طعام وضيوف وجلس ومكان

الصفقات التي يعقدها «جرانديه» مع زبائنه . وعندما يحل شهر نوفمبر تتخذ الأم وابنتها مجلسهما بجوار المدفأة تعدان الأيام الباقية على دخول شهر إبريل كي ينتقلا إلى غرفتهما الأولى المعدة للصيف . وكان «جرانديه» لا يسمح بإيقاد النار في المدفأة قبل اليوم الأول من نوفمبر ولا يعترف بما قد يسبق هذا التاريخ من برد الخريف . ثم لا يأذن بإيقاد المدفأة يوماً واحداً بعد آخر مارس ولو مرضت الأسرة كلها من برد الربيع وتبدأ حوادث هذه القصة أول يوم من شهر نوفمبر و«أوجيني» ابنة البخيل تقول لأمها :

أوجيني : ماما اليوم عيد ميلادي وسيهديني والدي ديناراً ذهبياً أضيفه إلى مجموعة الدنانير التي يهدونها الي كل سنة في مثل هذه المناسبة .

الأم : كل عيد وأنت بخير يا بنيتي . . أرجو ألا تكوني قد فرطت في شيء من الدنانير لأن والدك سيعد بنفسه النقود التي تدخرينها .

أوجيني : وأين أنفقها إننا لا نخرج من هذا السجن ولا نزور ولا نزار ولا ندعو ولا ندعى .

الأم : اسكتي إن أباك قادم .

الراوي : ودخل «جرانديه» فهرعت الأم والبنت لاستقباله وقبل «جرانديه» ابنته قائلاً :

جرانديه : ميلاد سعيد يا بنيتي . . . لقد احضرت معي هديتك السنوية أريني حصيلتك من السنوات الماضية قبل أن تضيفي إليها هذا الدينار .

أوجيني : حاضر يا بابا .

الراوي : وبعد أن عد «جرانديه» ما في حاصلة «أوجيني» ووجدها مضبوطة قال لها :

جرانديه: برافو.. برافو..

الأم: طالعه لأبوها ما شاء الله عليها.

**الراوي:** ويدق الباب فإذا بالطارقين وهي المحامي «كروشو» ومدير البنك «دي جراسان» وهم الشخصان الوحيدان اللذان يعرفان أن ثروة «جرانديه» قد اربت على الخمسة ملايين فرنك، ومن ثم فقد نشأت واحتدمت بين أسرتهما المنافسة على طلب يد «أوجيني» الوارثة الوحيدة لهذه الملايين وقد جاء بمناسبة عيد ميلادها يحملان الكثير من الهدايا إلى هذه الفتاة الساذجة التي لا تدري شيئاً عن هذا الفراغ، وإلى أبيها البخيل الملق والمداهنة الذي يدرك ما وراء كل تلك المظاهر من أطماع في ثروة ابنته ولذلك فقد حزم أمره أن يحرم المتنافسين منها. وفيما كان «جرانديه» ومن معه يحتفلون بميلاد «أوجيني» سمع دق شديد على الباب. فنهض «جرانديه» ليفتح للطارق، ثم عاد ووراءه فتى باريسى وسيم الطلعة أنيق الهندام. هو «شارل» ابن أخيه «فيكتور جرانديه» المقيم في باريس فعجب القوم من هذا الطارق المسرف في الرقة والأناقة، وانصرف «جرانديه» عن ضيوفه إلى قراءة رسالة أخيه التي يذكر فيها إفلاسه والأربعة ملايين فرنك المدين بها وأنه عزم على الانتحار للخلاص مما هو فيه وأنه يعهد إليه بولده «شارل» اليتيم الذي فقد أمه طفلاً وها هو ذا يفقد اليوم أباه.

وصعدت «أوجيني» وأمها والخادم إلى الطابق العلوي من البيت كي يهيئن غرفة للضيف الباريسي.. وكانت «أوجيني» أكثرهن عناية بتنسيق غرفة ابن عمها الشاب. وفي الصباح كانت أسبق الجميع إلى اليقظة.. نهضت وارتدت ثيابها البسيطة وهي تقارن في خاطرها بين خشونة مظهرها ورقة مظهر

ابن عمها الفتى الأنيق واسترسلت مع خواطرها... إن في حياة العذارى  
الهادئة الرتيبة ساعة حلوة فيها تسكب الشمس أشعتها في نفوسهن وتحدث  
الزهرة إليهن حديثها العطر، وتصل خفقات القلب إلى العقل فيلتقي فكر  
العذراء وشعرها في رغبة غامضة لا بد من كنهها.

وأفاقت «أوجيني» من غشيتها النفسية على صوت أبيها وهو يتشاجر مع  
الخادم «نافون» ويقول:

جرانديه: ألم يبق شيء من خبز الأمس.

نافون: ولا الفتات.

الراوي: ويتناول جرانديه من المخزن رغيماً ويهم بتقسيمه كي يعطيها فتقول  
نافون مشفقة.

نافون: إننا اليوم خمسة يا سيدي.

جرانديه: أعلم هذا لكن الرغيف يزن ستة أرطال فلا بد أن يتبقى منه شيء  
وسوف ترين أن فتیان باريس لا يكثرون من أكل الخبز.

نافون: إذن لا بد أن يكثروا من نصيبهم في بقية الطعام.

جرانديه: بل لا هذا ولا ذلك، إنهم كالعذارى في يوم زفافهن.

نافون: سيدي، أعطني أيضاً دقيقتاً وزبداً كي أصنع الكعكة..

جرانديه: أو تخربين بيتي من أجل ابن أخي؟

نافون: وقطعتين أخريين من السكر فإني لم آخذ إلا ست قطع.

جرانديه: ماذا جرى لك اليوم يا نافون؟ لا تأخذي أكثر من القطع الست...

نافون: والفتى بماذا يحلى قهوته؟

جرانديه: بقطعتين . . وسأستغني أنا عن قطعتي .

الراوي: ويخرج «جرانديه» إلى السوق ويقرأ من الجرائد خبر انتحار ابن أخيه فلا يتأثر فيه شيء . . وعلمت «أوجيني» بالنبأ فانخرطت في البكاء فراع بكاءها أباه فقال لها:

جرانديه: وهل كنت تعرفين عمك حتى تبكيه؟ .

الراوي: ولم تجب «أوجيني» فقد كان ذلك أول درس لقمته إياه الحياة وأن على المرأة التي تحب أن تخفي شعورها وتكتم عواطفها . أما أبوها فأردف قائلاً وهو يهم بالخروج من البيت:

جرانديه: لا تنبئوا شارل بالأمر حتى أعود وأما أنت يا بنيتي فلن يطول بكاءك فإن الفتى راحل عما قريب إلى الهند.

الراوي: وخرج «جرانديه» . . . وحين انفردت «أوجيني» بأمها انفجرت بالبكاء وهي تقول:

أوجيني: أماه، أحس كأنني أحتق.

الراوي: ونظرت أمها إليها في حنان، وفتحت لها النافذة، وقد فهمت كل شيء بينما أردفت «أوجيني» تقول:

أوجيني: وفيم أرسل شارل إلى الهند . . يا للفتى المنكوب . . أليس في الإمكان أن يعيش معنا؟

الأم: أجل يا ابنتي، ولكن لأبيك آراؤه خاصة التي يجب علينا أن نحترمها .

الراوي: وعلم «شارل» من عمه بانتحار أبيه فاستخرط في البكاء وتردد صدى شهقاته بين جدران البيت الصامت حتى سالت لحزنه دموع النسوة الثلاث .

وذهب إلى غرفته ولم يتناول عشاءه بينما جلس عمه يقارن بين أرباحه في العام الماضي والعام الجاري وما أن فرغ من حسابه حتى صفق الفرع في جنبات قلبه وغمغم لسانه قائلاً: ثمانية ملايين فرنك في ثلاث سنين .

وشاركت «أوجيني» ابن عمها حزنه فلم تنم تلك الليلة فكانت في كل لحظة تتمثله أمامها يحتضر من الحزن والجوع وقبيل الفجر سمعت أنيناً رهيباً فهرعت إلى غرفته فوجدته نائماً في حلته على مقعد غير وثير ورأسه ملقى على السرير وعيناه منتفختان من الدموع وأحس شارل بها ففتح عينيه بعد حين فرآها تبكي . فقال خجلاً:

شارل: عفواً يا ابنة عمي .

أوجيني: لا عليك يا ابن العم إن في البيت قلباً تسمع أنين قلبك وتجاوبه . . حسبت أنك في حاجة إلى شيء فجئت أستطلع الأمر . قم ونم على فراشك فالنوم على هذا الوضع يتعبك .

الراوي: ثم انسلت «أوجيني» إلى مخدعها يخالجه شعور بالخجل وشعور بالسعادة . . وطلع الصباح . . وانتبذ اليتيم ركناً قصياً قبع فيه طيلة النهار صامتاً مفكراً حزيناً لا تحول بينه وبين أفكاره القاتمة سوى نظرة ابنة عمه التي كانت ترمقه بها بين الحين والحين فتدفعه إلى آفاق فسيحة من الأمل والرجاء .

وتهياً «شارل» للسفر وكان يعوزه بعض المال وأعطته «أوجيني» كل ما جمعته من ذهب وهي تقول:

أوجيني: لقد أدركت احتياجك الضروري إلى نقود وإليك المبلغ الذي في حوزتي فأقبله مني فلست في حاجة إليه .

الراوي: وتمنع شارل والحت عليه «أوجيني» فأجابها بعد لأي .



شارل: أكون صغير النفس يا «أوجيني» إذا لم أقبل جميلك . . . ولكن كما أودعت عندي ذهابك أود أن أودع شيئاً عزيزاً عليّ كحياتي . . هدية أمي فلشد ما أخشى أن أفقدها في أسفاري .

الراوي: وأخرج «شارل» علبة ثمينة فتحها فإذا داخلها من الذهب الخالص الدقيق الصياغة، وبها صورتان انيقتان، لرجل وامرأة . . فهتفت «أوجيني» قائلة:

أوجيني: يا لجمالها البارِع . مَنْ هذه السيدة؟

شارل: إنها أمي امرأة عمك، وهذا أبي فإذا قدر لي الهلاك وهلكت ثروتك معي فسوف تعوضك هذه (الأيقونة) الذهبية الثمينة أما هاتان الصورتان فأليك وحدك أتركهما . وإنك لخليقة بأن تصونيهما آه يا أبي . . لماذا تركتني وحيداً معدماً؟

أوجيني: صه! لست وحيداً فأنا معك . . ولست فقيراً فأبي غني .

الراوي: ولحظ «شارل» ما تكن له «أوجيني» وأمها من العطف الخالص وأدرك فجأة أن مجتمع باريس هو مجتمع أناني فاسد فما كان ليرثي لها أو يعبأ به ونكبته تلك . وبدت له «أوجيني» في جمالها الساذج وراقته تلك العادات الريفية التي كان يسخر منها في البداية . . وفتح زوج عمه بشأن الزواج من «أوجيني» فقالت له:

الأم: كم يسعدني أنا و «أوجيني» ذلك ولكن الأمر رهن بمشيئة عمك وموافقته . .

شارل: أمّا عمي فأنا أعرف رأيه ولو لم يقله لي إنه يريد زوجاً غنياً أكثر منه . . ولكنني سأسافر وسأجدُ وأعمل لأثرى لأصبح غنياً وعندها لن يتردد عمي في تزويجي من «أوجيني» .

**الراوي:** وارتحل «شارل» بعد أن وعد «أوجيني» بالزواج منها وأجابته وهي تودعه .

**أوجيني:** سأنتظر عودتك يا «شارل» مهما تطل . . . مع السلامة .

**شارل:** مع السلامة . .

**الراوي:** حقاً إن النساء أشقى من الرجل، فهن يجدن في كل ظرف يكتنف حياتهن نبعاً جديداً للأسى والحزن: الرجل يخرج ويدخل ويعمل ويستغرقه عمله، ويفكر في مستقبله، ويتلهى عن متاعب الحياة ومضايقاتها بالسعي وراء آماله العريضة كما فعل «شارل». أما المرأة فتلزم بيتها وهمومها، تجتر حزنها وتفكر فيه، وتطيل التفكير فلا يشغلها عنه شاغل حتى توشيه بالمنى أو تغرقه في الدموع. وهكذا كانت حال «أوجيني».

وعلم والد «أوجيني» بأن ابنته أعطت ما لديها من ذهب إلى ابن عمها فغضب عليها وحبسها في غرفتها ومنع عنها الأكل إلاّ لقمة من الخبز الجاف والماء ولم تخلص من السجن إلا عندما مرضت أمها وعندما بدأت تحتضر التمسّت من «جرانديه» رؤية ابنتها فأرسلها إليها وبينما كانت في سكرات الموت همست في أذن ابنتها قائلة:

**الأم:** يا بنيتي . . لا راحة في الدنيا ولا سعادة: إلاّ في الآخرة ستعرفين ذلك يوماً ما . .

**الراوي:** ثم أغمضت الأم جفניה إلى الأبد فبكتها «أوجيني» طويلاً، وأصبحت بعدها وحيدةً إلاّ من الخادم «نانون» التي وجدت فيها ما يعوضها بعض حنان والدتها. وبعد خمس سنوات على وفاة أمها أصيب والدها بالشلل فتفانت «أوجيني» في تريضه والعناية به وعندما

حضرتة الوفاة طلب من ابنته أن تجري أمامه استعراضه المحبب فترص على المائدة دنائيره الذهبية كي ينظر إليها نظرة أخيرة ففعلت وجعل «جرانديه» يتأملها في ذهول ولم يحول بصره عنها حتى لفظ النفس الأخير .

وورثت «أوجيني» من أبيها سبعة عشر مليون فرنك وأصبح الناس لا يتحدثون إلا عن «أوجيني» السعيدة وملايينها ولا يعرفون كم هي شقية تعيش على بصيص من أمل لعلّه سراب زائف في بيداء صبرها ولم تدر أن عمها ومغامراته في تلك الأجواء القصصية في الهند وشواطئ إفريقيا قد أنسته كلها ذكرى ابنة عمه وعهده لها. لقد وصل إلى مبتغاه. أصبح غنياً. أصبح ثرياً. أصبح يطمح في أن يحيا حياة النبلاء والأشراف فيجب أن يتزوج من فتاة يجري في عروقها الدم النبيل وعندما وجد ضالته عاد إلى باريس وبعث إلى ابنة عمه «أوجيني» برسالة تناولتها في لهفة وفضتها والدموع في عينيها وقرأتها فإذا فيها:

### الرسالة : ابنة عمي العزيزة :

سوف تقابلين بأبلغ السرور فيما أعتقد أبناء النجاح الذي صادفني في مشروعاتي خلال فترة غيبتني . ولقد سمعت أخيراً بوفاة عمي وامرأة عمي فلعلك تعزيت عنهما الآن فإن الأيام خليقة بأن تعلمنا السلو والنسيان . . أجل أيتها العزيزة . . إنك اليوم حرة وأنا حر ولكل منا مشروعاته التي من حقه أن يحققها . . لا تحسبي أنني أنكر ما كان بيننا من التعاهد على الحب . لكن لا أريد أن نتمادى في خداع أنفسنا . ومن الخطأ الظن بأن الحب معناه الزواج فإن بين الاثنين من البون الشاسع ما بين الخيال والحقيقة . . ولا بد أنك تقدرين ما بيننا من فوارق السن والتربية والعادات والتفكير والذوق . . أنا الآن على أهبة الزواج من فتاة في التاسعة عشرة سليلة بيت من بيوت الأشراف . . سوف تفتح لي الأبواب إلى أرفع المناصب في فرنسا . . وها أنذا أرفق

بخطابي هذا الصك الذي ينطق بعرفاني لجميلك وهو عبارة عن المبلغ الذي  
أعرتنيه قبل رحيلي . .

**الراوي:** فلما فرغت (أوجيني) من قراءة الرسالة بكت حتى بللت دموعها  
نحرها ثم قامت وأرسلت في طلب محاميها على جناح السرعة فلما  
حضر قالت له :

**أوجيني:** مسيو «بونفون» إذهب حالاً إلى باريس وسدد كافة الديون التي  
ورثها ابن عمي «شارل» عن أبيه المفلس . وبعد ذلك سلمه هذه  
الرسالة . .

**الراوي:** ونفذ المحامي ما أمر به ثم سلم الرسالة إلى «شارل» فقرأها فإذا  
فيها :

**الرسالة:** «يا ابن عمي: لقد أنبتت أن إفلاس أبيك وديونه الثقيلة التي  
خلفها والتي ترفض دفعها . . قد يصبح عقبة كأداء في سبيل تمام  
صفقة زواجك . . وما دمت ترى بينك وبينني تلك الفوارق التي  
عددتها في رسالتك، وتراني عاجزة عن أن أحقق لك أحلامك  
والسعادة التي تنشدها فدعني أتمنى لك التوفيق في زواجك هذا  
الذي تضحي من أجله بحبنا . . ولكي لا تشوب صفو هنائك الجديد  
شائبة رأيت أن أقوم بوفاء كافة ديون أبيك . . فوداعاً . . وسوف تجد  
دائماً في ابنة عمك نعم المخلصة الوفية «أوجيني» .

**الراوي:** ثم قامت فوزعت ما تبقى لديها من ثروة على مؤسسات البر  
والإحسان وعلى الخادم «نانون» ثم ترهبت ودخلت إحدى الأديرة  
وعاشت طوال حياتها وقولة أمها وهي تحتضر ترن في أذنيها :

**الأم:** يا بنيتي لا راحة على الأرض ولا سعادة إلا في الآخرة ستعرفين ذلك  
يوماً ما . .

## «المنفى الطويل»

(للكتاب الأديب القاص (ليو تولستوي) أعظم وأشهر الكتاب الروسيين)

المذيع (١): ولد تولستوي عام ١٨٢٨ وتوفي عام ١٩١٠.

المذيع (٢): وضع تولستوي روايات وقصصاً قصيرة تعد خير ما عرفه تاريخ القصة الروسية، وقصتنا هذه الأسمية «المنفى الطويل» في طليعة هذه القصص.

الراوي: عاش في قرية «فلاديمير» تاجر شاب اسمه «إيفان ديمتريش أكسينوف» له متجران ودار مُلك وكان جميل الطلعة، أشقر الشعر ولوعاً بالمرح والغناء..

وذات صيف انتوي «إكسينوف» زيارة أحد المعارض المقام في إحدى المدن الروسية القريبة من قريته لبيع بعض منتوجاته فيه، وعندما جاء يودع زوجته قالت له:

الزوجة: «إكسينوف» ألا تسافر اليوم.. لقد رأيت حلماً مزعجاً حول هذه الرحلة..

الراوي: وضحك «إكسينوف» حتى كاد يقع من فرط ما ضحك ثم أردف قائلاً:

أكسينوف: إنك تخشين من أنني حين أصل إلى المعرض سأطلق لنفسي  
حريتها في اللهو والمرح والمتعة..

الزوجة: لا أدري مبعث خوفي.. ولكن أعرف أنني رأيت حلمًا مزعجاً..  
لقد حلمت أنك عدت من هذه الرحلة وعندما نزعت غطاء رأسك  
رأيت شعرك كتلة من البياض..

أكسينوف: (ضاحكاً): إنه إشارة حظ.. سأبيع كل ما لدي من بضاعة  
وسأتيك ببعض الهدايا من هذا المعرض..

الراوي: وودع «أكسينوف» زوجته واتخذ طريقه صوب المعرض. وفي  
منتصف الطريق التقى بتاجر يعرفه ونزلاً معاً في خان واحد وناما  
في غرفتين متجاورتين. وكان من عادة «أكسينوف» عدم السهر.  
ولذلك استيقظ باكراً وأوعز لسائقه بإسراج الخيل ثم اتجه فدفع  
فاتورة الفندق واستمر في رحلته وبعد أن قطع حوالي (٢٥) ميلاً  
عرج على خان للراحة وإطعام الدواب وطلب إلى خادم الخان شيئاً  
على (السّموار) وأخذ قيثاره وردد بعض الأنغام عليه.. وفجأة  
وقفت عربة خيل أمام الخان ونزل منها ضابط يتبعه جنديان وجاء  
إلى (أكسينوف) وابتدأ يستجوبه عن نفسه ومن أين أتى ومتى؟ وقد  
أجابته (أكسينوف) بكل بساطة وقال له أخيراً:

أكسينوف: ألا تحب أن تشرب معي الشاي؟

الضابط: لا.. شكراً.. قل لي يا أكسينوف أين قضيت ليلتك أمس؟ هل  
كنت وحدك أو مع تاجر زميل لك.. وهل رأيت هذا التاجر هذا  
الصباح؟ ولماذا ارتحلت قبل طلوع الفجر؟

الراوي: وقد دهش (أكسينوف) من كثرة هذه الأسئلة.. على أنه حاول أن  
يصف الأمور كما وقعت له ثم أردف قائلاً:

أكسينوف: لماذا تستحويني يا حضرة الضابط كما لو كنت سارقاً أو قاطع طريق؟ إنني مسافر لأشغال خاصة بي ولا موجب هنالك لكل أسئلتك هذه ..

الضابط: إنني ضابط البوليس في هذه المقاطعة .. وأنا استنجد بك لأن التاجر الذي قضيت معه ليلة أمس وجد مذبوحاً ولذلك يجب أن نفتش أمتعتك .. هيا معنا إلى داخل الخان لنفتش حقائبك ..

الراوي: وابتدأ الضابط وجنوده في تفتيش الأمتعة بكل دقة وعناية وإذا بالضابط يصرخ ويقول:

الضابط: هل هذه السكين التي وجدناها ضمن حقائبك ملك لك؟ أو لمن هي؟

الراوي: وتطلع (أكسينوف) إلى السكين وما إن رأى آثار الدم عليها حتى ارتعدت فرائصه ولاحظ الضابط ذلك فأردف قائلاً:

الضابط: كيف علق هذا الدم بالمديية يا «أكسينوف»؟

الراوي: وحاول «أكسينوف» الكلام ولكن الكلمات احتبست في فمه ولم يستطع إلا أن يقول وهو يتلعثم:

أكسينوف: أنا .. لا أعرف .. ليست السكين لي ..

الضابط: لقد وجد التاجر الذي كنت معه أمس مذبوحاً هذا الصباح وقد فصلت عنقه .. وأنت الشخص الوحيد الذي يشبه أنه الفاعل فالخان الذي نزلتما به كان مغلقاً من الداخل ولم يكن هنالك أحد سواك وها هي سكين ملوثة بالدماء توجد في حقائبك، ووجهك والوضع الذي ظهرت به ونحن نستجديك يفضحانك .. قل لي كيف قتلته وكم هو مبلغ النقود التي سرقتها؟

**الراوي:** وأقسم «إكسينوف» أنه لم يقم بهذه الجريمة وأنه لم ير التاجر بعد أن شربا الشاي معاً.. وأنه لا يوجد معه غير ثمانية آلاف روبل هي ماله الخاص، وأن السكين ليست له. غير أن صوته كان متقطعاً ووجهه مصفراً وكان يرتجف خوفاً كما لو كان المجرم الحقيقي.

وأمر ضابط الشرطة جنوده بربط «إكسينوف» ووضعه في العربة. وجلس «إكسينوف» يبكي بعد أن قيدت رجلاه وقذف به في العربة وأخذت منه نقوده وبضاعته وأرسل إلى أقرب قرية حيث سجن فيها. استقصى المحققون عنه من بلدته فعلموا أن «إكسينوف» كان عربيداً ومبذراً في مستهل حياته ولكنه تاب وأصبح رجلاً طيباً. وحوكم «إكسينوف» بجريمة قتل وسرقة عشرين ألف روبل من القليل وهو تاجر من مدينة «ريزان» وعلمت زوجة «إكسينوف» بالأمر فعراها يأس شديد ولم تدر ماذا تفعل إن لديها من «إكسينوف» أولاداً صغاراً أحدهم رضيع. وأخيراً أخذتهم معها إلى البلدة التي سجن بها زوجها وحاولت رؤية زوجها فمنعت من الاتصال به وأخيراً رق قلب مأمور السجن وهو يسمع صراخ وعويل أطفال المسجون فسمح لها قائلاً:

**المأمور:** اسمحوا لها بالدخول مع أطفالها لمشاهدة زوجها.

**الزوجة:** شكراً لك يا سيدي! شكراً:

**الراوي:** وأغمي على الزوجة حين رأت بعلمها في ثياب المساجين مع السارقين والمجرمين واشتد عويل الأطفال وصراخهم وأخيراً أسعفت الزوجة واقتيدت إلى زوجها وحدثته عن حالها بعده ثم سألته:

**الزوجة:** ماذا يجب علينا أن نفعل؟

**الزوج:** علينا أن نرفع التماساً إلى القيصر ليرحم بريئاً من الهلاك.

**الزوجة:** لقد رفعت التماساً إلى القيصر ولكن لم أتلق أي جواب عليه حتى الآن.



الراوي: ونكس «إكسينوف» رأسه ولم يقل شيئاً فأردفت زوجه قائلة:

الزوجة: يا ليتك لم تقم بهذه الرحلة.

الراوي: ثم تنهدت الزوجة وغرست أصابعها بين شعر رأس «إكسينوف» وقالت متلطفة في كلامها:

الزوجة: «إكسينوف»! عزيزي.. قل لزوجتك الحقيقة.. أفعلت هذه الجريمة؛ أصدقني.. حتى أتلمس طريقي في هذه المحنة..

الزوج: حتى أنت يا زوجتي تشبهين مع المشتبهين..

الراوي: ثم خبأ «إكسينوف» وجهه بين راحتيه وطفق يبكي لصوت مسموع وجاء العسكري ليعلم الزوجة وأطفالها بانتهاء مدة الزيارة.. وودع «إكسينوف» زوجه وأطفاله ولما ذهبوا وقعد وحيداً استرجع ما قالته زوجته وأنها - من المؤسف - تشك في أنه القائل خاطب نفسه قائلاً:

إكسينوف: إن ربي هو العالم بالحقيقة فإليه وحده يجب أن أشكو بشي وحزني ومنه أتمس الرحمة والنجاة..

الراوي: ولم يكتب «إكسينوف» أي التماس وقطع كل أمل في العيد والتجأ إلى ربه يسأله الرحمة والنجاة..

وحكم عليه بالجلد بالسياط وبالأشغال الشاقة في المناجم. وبعد أن جلد وشفي من جراحه قذف به إلى سيبيريا مع المحكومين الآخرين بالأشغال الشاقة.

وعاش «إكسينوف» ستاً وعشرين سنة محكوماً عليه بالأشغال الشاقة في سيبيريا فابيض شعره وأصبح وكأنه كتلة من الثلج وطالت لحيته وزاوله مرحة ومجونه وانحنى ظهره وتناقلت مشيته، وقل كلامه وكثر عبوسه وصار يمضي

جل وقت فراغه في التبتل والصلاة فأحبه مأمورو السجن لوداعته واحترمه زملاؤه المساجين ولقبوه بالجد والرجل الصالح وصاروا إذا استدعوا إلى سلطات السجن في شيء كان «إكسينوف» هو المتكلم بلسانهم وعندما يتخاصمون يحتكمون إليه وينزلون على حكمه . ولم يعرف «إكسينوف» أي شيء عن مصير زوجته وأطفاله طوال هذه المدة .

وفي يوم من الأيام جاءت حفنة جديدة من المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة إلى هذا السجن ، وفي المساء التف السجناء القدماء حول السجناء الجدد وأمطروهم بوابل من الأسئلة عن بلدانهم وقراهم والأحكام التي سجنوا من أجلها، وقد جلس «إكسينوف» مع الجالسين يرهف سمعه لكل ما يقال . . وخاصة عندما تنطع أحد السجناء الجدد وكان مفتول الساعدين قوي البنية بقوله جواباً على سؤال أحدهم له عن أسباب سجنه :

**السجين :** حسناً: أيها الأصدقاء . . لقد قبض علي لأنني أخذت حصاناً كان مربوطاً إلى عربة بتهمة السرقة وعندما دافعت عن نفسي بقولي أن أخذه لأعود به بسرعة إلى بيتي ولأن صاحب الحصان صديق لي فرفض دفاعي وأدنت بالسرقة . . ولكنني اقترفت مرة جرماً شنيعاً كان يجب أن أسجن بسببه في سيبيريا ولكن سلطات البوليس لم تكشفني وها أنذا أرسل الآن إلى سيبيريا بدون أن ارتكب جرماً . . أوه . . أنني أكذب عليكم لقد سجنتم في سيبيريا قبل الآن ولكن لم أمكث طويلاً .

**سجين آخر :** من أي بلد أنت؟

**السجين :** إنني من بلدة «فلديمير» وأسمي مكار وألقب «بسيمونيتش» . .

**الراوي :** ورفع «إكسينوف» رأسه وكان هو من هذه البلدة وسأل «سيمونيتش» قائلاً :

**إكسينوف:** «سيمونيتش» خبرني هل تعرف أي شيء عن التجار المدعويين «باكسينوف» في «فلديمير» وهل هم على قيد الحياة؟

**سيمونيتش:** أعرفهم.. بالطبع أعرفهم. إن هؤلاء التجار أغنياء بالرغم من أن أباهم مسجون في سيبيريا.. مجرمًا مثلنا كما يظهر.. وأنت أيها الجد كيف أتيت إلى هنا؟

**الراوي:** ولم يشأ «إكسينوف» أن يكشف عن أسباب مجيئه ولكنه اكتفى بالقول بأنها ذنوب استحققت عليها هذا الجزاء غير أن زملاء «إكسينوف» تطوعوا بإخبار «سيمونيتش» عن الجريمة التي ارتكبتها وكيف أن أحدهم قتل تاجراً بسكين ووضعها في رجل «إكسينوف» وهذا سبب إدانته بالقتل. ولما سمع «سيمونيتش» ذلك خبط على ركبته وتطلع إلى «إكسينوف» وقال في دهشة:

**سيمونيتش:** عجيب.. عجيب جداً.. لقد تغيرت كثيراً أيها الجد..

**الراوي:** وهنا سأل السجناء الآخرون «سيمونيتش» عن أسباب دهشته وأين رأى «إكسينوف» من قبل، ولكنه لم يجب بل قال إنه حقيقة أمر عجيب أن نلتقي أيها الرفاق. وأثارت إجابته «إكسينوف» وتساءل ربما يعرف هذا الرجل من قتل ذلك التاجر فأردف قائلاً:

**إكسينوف:** سيمونيتش! ربما سمعت عن ذلك الحادث بل ربما رأيتني من قبل؟ وربما سمعت عن قائله الحقيقي؟

**سيمونيتش:** (ضاحكاً): إن القاتل بدون شك هو من وجدت في أمتعته السكين.. وإذا كان هنالك شخص آخر خبأ السكين فهو ليس سارقاً حتى يقبض عليه. كيف يستطيع إنسان وضع سكين في كيس كان تحت رأسك بدون أن نستيقظ.

**الراوي:** ولما سمع «إكسينوف» هذه العبارات تأكد لديه أن «سيمونيتش» قاتل التاجر فقام من مجلسه وانصرف إلى مخدعه وظل مستيقظاً تلك الليلة وكيف أنه تلقى هذا العذاب من وراء هذا المجرم الغادر واشتد حنقه وغضبه على «سيمونيتش» وود لو انتقم منه حتى لو كلفه ذلك الانتقام حياته. وظل «إكسينوف» أسبوعين على هذه الحال. وبينما كان يمشي في إحدى الليالي شاهد بعض التراب يتصاعد من أحد عنابر نوم المساجين فتوقف ليرى ماهية ذلك وإذا به يشاهد «سيمونيتش» يخرج من تحت ذلك التراب ويتطلع إلى «إكسينوف» في خوف شديد.. وأراد «إكسينوف» أن يمر من دون أن يتطلع إليه ولكنه أمسك به وقال:

**سيمونيتش:** لقد حفرت ثقباً في السجن بقصد الهرب فلا تتكلم أيها الرجل العجوز فستهرب معنا وأن أفشيت أمرنا فسأقتلك.

**إكسينوف:** ليست لدي الرغبة في الهرب ولست أنت بحاجة إلى قتلى فقد قتلني منذ أمد طويل.. أمّا أن أفشي أمركم فمتوقف على مشيئة الله..

**الراوي:** وشاهد أحد مأموري السجن الثقب فاستدعى المدير الذي أمر بإجراء تحقيق دقيق بين المساجين لمعرفة الفاعل وتمسك المسجونون بالكتمان خشية على حياتهم من «سيمونيتش». ولجأ مدير السجن أخيراً إلى الرجل الصالح «إكسينوف» فسأله قائلاً:

**المدير:** «إكسينوف» إنك لرجل صادق. قل لي من حفر هذا الثقب في جدار السجن.

**الراوي:** وارتجفت شفتا «إكسينوف» ويدها وظل مدة وهو على هذه الحال من دون أن ينبس ببنت شفة ودوامه من الأفكار تتنازعه ولما رآه مدير السجن صامتاً لا يتكلم قال له:

المدير: حسناً أيها الرجل العجوز قل لي من ثقب جدار السجن؟  
إكسينوف: لا أستطيع أن أقول أيها المدير المبجل.. لقد اقتضت مشيئة الله  
ألاً أن أتكلم فافعلوا بي ما تريدون فإنني رهن أيديكم..  
الراوي: وإزاء تمنع «إكسينوف» حفظ المدير القضية واعتبر الفاعل مجهولاً.  
وفي تلك الليلة وبينما كان النوم يداعب أجفان «إكسينوف» دخل  
شخص إلى غرفته وجلس على حافة سريره وتبينه فإذا هو  
«سيمونيتش».

فقال له «إكسينوف».

إكسينوف: ماذا تريد مني أن أفعل أكثر مما فعلت.. ولماذا جئت؟ ماذا  
تريد؟ إذهب حالاً وإلاً دعوت الحارس..  
سيمونيتش: (هامساً في أذن «إكسينوف») اعف عني..

إكسينوف: عماذا؟

سيمونيتش: لقد كنت ذلك المجرم الذي قتل التاجر وخبأ السكين بين  
متاعك وكنت عازماً على قتلك أنت أيضاً لولا أنني سمعت صوتاً  
فوضعت السكين في حقيبتك وهربت من النافذة..

الراوي: وran صمت عميق على «إكسينوف»، ولم يعد يعرف ماذا يقول أمّا  
«سيمونيتش» فتزحلق عن حافة السرير وركع على الأرض قال:

سيمونيتش: «إيفان ديمتريش إكسينوف» اصفح عني.. من أجل محبتك لله  
سامحني.. سأعترف للمسؤولين بأنني الذي قتلت التاجر وسيطلق  
سراحك وتعود إلى بلدك...

إكسينوف: من السهل عليك أن تعترف.. ولكن أين أذهب بعد ستة

وعشرين سنة تعذبته من أجلك . . ماتت زوجتي ونسيتي أولادي إنني  
لا أعرف أي مكان أذهب إليه غير السجن .

**الراوي:** ولم يرفع «سيمونيتش» رأسه عن الأرض بل ظل يضرب رأسه على  
الأرض صارخاً:

**سيمونيتش:** سامحني يا إيفان . . سامحني . . إنني لم أتألم عندما كنت أجد  
بالسياط كما أتألم الآن وأنا أراك وأنت تشفق علي وتمتنع عن الوشاية  
بي . . بربك سامحني . . إنني رجل تعيس . .

**الراوي:** وانفجر «سيمونيتش» باكياً، ولما رآه «إكسينوف» على هذه الحال  
بدأ هو الآخر يبكي بحرقة ويقول:

**إكسينوف:** الرب هو الذي سيعفو عنك . . . فقد أكون أكثر ذنباً منك مئات  
المرات . . .

**الراوي:** وعندما فاه «إكسينوف» بهذه الكلمات أشرق نور الإيمان في قلبه  
وزايله حنينه وتوقه إلى بلده وأصبح مشوق إلى لقاء ربه وبالرغم مما  
قاله «إكسينوف» فقد اعترف «سيمونيتش» للمسؤولين عن جريمته . .  
ولما صدر أمر القيصر بالعفو كان «إكسينوف» قد فارق الحياة .

## اعترافات خادم خاص

### للروائي البرازيلي الشهير يواكيم ماريا ثادودسيس

ولد في ريودي جانيرو عام ١٨٣٩م وتوفي عام ١٩٠٨م احترف الأدب والكتابة منذ لدونة عمره وبرع حتى أصبح رائد الأدب البرازيلي الحديث ألف روايات وقصصاً قصيرة خالدة ورائعة..

الراوي: كان (بروكوبيو وولا نغو) يدرس اللاهوت في إحدى الكليات عندما تلقى عميد هذه الكلية رسالة من قسيس صديق له في إحدى القرى الداخلية يطلب منه ايجاد خادم خاص ذكي حصيف صبور ليشراف على العناية برجل مريض هو الكولونيل (فالسبرت) بأجر مغر جداً.. وقد اقترح عميد الجامعة على (بروكوبيو) أن يقوم بهذه المهمة الإنسانية، فلبى هذه الرغبة حالاً، ذلك لأنه كان مرهقاً من نسخ الكتب اللاتينية والتراتيل الدينية.

وعرج (بروكوبيو) على (ريودي جانيرو) لزيارة أخيه ومن ثم سافر إلى قرية الكولونيل المريض.. وعندما وصلها قصدتوا إلى القسيس الذي أرسل في طلبه ولما قابله قال له:

القسيس: أهلاً بك يا بني..

بروكويبو: شكراً لك يا أبي..

القسيس: يا بني - عليك أن تتذرع بالصبر.. فالكولونيل (فالسبرت) رجل طيب القلب ولكن الموقف الذي يصوره يجعل منه في بعض الأحيان رجلاً فظاً شديداً القسوة لا يتورع عن ضرب خادمه بأي شيء أمامه.. لقد شج خادمين قبلك في وجهيهما..

بروكويبو: أنني لا أخشى من أصحاب الأبدان.. فكيف أخاف المعلولين.

القسيس: الصبر يا بني.. الصبر.. إن الكولونيل يستبدل خدمه كما يستبدل أدويته.. فإذا استعنت بالصبر واستعملت الحكمة فإنك ستفوز بالسعادة في خدمتك الإنسانية وفي مكافأتك المغربية.

بروكويبو: سأتحمل يا أبي.. فادع لي..

القسيس: بورك فيك.. بورك فيك..

الراوي: وذهب (بروكويبو) إلى منزل الكولونيل فوجده مستلقياً على كرسي طويل في البلكون والألم ظاهر بشدة على محياه وقد تلقاه بقول حسن وجعل يتفرس في وجه خادمه ثم يبتسم ابتسامة خبيثة وأخيراً قال له:

الكولونيل: اسمع.. إن جميع الذين استخدمتهم عندي كانوا تافهين.. كانوا ينامون كثيراً.. ووقحين.. وكان اثنان منهم لصين، فهل أنت لص مثلهم؟

بروكويبو: لا يا سيدي..

الكولونيل: ما اسمك يا هذا؟؟؟

بروكويبو: بروكويبو جوس وولونغو.



الراوي: وضحك الكولونيل بشكل هستيري ثم قال باستهزاء وسخرية.

الكولونيل: اسمك كولومبو.

بروكوبيو: لا يا سيدي.. اسمي بروكوبيو.. جوس وولونغو.

الكولونيل: (ضاحكاً) سأدعوك إذن، بروكوبيو.

الراوي: ويظهر أن جواب الخادم الصارم قد ترك أثراً طيباً في نفس الكولونيل فعاش (بروكوبيو) في نعمة هذا التأثير أسبوعاً كاملاً وفي فجر اليوم الثامن بدأ (بروكوبيو) يعرف حياة الكلاب التي كان يحياها أسلافه من الخدم - فلم يعد يعرف للنوم طعماً ولا لتفكيره وزناً - فقد طفق الكولونيل يمطره بوابل من الشتائم التي كان يقابلها (بروكوبيو) بالابتسام من وقت إلى آخر وبروح الخضوع والولاء لأنه اكتشف منذ البداية أن هذه الطريقة ترضي الكولونيل وتخفف حدة غضبه كما أدرك (بروكوبيو) إن مرد كل هذه الأمور إلى إصابة الكولونيل بأمراض متعددة منها: مرض الأعصاب والروماتيزم وأمراض أخرى مورثة بالإضافة إلى الشيخوخة، فقد كان الكولونيل يبلغ الستين من العمر وكان منذ طفولته معتاداً على ألا يرد له طلب وكان (بروكوبيو) كثيراً ما يقول لنفسه:

بروكوبيو: يا إلهي... يا إلهي... أعنى بالصبر.. يا إلهي إنني لأرثي لهذا الكولونيل المريض واتجاوز عن سبابه المقذع ولكن لا يمكن أن أتحمل ابتسامه الخبت التي تعلقو محياه وهو يرى أحزان الآخرين وتعاستهم.

الراوي: وبعد ثلاثة شهور لم يعد (بروكوبيو) قادراً على تحمل أعباء هذه الخدمة فصمم على الانفصال ولكن كانت تنقصه المناسبة وجاء

(بروكوبيو) يوم الخلاص حين ضربه الكولونيل بالخيزران ثلاث مرات لأنه تأخر قليلاً في تسليمه رسالة وصلته . . وعند هذا الحد قال له (بروكوبيو).

بروكوبيو: أعفني من الخدمة يا سيدي الكولونيل . . .

الراوي: ثم أدار (بروكوبيو) ظهره وذهب يحزم حقائبه وإذا الكولونيل يدخل إلى غرفة (بروكوبيو) ويطلب منه أن يبقى ويسمح عن طبعه السيء الناجم عن شيخوخته . . وظل الكولونيل يصر على (بروكوبيو) حتى استحي هذا ورضي أن يبقى وفي ذلك المساء قال له الكولونيل .

الكولونيل: إنني مشرف على النهاية يا بروكوبيو . . لن أعمر طويلاً . . . إنني على حافة القبر وستمشي في جنازتي يا بروكوبيو . . ولن اعذرك مهما كانت الظروف ستمشي وستصلي علي وإذا لم تفعل سيزورك طيفي في تلك الليلة ويسحبك من ساقيك . . هل تعتقد في الأشباح يا بروكوبيو؟

بروكوبيو: إنها خرافة يا سيدي الكولونيل .

الكولونيل: ولماذا يا أصلب الرأس؟

الراوي: ولم يضرب الكولونيل بعد تلك المرة (بروكوبيو) . . على أن شتائه بقيت على حالها بل كانت تزداد في بعض الأحيان ولكن (بروكوبيو) كان يفعل كما يقول المثل «إذن من طينه وإذن من عجينه» ولئن ساورته نفسه أكثر من مرة أن يترك الخدمة ولكنه عندما يفتح قسيس القرية كان يترجاه هذا أن يصبر ويتحمل ومع ذلك فقد كانت العلاقات بين الكولونيل وخادمه تزداد توتراً وسوءاً كل يوم . . إذ لم يعد الخادم يطيق ذرعاً بالحياة في هذه القرية النائبة التي كانت منقطعة عن العالم

فلا جرائد تصلها ولا وسائل تسلية بريئة فيها وفوق هذا كله سيل الشتائم الذي ينصب على رأسه صباح ومساءً . .

وعندما علم طبيب الكولونيل وقسيس القرية بعزم الخادم المغادرة جاء إليه ورجواه أن يبقى شهراً واحداً ريثما يتدبرا بديلاً عنه فقبل بهذا الشرط .

**الراوي:** وفي مساء يوم ١٤ أغسطس أصيب الكولونيل بنوبة حادة من الغضب فانهال بالضرب على الخادم وكال له أقذع الشتائم ورماه بصحن الحلو على وجهه فتكسر الصحن إلى مئات القطع الصغيرة على الأرض ونهض الكولونيل وصرخ في الخادم قائلاً:

**الكولونيل:** ستدفع أيها اللص ثمن هذا الصحن. خذ أيها اللعين خذ . . .

**الراوي:** ثم انهال بالضرب على الخادم الذي كان يجيب على هذه الكلمات بقوله:

**الخادم:** اهدأ يا سيدي الكولونيل . . اهدأ . . صحتك فوق كل شيء .

**الكولونيل:** خذ أيها اللعين . . خذ أيها اللص القذر . . خذ .

**الراوي:** وعندما كلت يده من الضرب جلس على حافة السرير ثم أخذ يزمجر يتهدد ويتوعد . . والخادم يهدئ من غضبه حتى غلب النوم على الكولونيل فنام فغطاه وأخذ كرسيًا وكتابًا وجلس بالقرب من سرير الكولونيل يقرأ حتى لا ينام لأن عليه أن يوقظ سيده الكولونيل عند منتصف الليل ليسقيه بعض الأدوية في منتصف الليل كعادته كل ليلة ويظهر أن (بروكوبيو) غفا من شدة التعب أو القراءة ولم يصح إلا على صراخ الكولونيل الذي تناول زجاجة الماء وقذف بها في وجهه (بروكوبيو) الذي لم يستطع أن يتفادها فأصابته حده الشمال فأحس بألم حاد أفقده شعوره فإذا به ينقض على الكولونيل المريض ويضغط بكلتا

يديه على عنقه ليضع دقائق حتى مات خنقاً. وعندما انقطعت أنفاس الكولونيل ففز الخادم إلى الخلف وقد أخذ منه الهلع كل مأخذ وظل يهذي ويصرخ ولكن أحداً لم يسمعه ثم أب إلى صوابه وندم حين لا ينفع الندم ثم غسل جروح وجهه وربط خده وفكر في الهرب ولكنه تذكر أن ذلك معناه الاعتراف بالجريمة.. وظل بين جزر ومد من القلق والاضطراب وأخيراً ترك الحل للظروف.. وعندما لاح الصباح دعا بواب القصر وقال له وهو يتصنع الحزن والبكاء...

**الخادم:** انطونيو.. لقد مات الكولونيل فاذهب واخبر الدكتور والقسيس.

**البواب:** مسكين سيدي الكولونيل لقد راح واستراح.

**الرواي:** وخطر على بال الخادم أن يتذرع بمرض أخيه ويذهب قبل إجراءات دفن الكولونيل ولكنه عاد فتذكر أن ذهابه بهذه السرعة سيفتح عليه العيون فمحا هذا خاطر من باله وبقي في غرفة الميت مع خادم زنجي يستقبل القادمين ثم قاما معاً بتكفين الميت وهنا لم يتمالك الخادم أعصابه فظلت يداه ترتجفان وهو يقوم بعملية التكفين حتى أشفق عليه أحد الحاضرين فقال:

**أحدهم:** مسكين بروكوبيو.. مسكين.. إنه حزين على الكولونيل على الرغم مما قاسى من الآلام على يديه. وجرت مراسيم الدفن.. وقام (بروكوبيو) بتمثيل دور الحزين خير قيام فما قصر في الدعاء ولا في التصديق عن روح الفقيد وبعد انتهاء أيام العزاء ذهب إلى ريو دي جانيرو.. وظل متمصاً دور الحزين حتى أشفق عليه أقرباؤه.. وفي يوم من الأيام تلقى رسالة من قسيس قرية الكولونيل ففتحها وقرأها وإذا بالقسيس يبلغه أنه حين فتحت وصية الكولونيل وجد أنه أوصى بكل ثروته لخادمه الخاص.. فلم يصدق (بروكوبيو) أنه أصبح الوارث

الوحيد للكولونيل وأعاد قراءة الرسالة عشرات المرات ثم سلمها إلى أخيه فقراها هذا وقال له:

الأخ: كم تبلغ ثروة الكولونيل؟

بروكوبيو: لا أعرف.. لكن أعرف أنه كان غنياً جداً..

الأخ: لقد برهن الكولونيل على أنه صديق حميم لك يا بروكوبيو..

بروكوبيو: بكل تأكيد.. بكل تأكيد..

الراوي: وعاد (بروكوبيو) إلى قرية الكولونيل حيث قابل القسيس وباشر معه في تنفيذ الوصية وشعر (بروكوبيو) أن كل من في القرية كان يذكرون بالسوء أعمال الكولونيل لتغطية موقفه.. وكان هم (بروكوبيو) منصباً على تسلم ما في الوصية بعد أن بيت في نفسه أنه سيقوم بتوزيع ثروة الكولونيل تدريجياً على الفقراء والمعوزين والمؤسسات الخيرية لعلّه يخلص من تأنيب ضميره ويكفر عن جريمته..

وعاد (بروكوبيو) إلى ريو دي جانيرو بعد أن تسلم تركة الكولونيل وبعد ستة أشهر بدأ في توزيع هذه التركة شيئاً فشيئاً على الجهات الخيرية محاولاً تعزية نفسه عما ارتكب ولكن هيهات له أن يرتاح من عذاب ضميره. لقد ظل على هذه الحال حتى فاجأته بعد أن سجل اعترافه هذه في رسالة بعث بها إلى صديق له...

## الضحية

للروائي الإسباني بلاسكو بانيز. ولد بلاسكو عام ١٨٦٧ وتوفي عام ١٩٢٨. كان كاتباً وسياسياً. اشتهرت قصصه بمعالجة المشاكل الإقليمية ورواياته منتزعة من البيئة التي يعيش فيها. . وضع قصصاً عديدة. . ورائعة هذا المساء من أحسن ما كتب. .

الراوي: عاد رافائيل إلى قريته ومسقط رأسه بعد سجنه للمرة الأولى في جريمة اعتداء اشتهر بعدها في أرجاء قريته حتى صار كل واحد فيها يردد:

أحدهم: لله در رافائيل من وحش عظيم. .

فتاة: إن رافائيل مفتول العضلات له قبضة يد حديدية لقد سدّد لكمة إلى من تحرش به فألقاه على الأرض والدم ينزف من فيه. .

الفتاة: لقد نسيت يا (ماريا) إنه وسيم وفي مقبل العمر وريق الشباب.

الفتاة الأولى: إذا كنت يا (لونا) معجبة بشبابه وجماله فإني معجبة بقوته وفتوته كما أنني أخافه. .

لونا: (ضاحكة) وللناس فيما يعشقون مذاهب. .

ماريا: صحيح يا (لونا) تصوري أن أعضاء مجلس القرية يصانعون رافائيل ويتوددون إليه حتى أنهم وهبوه بندقية من بنادق الخفراء وصاروا يحرضونه على خصومهم متخذين من متوحش خلقه سلاحاً لهم في الانتخابات.

لونا: ياه.. أنت ملمة بكل دقائق وتفاصيل حياة (رافائيل) من يدري نتيجة هذا الإعجاب ولا سيما إذا كان متبادلاً «تفهقه وهي تردد الجملة الأخيرة».

ماريا: لن أقف في طريقك يا لونا إذا كنت تريدين «رافائيل».

لونا: مبروك عليك (يا ماريا).. إني لا أريد تحطيم أعصابي فالحياة مع (الفتوات) و (القبضيات) شاقة ومتعبة..

ماريا: ولكن «رافائيل» ينتصر في كل معركة.

لونا: مبروك عليك ألف مبروك يا ماريا..

الراوي: ومرت الأيام وتزوج «رافائيل» من «ماريا» أجمل فتاة في القرية.. وعاشت «ماريا» معه على أعصابها ومع أنها كانت تستمرىء هذه الحياة إلا أنها في بعض الأحيان حين تتجرد من إعجابها وخوفها تطالعها عبارة صديقتها (لونا): الحياة مع الفتوات والقبضيات شاقة ومتعبة. فتعض إصبعها ندماً حين لا ينفع الندم..

«تسمع طرقاتاً قوياً على الباب فتقول لنفسها»:

إنه هو.. إن خطاته مرعبة لا شك أنه عاد من معركة جانبية..

رافائيل: لقد تأخرت في فتح الباب فأين كنت؟

ماريا: كنت في الغرفة الداخلية.. مالي أراك معصوب الجبين..

رافائيل: (ضحكاً ومتفاخراً): لقد تشاجرت مع بعض الخصوم وكانوا ثلاثة وأنا وحدي وقد غافلني أحدهم فضربني بكرسي أصاب جيني ولكن تمكنت من تحطيم أنفه ورمي رفيقيه أرضاً مغمى عليهما.. ولو لم يتدخل بعض أعضاء مجلس القرية لأجهزت عليهم جميعاً..

ماريا: أما لهذا الليل آخر يا رافائيل.. إن أعصابي تحطمت فلم أعد أتحمّل هذه المفاجآت غير السارة كل يوم.

رافائيل: ولكن هذه المفاجآت غير السارة هي مصدر رزقي.. وإني أسف يا حبيبي أن يكون ذلك مصدر إزعاج لك خاصة ونحن ننتظر ميلاد طفلنا الأول.. ثقي إنني سأخفف من هذه المفاجآت مستقبلاً..

ماريا: إنني أخشى عليك نقمة هؤلاء المغلوبين..

الراوي: وأصبح رافائيل الحاكم بنفسه مرة في القرية وبرم المغلوبين على أمرهم بهذه الحال فصاروا يحتمون وراء (فتوة) آخر حديث عهد بالخروج من السجن لكي يرد عنهم أذى رافائيل وشعر رافائيل بأن كرامته في المهنة في خطر وأنه لا مندوحة له من وقف هذا الند الذي يسلبه معاشه فكان الكمين الذي لا بد أن يكون، وطلقة النار المردية. «ثم ضربات بمؤخر البندقية للإجهاز على الجريح إخماداً لأنفاسه إلى الأبد..»

رافائيل: هذا مصير كل من يقف في طريقي.. في طريقي..

الراوي: ويضحك رافائيل بشكل هستيري ثم ينصرف في طريقه وكان الحادث بالنسبة له أمراً عادياً وفي النهاية اعتقل رافائيل حيث التقى في السجن ببعض رفاقه القدماء.. ثم حانت المحاكمة وقد حضرها جميع من كانوا يحذرونه فشقوا صدورهم وأطفأوا غليلهم من منظر رافائيل في قفص الاتهام وصدر الحكم عليه بالإعدام وأرسلت



الأوراق للتصديق عليها ومضت أربعة عشر شهراً ورافائيل منتظر ورود الموت من مدريد وكأنه لطول المدة كان يمشي مشية السلحفاة . .

ماريا: صدقت يا لونا إن حياة الفتوات شاقة ومزعجة بل وقاتلة . . ها هي أربعة عشر شهراً تمر ورافائيل في غيابه محبسة الضيق دفين حي كالجثة إلا أنها مرددة الأنفاس في هذا التابوت المشيد من قرميد وإسمنت . وأنا أتعذب ليل ونهار في وحشيتي ولولا هذا الطفل الرضيع يؤانسني لمت كمدماً في وحدتي . .

لونا: لقد اخترت يا عزيزتي هذا الشراب فتجرعي كأسك حتى الثمالة .

ماريا: أجنّت تشمتين يا لونا وكنت أحسبك مواسيتي في مصيبتني .

لونا: حاشا لله يا ماريا . . إنما أردت أن أقول إنك أخطأت في اختيارك فقد حطمت قلباً كان يهواك إلى درجة العبادة واستبدلت به رافائيل ذا القلب القاسي كالصخر الأصم . .

ماريا: أما يزال (فريدو) على حبه لي . . مسكين لقد سحقت قلبه بيدي . . وبوحشية . .

لونا: إنه أشد من ذي قبل . . إنه مستعد أن يتزوجك إذا تأيمت .

ماريا: إن فريدو فتى طيب . . إن الرجال كثيرون يا لونا ولكن اسمعي إنني مؤمنة شديدة التدين فإذا اتخذت رجلاً آخرأ فإنما أريده على سنة الله . .

الراوي: وبلغ برافائيل اليأس منتهاه . . حفظ عن ظهر قلب جميع ما في سجنه من شقوق وكوى وقضبان حديدية وأشد ما كان يضايقه النظافة وهذا البلاط المغسول المحكك كل يوم وهذه الجدران التي لا يسمح لذرة من تراب عليها . . لقد حرموا عليه حتى مصاحبة القذارة يا

للوحشة المطبقة.. لو تطرقت الفئران إلى مكانه لعزاه أن يقاسمها طعامه الزهيد ويخاطبها مخاطبة الخلان، لو أنه وقع على عنكبوت في أحد الأركان لتلهى بتطبيعته وتألفه.. كان حسن الحياة الوحيد يأتيه من رفاقه المساجين وهم يرتاضون رياضتهم البدنية في فناء السجن وها نحن نسمع رافائيل يخاطب نفسه متبرماً..

**رافائيل:** يا إلهي.. إني أحسد رفاقي المساجين فهم على الأقل يبصرون السماء المجلوة فوق رؤوسهم ولا يتنفسون الهواء في خلال كوة، وأرجلهم طليقة فضلاً عن أنهم واجدون من يحدثونه.. يا إلهي حتى السجن طبقات وبلاؤه درجات.

**الراوي:** ويحاول رافائيل أن ينفس عن كربه فيغني فإذا بالحارس يقول:

**الحارس:** أسكت أيها الوغد.. إن صوتك يذكرني بحمار قرينتنا..

**رافائيل:** يا إلهي حتى فمي يلجمونه وتفكيري يتسلطون عليه.

**الراوي:** وجاء يوم فإذا بالخبر الموعود ينزل به كالصاعقة «لقد انتهى الأمر في مدريد فالمنية آتية آتية على جناح السرعة بأسلاك البرق.. وقد تأكد لديه ذلك حين أخبره الحارس بقدم زوجته من القرية ومعها الرضيع الذي ولد له وهو بالسجن فقال يخاطب نفسه..

**رافائيل:** لقد قضى الأمر وحم القضاء.

**الراوي:** إن رافائيل القديم.. رافائيل الراغب في الموت تعجياً للخلاص مما هو فيه لم يعد باقياً منه إلا القشرة الظاهرة.. أما رافائيل الجديد المولود في غيابة هذا اللحد فإنه ليذكر مرتاعاً ونفسه ذاهبة أن أربعة عشر شهراً تصرمت وأن النهاية قريبة لا محالة ولعمر الله وأنه ليطيب نفساً لو أتيح له البقاء أربعة عشر شهراً أخرى في هذا الشقاء.. لقد

تذكر أنهم حدثوه في التماس تأجيل التنفيذ فاستمسك متلهفاً بهذا الخيط الأخير من الأمل بشأن المنكودين جميعاً ثم تساءل: أولم يفلح البعض؟ فلم لا يفلح هو؟ ثم صرخ:

رافائيل: أعطوني ورقة وقلماً..

الحارس: لماذا؟

رافائيل: أريد إرسال برقية التماس تأجيل التنفيذ..

الحارس: صح النوم... صح النوم..

رافائيل: أعطيني بربك.. أن أطلب حقاً من حقوقي..

الراوي: وأمر قسيس السجن الحارس أن يأتيه بورقة وقلم ففعل.. وأرسلت البرقية وكانت «ماريا» مرتاعة من وجودها في السجن وكانت نظراتها المشدوهة أقرب إلى الذهول وحذر الحس منها إلى الألم، وقد تناساها زوجها في غمرة تفكيره في التماس تأجيل تنفيذ حكم الإعدام.. ولاحظ قسيس السجن ذلك فأقبل على الزوجة يعزيها قائلاً:

القسيس: يا بنتي ليس للمرء غير التسليم وتفويض الأمر لله..

ماريا: يا أبي وهذا الطفل من يعتني به بعد أبيه..

القسيس: إن الذي خلقه كفيل بإعاشته وتدبر أمره..

ماريا: فوضت أمري إلى الله..

رافائيل: أعطني ولدي أقبه قبلة الوداع..

الراوي: وأجهشت ماريا بالبكاء وهي تعطي الطفل لأبيه فقال لها:

رافائيل: أجنّت يا «ماريا» تودعينني في رحلتي الأبدية بهذا البكاء والعيول . .  
كنت أظنك أكثر شجاعة وتحملاً مني .

ماريا: وهل أطيق التصبر والتحمل وأنت تتأهب إلى رحلة لا عودة لها .  
الراوي: وارتفع نحيب «ماريا» وعلا صوت بكائها وشاركها «رافائيل» وجاء  
الحارس يعلن:

الحارس: انتهى موعد الزيارة .

رافائيل: وداعاً يا زوجتي يا أعز إنسانة وداعاً لا لقاء بعده .

ماريا: وداعاً يا زوجي العزيز وداعاً .

الراوي: وانخرطت «ماريا» في البكاء وشاركها الطفل البكاء والصراخ طوال  
ممرات السجن حتى خرجا إلى الساحة العامة ولم يغمض «لماريا»  
الجفن في تلك الليلة التي سيشنق في صباحها زوجها بل ظلت ساهدة  
دامية العينين تفكر في مصيرها ومصير طفلها . وبزغ الفجر وطلعت  
الشمس وابتدأت خفقات قلب ماريًا تزداد وتضطرب ثم تجلدت  
وارتدت ملابسها وانتظرت جثة زوجها فإذا بشرطي يقرع الجرس  
بشدة . . فنزلت «ماريّا» وفتحت الباب فقال لها الشرطي:

الشرطي: هيا معي إلى السجن . . إن قسيس السجن يريد أن يراك حالاً .

ماريا: انتظرني ريثما أرتب شأن طفلي وأتبعك . .

الراوي: ووضعت «ماريا» طفلها عند جارتها العجوز وعادت إلى الشرطي  
وسارا إلى السجن و «ماريا» نهبت لنوازع وأفكار لا حد ولا آماذ  
وأبعاد لها وفي السجن وجدت القسيس بانتظارها الذي ما أن رآها  
حتى قال لها:

القسيس: ابشري أيتها المرأة.. سوف لا يقتلون زوجك.. وسوف لا تتأيمين..

الراوي: وبقيت (ماريا) في مكانها ساكته، كأنها تغالب أفكاراً تتعاقب في موجات عاتية وتشيع في خاطرها وأخيراً ثابت إلى رشدها وقالت..

ماريا: حسن جداً ومتى يكون خروج رافائيل؟

القسيس: خروجه.. أمجنونة أنت.. لن يخرج.. وهو لا محالة يغبط نفسه لإبقائهم على حياته.. وهم سيرسلونه إلى افريقية ومن كان في مثل فتوته وقوته فإنه يعيش عشرين سنة أخرى.

الراوي: وفي هذه المرة انتحبت (ماريا) بكل جوارحها.. ولم تكن تذرف دموع الحزن بل دموع اليأس والسخط.. فصاح القسيس مغتاضاً:

القسيس: ما لك أيتها المرأة.. إنك تتحدين حكمة الله ورحمته لقد عفوا عن حياته.. أفهمت.. لم يعد محكوماً عليه بالموت أفبعد ذلك تنديبين وتشكين؟

الراوي: وكفت ماريا عن البكاء والنحيب فجأة وأبرقت عيناها بريق الحنق والكراهية وقالت:

ماريا: حسن جداً.. ليعيش.. إني مغتبطة.. لقد نجا.. ولكن ماذا يكون من أمري أنا.

الراوي: ووجم القسيس وأطرق برأسه.. وبعد سكوت طويل رددت «ماريا» منتحبة بصوت يقطع نياط القلوب ودموع تنهمر كالمظهر مدراراً وهي تقول بصوت عالٍ حزين:

ماريا: ماذا يكون من أمري أنا.. أنا.. أنا الآن المحكوم عليها.. أنا ضحية القضاء..

## الدخلاء

للأديب القاص المعروف هكتور هيو مترو الملقب «بالساقى» ولد مترو في أكياب ببورما عام ١٨٧٠م وقضى شطراً من عمره هناك وأحب الشرق وأتقن الشعر الفارسي وخاصة رباعيات عمر الخيام فسمى نفسه «ساقى» أي ساقى الخيام وقد عرف بهذا اللقب أكثر من اسمه الحقيقي وتوفي عام ١٩١٦م.

المذيع: ألف عدة روايات وقصص ولعلّ قصتنا الليلة «الدخلاء» في مقدمتها وقد اقتضت مسرحية هذه القصة إلى إدخال بعض التعديلات والإضافات عليها.

الراوي: في ليلة من ليالي الشتاء جمع «الريش فون جردفتز» رجاله وقال لهم.

الريش: هيا بنا أيها الرجال إلى الغابة.. إن «جورج زنايم» ما يزال.. كما كان أباه من قبل يسطو على صعيد الغاية وأخشابها ومنتجاتها.

أحد الرجال: غريب أمر هذا الرجل إنه لم يرض قط بقرار المحكمة.. إنه ينتهك حرمة القانون.. إنه يشتري عداوة وبغضاً..

أحد الرجال: لقد ورث هذه الكراهية من آباءه وأجداده الذين انتزعت منهم

هذه الغابة وما حولها من أراضى بحكم القانون بعد دعاوى ومنازعات  
وأنفس قدمت ضحايا على مذبح هذه المنازعات أليس كذلك يا  
الريش؟

الريش: أجل.. أجل.. وسيكون «جورج زناييم» آخر ضحية لهذه  
الخصومات.. هيا بنا.. هيا..  
ربة البيت: هر الريش.. هر الريش..  
الريش: ما بك يا (هاوزن).

هاوزن: أنت أذنت لراندولف وشقيقته «هايدا» بالذهاب لحضور عرس آل  
قومبرج في القرية المجاورة..

الريش: نعم وقد كلفت الحارس «فوخر» بمرافقتهم.. هيا يا رفاق هيا..

الراوي: ووصل الجميع إلى الغابة التي يملكها «الريش» وكانت واسعة  
فسيحة الأرجاء.. وقد وضع «الريش» رجاله في كمين على قصة التل  
ودلف هو وحيداً إلى المنحدرات الزلقة التي تكتنفها الأشجار  
المشتبكة وهو يرقب من بين جذوع الأشجار، وينصت وسط صرير  
الريح في الأغصان المرتعشة لعلّ سمعه أو بصره يقع على قطاع  
الطريق.. وكانت أمنية وحيدة تسيطر على أفكاره تلك هي لو أنه في  
هذا المكان المظلم المنعزل يلقي «جورج زناييم» وجهاً لوجه بغير  
شاهد أو رقيب وبينما كان «الريش» حول جذع شجرة ضخمة إذ به  
وجهاً لوجه أمام الرجل الذي يبحث عنه.

وقف الخصمان يحدق كل منهما في الآخر فترة طويلة في صمت -  
وكان كلاهما يحمل غدره في يده وحقده في قلبه ونية القتل تسيطر على  
أفكاره وقبل أن تنتهي لحظة الصمت إلى عمل وحركة، حدث عن حركات

الطبيعة ما أنزعهما معاً وعدد كيانهما.. فقد صرخت العاصفة صرخة مدوية أعقبها صوت تحطيم عنيف فوق رأسيهما وقبل أن يتمكننا من القفز بعيداً عن مركز الخطر كانت كتلة ضخمة من الشجرة المحطمة قد هوت عليهما هادرة كالرعد ووجد «الريش» نفسه ممدداً على الأرض وقد خدرت تحته إحدى ذراعيه بينما اشتبكت الأخرى في فرع متشابك الأغصان عاجزة عن التخلص.. وقد أنقذه حذاء السيد الثقيل من تحطيم قدميه ولكن مهما خفت إصابته عما كان يتوقع فإنه لا شك عاجز عن الحركة في موقعه الراهن حتى يحضر أحد لنجدته. وكانت الأغصان في أثناء سقوطها قد سلخت جلد وجهه، فاحتاج أن ينفذ عن جفنيه بضع قطرات من الدم حتى يستطيع أن يدرك ما حوله من الأحداث.

وكان «جورج زنايم» على مقربة منه بحيث لو شاء - في الأحوال العادية - لاستطاع أن يلمس جسمه المضطرب الذي يصرع الأغصان الملتفة حوله - ولكنه كان مثل «الريش» عاجزاً عن تخليص نفسه فقد تراكمت حولهما الأغصان المحملة والجذوع المتناثرة وقد سرّ «الريش» أنه لم يزل حياً بينما أثر في نفسه منظر غريمه شهوة التحرش فجرى على لسانه خليط عجيب من الشكر لله واللعنات لعدوه.

أما «جورج زنايم» الذي كاد يعميه الدم النازف من جفنيه فقد وقف عن الصراع لحظة يستمع إلى «الريش» ثم ضحك ضحكة قصيرة عالية وصاح..

**جورج:** أنت إذن لم تمت كما كنت تستحق ولكنك حريص على أي حال ومقيد بشدة.. يا لها من نكتة بارعة.. «الريش فون جردفتز» يقع في حبايل الشرك في داخل غابته المسروقة.. ذلك قضاء عادل..

**الراوي:** وضحك جورج مرة أخرى ضحكة وحشية ساخرة فأجابه «الريش».



الريش: إنني مقيد في غابتي الخاصة... وعندما يحضر رجالي لفك قيودي  
فربما تمنيت أنك كنت في وضع أفضل من ضبطك وأنت تسرق من  
أرض جارك... يا للعار..

جورج: أنت على يقين من أن رجالك سيجدون فيك ما تفك قيوده أن لي  
رجالاً في الغابة أيضاً وهم ورائي على مقربة مني وسيجيئون أولاً  
فيخلصونني.. وإذ ذاك لن يجدوا جهداً كبيراً في إلقاء ذلك الحطام  
المتناثر على رأسك حتى إذا جاء رجالك وجدوك ميتاً تحت شجرة  
هاوية وسأرسل من باب «الشكليات» تعزية لأسرتك... ها... ها... ها..

الريش: فكرة مفيدة أن لدى رجالي أوامر بأن يتبعوني.. فإذا جاءوا  
وأخرجوني من تحت الأنقاض فسأتذكر فكرتك.. ولكن - نظراً لأنك  
لقيت حتفك وأنت تسرق في أرضي فلا أجد من الصواب أن أرسل  
أي تعزية إلى أهلك...

الراوي: فصاح «جورج» محتداً قائلاً:

جورج: حسناً.. حسناً.. إننا نقتل في معركتنا تلك حتى الموت أنا وأنت  
ورجالنا دون أن يدخل بيننا الدخلاء. لك الموت وعليك اللعنة يا  
«الريش».

الريش: وعليك مثل ذلك يا «جورج زنايم» يا سارق الصيد ومقتحم  
الغابات.

الراوي: كان كل منهما يتكلم بمرارة من يتوقع الهزيمة فقد كان كلاهما يعلم  
أن رجاله ربما ابطئوا في تفقده وكان سبق أي فريق للآخر مسألة  
متروكة للصدفة وحدها. وقد كف كلاهما عن محاولة التخلص من

ركام الأنقاض التي طرحتهما على الأرض فقد كانت محاولة عقيمة واكتفى «الريش» بمعاونة تقريب ذراعه الخدرة من جيب سترته الخارجي ليخرج منه زجاجة الماء وبعد جهد جهيد أخرجها وأفرغ جرعة منها في حلقه وبعد أن أرتوى نظر بشيء يشبه العطف إلى عدوه الملقى على الأرض وسأله فجأة:

**الريش:** جورج، أترأك تستطيع أن تصل إلى هذه الزجاجة لو ألقيتها إليك.. .  
فأشرب ولو كان مقدوراً على أحدنا أن يموت الليلة.. .

**جورج:** لا «لا أستطيع أن أرى شيئاً.. . فالدّم قد جمد على عيني.. . ثم إنني لا أشرب بحال من الأحوال من يد عدو لي.

**الراوي:** فصمت «الريش» بضع دقائق وأخذ ينصت ساكناً لأنثا الرياح الثقيلة، لقد كانت في رأسه فكرة تنمو في بطنه وتزداد قوة كلما نظر إلى الرجل الذي يصارع الألم والجهد بهذا العنف وأحس «الريش» وسط آلامه وشعوره بضعفه أن البغضاء القديمة قد بدأت تهبط وتموت فنأدى رفيقه قائلاً:

**الريش:** يا أيها الجار.. . اصنع ما بدا لك إذا حضر رجالك أولاً. لقد كانت المعركة عادلة أما عن نفسي فقد غيرت رأيي. فإذا جاء رجالي أولاً فستكون أنت أول من تفك قيوده كأنك ضيفي لقد تصارعنا حياتنا كلها كالشياطين حول هذه القطعة من الغابة التي لا تستطيع حتى أشجارها أن تثبت في ليلة عاصفة وقد رأيت - أثناء تفكيري وأنا ملقى هنا الليلة - إننا كنا في ذلك مقفلين. ففي الحياة ما هو أجمل من التقلب في معركة على قطعة أرض. يا أيها الجار إذا ساعدتني في دفن الأحقاد القديمة فإنني.. . إنني أسألك أن تكون لي صديقاً.

**الراوي:** ظل «جورج زنايم» صامتاً لحظة طويلة حتى خيل «لألريش» أنه ربما فقد وعيه من شدة الألم والجراح ولكنه تحدث أخيراً في ببطء حديثاً متقطعاً قال:

**جورج:** تصوركم سيدهش الناس إذا ركبنا معاً إلى السوق.. ما من حي واحد يذكر أنه رأى أحداً من عائلتي أو عائلتك يحدث الآخر حديث صداقة.. ما أروع السلام الذي سيمتد رواقه على سكان هذه الغابة لو أننا تخلصنا الليلة من أحقادنا.. وإذا رأينا نحن أن نقيم السلام بين أسرتينا فليس هنالك من يتدخل في قرارنا هذا.. ليس هناك دخلاء من الخارج ليس هناك في هذه البقعة من يستطيع أن يضعنا من إقامة السلام إذا رغبتنا في إقامته.. إنني ما فكرت يوماً في أن أحس نحوك إلا البغضاء والحقد طوال حياتي.. ولكنني أعتقد أنني أنا أيضاً قد غيرت رأيي في المسألة في نصف الساعة الأخيرة.. (الريش فون جرد فتر) سأكون صديقك..

**الراوي:** وفي الوقت الذي كان فيه الرجلان العدوان سابقاً الصديقان حالياً يديران في رأسيهما المشاورات العجيبة التي سيؤدي إليها هذا الصلح كان «راند دلف» وشقيقته «هايدا» ومعهما الحارس في طويل عودتهم إلى منزل «الريش» إذا برجلين ملثمين يعترضانهم ويشهران في وجوههم مسدسين وأحدهما يقول:

**الملثم (١):** قفوا.. أي حركة تبدو منكم تقابل بالنار.. هاتوا ما لديكم من نقود وملابس.. أنزلوا عن ظهر الخيل.

**الراوي:** وأقترب أحد الملثمين منهم شاهراً مسدسه وما كاد يدنو من الحارس «فوختر» حتى انقضَّ عليه هذا وأمسك بيده فعاجله الملثم الثاني بطلقة أردته قتيلاً. ومد «راندولف» يده إلى مسدسه فعاجله

الملثم بطلقة أصابت يده فوق على الأرض وانكفأت أخته «هايدا»  
عليه وهي تصرخ ..

هايدا: قتلتموه .. يا ويلكم أيها الأندال .. سيعرف أبي «الريش» كيف ينتقم  
لابنه وحارسه .. أقتلوني معهم .. عجلوا أيها الجبناء .. عجلوا ..

الملثم (١): خذ السلاح من الرجلين وما لديهما من نقود وأشياء ثمينة أما  
أنا فسأتولى أمر هذه الفتاة ..

الراوي: وكانت «هايدا» أسرع من الملثم الأول إلى أخذ سلاح أخيها وما  
كادت تمسك به حتى وقفت وقالت:

هايدا: ارفعا أيديكما أيها الجبناء .. ألقيا بسلاحكما على الأرض ..

الراوي: وحاول أحد الملثمين أن يطلق عليها الرصاص فكانت «هايدا»  
«أسرع منه إذ أطلقت عليه رصاصة أردته قتيلاً .. أما رفيقه فألقى  
بسلاحه وأقترب من «هايدا» فطلبت منه أن يحمل أخاها على ظهر  
الفرس وبينما هو يفعل دنت «هايدا» منه فإذا به يمسك بأخيها ويرمي  
به في وجهها وينقض عليها ويخلصها المسدس ويقول:

الملثم: الآن سأنتقم منك .. هيا اخلي جميع ملابسك ..

هايدا: إنني أفضل الموت على ذلك أيها القذر.

الملثم: سأقتلك إن لم تفعلي ..

هايدا: الموت خير لي أيها الجبان .. اقتلني إن كنت تقدر ..

الملثم: سأنتزع ملابسك وأشياءك الثمينة بقوة يدي ..

الراوي: ثم رمى بالمسدس وهجم عليها و «هايدا» تصارعه وتصرخ  
مستغيثة .. وإذا بفارس يظهر فجأة ويقول:

الفارس: لبيك أيتها المستغيثة.. لبيك..

الراوي: ثم أنقض على الملثم يتعاركا عراقاً قوياً انتهى بتغلب الفارس على الملثم وخنقه حتى مات بين يديه.. ثم نهض والتفت إلى الفتاة قائلاً:

الفارس: لعلك بخير أيتها الفتاة..

هايدا: بخير.. شكراً لك أيها الفارس النبيل..

الفارس: سأحمل الجريح على ظهر فرسي.. هيا بنا.. إلى قصر أبيك لنسعف أخاك فقد نزف كثيراً..

هايدا: يظهر أنك تعرفنا جيداً.. فمن أنت؟

الفارس: ستعرفيني حين وصولك إلى دار أبيك.

الراوي: وطال انتظار «الريش» و «جورج» للرجال الذين سيحضرون لنجدتهما.. وبدأ اليأس يتسرب إلى قلوبهما.. فلما سكنت الرياح قليلاً قطع «الريش» سكونهما قائلاً:

الريش: جورج.. لنرسل صيحاتنا طلباً للنجدة فربما استطاعت أصواتنا في هذا السكون أن تصل إلى مدى أبعد.

جورج: لن تمتد أصواتنا بعيداً بين الأشجار والأغصان الملتفة.. ومع ذلك فلنحاول معاً..

الراوي: ثم صاح الاثنان معاً صيحة طويلة ممطوطة وبقيا بضع دقائق ينتظران عبثاً صيحة الجواب فعاد الريش يقول:

الريش: فلنصح معاً مرة أخرى.

الراوي: وعاد الصمت مرة أخرى ثم صاح «الريش» صيحة ملؤها السرور.

الريش: أستطيع أن أرى أشباحاً آتية نحونا خلال الغابة.. إنهم قادمون من  
جهة التل.

الراوي: ثم صاح الرجلان صيحات أودعا فيها كل ما بقى في صوتهما من  
قوة.. وعاد الريش يقول:

الريش: إنهم يسمعوننا.. لقد توقفوا.. إنهم يروننا الآن.. وها هم أولاء  
ينحدرون نحونا.

جورج: كم من الرجال ترى؟

الريش: لا أستطيع أن أحدد يا جورج بالضبط.. تسعة أو عشرة..

جورج: إذن فهم رجالك فقد كان معي سبعة فقط.

الريش: إنهم قادمون بأقصى ما يستطيعون من قوة.. يا لهم من فتية  
شجعان..

جورج: أهم رجالك يا (الريش).. قل أهم من رجالك.. لماذا لا تجيب؟

الريش: لا يا جورج... لا..

جورج: من هم إذن يا (الريش)..؟

الريش: الذئاب.. يا جورج.. الذئاب..

## والد وولد

### للروائي الفرنسي الشهير جي موباسان

«صالة طعام حيث نرى الوالد (هوتو) وابنه (سيزار) وجابي الضرائب المسيو (برمونت) وكاتب العدل المسيو (موندارو) يتناولون الطعام في أول يوم من موسم الصيد قبل أن يذهبوا إليه»..

هوتو: إنني سعيد بهذا الاجتماع أيها الصحاب.. وإنها لمناسبة طيبة أن نخرج إلى الصيد في أول يوم في غرة موسمه..

برمونت: ونحن سعداء أيضاً يا مسيو (هوتو) أن تتيح لنا هذه الفرصة في هذا اللقاء السار..

هوتو: إنني كما تعرفون من أهالي نورمندي وإنني خبير بمواطن الصيد في هذه المنطقة..

برمونت: ماذا تقولون في الأرناب.. وهل يوجد منها في هذه المنطقة..؟

هوتو: كثيرة وبالقدر الذي تريد يا مسيو (برمونت) وخاصة في أسفل المكان المسمى (يوساتييه)..

موندارد: إلى أي مكان ستكون وجهتنا للصيد يا مسيو (هوتو)؟  
هوتو: نتوجه إلى (بوساتييه) وإلى الحقول السفلى منها حيث نطارد الحمام  
ونخرجه منها إلى العراء فنصطاد، حينئذ..  
«ثم يلتفت إلى ولده ومن معهم من التابعين ويقول»..  
هيا احملوا البنادق وركائب الصيد والأدوات.. هيا واتبعونا..  
سيزار: حاضر يا أبتاه..  
«ورأى (هوتو) صيداً فأطلق عليه النار ووقف الجميع واجمين»..  
موندارو: انظر يا (برمونت) إن المسيو (هوتو) يركض مهتاجاً ليفتش عن  
الصيد في وسط الغابة وها هو يختفي فيها باحثاً عن الصيد..  
«وانطلقت رصاصة أخرى فصرخ «برمونت»..  
برمونت: يا له من شيطان ماهر.. لعله اصطاد أرنباً هناك..  
موندارو: لقد طال غياب مسيو (هوتو) في الغابة وإنني لا أرى أي شيء من  
شدة كثافتها.. هل وجدتموه؟  
سيزار: لا يا عماء.. سأطلب إلى الخادم جوزيف أن يذهب إلى والدي  
فلعله يحتاج إلى مساعدة وسنتظره هنا..  
برمونت: أفعّل يا بني أرجوك..  
«وبينما الجميع يقفون منتظرين نتيجة ذهاب الخادم إذا بهم يسمعون  
ينادي مستغيثاً»..  
جوزيف: النجدة! النجدة! أسرعوا إلينا.. هنالك حادث.. أسرعوا..  
أسرعوا..



برمونت: يا إلهي إن (هوتو) مغمى عليه والدم ينزف منه فقد احترقت  
رصاصة معدته.. أنظروا إنه يقبض بكلتا يديه على معدته قبل أن يفقد  
وعيه..

موندارو: لا شك أن رصاصة انطلقت من بندقيته بينما هو ينحني ليلتقط  
الصيد فاخرقت الرصاصة أمعاءه..

برمونت: هيا بنا نسعفه.. آتوني بأدوات الإسعاف وبالقطن واللفافات..

سيزار: إليكما يا عماءه.. رباه.. أرجو ألا تكون إصابة والدي خطيرة..

موندارو: اطمئن يا سيزار.. إنه سيكون بخير..

برمونت: هيا أنا انتهيت فلنحمله سريعاً إلى البيت وليستدع أحدكم الطبيب  
على جناح السرعة..

الطبيب: بُنيّ المسكين.. إنه منظر مؤلم.. ها أن أباك بدأ يصحو.. وها  
هو يتطلع هنا وهناك وكأنه يستذكر ما جرى له..

سيزار: شكراً أيها الطبيب.. شكراً..

هوتو: يا إلهي.. أنا انتهيت..

الطبيب: لا.. لا.. إني أنا الطبيب أقول لك.. ليست هنالك خطورة..  
سترقد بضعة أيام في السرير و..

هوتو: مقاطعاً.. لقد انتهى كل شيء بالنسبة لي.. لقد احترقت الرصاصة  
المعدة.. إني أعرف.. أعرف كانت هنالك فسحة في الأجل..

هوتو: اقترب مني.. كف عن البكاء.. فلا يوجد وقت له.. إني أريد أن  
أكلمك.. أجلس هنا.. قريباً مني.. وأرجو من الحاضرين إخلاء  
المكان وتركنا وحيدين..

هوتو: إصغ يا بني إنك الآن في الرابعة والعشرين من العمر وباستطاعتي أن أكلّمك عن بعض الأشياء مع أنه لا شيء غامض في الحقيقة فيها..

سيزار: تكلم يا أبتاه..

هوتو: أنت تعرف أن والدتك توفيت منذ سبع سنوات وأنا الآن في الخامسة والأربعين لأنني تزوجت من أمك وعمري تسع عشرة سنة.. أليس ذلك صحيحاً..؟

سيزار: بلى يا أبتاه بلى..

هوتو: وهكذا ماتت والدتك منذ سبع سنوات وخلفتني أرملاً.. حسناً ورجل مثلي هل يمكن أن يبقى كذلك وعمره سبعة وثلاثون عاماً..

سيزار: لا يا أبتاه بالطبع لا..

هوتو: يا إلهي أشعر بسوء حالتي.. يا بني أنت تعرف أن كلمة رجل لا تعني أن يبقى الإنسان وحده غير أنني لم أشأ أن أحضر هنا امرأة أخرى لأنني وعدت والدتك.. أنفهم ما أقول..

سيزار: أجل يا أبتاه.. أجل..

هوتو: حسناً.. وهكذا وجدت فتاة من (روان) تسكن في طريق (ابرلان) رقم (١٨) الدور الثالث، الباب الثاني.. تذكر العنوان جيداً. إنها فتاة طيبة رفيقة بي وشفيفة أتصغي إلى ما أقوله لك يا بني؟

سيزار: أجل يا أبتاه.. أجل..

هوتو: حسناً.. إذا أصابني شيء فيجب العناية بهذه الفتاة.. أنفهمني؟

سيزار: بلى يا أبي بلى..

هوتو: أخبرك يا بني إنها فتاة مهذبة من الطراز الأول ولولا ذكرى والدتك

ولولآك أنت لكانت الآن هنا . . أصغ إلي . . أوصيك بها . . أنفهمني  
يا بني . .

سيزار: أجل يا والدي أجل . .

هوتو: هذا ما أردت أن أطلعك عليه وأوصيك به هو العناية بهذه الفتاة  
واسمها (كارولين دونيه) فاذهب إليها بعد وفاتي وخفف عنها حزنها  
علي . . سأترك لك المال الكافي . . لن تجد كارولين إلا يوم الخميس  
وهو اليوم الذي كنت أذهب إليها منذ ست سنوات . . مسكينة هذه  
الفتاة . . كم ستبكي علي . . تذكر يا بني أن ما قلته لك يجب أن يبقى  
سراً في العائلة أنفهم ذلك؟

سيزار: بلى يا أبي . .

هوتو: أتعدني . .

سيزار: نعم يا أبي . .

هوتو: وتقسم على ذلك . .

سيزار: أجل يا والدي . .

هوتو: أرجوك يا بني وأطلب إليك ألا تنسى ذلك لأنه أمر يعنيني كثيراً . .

سيزار: لن أنسى ذلك يا أبتاه أبداً . .

هوتو: حسناً يا بني . . قبلني الآن . . أستودعك الله . . إنني أحضر . . لقد  
حانت منيتي . . أذع من خرجوا ليدخلوا علي . .

الجميع: مات . . مات . . لك الرحمة . . يا هوتو . . الرحمة لك يا هوتو . .

## «المشهد الثاني»

سيزار: (لنفسه) يجب أن أنفذ وصية أبي بخصوص هذه الفتاة.. على أن أذهب إليها في (روان).. «ينادي»..

جوزيف!! جوزيف!!

جوزيف: حاضر مسيو سيزار..

سيزار: هيء العربة..

جوزيف: حاضر سيدي..

سيزار: لقد وصلت (روان).. الساعة الآن العاشرة تماماً..

أصوات: سيزار.. سيزار.. عزاء سيزار.. عزاء سيزار لقد أحزنتنا فجيعتك في مسيو (هوتو)..

سيزار: ينشج ويبكي ثم يقول: شكراً على عواطفكم وجميل تعزيتكم.. شكراً.. شكراً.. أستودعكم الله..

سيزار: ها أنذا أدخل الطريق الذي تعيش فيه فتاة أبي لن أسأل أحداً عن العنوان.. لقد حفظته عن ظهر قلب..

سيزار: يا إلهي.. لقد ضللت طريقي فعلي أن أسأل هذا القسيس القادم.. أيها الأب المحترم.. أتعرف عنوان السيد كارولين دونيه..

القسيس: أجل يا بني.. إنه في المنعطف القادم إلى يمينك على بعد مائة ياردة من هنا..

سيزار: ها أنذا أصل.. ولكن كيف أقابل امرأة أبي.. لا.. لن أفعل.. ولكن وصية أبي يجب تنفيذها فلاصعد إذن..

سيزار: ها هو بابها.. إنه نصف مفتوح فلاأقرع الجرس..

سيزار: يا إلهي .. إنها هي كما وصفها والدي .. إنها تتطلع إليّ  
باستغراب ..

كارولين: ماذا تريد يا هذا؟

سيزار: إنني ابن المسيو هوتو ..

كارولين: أنت المسيو سيزار!!

سيزار: أجل ..

كارولين: ماذا تبغي؟

سيزار: لديّ بعض الأنباء أريد أن أنقلها إليك نيابة عن والدي ..

كارولين: أيتها العذراء .. ساعديني .. أدخل يا سيزار .. أدخل ..

سيزار: يخاطب نفسه - يا إلهي إنني أرى طفلاً في الرابعة أو الخامسة أهو

أخي من أبي .. من يدري ..

كارولين: تفضل وأجلس يا سيزار ..

سيزار: شكراً ..

كارولين: حسناً يا سيزار .. هات ما وراءك ..

سيزار: لنفسه - ماذا أقول يا ربي .. هذه الصالة التي كان أبي يجلس فيها

وهذه الطاولة فيها وهذه التي كان يأكل الطعام عليها ثلاث كراسي ..

واحد له وواحد لها والثالث للطفل ..

كارولين: ماذا عندك يا سيزار قل لي .. أراك تنظر في هلع هل هنالك ما

يخيف .. إنني بدأت أرتجف أنظر أصابعي ترتجف .. قل يا سيزار

قل .. لا تخبيء شيئاً ..

سيزار: سيدتي.. توفي والدي أثر حادث يوم الأحد الماضي..

كارولين: آه.. آه..

سيزار: يا إلهي.. لقد سقطت على المقعد ولا حراك بها.. كارولين..

كارولين..

كارولين: أوه سيزار.. أوه.. لا يمكن أن أصدق ما تقول..

«وانخرطت في البكاء وهي تنشج وتقول ورأى الصبي أمه على هذه الحال فانخرط هو في البكاء أيضاً ثم رأى أن القادم هو سبب بكاء أمه فرمى بنفسه على (سيزار) وصار يشده من سترته وبنظونه ويضربه بكل قواه.. (وسيزار) حائر بين الأم وابنها وقد غمرته العاطفة فبكى هو ثم تجلد وقال:»

سيزار: أجل كارولين.. حصلت الحادثة نهار الأحد حوالي الساعة الثامنة وقد أحضرنا الطبيب لإسعافه وعندما أفاق كلمني والدي على انفراد عنك كثيراً وأوصاني بك كثيراً..

كارولين: إنني آسفة يا سيزار.. لم أكن منتبهة لما كنت تقول فهلا أعدته علي منذ البداية..

«نسمع همهمة وغمغمة وحديثاً خافتاً يدل على أن سيزار يروي لها كل شيء ثم لا نلبث أن نسمع صوته يعلو وقد انتهى من سرد القصة حين يقول:»

سيزار: والآن يا سيدتي يجب علينا أن نسوي معاً بعض الأمور كما أراد والدي.. أنت ترين إنني ميسور الحال وفي سعة فوالدي خلف لي أملاكاً وأموالاً ولا أريد أن يكون لديك أي سبب تشكين منه..

كارولين: أوه يا مسيو سيزار.. مسيو سيزار ليس اليوم فإني أشعر وكأن نياط قلبي تتقطع سنتحدث في وقت آخر.. في يوم غير هذا.. ليس

الآن .. اسمع .. إذا أنا قلت بهذا فليس من أجل نفسي .. لا .. لا .. أقسم أنه ليس من أجل صالحه وإنما من أجل صالح هذا الطفل .. وأظن بعد هذا كله أنه سيصبح من المستطاع إيجاد حل يضمن صالحه ..

سيزار: إذن فهذا الطفل ولد أبي ..

كارولين: نعم .. طبعاً ..

«وتطلع» سيزار في أخيه بألم وعاطفة مضطربة وخيم سكون مطبق قطعته كارولين بنحيبها وبكائها فانزعج (سيزار) وقال: «

سيزار: حسناً يا سيدتي سأذهب الآن .. ولكن متى تحبين أن نعاود البحث والمناقشة في هذا الأمر؟

كارولين: أوه .. لا تذهب .. لا تذهب .. وتتركني وحدي مع أخيك (أميل) .. سأموت من الحزن والكمدم .. لم يبق لي أحد البتة .. لا أحد سوى هذا الطفل أوه .. إنني تعيسة جداً .. اجلس ثانية .. كلمني أكثر وأكثر .. عن أبيك .. قل كيف كان يعيش أبوك ولماذا كان يقضي كل وقته في المزرعة؟

«وأطاع (سيزار) أمرها وجلس وسحبت كارولين كرسيًا وجلست بقربه أمام المدفأة وأخذت (أميل) في حجرها وأمطرت (سيزار) بوابل من أسئلتها العاطفية عن أبيه مما يدل على أنها كانت تحب (هوتو) من كل قلبها .. واستجاب (سيزار) لطلبها وبدأ يقص عليها ما جرى لوالده: وعندما قال:

سيزار: لقد كانت فتحة الرصاصة في معدة والدي واسعة بحيث كان يمكنك أن تضعي إصبعك فيها ..

كارولين: قبل أخاك يا سيزار فقد أصبح اليوم طفلاً تيمماً ..

سيزار: وأنا يا كارولين.. أأست يتيماً مثله؟..

كارولين: هل تناولت طعامك هذا الصباح يا مسيو (سيزار)؟

سيزار: كلا يا سيدتي..

كارولين: لا شك أنك جائع الآن سأتيك ببعض الطعام في الحال..

سيزار: شكراً.. إنني لست جائعاً.. إن نفسي لا تحس برغبة للطعام..

كارولين: إننا مع الأحران لا يجب أن نغفل وسائل معيشتنا.. لا ترفض

طلبي.. وبعد ذلك يمكنك أن تبقى وقتاً أطول مرتاحاً.. وإنني لا

أدري ماذا سأفعل بنفسني عندما تتركني لوحدي..

سيزار: ليكن ما تريد يا سيدتي..

كارولين: كل يا مسيو سيزار وأشعر أنك في بيتك..

سيزار: شكراً لقد أكلت ما فيه الكفاية.. والآن متى تريد أن أعود لتسوية

الأمر التي نجمت عن وفاة والدي..؟

كارولين: حسناً.. ليكن يوم الخميس القادم يا مسيو (سيزار) فإنني بهذه

الطريقة لن أضيع أي يوم من أيام عملي إذ أن يوم الخميس هو يوم

عطلة لي..

سيزار: إن يوم الخميس موافق لي أيضاً..

كارولين: وستغدي معاً بالطبع..

سيزار: لا يمكن أن أعديك بذلك..

كارولين: ولكن من السهل التحدث أثناء الطعام كما تعرف وسيكون لدينا

وقت أكثر للكلام..



سيزار: حسناً ما تريدن . . الساعة الثانية عشرة . . والآن تعال يا حبيبي  
(أميل) لأقبلك . . (وقبل أخاه وشد على يدي كارولين وانصرف).

### «المشهد الثالث»

الصوت: النجدة!! النجدة!! أدركونا أغيثونا . . أنقذونا . .

سيزار: جوزيف!! جوزيف!!

جوزيف: أمرك سيدي . .

سيزار: أسمع صوت الاستغاثة؟

جوزيف: إنه صوت أنثى . . هيا بنا يا سيدي . . هيا . .

سيزار: أسرج الفرس وخذ سلاحك وسأخذ سلاحي . . هيا . . ولا تنسى  
أدوات الإسعافات الطبية الأولية . .

جوزيف: إن الصوت أت يا سيدي من هذه الأدغال هيا بنا . .

سيزار: يا إلهي شارلوت ابنة المسيو برمونت جابي الضرائب . .

جوزيف: المسيو برمونت سيدي ملقى على الأرض ينزف . .

شارلوت: أدركونا . . أغيثونا . . هاجمنا أشقياء وسلبوا ما لدينا من أموال  
خاصة وحكومية وأطلقوا على والدي الرصاص وتركوه بين الحياة  
والموت . .

سيزار: إنه لم يمت بعد . . هات الأربطة والقطن لإيقاف النزيف يا  
جوزيف . .

جوزيف: ها هي يا سيدي دعني أساعدك . .

سيزار: أفعل أرجوك ..

شارلوت: وأنا يا مسيو (سيزار) إني متمرنة على الإسعافات الطبية الأولية ..

سيزار: انتهت المدموزيل (شارلوت) من الإسعاف هلم بنا نحمله في العربة برفق إلى داري ونستدعي الطبيب والشرطة ..

جوزيف: أمرك سيدي ..

سيزار: هيا بنا يا مدموزيل (شارلوت) ..

شارلوت: لا أدري بأي لسان أشكرك يا مسيو سيزار ..

سيزار: شكراً لله الذي أرسلنا إليك في الوقت المناسب ولكن كيف مررتم في هذه الساعة المتأخرة من الليل ..

شارلوت: لقد كنا نسمر في القرية المجاورة لمزرعتكم وعدنا وفي الطريق هاجمنا الأشقياء فحطموا العربة وفرت الجياد فقاومهم والذي فضربه أحد برصاصة اخترقت صدره فسقط على الأرض يتخبط في دمائه ..

سيزار: أرجو ألا تكون الإصابة خطيرة يا مدموزيل ..

شارلوت: يا إلهي أرجو له السلامة .. ليس لي أحد سواه .. إن أخذته فخذني قبله ..

سيزار: كوني شجاعة يا شارلوت .. إن أباك بخير ..

جوزيف: حضر الطبيب وحضر قائد الشرطة ..

الطبيب: لا أظنه يعيش طويلاً سيدي القائد .. لقد نzf كثيراً وليس من أمل في سلامته ..

القائد: إذن فإصابته خطيرة..

الطبيب: خطيرة جداً ستكلفه حياته..

القائد: ولكنني أراه يصحو أيها الطبيب..

الطبيب: إنها صحوة الموت..

برمونت: شارلوت بنيتي.. سيزار بني.. تعالا إلي تعالا.. إنني أشعر بدنو  
أجلي.. سيزار ليس لشارلوت أحد يرعاها إذا مت.. أوصيك بها لقد  
عشت مع والدك كأصدقاء.. وكنت وشارلوت تعيشان معاً كأخوة..  
إنني أسلمها إليك فاحرص على هذه الوديعة..

«تبكي شارلوت ويشاركها سيزار.. ويستمر (برمونت) في كلامه»..

«لا تبكيا.. سألحق بصديقي (هوتو).. نحن على موعد في هذه  
الغابة.. وأنت يا (سيزار) على موعد مع شارلوت.. أيضاً..

الطبيب: مات.. أجل.. مات..

شارلوت: أبي.. أبي..

سيزار: تجلدي يا شارلوت.. تجلدي.. سأكون لك الأخ الشفيق والعون  
والرفيق..

شارلوت: أبي.. أبي..

«تبكي بكاءً مرّاً»..

الحاضرون: عزاء يا شارلوت.. عزاء..

سيزار: شارلوت! شارلوت! إن كارولين زوجة أبي تدعوك لتناول الغداء معنا  
فهل عندك مانع؟..

شارلوت: لا يا (سيزار).. إنني لا أنسى لهذه السيدة عطفها عليّ أثناء وفاة والدي ومواساتها لي في أحزاني..

سيزار: هلمى بنا إليها...

كارولين: مرحبا بك يا شارلوت.. كم أنا شاكرة لقبولك دعوتي المتواضعة للغداء..

شارلوت: إنني أنا شاكرة أيضاً يا كارولين.. إنني لا أنسى عطفك ومواساتك لي أيام أحزاني..

سيزار: أجل يا سيدة كارولين.. إنني وشارلوت لا ننسى جميل مواساتك وعطفك وحنانك.. تعال إلي يا (أميل) تعال أيها العزيز.. تعال..

كارولين: لقد كان واجباً علي والمرء لا يشكر على واجب أداه.. أما أنت (يا سيزار) فلا أنسى ما فعلته نحو أخيك (أميل) لقد أعطيته أكثر مما يستحق وأعطيتني أنا ما لا أستحق.. كرمًا منك ولطفًا..

سيزار: لا تشكريني يا سيدة (كارولين) على ما قدمت لأخي ووالدة أخي.. لم أفعل إلا بعضاً مما أوصاني به والدي أن أفعل..

كارولين: لقد كنت نعم الابن البار.. أميل قبل أخاك سيزار وقل له شكراً..

أميل: «يقبله ويقول»: شكراً.. سيزار.. شكراً..

كارولين: آه.. متى يأتي اليوم الذي أرى فيه لك ولداً يا سيزار.. إنه يوم المنى.. إنه اليوم الموعود.. أليس كذلك؟ يا شارلوت؟..

«وتطرق (شارلوت) رأسها خجلاً وتتابع كارولين كلامها قائلة»..

ما لك لا تجيبين يا شارلوت؟

سيزار: سأجيبك أنا عنها يا سيدة كارولين . .

كارولين: قل يا مسيو سيزار وطمني . . قل . .

سيزار: سيكون ذلك قريباً وقريباً جداً . . أليس كذلك يا شارلوت؟

## البخيل

رائعتنا هذه الليلة للأديب الفرنسي القاص والروائي الشهير موليير واسمها «البخيل»، ولد موليير عام ١٦٢٢ وتوفي ١٦٧٣. يعد موليير من أعظم الشعراء والفنانين الإفرنسيين في وضع الروايات التمثيلية الهزلية. ورائعة هذه الأسمية «البخيل» في قمة ما ألف وله روايات غزلية وغيرها هي (المثري النبيل) (والطبيب رغماً عنه).

الراوي: كان مسيو أرباجون وهو بطل القصة شديد البخل والتقصير على نفسه وولده وخدمه وقد صوّر (موليير) شخصية هذا البخيل في أروع صورة عرفها تاريخ البخل..

البخيل: هيه.. أيها الطباخ السمين جاك هل اشتريت كلما أمرتك به؟

جاك: نعم يا سيدي وإليك باقي ما أعطيتني من نقود وبيانا بالمشتريات..

الراوي: ويقرأ البخيل البيان فيظهر عليه الاضطراب الشديد فيقول:

البخيل: هه.. ماذا؟! هيا.. رد ما لديك إلي سريعاً.. سريعاً أيها الخبيث..

جاك: ما هذا الذي أردته يا سيدي.. عم تتكلم؟

البخيل: المبلغ الباقي .. هيا .. هيا رده إلي ولا تعارضني ..

جاك: أي مبلغ يا سيدي ..

البخيل: أي مبلغ .. المبلغ الذي اختلسته .. إن بيان الحساب ينقص أربع سنتيمات كاملة .. لم تذكرهما في بيان المشتريات ..

جاك: (ضاحكاً) آه كل هذه الضجة من أجل أربع سنتيمات .. أي أقل من نصف فرنك؟ لقد أنفقتها يا سيدي في مواصلاتي ركبت العربة عند ذهابي إلى السوق بسنتيمين، وركبت العربة عند عودتي من السوق بسنتيمين .. فيكون المجموع أربع سنتيمات .. واضح يا سيدي واضح ..

البخيل: ولكن .. ولكن .. هذا تبذير .. هذا إسراف .. سرقة ..

جاك: سيدي .. أنا لا أسمح لك أبداً أن تتهمني بالسرقة وإذا كنت تعتقد أنني اختلست أربعة سنتيمات من أموالك فإنني أفضل أن تخصمها من مرتبي على أن ..

البخيل: (مقاطعاً) هذا أفضل فعلاً .. يجب أن تخصم من راتبك ..

جاك: ولكن ماذا يتبقى لي بعد ذلك .. لقد استنفدت راتبي خصماً وراء خصم ..

البخيل: إن هذا لا يهمني في شيء .. وعلى كل حال ..

لافليش: صباح الخير يا جاك .. ألم يأت سيدي بعد ..

البخيل: مع من تتكلم يا جاك؟

جاك: إنه لا فليش .. خادم ولدك المسيو كلينت ..

لافليش: (من قريب) صباح الخير يا مسيو أرباجون .. أراك بصحة جيدة ..

البخيل: ماذا تريد أيها الخادم الصعلوك.. ولماذا تحدد في أثاث الحجرة هكذا؟

لافليش: إني لا أحدد في شيء يا سيدي ولكني أبحث عن سيدي (كلينت)..

البخيل: أسمع أنا لا أريدك أن تبقى هنا.. هيا أخرج فانتظر سيدك في الطريق ولا تسمعني صوتك أيها اللئيم..

لافليش: ولكن ولدك يا سيدي طلب مني أنتظر هنا..

البخيل: أنتظره في الطريق ولا تبقى هنا واقفاً كاللص ترقب أحوال منزلي ثم تتحين الفرصة لتسرق ما اختارته عينك..

لافليش: يا للعجب.. وهل يسرق مثلك ممن أوصد الأبواب على ممتلكاته وقام بحرسها ليلاً ونهاراً..

البخيل: أنا حر.. أوصد أبوابي وخزائني على ما شئت.. وأحرسها وقتما أريد حتى لا أعطي الفرصة للفضوليين والطامعين من أمثالك ليطلعوا على أسراري المالية.

الراوي: ويظهر أن البخيل أحس أن لسانه قد انزلق فأفشى بعض أسراره فقال يخاطب نفسه:

البخيل: أخشى أن يكون هذا الخادم اللئيم قد تنبه إلى أنني أكتز أموالاً في بيتي فلاجرب لأرى هل فهم شيئاً.

الراوي: والتفت البخيل إلى الخادم وقال في لطف مصطنع..

البخيل: اسمع يا لافليش ليس في نيتك طبعاً أن يشيع عني أنني أخزن في منزلي شيئاً من المال..

لافليش: وهل تخزن أموالاً حقاً يا مسيو أرباجون؟



البخيل: آه يا لعين.. لم أقل ذلك ولكن أردت أن أطمئن إلى أنك تحاول  
التشهير بي وتشيع إني ممن يكتزون أموالهم في بيوتهم.

لافليش: وماذا يهمني من ذلك ما دمت لا أحصل على شيء من مالك..

البخيل: فيلسوف.. فيلسوف سأقلع لك أذنك حتى تكف عن الهديان..

الراوي: ثم يفرك أذن لافليش فيصرخ هذا..

لافليش: آي.. آي..

البخيل: أخرج حالاً أيها الصعلوك..

لافليش: سأخرج حالاً.. حالاً.. أترك أذني.. قطعها.. آي.. آي..

الراوي: ويشرع في الخروج بسرعة فيقول له البخيل..

البخيل: قف مكانك لا تتحرك أريد أن أفتشك ربما سرقت شيئاً فملا بسك  
الفضفاضة مخبأ صالح لإخفاء المسروقات..

لافليش: فتش.. فتش..

الراوي: ثم يخاطب لافليش نفسه قائلاً:

لافليش: إني أتمنى أن ينزل بهذا الرجل ما كان يخشى وقوعه.. وكم  
يسعدني أن أحرمه من أمواله الحبيبة..

البخيل: ماذا تثرثر أيها اللص..

لافليش: كنت أتكلم مع نفسي..

البخيل: إذن أنت مجنون.. يجب أن أخرج الجنون من رأسك بهذه  
العصا.. خذ.. خذ..

الراوي: ثم ينهال عليه ضرباً بالعصاه ولافليش يصرخ..

لافلش: آي . . آي . .

الراوي: ويهرب إلى خارج الدار ويقبع في حديقته ينتظر سيده . .

البخيل: هيه . . كم أنا مرتاح ألا أرى أمامي هذا الخادم الصعلوك الذي يتلصص عليّ كالكلب الأجرى ولكن لماذا أنا مضطرب هكذا نعم .  
نعم . . إنه من المحير حقاً ألا يستطيع المرء أن يجد بسهولة مكاناً في داره يأمن فيه على أمواله . . ولكن هل كنت مصيباً حقاً حين أخفيت المجوهرات والثلاثين ألف فرنك ذهبية في حديقة منزلي بجوار شجرة الزيزفون دون أن يفتن أحد يا لها فكرة رائعة .

الراوي: ويدخل كلينت . . ابن البخيل بدون أن يحس به وعندما يراه يرتعب فيقول:

البخيل: أنت في هذه الحجرة منذ زمن بعيد . .

كلينت: بل الآن يا والدي . .

البخيل: هل سمعت ما كنت أهذى به وأثرثر أنه الخرف . . إنه الكبر يا ولدي . .

كلينت: لم أسمع شيئاً . .

البخيل: حسناً . . وماذا تريد الآن . .

كلينت: أريد أن تعطيني ما ورثته عن والدتي لأنني أريد الزواج وقد جئتك أفاتحك فيه .

البخيل: تكلم يا ولدي . . تكلم . . فما أحلا الكلام عن الزواج . . ما قولك في جارتنا الفتاة الحلوة ماريان . .

كلينت: هي التي أقصد يا والدي . .

البخيل: ما رأيك فيها..

كلينت: فتاة.. مهذبة.. جميلة.. جذابة.. محترمة..

البخيل: تماماً وفوق هذا تملك ثروة لا بأس بها..

كلينت: هذا يا والدي لا يهمني.. الأخلاق قبل كل شيء..

البخيل: ولكن أهتم بالمال ولذلك فقد قررت أن أتزوج ماريان..

كلينت: تتزوج ماريان.. يا إلهي.. هل تقول ذلك جاداً..

البخيل: نعم.. أما أنت فقد اخترت لك زوجة.. ثروة متحركة مالها لا يعد

ولا يحصى.. إنها مدام انطوانيت..

كلينت: انطوانيت الأرملة العجوز.. أنا أتزوج من أرملة عجوز..

البخيل: ولم لا.. المهم غنية.. ورجل في الأرض وأخرى في القبر

وستتزوجها مجاناً بدون مهر يا غبي..

كلينت: إنني أرفض الزواج مهما حاولت..

البخيل: على كل حال سأتركك الآن لكي تفكر جيداً في هذا الموضوع..

وتذكر جيداً زواج مجاناً.. وبدون مهر.. مجاناً وبدون مهر..

الراوي: ويخرج البخيل تاركاً ابنه في حيرة ودهشة.. يدخل لافليش فيقول

له كلينت:

كلينت: أين كنت أيها الكسول..

لافليش: لقد أتيت من زمن بعيد ولكن والدك طردني وضربني..

كلينت: أسمع لافليش المسألة تأزمت بيني وبين والدي.. تصوّر يريد أن

يتزوج ماريان ويزوجني أنا لمدام انطوانيت العجوز..

لافليش: هذا أمر فظيع .. منتهى الوحشية .. يتزوج من واحدة في سن  
بنته .. فظيع .. فظيع ..

كلينت: ولكن ما العمل .. يجب أن أتزوج ماريان .. يجب أن اقترض  
المال اللازم لإتمام الزواج ..

لافليش: لقد عثرت لك على سمسار يهودي اسمه سيمون .. وقد وافق على  
إقراضك المال ..

كلينت: هيا .. هيا .. هيا ..

الراوي: ويصلان إلى اليهودي سيمون ويدخلان عليه فيقول لهما:

سيمون: أهلاً وسهلاً .. مرحباً بكما .. أهلاً .. أهلاً ..

لافليش: مسيو سيمون هذا سيدي طالب القرض ..

سيمون: لم يكن عندي هذا المبلغ حين وعدتك ولكن لكي لا أردك خائباً  
اتصلت بأحد المحسنين وسيعطيك المال ببعض الشروط .

كلينت: حسناً .. هات .. العقد .. لأوقعه وسلمني المال ..

سيمون: صبراً .. يا سيدي .. يا سيدي .. مبلغ القرض خمسون ألف فرنك  
وهذا المبلغ له شروط روتينية شكلية طبعاً .

كلينت: قل بسرعة شروطك ..

سيمون: المحسن مستعد لإقراضك مبلغ الخمسين الألف فرنك .. ليس دفعة  
واحدة وإنما ..

كلينت: وإنما .. ماذا ..

سيمون: يدفع لك منها عشرة آلاف فرنك نقداً والباقي ملابس ومفارش

وأثاث تاريخي قيمته أكثر من خمسين ألف فرنك.. ولا تنسى ٤٪  
أتعابي فقط ٤٪.. فقط..

كلينت: قبلت.. أدع سعادة المحسن..

الراوي: ويذهب سيمون لإحضار المحسن وإذا بالمحسن هو والد كلينت  
الذي ما أن يرى ولده حتى يقول:

البخيل: من هذا؟ ولدي كلينت.. أنت هنا أيها الولد الطائش..

كلينت: من والدي.. المحسن الكبير.. الإنساني العظيم..

البخيل: أخرج.. أخرج وإلا ضربتك..

الراوي: ويخرج كلينت وخادمه لافليش بسرعة وعندما يخرجان يلتفت  
البخيل إلى سيمون فيقول:

البخيل: أيها السمسار الغبي.. خذ.. فقد فضحتني..

الراوي: ويضرب سيمون بعصاه فيصرخ هذا..

سيمون: آي.. آي.. أدركوني.. آي.. آي..

الراوي: ويأخذ البخيل في الاستعداد لزواجه ويجلس ابنه في شقته يتجرع  
عذابه وآلامه وإذا بخادمه لافليش يدخل عليه قائلاً:

لافليش: خذ هذا الكيس وأخفه حالاً..

كلينت: ولكنه كيس نقود.

لافليش: نعم إنها أموال أبيك المدفونة في الحديقة.. لقد رأيت الكلب  
ينبش الأرض فتطلعت وإذا به يخرج هذا الكيس فخطفته منه وأسرعت

إليك والكلب ينبح ورائي.

كليت: يا إلهي إنها إرثي عن والدتي .. الحمد لله .. الحمد لله ..

الراوي: ويسمع البخيل صوت نباح الكلب فيسرع إلى الحديقة فيرى أن  
الأموال قد سرقت فيخرج إلى الشارع وهو يصرخ:

البخيل: السارق .. القاتل .. اللص .. آه يا كنزي الغالي حرموني منك ..  
سرقوني .. سرقوا أموالي ..

الراوي: ويتجمهر الناس حوله وهو يصرخ ..

البخيل: السارق .. القاتل .. اللص .. امسكوه ..

أحد المتجمهرين: مسكين .. إنه البخيل مسيو أرباجون .. يظهر أنه جن ..

البخيل: ألقوه .. هاتوه .. ها .. ها .. هو .. هو .. هو .. السارق ..  
القاتل اللص

أحد المتجمهرين: لقد جن الرجل فعلاً .. اتصلوا بالإسعاف .. بشرطة  
النجدة ..

البخيل: آه .. السارق .. اللص .. القاتل .. الحراس .. هاتوه .. أذبحوه ..

أحد المتجمهرين: مسكين .. لقد قضى عليه ضياع ثروته ..

صوت آخر: بل قضى عليه طمعه وحبه للمال .

الراوي: وتأتي سيارات النجدة والإسعاف فيأخذونه وهو يقول:

البخيل: أموالي .. نقودي .. السارق .. اللص .. القاتل ..

## الزواج أو الموت

للروائي الإنجليزي الشهير «روبرت لويس ستفنسون» ولد ستفنسون عام ١٨٥٠ وتوفي عام ١٨٩٤ م.

اشتهر بالرومانسية في كل قصصه القصيرة وهو يشبه إلى حد كبير الروائي الإنجليزي الكبير السير والتر سكوت والروائي الفرنسي المشهور ألكندر دوماس الكبير، وتمتاز قصص ستفنسون بجمال الأسلوب وبالحوادث الغريبة، ورائعتنا هذه الليلة من أروع ما كتب.

**الراوي:** كان دنيس دي بوليو «في الثانية والعشرين من عمره وسيماً شجاعاً وغنياً.. كانت له آمال عريضة وثقة كبيرة واعتزاز بنفسه، فلا الحروب تروعه ولا الأخطار تثنيه عن نزوة تداعب خياله.. كانت الحروب دائرة بين الإنجليز والفرنسيين في خريف سنة ١٤٢٩ فخرج ذات مساء ليقضي السهرة عند صديق له.. واستطاب له المقام فما فكر في الانصراف إلا بعد منتصف الليل، وحين همّ بالخروج قال له صديقه:

**الصديق:** أخرج بعد منتصف الليل والطريق غير آمنة والجنود الطائشون تغص بهم الشوارع وإن هي إلا طعنة طائشة وينتهي الأمر.

بوليو: (ضاحكاً).. لا عليك يا أنطوان.. إني أعرف كيف أتصرف مع مثل هؤلاء الجنود.. شكراً كن مطمئناً.. ليلة سعيدة..

الصديق: مع السلامة..

الراوي: وكان «بوليو» غير خبير بالشوارع أو بالأحرى الأزقة والمنعطفات - فلم تكن في ذلك الزمان شوارع أو لوائح تنظيم ولا ثريات كهرباء ولا غاز استصباح.. فظل بوليو يتخبط في سيره.. وأخيراً أدرك أنه ضل سبيله.. فأرسل الطرف فإذا هو أمام قصر ضخم البنيان أشبه بحصون النبلاء في ذلك العصر، وكان القصر مظلماً وكانت بوابته تظللها سلسلة عقود مسقوفة. وفيما هو يتأمل البناء، سرت مع الرياح العاتية ضحكات معرودة صاخبة - فالتفت فإذا شرذمة من الجنود يحمل واحد منها مشعلاً مقبلة نحوه.

لم يكن «بوليو» جباناً، فقد خاض المعارك ونازل الأقران.. ولكن الموت بين شرذمة من السكارى أمر غير محبب ولا مبرر له ما دام التخلص منه ممكناً بحال من الأحوال فأخذ يتجه نحو باب القصر فلمحه الجند فصرخوا:

الجند: قف.. قف.. أيها اللص.. قف.. قبل أن نقتلك..

الراوي: فزاد «بوليو» من سرعة خطواته واحتمى بعقد الباب وهو يرجو أن يحجبه عمود من تلك الأعمدة عن أعين هؤلاء المعربين.. وأسند ظهره للباب يتلمس لنفسه محباً فإذا الباب يلين ويدور على نفسه فولجه واستدار ليقفله في وجه مطارديه.. فهاله أن يجده قد أغلق من تلقاء نفسه وأحكم رتاجه.. فوقف شعر رأسه من الخوف ولم يقطع عليه هذا الخوف إلا صوت الجند وهم يقرعون الباب حتى إذا يئسوا



من اغتصابه شفوا غليلهم منه بالسباب وانصرفوا.. فقال يخاطب نفسه:

يا الله.. أين أنا الآن..؟ ظلام دامس وجو رطب خانق.. فلأحاول أن افتح الباب وقد انصرف الجنود..

**الراوي:** وحاول أن يفتح الباب فاستعصى عليه فتحه، وتلفت حوله فإذا الظلمة سائدة إلا بصيصاً من النور ينفذ من آخر البهو.. فاتجه نحوه.. فإذا به ثقب المفتاح وقد بدا منه في هذا الليل البهيم نور الحجرة التي هو في بابها.. لمس الباب فانفتح وأزاح النور عينيه لحظة ثم بدأ يتبين في الغرفة سيداً أشيب مهيب الطلعة جالساً إلى منضدة يتصفح كتاباً.. فتقدّم «يوليو» وانحنى في احترام وتبادل نظره مع الشيخ الذي ابتدره قائلاً:

**الشيخ:** تفضل.. لقد كنت في انتظارك طيلة المساء..

**الراوي:** وبعثت عبارة الشيخ ارتباكاً في نفس «يوليو» زيادة على ما في الموقف من تلك البواعث فقال وهو يحاول ضم شتات فكره بعضاً إلى بعض.

**يوليو:** أحشى يا سيدي أن يكون في الأمر التباس فلست أنا - ولا شك - الشخص الذي كنت تنتظره إذ ليس بيننا موعد مسبق على هذه الزيارة في هذه الساعة المتأخرة وما كان قصدي أن آتي إلى هنا - بل إن هذا لم يخطر ببالي قط وما أردته أبداً وبالعكس لعليّ هنا الآن قسراً، وليس أحب إلي من مبارحة هذه الدار التي دخلتها متطفلاً فيما يبدو.

**الراوي:** وهز الشيخ رأسه وابتسم ابتسامة كريمة ثم قال:

**الشيخ:** حسن كل هذا.. ولكنك الساعة هنا.. وهذا هو بيت القصيد

فأجلس يا صاحبي ولا عليك من الاعتذار . . ولنسو ما بيننا من حساب يسير في غير ما حقد ولا تعقيد .

الراوي: وأدرك «يوليو» أن الأمر لا يزال مختلطاً على الشيخ فأسرع يفسر له:

يوليو: لقد كان الباب . .

الشيخ: بأبي . . لا تعجب من أمره فذلك الاختراع سر صغير من أسراري ولئن كنت قد سلكته غير ظان أنه سيفضي بك الليلة إلى لقائي، فليس هذا بمانعي من أن أسر بهذا اللقاء . .

يوليو: إنك تتورط في الخطأ يا سيدي . . فدعني أجلو لك الأمر على حقيقته . . إن أسمى «دنيس دي بوليو» وأنا غريب عن هذه الجهة . . فلا يمكن أن تكون بيننا صلة من أي نوع . .

الشيخ: لا أريد أن أسمع مزيداً في هذا الصدد . . وأرجو أن تدعني ورأيي في هذا الأمر ولئن اختلفنا اليوم فالزمن وحده كفيل بالفصل بيننا . . أين المخطأ وأين المصيب . . أما الآن فاجلس . .

الراوي: وكان هذا كافياً لكي يوقن «بوليو» بأنه في حضرة مجنون مختل العقل . . وطرقت سمعه في تلك اللحظة أنغام ترانيم دينية في صوت خفيض تنبعث من وراء ستار عن يمينه وكان يخيل إليه أن تلك الأنغام صادرة عن شخصين حيناً وعن شخص واحد حيناً آخر وانتبه من هذا الخاطر على منظر الشيخ وهو يفحصه من رأسه إلى أخمص قدمه، فوضع قبعته على رأسه ليستأذنه في الانصراف . . ولكن الشيخ انفجر ضاحكاً في استهزاء مهين فصاح به بوليو في حنق:

بوليو: إنني سليل بيت عريق . . فإذا كنت يا سيدي متمالكاً وعيك فاعلم

أنك أهنتني إهانة غير سليمة العواقب كائناً من كنت وإن لم تكن متملكاً إياه فإن عملي أكرم علي من أن استخدمه في الحديث مع من لا عقل له .. ولتعلم على كل حال إنه لا صلة لي بك وإننا هنا بمحض الصدفة وأنه ليس لأي قوة في الأرض أن تبقيني في هذه الدار ساعة أخرى ..

الشيخ: أجلس يا ابن أخي .. واهداً نفساً ..

يوليو: لست ابن أخيك .. وإنك في هذا لكاذب .

الشيخ: اجلس أيها الوغد .. ولعل هذا الوصف يرضيك أكثر مما أرضاك سابقه .. أتظن أن حياتي اقتصرت على العوبة الباب التي خبرتها بنفسك؟ حاول الخروج إذن يا صاح وسترى مصداق قولي .. إنك إذن تقيد حتى لا تستطيع حراكاً .

يوليو: أتعني أنني سجين؟

الشيخ: وتحت الحراسة أيضاً .

الراوي: وجلس «يوليو» مبهوراً يفكر في أمر هذا الشيخ .. أمجنون هو أم عاقل؟ وفيما هو مستغرق في هذا التساؤل انزاح الستار وبرز كاهن مهيب حدج «يوليو» بنظرة طويلة فاحصة ثم انحنى على كتف الشيخ وهمس في أذنه .. ودارت بينهما همسات خافتة انتهت حين التفت الشيخ إلى «يوليو» وقال له:

الشيخ: والآن يا مسيو «دي بوليو» أسمح لي أن أقدمك بصفة رسمية إلى ابنة أخي التي كانت أشوق إلى حضورك مني ..

الراوي: وكان الأمر قد بلغ «ببوليو» مبلغاً لا يبالي بعده ماذا يكون .. إنه أحب أن يعلم ماذا وراء كل هذه المعميات مهما يكن سوء النتيجة ..

وقام الشيخ - معتمداً على ذراع القس ومتأبطاً ذراع «بوليو» فدخلا المحراب وراء الستار فاسترعت نظر «بوليو» فتاة «جائية تصلي وهي في ثياب العرس البيضاء المعهودة وقال الشيخ مخاطباً «يوليو» بصوته الرقيق الذي يفيض على رفته خبثاً وقوة ..

الشيخ: كفى صلاة يا ابنة أخي وتعالى أقدمك إلى هذا الصديق .. أعطيه يدك يا «بلانش» ..

الراوي: ونهضت الفتاة وتقدمت إليهم على استحياء وقد غضت من بصرها وما أن بلغتهم وهي تحديق في الأرض لمحت قدمي «يوليو» وكان من عادته أن ينتعل حذاء أصفر غير مألوف الصنعة والشكل .. فرفعت بصرها إلى وجهه مأخوذة ثم تراجعت كمن رأت شبحاً مرعباً وهي تقول:

الفتاة: كلا .. كلا .. إنه ليس هو يا عمي ..

الشيخ: ها .. ولكنك قلت إنك نسيت اسمه فمن المحتمل أنك نسيت شكله وعلى كل حال .. لا علينا أن يكون هو أو ليس هو .. فهذا هو رجلنا حاضر بين يدينا وليس لك ولا لنا في الأمر خيار.

الراوي: فحدجت الفتاة «بوليو» بنظرة احتقار وحقد وقالت له:

الفتاة: أليديك من الشجاعة والشرف يا سيدي ما يكفي للإقرار - بالإقرار بالحقيقة وهو أنني لا أعرفك ولم أرك من قبل أبداً ..

يوليو: طبعاً يا آنسة وأرجو أن تسمح لي يا سيدي أن أؤكد لك إنني لم أتشرف من قبل برؤية ابنة أخيك مع ما كان في ذلك من شرف لو أنه صح ..

الراوي: فهز الشيخ كتفيه وقال في غير اكتراث:

**الشيخ:** يؤلمني أن يكون الأمر كما تقول.. ولكن لا حيلة لي فيه. كما أن تجربتي الخاصة تجعلني لا أعير ذلك اهتماماً.. فما رأيت زوجتي المتوفاة قبل الزفاف ولم يمنعنا هذا أن نحسن التفاهم، وأن نعيش معاً حياة لا يحتاج البشر لأهنأ منها.

**الفتاة:** ما أظنك جاداً يا عمي.. ولتعلم أن الموت أهون على نفسي من أن أفرض على هذا الشاب زوجة له بالقوة فالله لا يحل مثل هذا الزواج وأنك لو أرغمتني عليه لدنست شيبتك هذه حتى آخر الدهر..

**الشيخ:** أظن إن هذا الفتى فتاك وإن لم يكن هو فما أحسبني أعبأ بهذا مثقال ذرة.. ولتعلمي يا «بلانش دي مالترو» أن قلبي الرحيم أملي علي أن أصبح الأمر بزواجك من صاحبك وإلا أنتقم منك الانتقام الذي تستحقين ولا شك.. وإذا رفضت هذا الشاب فإنه سيقتل لئلا يفشى السر وستزوجين على كل حال من إنسان ما كما اختاره لك وأقسم ليكونن زوجك حينئذ أشوه خلق الله وأدناهم.

**الراوي:** وانصرف الشيخ والكاهن وتركاهما وحدهما في المحراب فنظرت إلى «بوليو» وقالت له:

**الفتاة:** بربك خبرني من تكون وما الذي أقحمك في هذا الأمر؟

**الراوي:** وأنبأها «بوليو» بالأمر كله في اختصار وطلب إليها أن تشرح له قصتها: فقالت:

**الفتاة:** إن كبدي ليتصدع لمجرد تفكيري في إفشاء سري لمخلوق ولكن من حقدك وقد أقحمت في الأمر وتعرضت لمخاطرة أن تعرف هذا السر.

لقد فقدت أبوي منذ طفولتي الباكرة لا أخ ولا أخت، في رعاية عمي

هذا وكانت حياتي معه سلسلة متصلة من الشقاء والوحشية، ومنذ ثلاثة شهور كنت في الكنيسة فلاحظت ضابطاً وسيماً يقف إلى جانبي وإنني موضع اهتمامه فسرنني أنا الوحيدة الشقية أن يهتم به إنسان وتتابع رسائله إلي حتى وقعت واحدة منها هذا الصباح في يد عمي فتلاها وكان يطلب فيها أن أترك باب بيتي مفتوحاً ليزورني.. فأمرني عمي أن أرتدي ثياب العرس هذه واستعد للقران وترك الباب مفتوحاً ليصيد الفتى الذي رفضت أن أذكر اسمه وكان يا سيدي أن وقعت أنت في الفخ بدلاً منه.. ولكن من أين له لعمرى أن يصدق من أنك لست الرجل الذي أريده..

يوليو: سيدتي: لقد شرفنتني بثقتك فأفضيت إلي بسرك.. قومي معي إلى عمك لأخاطبه خطاب رجل شريف يعرف ما ينبغي عليه نحو سيدة نبيلة.

الراوي: ووصلا إلى مكان الشيخ فنهض للقائهما وعلى شفثيه ابتسامة ماكرة فقال يوليو:

بوليو: (في جد وثبات): أحسب من حقي يا سيدي أن يكون لي في هذا الزواج رأي، ولتعلم أنني لا أقبل أن أفرض على هذه الأنسة.. ولو أنه كان لي أن أطلب يدها باختيارها لسرنني هذا وشرفني لأنها طيبة المعدن طاهرة الذيل.. أما هكذا قسراً فليس يسعني إلا أن أرفض هذا الشرف.

الراوي: ونظرت إليه «بلانش» نظرة شكر وامتنان ولكن عمها أسرع فقال بلهجة هادئة باردة كالثلج..

الشيخ: أخشى يا مسيو دي يوليو أن تكون غير مدرك لكل ظروف الموضوع:

إما أن تقبل زواج هذه الأنسة قبل شروق الشمس وإما أن تشنق في فناء الدار.

كن ابن من شئت ولكن أقسم أنك لن تفلت من الشنق إذ ترفس يد سيدة من آل مالترو.

بوليو: أحسب يا سيدي أن هناك وسيلة معينة يسوي بها النبلاء خصوماتهم فاحتكم يا سيدي إلى سيفك.

الراوي: وضحك الشيخ في سخرية ونظر إليه بعين مقفلة وأخرى مفتوحة وقال له:

الشيخ: لقد اشتعل رأسي شيباً ووهن العظم مني فلا تؤاخذني إذا تركت لأتباعي حمل السيف نيابة عني.

الراوي: وجذب حبلاً إلى جواره فأزيح ستار مقابل فإذا قاعة مليئة بالجنود شاكي السلاح في بزة الحرب الكاملة، ثم أعاد جذب الحبل فأسدل الستار وقال:

الشيخ: والآن لعلك أدركت ما أنت مقبل عليه، ولست بالرجل القاسي الجاف الطبع فأترك لكما ثلاث ساعات تحاولان فيها أن تستقرا على رأي إذ لا محيص لكما من الزواج أو الموت وقد تركت لكما خادمة صماء بكماء لتلبية طلبكما من مرطبات وغيرها.

الراوي: وترك الشيخ لهما المكان وما أن انصرف حتى تقدمت «بلانش» من «بوليو» وقالت له في حزم ولهفة:

الفتاة: لن تموت ولو اقتضى الأمر أن تتزوجني.

بوليو: يخيل لي يا سيدتي أنك تحيين الموت في نظري ليس شراً منه شيء.

الفتاة: كلا يا سيدي، لست أراك جباناً.. بل لأنك لست جباناً أرى موتك  
خسارة يجب أن نتفادها..

بوليو: لقد رفضت الزواج كرمماً منك - حتى لا تفرض على إنسان غريب لا  
يد له في الأمر - وأنا كذلك أرفضه أنفة من الخضوع للتهديد  
والإرهاب، ثم إنك مقيدة القلب وليس لك أن تمنحيني ما تدينين به  
لرجل آخر..

الراوي: فاحمر وجهها لهذا التلميح وسكتت كما سكت هو.. ولكن الوقت  
كان يمر في ثققل ثم صكت أسماعها أصوات متنافرة تحت النافذة  
المرتفعة فأطلا فإذا العمال ينصبون مشنقة في صحن الدار.. فنظرت  
الفتاة إليه في حزن وقالت..

الفتاة: ألا أستطيع لك شيئاً..

بوليو: سامحيني يا سيدتي.. إنني أرفض من أجلك لا من أجل نفسي..  
الفتاة: إنك كريم يا سيدي وشجاع ولهذا أرجو أن تتيح لي أي فرصة  
لخدمتك الآن أو فيما بعد.

بوليو: الخدمة الوحيدة التي أرجوها يا سيدتي أن تنسي هذا الموقف الحرج  
وأن تبترسمي وإذا مت فاعلمي أن الموت في سبيل خدمة عابرة لك  
شرف عظيم فأرجو خيراً منه.. فليس لك أن تحزني.. وليس لهذه  
الذكرى أن تعكر صفو لياليك التي أرجو أن تكون عاطرة هنية..  
هنية..

الفتاة: إنك رقيق سمح يا سيدي إلى حد لم أحلم أن يبلغه خلق الرجال  
أبدأ، إن لك نفساً صافية سامية كهذه النجوم التي تجنح للأفول،  
فكيف بالله أنسى نبلك؟



الراوي: وانخرطت الفتاة في البكاء فقال لها بوليو:

بوليو: سيدتي تذكري أنه لم يبق لي في الحياة إلا ساعة فلا تعكريها بمرارة  
دمعك بل ابتسمي حتى ألقى الموت مرتاح القلب.

الفتاة: سامحني يا سيدي.. فكرمك أثقل قلبي بالأحزان.. وإنني لا أستطيع  
أن أتصور مثلك يموت بينما الأندال ينعمون بالحياة والجاه.. ولماذا  
تموت؟

لأنك كريم ونبيل وشجاع؟ ولا تريد أن تخضع للإرهاب ولا أن تفرض  
نفسك على فتاة لتنجو برأسك.

بوليو: أوكد لك أن ما من شاب في فرنسا إلا ويحب هذا الذي أنا فيه نعمة  
من السماء ومحابة من القدر.. وإنك لجميلة يا سيدتي ومحبية إلى  
النفس كل رجل له ذوق وقلب.. ولكن هكذا أو بالقوة وأنت راغمة؟  
كلا دون هذا الموت لأنه أحلى منه وأشهى.

الراوي: وسكت وسكتت.. ولكنها رفعت رأسها بعد دقائق وحدثت في  
عينيه وهي تقول:

الفتاة: أرجوك أن تصدقني القول.. أتراني حقاً جميلة يا سيدي..

بوليو: أقسم لك إنني أراك رائعة الحسن يا سيدتي..

الفتاة: أتحسب الكثيرين يرفضون الزواج من مثلي لو سألتهم هذا؟

بوليو: سيدتي.. إنك تتجاهلين أنك سألتني هذا عن شفقة لا عن حب.

الفتاة: لست على يقين من هذا.. لقد سألتك هذا لا عن شفقة بل لأنني  
أعجبت بك وأكبرت رجولتك ونبلك فرأيت في الزواج منك وإنقاذك  
من الموت شرفاً لي أزهو به أمام نفسي.

الراوي: ورن الجرس معلناً نهاية الأجل المضروب لهما.. فقالت الفتاة:

الفتاة: أنتزوج مني بعد الذي سمعت من علاقتي بهذا الضابط؟

بوليو: إنني لم أسمع شيئاً يا سيدتي..

الفتاة: إنك لكريم.. إنك تقتلني بنبلك.. لقد كان اسم الضابط فاو

ريمون..

بوليو: ولا سمعت هذا الاسم أيضاً..

الراوي: ورن في الغرفة خلفهما ضحكة ناعمة ساخرة أطلقها عم الفتاة

العجوز وهو يقول:

الشيخ: لقد كنت أعلم أن هذا سيكون.

الراوي: ونظقت الخادمة الصماء البكماء قائلة:

الخادمة: مبروك... مبروك...

## العقد الماسي

قصتنا هذه الليلة، الرائعة الفرنسية الخالدة «العقد الماسي» لأشهر أدباء القصة في فرنسا جي موباسان. ولد جي موباسان عام ١٨٥٠ وتوفي عام ١٨٩٣. بالرغم من أن جي موباسان لم يعيش أكثر من (٤٢) سنة فقد استطاع في هذه المدة القصيرة أن يؤلف حوالي (٢٠٠) قصة ورواية وأن يصبح في طليعة أدباء القصة ولا سيما القصة القصيرة. من أشهر رواياته «حياة» و «الحبيب الجميل» ومن أروع قصصه القصيرة التي بلغت في مجموعها حوالي (٢٠٠) قصة.. رائعة هذه الأمسية «العقد الماسي».

### حوادث القصة

الراوي: كانت من هؤلاء الفتيات الجميلات الفاتنات.. ولدت - لسوء حظها - في عائلة من طبقة فقيرة.. لم تكن تملك (دوطة) ولا تنتظر تركة.. وليس لديها وسائل التعريف عن حالها حتى تشتهر فتحب فتتزوج من رجل مرموق، ولذلك ارتضت لنفسها أن تتزوج من موظف بسيط في إحدى الوزارات.

كان لباسها بسيطاً لأنها لا تملك ثمن الملابس الغالية، وكانت بالطبع غير سعيدة بهذه الحال وكأنها امرأة خلقت من غير هذه الطبقة ذلك لأن

جمال المرأة هو أصلها وفصلها وعائلتها. وإحساس النساء بالظهور بمظهر الرشاقة غريزة متأصلة في نفوسهن متى ما اتسمت بالدهاء والمرونة دفعا بهن إلى طلب المساواة بأعظم السيدات حسبا ونسبا.

كانت بطلة قصتنا هذه متبرمة دائماً. . تشعر أنها خلقت للترف والنعيم ولذلك كانت تتألم من ضعة منزلها وجدرانه المتآكلة ومقاعد المتكسرة، وأثاثه المشوه الممزق. . فكانت تتحرق ألماً مما هي فيه. . لقد كانت تحلم ببيت هادى جميل ينتظم غرفه الواسعة فراش وثير وتزين سقفه جدران تحف وقناديل شرقية الصنع وله قاعة كبيرة زخرفت حيطانها بالصور الزيتية البديعة وفرشت أبتهاؤها بأثاث فخم. . وخدم وحشم من نساء ورجال يطوفون بهذا البيت الكبير.

وتتبخر هذه الأحلام ثم تنزل رذاذاً من السخط والتبرم عندما تجلس أمام مائدة العشاء وقد غشيها غطاء متسخ، لأنه لم يبدل منذ ثلاثة أيام، وجلس في الجهة المقابلة لها زوجها وقد كشف غطاء (سلطانية) الشورية وتمتم في فرح قائلاً:

**الزوج:** أوه بالحساء شوربة لحم البقر اللطيفة المخلوطة بالجزر. . إنني لا أعرف حساء ألد من ذلك. .

**الراوي:** ولكن الزوجة كانت تحلم بعشاء فاخر تتألق أواني وأدوات مائدته على مفرش مزدان بأنواع الصور الأثرية، وأطباق متنوعة يدور بها الندل، وهمسات مجاملة وبسمات لطيفة من المعجبين تدغدغ أذنيها وتبهج ناظريها بينما هي تتناول طعامها من السمك ولحم الطير في شهية زائدة. .

وكان لبطلة قصتنا صديقة غنية تربطها بها أواصر قوية منذ أيام

الطفولة.. وقد استاءت من عودتها لأنها لا ترغب في زيارتها لما هي فيه من حال رثة فليس لديها ملابس أنيقة ولا مجوهرات فكانت تبكي بكاءً مرّاً كلما عادت من زيارتها لهذه الصديقة..

وجاءها زوجها ذات مساء يمسك بيده - في زهو وإعجاب - رقعة دعوة كبيرة.. وابتدراها قائلاً:

الزوج: هنا يوجد شيء لك يا عزيزتي..

الزوجة: وما هو..

الزوج: خذي وأقرئي.. إنها رقعة دعوة من الوزير إلى حفلة راقصة يقيمها في منزله.

الزوجة: وماذا تنتظر مني أن أفعل بهذه الدعوة..؟

الزوج: يا عزيزتي: لقد ظننت أنك ستفرحين بها.. إنك لم تدعي من قبل لمثل ذلك.. وإنها لفرصة جميلة.. وقد وجدت صعوبة كبيرة في الحصول عليها.. فراقع الدعوة محدودة.. ولم يوزع منها إلا عدد قليل على الموظفين.. إنك ستلتقين يا عزيزتي بالعلية من الموظفين وصفوة الناس.

الراوي: وتطلعت الزوجة في وجه زوجها وصاحت وقد نفذ صبرها قائلة:

الزوجة: وهل لدي من الملابس ما أتزين به لمثل هذه الحفلة..

الزوج: أعتقد أن ملابسك التي تذهبين بها عادة لحضور حفلة مسرحية مناسبة لذلك:

الراوي: وعلا بكاء الزوجة ونحيبها فتوقف الزوج عن الكلام وتطلع إلى زوجته التي انهمرت دموعها مدراراً.. ثم اقترب منها وغمغم قائلاً:

الزوج: ما بك يا عزيزتي؟ ماذا جرى؟

الزوجة: لا شيء.. إني لعدم وجود ملابس أنيقة لن أستطيع حضور هذه الحفلة.. فأعط بطاقة الدعوة إلى زميل من زملائك له زوجة عندها ما تترين به لمثل هذه المناسبة..

الزوج: عزيزتي ماتيلدا.. كم تقدرين المبلغ اللازم لك لايتباع ملابس بسيطة أنيقة يمكنك ارتداؤها لهذه المناسبة ولمناسبات أخرى مستقبلاً.

الزوجة: لا أدري بالضبط يا عزيزي ولكن يلوح لي أن المبلغ لا يزيد عن أربعمائة فرنك..

الزوج: حسناً.. سأعطيك الأربعمائة فرنك.. ولكن اجتهدي أن يكون لباسك جميلاً.

الراوي: وأقرب يوم الحفلة وبالرغم من أن فستان ماتيلدا قد أصبح جاهزاً فإن ملامحها ما زالت ترهقها كدراً من الحزن، والقلق، والعصبية. ولاحظ زوجها ذلك فقال لها:

الزوج: ماتيلدا.. ما بك.. إن حالك مضحك في هذه الأيام الثلاثة..

الزوجة: إنني لمتضايقه لأنني لا أملك مجوهرات حتى ولا حجراً واحداً أقلده عنقي أو أزين به صدري.. وسيطلع الناس على بشاعة فقري المدقع إنني أفضل لذلك ألا أذهب إلى هذه الحفلة..

الزوج: تستطيعين وضع زهر طبيعي.. إنه موضحة الموسم.. فبعشر فرنكات تشتري اثنتين أو ثلاث زهرات بديعة..

الزوجة: لا.. لا شيء أشد تعاسة وضعة من أن تظهر المرأة فقيرة بين نساء ثريات..

الزوج: كم أنت غبية يا عزيزتي.. اذهبي إلى صديقتك مدام فروستير  
واسألها أن تعيرك بعض المجوهرات..

الراوي: وبفرحة طاغية وسرور جارف قالت ماتيلدا:

الزوجة: صحيح! صحيح أن ذلك لم يخطر ببالي..

الراوي: وفي اليوم التالي ذهبت «ماتيلدا» إلى صديقتها وأنبأها بحاجتنا  
فقامت هذه إلى خزانها وأحضرت علبة مجوهرات كبيرة لتختار منها  
«ماتيلدا» ما تريد..

وجربت «ماتيلدا» أمام المرأة القلائد والخواتم، ونفائس الأحجار  
الكريمة الدقيقة الصنع ولم يرقها شيء منها.. وأخيراً وجدت في علبة من  
الساتان الأسود عقداً من الماس خفق قلبها له بسرور عارم وارتجفت يداها  
وهي تحوط عنقها به ثم سألت صديقتها أن تعيره لها فأجابتها إلى سؤالها.  
وغمرت «ماتيلدا» عنق صديقتها بالقبلات وانصرفت بالعقد وكأنه كنز بين  
يديها.

وذهبت إلى الحفلة الراقصة ماتيلدا وزوجها.. واستشعرت بالفوز  
والفخر لأنها بدأت أجمل سيدة في تلك الحفلة.. جمالاً، ورشاقة وأناقة  
وفتنة وكادت تجن من فرط فرحها. وقد التف حولها فراش من المدعوين  
يلتمسون التعرف إليها بما فيهم مساعدو الوزير وأركان وزارته حتى الوزير  
نفسه لاحظ ذلك.

وقد تمتعت «ماتيلدا» بتلك الحفلة بما في هذه الكلمة من معنى إنها  
كانت تحتفل بانتصار جمالها بأمجاد نجاحها المكمل بسحابة من السعادة  
كونتها تحيات ومجاملات المعجبين لاستحق نصرها أن يكون نصراً مؤزراً  
وحيباً إلى قلب أية امرأة فكيف بـ «ماتيلدا».

وغادرت «ماتيلدا» الحفل قبل الصبح . . وكان زوجها منذ منتصف الليل قد آوى إلى غرفة جانبية من منزل الدعوة مع ثلاثة من زملائه تاركين أزواجهم يستمتعون بأكبر قسط من مباحج الحفلة .

ووضع زوج «ماتيلدا» على كتفها شالاً بسيطاً يصلح للاستعمال اليومي لا للظهور في حفل كهذا ولا يوائم لباسها الأنيق وقد أحست «ماتيلدا» بذلك وحاولت الفرار من مكان الحفل حتى لا يشاهدها أحد من النساء اللواتي كن يرتدين أغلى الفراء .

وخرجت «ماتيلدا» على عجل وزوجها خلفها يقول :

الزوج : انتظري قليلاً ريثما آتيك بعربة فالجو في الخارج بارد جداً . .

الراوي : ولم ترد «ماتيلدا» على رجائه بل أسرعت بالخروج وسارا مسافة قصيرة حتى وجدا عربة القيا بنفسيهما فيها ووصلا إلى منزلهما ودخلاه وقد تنفس الصبح . .

ورمت «ماتيلدا» بالشال الذي كان يغطي أكتافها وصدرها ووقفت أمام المرأة تستعرض المجد الذي أحرزته في تلك الليلة وإذا بها تصرخ بأعلى صوتها قائلة :

الزوجة : آه؟ يا إلهي، آه يا إلهي!

الزوج : ما بك يا عزيزتي؟ ما بك؟

الزوجة : لقد ضاع العقد . . ضاع العقد . . فقدته . .

الزوج : ماذا؟ كيف ذلك غير ممكن . .

الراوي : وطفقا يفتشان ثنايا الملابس وجيوبها وكل ناحية فيها فلم يجدا .  
وعندها قال الزوج . .



الزوج: هل أنت متأكدة أن العقد كان في عنقك عندما غادرت الحفلة؟

الزوجة: نعم وقد تلمسته بينما كنت أسير في دهليز بيت الوزير.

الزوج: لو سقط العقد ونحن نمشي في الطريق لشعرنا بسقوطه من صوته من غير شك قد سقط في العربة..

الزوجة: نعم.. أعتقد ذلك.. هل أخذت رقم العربة..

الزوج: لا.. وأنت لم تلاحظي الرقم؟

الزوجة: لا..

الراوي: وتطلع كل منهما للآخر مشدوهاً وأخيراً ارتدى «الزوج لوازل» ملابس ثانية وقرر أن يقص آثار الطريق التي مشيا عليها لعله يجد العقد. وظلت «ماتيلدا» بعد خروجه منكمشة في ملابسها تترقب على أحر من الجمر عودة زوجها «لوازل». وفي الساعة السابعة بالتوقيت الإفرنجي رجع «لوازل» بخفي حنين أنه لم يجد العقد.. فسارع إلى مركز الشرطة وسجل ذلك ثم إلى أصحاب الجرائد ودور النشر وأعلن عن مكافأة لمن يجد هذا العقد.. وطرق أبواب الشركات التي تؤجر عربات الحنطور ولم يترك وسيلة إلا لجأ إليها ولا قبساً من رجاء إلا سار إليه. وفي ذات مساء عاد إلى منزله أصفر الوجه غائر العينين والخذين لأن جهوده ذهبت عبثاً فخاطب زوجته قائلاً:

الزوج: ماتيلدا: يجب أن تكتبي إلى صديقتك بأن (إيزيم) العقد قد كسر وأنت عاملة على إصلاحه.. واطلبي منها إمهالك حتى يتم إصلاحه..

الراوي: وصدعت «ماتيلدا» بما أمرت، وبعد أسبوعين من ضياع العقد فقدا كل أمل في العثور عليه.. وفقدا معه خمس سنوات من ثيابهما وأخيراً قرر «الزوج أوزال» أن يجد بديلاً عنه. وفي اليوم التالي شرعا في

التطواف بالصاغة وباعة المجوهرات وأخذها معها العلبة التي كان بها العقد المفقود.. وسألاً صانعها إن كان لديه مثل للعقد الذي كان بها فأخبرهما أنه صنع العلبة ولم يصنع العقد.. وخرجا من عنده للتطواف.. وأخيراً وجدا في أحد الدكاكين عقداً شبيهاً له طلب صاحبه فيه أربعين ألف فرنك وبعد المفاصلة قبل أن يبيعه بستة وثلاثين ألف فرنك.. فالتمسا منه أن يمهلها ثلاثة أيام لتدبير ثمن العقد واتفقا معه أنه في حال وجود العقد الأصلي بعد الشراء سيعيدان إليه عقده ويبيعانه له بنقص ألفي فرنك عن ثمنه. وكان «الزوج أوزال» يدخر ثمانية عشر ألف فرنك ببقية إرث تركه له والده وعليه الآن بتدبير البقية فاقترض ألف فرنك من رجل واحد وخمسمائة من آخر ومائة فرنك من هنا وستين من هناك ووقع على كمبيالات لبنوك ومرايين بفوائد فاحشة قد يمضي عمره كله ولا يستطيع تسديدها ولكنه كان في حالة غير طبيعية.. إنه يريد دفع ثمن غرور زوجته وحبها للعظمة (والنفخة الكذابة) كما يقولون.. وأخيراً جمع المبلغ واشترى العقد وأرسل زوجته به.. وقد عاتبته صديقتها على تأخرها في إرسال العقد فراحت تعتذر إليها وتحاول أن تشاغلها بالكلام حتى لا تفتح العلبة وترى العقد وتلحظانه لا يشبه تماماً عقدها المفقود.. ولم تهدأ أعصاب «ماتيلدا» إلا بعد أن أخذت الصديقة العلبة ووضعتها في الخزانة من دون أن تفتحها.. وغادرت «ماتيلدا» منزل صديقتها متمنية لو كان لها جناحان لتطير بهما قبل أن تكتشف صديقتها الأمر.

وجربت «ماتيلدا» الآن حياة الفقر المدقع وذوقت ألوان آلامها وأحزانها وتعاستها وشقائها.. وقابلت بتصميم وشجاعة هذا المصير المظلم.. فالدين المخيف يجب أن يسدد وكان أول عمل قامت به هو الاستغناء عن الخادم والرحيل عن الشقة والسكن في غرفة على سطح (روف) إحدى العمارات لا

نور بها ولا ماء فكانت تنقل جرة الماء وتصعد بها وهي تتوقف لاهثة على السلالم.. ثم زاولت غسيل الصحون والملابس والمفارش فكانت تنشر الغسيل على الحبال حتى يجف.. وكانت تنقل صندوق الزبالة إلى الشارع كل صباح.. وكانت ترتدي ملابس الخدم وتخرج إلى السوق والملاية على ذراعها لتشتري من الجزار والبقال والفكهاني وتفاصيل هذا وتشتم ذاك في سبيل توفير قرش واحد.. واشتغل زوجها في عمل إضافي بعد انتهاء عمله اليومي الرسمي.

وقد استداما هذه الحال واستمرأها مدة عشر سنوات حتى تم لهما تسديد هذه الديون.. وقد أحنت السنون والهموم ظهر «ماتيلدا» وأخذت معها نضارة شبابها ورونق جمالها فبدت الآن امرأة عجوز قوية العضلات.. خشنة المظهر والمخبر.. وصبغت الأيام شعرها بالبياض وطبعتها بطابع الطبقة الدنيا.. في حركاتهم وسكناتهم ومأكلهم وملبسهم حتى أنها حينما تتكلم كانت تتكلم بصوت خشن عال.. ولكنها كانت بعض الأحيان التي يكون فيها زوجها في دائرة عمله تجلس إلى الشباك وتسبح في خيالات الماضي وأحلام تلك الحفلة الراقصة وكيف كان جمالها مثار إعجاب المدعوين.. وماذا كان سيحدث لها لو لم تضيع العقد؟ وكيف كان جمالها مثار إعجاب المدعوين.. وماذا كان سيحدث لها لو لم تضيع العقد؟ من يعرف؟ من يعلم؟ كم هي الحياة غريبة في أطوارها.. سرعان ما تتغير.. وكم من شيء صغير تافه تحتاجه فيرفعك أو يهدمك.

وفي يوم من أيام الأحاد كانت «ماتيلدا» تتمشى في شارع الشانزليزيه تستروح من متاعب عملها طوال الأسبوع إذا بها تلمح فجأة سيدة ومعها طفل.. كانت تلك السيدة مدام فروستير صديقتها وصاحبة العقد المشؤوم.. إنها ما تزال في ريق الشباب ونضارة العمر.. وقد حرّك هذا المنظر أشجانها

وصممت أن تسعى إليها وتطلعها على قضية العقد ولا سيما وأنها سددت قيمته .. فلماذا لا تخبرها ..؟ لماذا؟ وذهبت إليها «ماتيلدا» وابتدرتها قائلة:

ماتيلدا: طاب يومك يا جين ..

الراوي: ولم تعرفها هذه واستغربت أن تخاطبها امرأة وترفع الكلفة من دون سابق معرفة فتدمرت وأجابت قائلة:

مدام فروستيير: ولكن .. مدام .. أنا لا أعرفك .. لعلك ارتكبت خطأ ..

ماتيلدا: لا .. إنني ماتيلدا لوزال.

مدام فروستيير: (صارخة) .. أوه .. أيتها المسكينة .. كم تغيرت كثيراً ..

ماتيلدا: نعم .. لقد مررت بأيام عصبية منذ رأيتك آخر مرة وكل هذا العذاب بسببك.

مدام فروستيير: بسببي .. كيف؟

ماتيلدا: أتذكرين العقد الماسي الذي أعرتني إياه لحضور الحفلة الراقصة في الوزارة؟

مدام فروستيير: نعم .. ثم ماذا؟

ماتيلدا: لقد أضعته ..

مدام فروستيير: كيف يكون ذلك وقد أرجعته إلي ..؟

ماتيلدا: لقد أرجعت عقداً مماثلاً له .. وقضيت وزوجي عشر سنين نسدد

ثمنه .. وإنك كما تعلمين كان ذلك أمراً عسيراً على مثلنا لأننا لا

نملك نقوداً .. على كل حال .. لقد دفعنا الثمن وإنني في منتهى

السرور.

مدام فروستيير: تقولين إنك اشتريت عقداً ماسياً بدلاً من عقدي الضائع؟

ماتيلدا: نعم.. ألم تلاحظي ذلك..؟ ألم يكونا متشابهين تماماً؟

الراوي: وشفعت «ماتيلدا» إجابتها هذه بابتسامة عجب وزهو وفرحة عابرة..

وقد تأثرت مدام فروستيير جداً بما سمعت فأخذت بيدي «ماتيلدا»

وقالت:

مدام فروستيير: أوه.. أيتها المسكينة ماتيلدا.. ولكن عقدي كان من

الماس الصناعي لا يتجاوز ثمنه أكثر من خمسمائة فرنك..

## مأساة البحر

قصتنا هذه الأوسية: الرائعة الأسبانية المشهورة «مأساة البحر» للكاتب السياسي والقاص الإسباني الكبير «بلاسكو أيمايز فيسنت». ولد بلاسكو أيمايز في مدينة بلنسية في شهر يناير من عام ١٨٩٧ وتوفي في ٢٨ يناير ١٩٢٨، لم تشغله حياته السياسية ولا أهوال المنفى والتشرد الذي تعرض له عن نظم الشعر وبالتالي الانصراف بكليته للقصة فقد وضع أكثر من عشرين رواية وقصة قصيرة. ورائعة هذه الليلة مأساة البحر تكاد تكون من أحسن ما كتب.

الراوي: كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وكان السكون الشامل يغمر تلك المنطقة عندما سمعت دقات خفيفة على باب الكوخ أعقبها نداء صوت عالي شأن من يحاول أن يوقظ نائماً:

الصيد: أنطون.. أنطون.. حان الموعد.. قم.. الصيادون سارعوا إلى البحر..

أنطون: أنا قادم.. انتظر.. انتظر..

الراوي: لم يكن «أنطون» قد أخذ كفايته من النوم فقد ظل ساهراً يستمع إلى زوجه «روفينا» تجأ بالشكوى من تلك الحال السيئة التي آلت حياتهم البيئية إليها.. كانت معيشتهم في العام المنصرم على كثير من الهدوء،

وبعض من السعادة.. فقد كان البحر قليل الاضطراب مليئاً بالسماك وكان الصيادون يرجعون آخر اليوم وقد امتلأت مكاتلهم بالسماك. ولقلة عددهم كان مصير الواحد منهم يملاً جيوبه بالنقود. أما في هذا العام فقد تغيرت الحال كثيراً وليس السبب في ذلك كثرة عدد الصيادين فحسب بل أن السمك - على ما يظهر - قد حوّل طريقه إلى منطقة أخرى، واتجه وجهة منارة، فأصبح لا يمكن صياداً منه.

وكانت «روفينا» تتحدث بقلب موجه حينما أخذت تعدد ما تجمع عليهم من دين للخباز والطحان والقصاب، والبدال، ولذلك اليهودي القذر «كوهين» صاحب قوارب الصيد الذي أضحى يملك ثلثي أراضي البلدة الزراعية ومنازلها برباه الفاحش.

وعندما هب «أنطون» من نومه وشرع يرتدي ملابسه أيقظ ابنه الصغير الذي لم يتجاوز التاسعة من عمره والذي كان يرافقه دائماً ويشاركه في عمله كرجل.. وأحست «روفينا» بزوجها يوقظ ابنها فقالت:

روفينا: أرجو أن يبتسم لكما الحظ هذا اليوم، فقد طال عبوسه.. أما حكما في المطابخ شيء من الخبز (الحاف) استخلصته من الخباز بعد شجار عنيف وإلحاح قاتل، وقد تواعدنا هو الآخر.. فإن دينه عندنا قد تضخم إلى حد كبير.. يا لصيد السمك من مهنة حقيرة..

أنطون: وماذا نملك يا «روفينا» أمام حكم القدر.. لسنا ندري ولا يزعم أحد أنه يدري ماذا قسم الله له في يومه.. لقد سمعت من الذين عادوا من الشاطيء متأخرين ليلة أمس أن نوعاً كبيراً من السمك قد ظهر بكثرة قريباً من الساحل.. وأن أصغر سمكة منه لا تقل قيمتها عن جنهين..

وإني أسأل الله أن يكتب لنا التوفيق في هذا اليوم فيجعل من نصيبنا واحدة منه نفرج بثمنها كربنا ونسدد بعض ديننا . .

**الراوي:** وحمل ابن «أنطون» حقيبة الخبز وطعام السمك على ظهره وأمسك بيده الشباك واتخذ طريقهما إلى البحر يرافقهما ذلك الصياد بكر لإيقاظهما . . وأسرع الثلاثة إلى قاربهم وأصلحوا شراعه، وأقلعوا به إلى داخل البحر . . وكانت الرياح تعبث بالشراع وتدفعه بقوة فينسب القارب تحته بسرعة بالغة . . بينما كانت الأمواج تتلاطم بشدة وتحدث دويًا مزعجًا يضيف إلى ظلمة الليل وسكونه وحشة ورهبة ولولا الأنوار التي تنبعث من بعض المنازل الواقعة على الشاطئ فتنعكس على الماء وتلوح على ضوئها أشعة القوارب كأنها أطياف بيضاء تحلق في الجو ما استطاع صياد أن يخاطر بحياته ويخرج في مثل تلك الظلمة الحالكة .

واشتد تلاطم الأمواج وزفير الريح وقال رفيقه الصياد:

**الصياد:** يلوح لي من منظر الجو يا «أنطون» أن الريح ستصير عواصف .

**أنطون:** نعم أن ذلك يتراءى لي أنا الآخر . .

**الصياد:** سيضطرب البحر اليوم إذن ويشتد هياجه .

**أنطون:** ليس في ذلك بأس، وإنما علينا أن نتقدم عن الصيادين ونمضي في البعد إلى الداخل، فخير لنا وأجدى ألا يعلم إنسان ماذا كان حظنا في الصيد حتى لا يشمت بنا أو يحسدنا أحد .

**الراوي:** وأوغلوا في جوف البحر وكان لسان الصبح قد امتد إلى صفحة الكون يمحو مدار الظلام . . ولما أوشك أن يأتي عليها اصطبغ بحمرة تقدمت موكب الشمس الذي أخذ يدنو رويداً رويداً في الأرجاء ويبدد ما تخلف من ظلمات في أطراف السماء . .



كانت الشباك الملقاة في البحر لا تأتي إلا بأسمك صغيرة وكانت الساعات تنقضي سراعاً والحال لما يتبدل . . وكان قارب «أنطون» ورفيقه يتقدم في سرعة ملموسة إلى داخل البحر حتى انطمس أثر الشاطئ عن عيونهم وتراءت لهم القوارب الأخرى - من بعيد . وكأنها أسماك تسبح فوق سطح الماء . . وحينئذ قال الصياد لأنطون :

**الصياد:** من الخير أن نرجع فأكبر الظن أن السمك لن يظهر بعد، ومن الحمق والجنون أن نتوغل إلى أبعد من هذا والموج مرتفع والبحر على وشك الاضطراب .

**أنطون:** خير لنا من كلامك أن نستمتع بنصيب من الطعام . . هات يا بني غدائنا ولنعد للسمك مطلق الحرية في اختيار الوقت الذي يظهر فيه فلن تقنع إلا بملء قاربنا منه .

**الراوي:** وأخرج الغلام الخبز . . وأمسك «أنطون» بالمديّة وقسمه أقساماً متناسبة وناول كل واحد نصيبه وأعطاه بصلة ثم وضع كل منهم بصلته على حافة القارب وأهوى بقبضته عليها فتكسرت وبينما كان الغلام يعالج كسر بصلته - وأبوه وزميله يشرعان في تناول الأكل - إذا به يصيح بصوت عالٍ قائلاً :

**الغلام:** والدي: والدي . . سمك . . سمك . . كبير . . كبير . . جداً .

**الراوي:** نعم: كان هناك سمك كبير يظهر تارة ويختفي أخرى، يضرب الماء بذيله ضربات قوية وهو يدور حول القارب من ناحية إلى ناحية وقد أعجب «أنطون» هذا المنظر وتضاعف سروره به فلم يضع الوقت سدى وجهاز الشباك بالغداء المغربي للسمك ثم ألقى بها في البحر فاضطرب الماء واهتز القارب وخيل إليه أن قوة جبارة تجذب بهم بالقارب

صوب قاع البحر مما حمل الصيادين على جذب الحبل بقوة فانقطع في أيديهم بالرغم من غلظه ومتانة نسيجه . وأسف زميل «أنطون» لما حدث وفرك إحدى يديه بالأخرى وقال :

**الصيد:** إن هذا الحيوان قوي جداً يا «أنطون» ومن الأفضل أن نخلي سبيله بعد أن نجانا الله منه فقد كاد يجرننا إلى أعماق البحر . .

**أنطون:** نخلي سبيله؟ أنك لا تدري كم يبلغ ثمنه . . سنسعى لاصطياده مهما لاقينا من عنف ومشقة . .

**الراوي:** ووجه «أنطون» القارب إلى ناحية السمك فأخرج شباكاً جديدة وجهزها بالغذاء الكافي ثم ألقى بها في صوت الواثق من نجاح عمله . وأخذ الحبل ينجذب نحو الماء رويداً رويداً، ثم اشتد الجذب وأخذ القارب الصغير يتمايل ويتأرجح مع الحبل بمن فيه ثم انجذب فجأة بقوة، فاضطرب القارب، وشرع يهتز في عنف وقوة، وقَبْل أن يعد الصيادون للأمر عدته فوجئوا بانقلاب القارب في ناحية السمك وما هي إلا ثواني معدودة حتى اعتدل القارب بعد أن أغترف من الماء ما ملأه إلى نصفه، وكاد «أنطون» يذهب مع الموج طعمة للأسماك . . وانقطع حبل الشباك مرة أخرى ولكن لاحت لهم سمكة كبيرة طافية على سطح الماء كأنها قارب يوشك أن يغرق فنزع «أنطون» المدية من خاصرته وطعن بها السمكة عدة طعنات في حنق وغيظ ثم جذبها ووضعها في القارب بعد أن أفرغه من الماء واصطبغت جوانبه وصفحة الماء من حويله بالدماء التي تفجرت غزيرة من طعنات السمك بالسكين . ولما انتهى «انطون» من هذا العمل فاض وجهه بشراً وسروراً ورمى القارب بنظرة فاحصة فرأى زميله واقفاً وقد تسمر في مكانه وعلت وجهه صفرة الأموات وهو يقول بصوت ضعيف :

**الصيد:** لقد شربت مقداراً من ماء البحر وأكاد أفقد كل أمل لي في الحياة..

**أنطون:** لا عليك من بأس.. أين الولد.. أين الولد؟ إنني لا أراه. لقد كان هنا منذ قليل. الولد.. إنه لا يظهر على القارب.. إنني لم أراه منذ نشبت المعركة بيننا وبين السمكة، وكدنا نهوي إلى القاع.

**الراوي:** وفتش «أنطون» في جوف القارب من جميع أركانه ولما لم يعثر لابنه على أثر، أقرب من زميله وجذبه من طوقه بقوة وقال له في صوت أشبه بضجيج الأفعى:

**أنطون:** ابني.. حياتي.. روعي..

**الراوي:** وهز رفيقه رأسه في أسى وحسرة، وأيقن «أنطون» أن ابنه قد سقط ولا شك في قاع البحر حيث لا نجاة ولا خلاص. ولاح لهما عن بعد شيء يطفو على سطح الماء فاعتقد «أنطون» أن ابنه يصارع الأمواج ويغالب الموت.. وانطلق إليه انطلاق السهم إلى الرمية.. وأخذ يدافع المياه المضطربة بقوة جبارة بينما اشتغل زميله بإصلاح الشراع وتحويل القارب إلى الناحية التي سبح نحوها وجعل كل منهما يجد فيما هو فيه إلى أن وصل «أنطون» أخيراً - بعد تعب وجهد. إلى الشيء الذي يطفو فإذا به قطعة من خشب مجداف مكسور تعبت به الأمواج. ولا تسل عن «أنطون» وحزنه وأخذ «أنطون» يطفو سابحاً في أرجاء المنطقة التي طاردوا فيها السمك وهو يتحسس بيديه ورجليه تحت سطح الماء عساه يلمس إحدى يدي ابنه أو رجليه الناعمتين ولكن هذا العمل لم يجده نفعاً فأصر على البقاء في الماء إلى أن يجد ابنه أو يهلك دون ذلك ولاحقه زميله الصيد وأخذ يتوسل إليه ألا يدع سلطان الحزن

يسيطر على قلبه وطفق يذكره بمصرع آبائهم وأجدادهم الصيادين الذين تقرر مصيرهم في هذا البحر وما زال به حتى لان جانبه وأخذه بيده وهياً له مكاناً فوق السمك الذي ازدحم به جوف القارب وأنساب القارب إلى الشاطئ في سرعة وأخذت القرية تلوح من بعد بمنازلها البيضاء.. وقد حرّك شيخ القرية أشجان «أنطون» فجعل يتأوه في جزع ويقول:

**أنطون:** كيف تتلقى «روغينا» المسكينة ذلك النبأ الأليم؟ ماذا ستقول تلك الأم الثكلى؟ يا لها من منكودة سيئة الطالع؟ ماذا أصنع عندما أقابلها وليس معي وحيدها.. وماذا أجيبها عندما تسألني عن ابنها؟ لا أستطيع أن أتصور كيف أقابلها؟

**الراوي:** وجعل أنطون يكرر هذه العبارة الأخيرة في حركات هسترية بينما كانت أنغام «الفالس» تنبعث من حدائق القصور المطلة على البحر ومن «شاليهات» المصطافين المنتشرين على الشاطئ يتذوقون أقاويل السعادة تحت النخيل على الساحل وفي جوف المظلات الحريرية والتبلية المتناثرة هنا وهناك والكل في شغل بأنفسهم لا يحسون بمن حولهم من الصيادين الذين تذوب نفوسهم مرارة وأسى سعيّاً وراء شظف العيش وكفاف الرزق.

وتجمع الصيادون على الشاطئ ينتظرون في لهفة ذلك القارب الذي توغل داخل البحر بقيادة «انطون» ليقفوا على مقدار الغنيمة، ولكن «أنطون» لم يحس بهم بل كان بصره عالقاً بسيدة سمراء طويلة وقفت بجوار حجر قريب من الماء ونظرها لا يتحول عن قاربهم وهو يدنو من الشاطئ. إنها «روفينا» تنتظر عودة ابنها وزوجها. ورسا القارب وهرع الصيادون إليه ليروا مقدار ما حمل من السمك وأخذوا يتطلعون إليه بعين ملؤها الحقد والحسد

يتغامسون في الماء حول القارب ليلمسوا بأيديهم ذيل السمكة الذي لم تسبق لهم رؤية مثله . .

واقتربت «روفينا» من القارب . . وتلفتت يمناً ويسرة وأمعنت النظر فلما لم تر ابنها ارتاعت وصاحت قائلة :

روفينا: أين الولد يا «أنطون» أين ابننا الوحيد؟ لم أره معك؟ أجبني أين هو؟

الراوي: وأنفجر «أنطون» باكياً . . ولم يستطع أن ينظر إليها حتى خيل بمن يراه أنه يفضل لو أن البحر ابتلعه هو أيضاً ولا يرى نظرة «روفينا» الخائرة ولهفتها الجارفة . . وعادت «روفينا» . سؤالها في مزيد من اللوعة :

روفينا: كيف سولت لك نفسك أن تعود بدونه إن حياً وإن ميتاً؟ ألا تسمع؟ قل لي أين تركت الولد؟

الراوي: ولما أحست «روفينا» بالنهاية التي صار إليها ابنها، رفعت يديها إلى السماء وصرخت صرخة عالية مدوية روعت جميع الواقفين وقالت:  
روفينا: إبنى غرق . . وحيدى . . حبيبي . . ألهمني الصبر يا رب الصبر . .  
الصبر . . يا إلهي . .

أنطون: نعم يا «روفينا» لقد غرق وحيدنا إنه الآن يرقد حيث رقد آباؤنا وأجدادنا من قبل وسنرقد نحن حيث رقد هو . . البحر . . البحر . . يا «روفينا» فيه تربينا ومن خيراته نسترزق . . وفي قاعته أخيراً نشوى . . ومن ذا يستطيع يا زوجتي أن يدفع القضاء أو يغلب القدر . .

الراوي: بينما كان الصيادون ونسائهم منصرفين إلى مواسة «أنطون» وزوجته «وقف إلى جوارهم قريباً منهم زميله في تلك الرحلة يتحدث - إلى

الصبيان، ومن قست قلوبهم من زملائهم الصيادين - في نشوة من الفرح والسرور عن الغنيمة التي وقعت في شباكهم وحسب بالأرقام - كأن لم يكن في الأمر شيء غير عادي مقدار ما سيعود عليه من الربح في هذا الصيد الثمين، وصوت «روفينا» المسكينة كان لا يزال صدها يقرع الأسماع ويذيب أقسى القلوب والمصطافون على الشاطئ، وبعيد عن المرسى ينعمون بألوان النعيم كأنهم لم يروا ولم يسمعوا أن مأساة وقعت بين سمعهم وأبصارهم، فقوضت أركان كوخ وحطمت قلوب أسرة كانت نعمات (الفالس) توزع السرور هنا وهناك تنقسم بين أسماعهم وبين صراخ «روفينا» عجباً وألماً، وكانت أشعة الشمس الحمراء تصافح صفحة الماء التي طلت على مسرحية تلك المأساة..

## الفرسان الثلاثة

### الكونت دي مونت كريستو

**الراوي:** قصتنا هذه الأملسية «الكونت دي مونت كريستو» لسيد القصاصين الفرنسيين «ألكسندر دوماس» الأب وهي قصة واقعية وليست من نسج الخيال كما أثبتت الدراسات الحديثة لهذه القصة. . اقتبسها دوماس من محاضر البوليس وأدخل عليها تعديلات جعلها تحفة أدبية طريفة.

**الراوي:** ونحن في عرضنا لهذه القصة نحاول الجمع بين ما كتب دوماس وما جاء في محاضر البوليس وفي نهاية القصة نعلم على ما دون في سجلات البوليس.

ولد ألكسندر دوماس في ٢٤ يوليو ١٨٠٢م من أم زنجية أصلها من جزيرة «سان دومنجو» في البحر الكاريبي وتوفي في ٥ ديسمبر ١٨٧٠م.

ألف إسكندر دوماس الأب حوالي (٣٦٠) قصة ورواية ولعل أشهر رواياته هي (الفرسان الثلاثة) ورائعة هذه الأملسية - الكونت دي مونت كريستو - التي وضعها في أواخر سنة ١٨٤٣م.

**الراوي:** في سنة ١٨٠٧م كان يعيش في باريس صانع أحذية يدعى «فرانسوا

بيكو» وكان بيكو على وشك أن يتزوج من الفتاة الحسنة «مرجريت فيجوروا» التي كانت تملك ثروة تقدر بمائة ألف فرنك ولكنه - لسوء حظه - كان له في حبه مزاحم عنيد هو «ماتيو لوبيان» صاحب قهوة مجاورة له، وكان لوبيان هذا أرملاً فعزم على اتخاذ «مرجريت» زوجة له . . . وكان لا بد له من التخلص من «بيكو» للوصول إلى هذه الغاية. فأرسل إلى مدير البوليس في عهد نابليون بلاغاً غفلاً من الإمضاء يتهم فيه غريمه بأنه يتآمر على سلامة الدولة. وقبل الزواج بيومين اختطف البوليس «بيكو» المسكين ولم يعد أحد يسمع عنه شيئاً منذ ذلك الوقت.

ودخل بيكو السجن . . وفي السجن تعرف إلى راهب يدعى «فارينا» فتوثقت عرى الصداقة بين السجينين وكان هذا الراهب ينتمي إلى أسرة غنية . . وقد أدخل إلى السجن بتهمة سياسية، وتنكر له أفرابه فنقم عليهم وحينما مرض في السجن وأحس بدنو أجله استدعى صديقه «بيكو» إليه واسر إليه قائلاً:

الراهب فارينا: يا صديقي «بيكو»!! لقد بقيت خفقة في سراج حياتي سيلفظها عما قليل . . وإني . . وأنا أودع أيامي أبوح إليك بهذا السر .

فرانسو بيكو: قل يا صديقي فسرك في أمان.

الراهب: يوجد كنز مخبئ في جزيرة صغيرة على الساحل الشمالي الغربي لفرنسا، هذه خريطة . . فامض إليه فما فيه يقدر بثلاثة عشر مليون فرنك . . فأنعم به يا صديقي وترحم علي وصل من أجلي . .

الراوي: ثم فاضت روح الراهب إلى بارئها . . وهرب «فرانسوا بيكو» من سجنه وحصل على الكنز الثمين فكان أول عمل قام به هو النزوح



إلى الريف الفرنسي وتغيير اسمه من «فرانسوا بيكو» إلى - جوزيف لوشير - وبعد أن تم له ذلك عاد إلى باريس وقد تحجر قلبه وأصبح أقسى من الصخر، ولم يبق في صدره غير رغبة واحدة هي الانتقام. وغير عاطفة واحدة هي حب «مرجريت فيجورو» ذلك الحب الذي لا يفنى ولا يموت - ولكن شيئاً واحداً كان يحز في نفسه . . إنه يجهل الأسباب التي من أجلها قبض عليه وسجن ويجهل أيضاً من الذي دس عليه وأوقعه في تلك الورطة . . بيد أنه صمم على أن يمزق الستار عن ذلك السر بفضل المال الكثير الذي يملكه فتنكر وعاد إلى باريس إلى الحي الذي عاش فيه . . وعاشت فيه حبه الأول «مرجريت» . . فلم يعرفه أحد ولكنه عرف الجميع فراح يسأل ويستقصي الأخبار . . ورأى في الزقاق الذي كان يعيش فيه زبالاً فحياه ودار بينهما الحديث التالي:

لوشير: بونجور . .

الزبال: بونجور مسيو . هل من خدمة . . ؟

لوشير: أتعرف منزل «فرانسوا بيكو» . ؟

الزبال: لقد سمعت أنه سجن ومات في سجنه وأن مسيو «لوبيان» تزوج من خطيبته مرجريت . .

لوشير: شكراً . . شكراً . .

الراوي: وانصرف «لوشير» بعد أن نفح الزبال بضعة فرنكات وشرع يمسك بطرف الخيط الذي أعطاه إياه الزبال . . واستطاع في فترة وجيزة أن يعلم أن «لوبيان» هو الذي وشى به ليتزوج الفتاة التي كان يحبها وأنه رزق منها بولدين وأصبح غنياً وملاكاً وأن رجلاً يدعى «الوث» يعرف

كل شيء عن المأساة التي حلت به .

فشد «لوشير» الرحال إلى حيث يقيم «الوث» عسى أن يطلعه على ما حدث بالتفصيل وليأخذ ثمناً لمعلوماته ما يشاء . . أليس «لوشير» من كبار الأغنياء . . ألا يسعى للانتقام بقوة المال . . فتنكر في زيّ كاهن وقصد إلى منزل «الوث» وقصّ عليه ما يلي :

لوشير: كنت كاهناً في سجن «فينستريل» فعرفت هناك رجلاً يدعى «فرانسوا بيكو» وقد أقسم لي أنه بريء من التهم التي حكم عليه من أجلها . . ثم مات المسكين وهو يردد لي اسمك . . ويؤكد لي أنك رجل طيب، نزيه وصادق وأنك ستساعدني على معرفة أولئك الذين وشوا به وكانوا سبب شقائه وغرضي الوحيد أن أعرف أسماءهم فأكتبها في ورقة وأحمل الورقة إلى مدافن السجن وأضعها في التابوت مع رفات صديقك «فرانسوا بيكو» عملاً بوصيته الأخيرة . .

الراوي: وانطلت الحيلة على «الوث» فراح يثني على صديقه «فرانسوا بيكو» ويعدد مناقبه ومآثره . . وواصل «لوشير» حديثه قائلاً :

لوشير: لقد أعطاني «بيكو» قبل موته قطعة من الماس تساوي خمسين ألف فرنك على أقل تقدير وأوصاني أن أضع هذه الجوهرة الثمينة بين يديك هدية وتذكيراً منه مقابل الخدمة التي ستقدمها لي بإعطائي أسماء أعدائه .

الراوي: وأخرج لوشير من جيبه الماسة الوهاجة، فما أن رآها «الوث» حتى انطلق لسانه من عقاله فقال :

الوث: مسكين «بيكو» أسمع إن الذي دبر المكيدة كلها هو «لوبيان» لأنه كان يريد انتزاع «مرجريت» من «بيكو» لقد عرض علي أن أشارك معه في

ذلك فرفضت لأنني كنت أحب «بيكو».

لوشير: ومن اشترك معه إذن؟

الوث: «جرفيه شوبار» خادم البقال.

لوشير: ومن أيضاً؟

الوث: سولاري بائع القبعات. (وسأل لوشير - ومن أيضاً؟) .

الوث: لم يشترك في الدسيصة غير هؤلاء الثلاثة. . أين الماسة يا حضرة الكاهن؟

الراوي: ودفع «لوشير» الماسة إلى «الوث» بعد أن حصل منه على ما يريد وقفل راجعاً إلى باريس، أما «الوث» فباع الماسة إلى تاجر مجوهرات بمبلغ (٦٥) ألف فرنك قبض منها (٥٥) ألف فرنك واشترى بالباقي منزلاً جميلاً في الريف. . على أنه عندما علم أن تاجر المجوهرات باع الماسة بمائة وسبعة آلاف فرنك ثار ثائره وأسرع إليه يطالبه بمبلغ آخر فرفض التاجر وقامت مشاحنة بين الاثنين استل على أثرها «الوث» خنجره وأغمده في صدر التاجر وهرب خارج فرنسا. . أما لوشير. . فقد انطلق يبحث عن الشركاء الثلاثة للانتقام منهم واحداً بعد الآخر.

وفي صباح ذات يوم دخلت إلى قهوة لوبيان كونتيسة عجوز ومعها «لوشير» فاستقبلهما «لوبيان» بكل احترام وبعد أن تناولت القهوة استدعت (لوبيان) وقالت له:

الكونتيسة: مسيو «لوبيان» لقد ربيت هذا الشاب حتى كبر، والآن يطلب مني في إلحاح فتح مقهى. . وقد رأيت قبل تلبية طلبه أن يتمرن في مقهى محترم كمقهاك. . فهل تقبل ذلك مسيو «لوبيان»؟ .

لوبيان: بكل سرور يا سيدتي الكونتيسة.

الكونتيسة: شكراً مسيو لوبيان. . سأدفع لك (٢٠٠) فرنك أسبوعياً مقابل تمرينه. أرجوك العناية به.

لوبيان: مرسى. . مرسى. . سيدتي الكونتيسة. . إنه سيعامل المعاملة اللائقة به.

الكونتيسة: أورفوارة. . أورفوارة. .

الراوي: وانتظم «لوشير» أو «بيكو» عمله كخادم في المقهى وأظهر من النشاط والإخلاص ما جعله موضع ثقة «لوبيان» وجاءت مرجريت فيجور زوجة «لوبيان» وحب «بيكو» الأول إلى المقهى ذات مساء فتلقاها «لوشير» وما أن رأته حتى تسمرت في مكانها وهي تقول:

مرجريت: رباه! إنه هو! يا إلهي!! هل أنا في حلم؟

الراوي: وأقترب منها «لوشير» وسألها في أدب واحترام:

لوشير: سيدتي هل من خدمة أقوم بها. .؟ إن المسيو لوبيان غير موجود الآن.

مرجريت: أنت. . أنت. . لا. . لا. . من أنت؟

لوشير: إنني «لوشير» يا سيدتي خادم المقهى الجديد. . أراك مضطربة يا سيدتي. . هل تشكين من شيء؟

مرجريت: لا. . لا شيء. . إنما وجدتك تشبه شخصاً عزيزاً علي جداً سجن ظلماً وعدواناً. . ومات في سجنه. .

لوشير: إنك تبكينه يا سيدتي. . هل هو عزيز بهذا القدر عليك؟

مرجريت: لقد كان أغلى من نفسي علي.

لوشير: ولكنك تزوجت من سيدي «لوبيان».

مرجريت: نعم: تزوجت «لوبيان» بعد أن تأكدت من موت (فرانسوا بيكو) كي أستر شرفي وعرضي ..

لوشير: يا للبلبل! يا للشرف.

الراوي: وجاء شوبار وسولاري شركاء «لوبيان» في الجريمة للسلام على «مرجريت» فانصرف «لوشير» إلى مزاوله عمله وقلبه يتفطر حسرة وأسى .. لقد كادت دموع «مرجريت» تفضح أمره وتكتشف سره ولكن قوة الحقد وشهوة الانتقام المتأصلة في نفسه حالت دون ذلك وكان شوبار وسولاري يقضيان السهرة كل ليلة في قهوة صديقهما «لوبيان» يلعبان «الدومينو» وكانت عينا «لوشير» تراقبهما في دقة وحذر تترصدان الفرصة للانتقام.

وبعد إغلاق المقهى تبعهما «لوشير» عن بعد حتى إذا ما تفرقا كل إلى منزله لحق «لوشير» «بشوبار» وفي إحدى الأزقة المظلمة أمسك به وقال له:

لوشير: شوبار.. أتذكر (فرانسوا بيكو) ..

شوبار: من أنت؟ أنت فرانسوا بيكو.. لقد قيل إنك مت في سجنك ..

لوشير: لقد بعثت حياً لأنتقم منك أيها الخائن اللئيم.

شوبار: سامحني يا فرانسوا.. لقد غشني لوبيان.. وخذعني.. أرحمني أنا مظلوم.. مظلوم..

لوشير: لا أبقاني الله إن أبقيتك.. خذ..

شوبار: آه.. آه.. آه.. قتلتني لا رحمتك الله..

## الذبابة

رائعتنا هذه الأسمية: «الذبابة» أو «القضاء والقدر» بقلم الروائي الأديب الإيطالي لويجي بيراندلو والفائز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٣٤ على هذه الرائعة. ولد لويجي بيراندلو عام ١٨٦٧ وتوفي عام ١٩٣٦ مشهور برواياته ومسرحياته.

الراوي: أخذ الشابان يتسلقان في خفة حافة الهضبة الموصلة للقرية وكانت شديدة الانحدار وما كادا يصلان قممها حتى وجدا سرباً من الفتيات الفلاحات تجتمعن حول البئر هناك.. وما أن رأيا الشابين حتى قالت إحداهما للأخرى:

الفتاة (١): أظن أن الشابين هما الأخوان تور توريتش..

الفتاة (٢): هما بعينهما: نلي، وساروتور توريتش..

الفتاة (١): ما هو يا ترى السبب الذي جعل هذين الأخوين يغدان السير إلى القرية بمثل هذه السرعة الجنونية..

الفتاة (٢): سأسأله..

نلي.. نلي.. ماذا أصابكما حتى تمشيان بهذه السرعة اليائسة.

نلي: الأمر يتعلق بابن عمنا «لانو»..

الفتاة (١): من الذي اعتدى عليه؟

الراوي: وقبل أن يجيب على سؤالها كان أخوه «سارو» قد سحبه من يده ومضيا يغذان في سيرهما إلى طبيب القرية «سيدرو» وكان كهلاً أكلته السنون فسلما عليه.. فسألهما:

الطبيب: ماذا تريدان؟

سارو: سيدي الدكتور.. إن المريض.. شاب مسكين هو ابن عمنا.. وقد بات قاب قوسين أو أدنى من الموت..

الطبيب: يا له من شاب محظوظ.. وهل قرعت الأجراس تنبئ بوفاته؟

سارو: كلا. إنه يعاني سكرات الموت.. وكان مرضه فجائياً وهو موجود في مزرعة «مونتيلوزا» مستلقياً في أحد الاسطبلات.

الطبيب: يا إلهي.. مزرعة «مونتيلوزا» إنها تبعد سبعة أميال وطريقها وعراً جداً..

سارو: نعم يا دكتور ولكنني أرجوك أن تذهب معنا فقد تورّم جسم مريضنا وانتفخ وتغير لونه وأصبح أسود مربعاً كما لو كان قطعة (كبدة).. أرجوك بحق السماء..

الطبيب: (صارخاً) أو كيف يمكنني الذهاب مشياً في طريق وعراً إنه لا بد من الحصول على بغل يحملني هيا احضر البغل هيا..

سارو: وأسرع سارو لإحضار البغل أما أخوه «نلي» فقال للدكتور:

نلي: إلى أن يأتي أخي سأذهب فأحلق ذقني... اليوم هو الأحد يا سيدي وسأزف اليوم إلى الفتاة التي خطبتها..

الطبيب: إذن ستتزوج في هذا اليوم هيا أحلق وعد بسرعة..

**الراوي:** وكان (نلي) فتى جميل الصورة قوي البنية بارعاً في استعمال منجل الحصاد وفي الغناء وكانوا يطلقون عليه في القرية اسم «الشاعر» لمقدرته على ابتداء الأغاني وصوغها في الحال وكان مرحاً لا تفارق الابتسامة شفثيه . . وقص «نلي» على الحلاق حكاية مرض ابن عمه وكيف أن المرض فاجأه بينما كان نائماً في الإسطل وأنه كان متفقاً معه على أن يتزوجا سوياً في هذا اليوم وقد تأثر الحلاق من القصة حتى أنه جرح «نلي» في ذقنه ولكن الجرح كان بسيطاً ولم يجد نلي الوقت الكافي ليؤنب الحلاق في فعلته إذ ظهرت خطيبته «لورا» ومعها أمها وفتاة أخرى اسمها «لوسيا» هي خطيبة «لانو» المريض . . وما كادت ترى «نلي» حتى أجهشت في البكاء وهي تندب حظها العاثر ونلي يقول لها:

**نلي:** لا تبك «لوسيا» . . وليس من الضروري أن تذهبي لرؤية «لانو» فسأتيك به هذا المساء إلى القرية . . كوني مطمئنة . .

**لوسيا:** شكراً . . شكراً . .

**الراوي:** وجاء سارو ومعه البغل وركب الطبيب وانتهز «نلي» فرصة ركوب الطبيب فهتف في أذن خطيبته قائلاً:

**نلي:** انتظري عودتي قبل حلول الليل فلدي أشياء كثيرة جميلة سأقولها لك . .

**لورا:** سأنتظرك على أحر من الجمر - مع السلامة . . مع السلامة . .

**الراوي:** وساروا وكانت الطريق وعرة جداً . . والجو شديد الحرارة وبعد مسيرة ساعتين وصلا إلى الإسطل الذي كان «لانو» المريض يرقد فيه فوجدوا أن الورم قد ازداد حتى اختفت معالم وجه المريض وشفثاه



أصبحت سوداء غليظة وكان النفس يتردد من بينها في شهقات تشبه  
الشخير الغاضب ووقفوا الثلاثة أمام الإسطبل وكأنهم يخشون الدخول  
وأخيراً تجرأ سارو فقال:

سارو: لانو.. ها قد أتيتك بالطبيب.. أنظر.. أنظر..

الراوي: وجرت محاولات لإيقاظ «لانو».. فتوقف عن اللهاث وانفرج  
جفناه قليلاً فبدت عيناه حمراوين تحيط بهما دوائر سوداء يكاد الخوف  
يطل منهما ثم فتح فمه الكبير وأطلق أنة بصوت خفت قبل أن يخرج  
من حلقه وقال:

لانو: إنني احتضر.. أح.. تضر..

سارو: كلا.. كلا.. فهذا هو ذا الطبيب قد قدم ليراك وقد أحضرناه  
خصيصاً لمعالجتك.. فهل تراه..؟

لانو: خذ.. وني.. إلى.. القر.. ية..

الراوي: وأسرع نلي إليه وانحنى عليه وهو يقول:

نلي: أستطيع أن أحملك بين ذراعي يا لانو فلا تفقد شجاعتك لأنك  
ستشفى وتعود صحيحاً كما كنت..

الراوي: ولما سمع «لانو» صوت «نلي» استدار ببطء حتى واجهه وراح  
يحدق فيه بعينيه الحمراوين المنتفختين وبدا عليه كأنه لم يتعرف عليه  
في البداية ومد يديه وأمسك بحزام الحرير المخملي الأحمر الذي كان  
يتحزم به ابن عمه «نلي» وقال:

لانو: هالو.. أهذا.. أنت.. أيها.. العجوز..؟

نلي: نعم.. إنني نلي.. فلتكن منشرح الصدر.. ولا تبك فالأمر جد بسيط

ليس فيه ما يزعجك كثيراً فإنك ستشفى دون ريب . .

**الراوي:** ووضع «نلي» يده فوق صدر المريض الذي كان يتنهد في حركات تشنجية . . فهز «لانو» رأسه في غضب ثم مد يده فأمسك بعنق «نلي» وجذبه إليه وقال:

لانو: لقد . . كنا . . سنتزوج معاً هذا اليوم . .

نلي: ونعم وسنتزوج دون شك اليوم . .

**الراوي:** ثم أفلت «نلي» رقبته من قبضة المريض . أما الطبيب فقد ظل طيلة الوقت يرمق المريض ويدرس حالته بعناية فقد كان المرض واضحاً لديه . . إنه مرض السَّقَاوة الذي تنقله بعض ذبابات الاسطبلات وأخيراً سأل الطبيب المريض:

**الطبيب:** هل تذكر أنه قد عضتك إحدى الحشرات أمس أو قبل أمس واليوم مثلاً؟

**الراوي:** وهز «لانو» رأسه بالنفي بينما قال ابن عمه سارو في دهشة:

سارو: حشرات . . حشرات؟

**الطبيب:** نعم إن بعض الحيوانات المصابة بمرض السقاوة لا بد أنها ماتت من جراء هذا المرض وألقيت جيفتها في مكان قريب أو في حفرة حيث تجمعت عليها أعداد كبيرة من الذباب ويظهر أن واحدة من هذا النوع جاءت إلى الإسطل حيث وقعت على «لانو» وهو نائم فنقلت إليه هذا المرض المعدي . .

**الراوي:** وبينما كان الطبيب يتكلم «استدار» «لانو» بوجهه إلى الحائط . . فرأى ذبابة على الحائط المجاور كان يبدو أنها ساكنة تماماً ولكنك لو

نظرت إليها في إمعان لوجدتها تمد أحياناً خرطومها الصغير تمتص به وتمتص وأحياناً تراها تنظف يديها الأماميتين فتمسحهما معاً في اغتباط ظاهر.. وتذكر «لانو» بعدما سمع كلام الطبيب ورأى الذبابة إنه عانى كثيراً من جراء ذبابة كانت تحوم حوله طيلة - الوقت عندما كان يحاول النوم في الإسطلبل فهل هي يا ترى تلك الذبابة بعينها؟ وتابع المريض الذبابة بناظريه فرآها تطير ثم تحط على خد «نلي» ثم تمشي من الخد نحو الدقن وتستقر على الجرح الذي تركه موسى الحلاق في ذلك الصباح وراحت تمتص في نهم.. فقال بلهجة بدت وكأنها صادرة من القبر..

لانو: ذبابة.. ذبابة.. هل.. فعلت ذبابة واحدة كل.. هذا..؟

الراوي: ثم توقف المريض عن الكلام ومضى يراقب الذبابة التي لم يقم «نلي» بأي مجهود بطردها عن وجهه كان مستغرقاً في التفكير فيما يقوله الطبيب.. بينما كان «لانو» يشعر باغتباط حين رأى ابن عمه «نلي» مصغياً بكلتيه إلى ما يقوله الطبيب من دون أن يلقي بالاً للذبابة التي تمتص جرح وجهه في نهم وفكر «لانو» في أن نلي «ولورا» سيتزوجان.. وتحركت فيه مشاعر الحسد والحقد لرؤية مظاهر الصحة وعافية الشباب تتألق في وجه ابن عمه «نلي».. تلك العافية.. تلك الحياة التي سيغادرها هو فجأة ولم يزل في ريعان شبابه.

ومضى بعض الوقت قبل أن يشعر «نلي» بأن شيئاً يعضه فرفع يده وكش الذبابة عن وجهه ثم راح يعصر جرح ذقنه وتطلع إلى «لانو» فرآه يحدق النظر إليه وقد علت وجهه المشرف على الموت ابتسامة وحشية ثم التفت نظراتهما برهة قصيرة فقال «لانو»..

لانو: الذبابة.. الذبابة..

نلي: ماذا تقول؟

لانو: الذ.. با.. به.. الذ.. با.. به..

نلي: (في رعب) أي ذبابة.. وأين..؟

الراوي: وضحك «لانو» في فتور واستهزاء مخيفين ثم قال:

لانو: كانت.. هناك.. حيث.. تمسح.. ذقنك.. وإنني.. واثق..

إنها.. هي تلك.. الذ.. با.. به.. بعينها..

الراوي: وأشار «نلي» إلى الجرح في ذقنه وقال للطبيب:

نلي: إن الجرح يؤلمني يا دكتور.. فما الذي جرى؟

الراوي: وأخذ الطبيب «نلي» إلى خارج الإسطبل لكي يتسنى له رؤية الجرح

بوضوح وتبعه سارو.. وبقي «لانو» المريض ينتظر في قلق بينما كان

جسده يتشنج بأجمعه ثم سمع أصواتاً تتردد في الخارج ورأى «سارو»

يدخل الإسطبل فجأه ومن دون أن يلقي نظرة واحدة على المريض فك

البغل من رباطه واندفع به إلى الخارج وهو يقول في ألم:

سارو: يا إلهي.. نلي.. أخي.. نلي.. أخي المسكين.. رحماك يا

رباه..

الراوي: وأدرك.. «لانو» أن «نلي» قد أصابته العدوى وأنهم تركوه وحده

ليموت في الإسطبل كالكلب الشارد فحاول أن يرفع نفسه قليلاً متكئاً

على كوعيه ثم نادى:

لانو: سارو.. سارو..

الراوي: ولم يكن هناك من مجيب فتهافت المريض على الأرض وأخفى

وجهه بين القش لكيلا يدرك مدى الصمت المخيف الذي ران على

المكان.. وطافت في ذهنه فجأة شكوك بأن كل ما جرى لم يكن سوى كابوس مزعج بسبب الحمى الفظيعة التي تملكته.. ثم استدار مرة أخرى نحو الحائط فرأى الذبابة في نفس المكان الذي شاهدها فيه لأول مرة تمد أحياناً خرطومها الصغير لتمتص وأحياناً تنظف يديها الأماميتين فتمسحهما معاً في اغتباط فأدرك أن ما جرى حقيقة لا حلاً أو خيلاً..

## كسرة الخبز

رائعتنا هذه الأمسية: (كسرة الخبز) للشاعر والروائي الفرنسي الشهير فرانسوا كوبيه. ولد فرانسوا كوبيه عام ١٨٤٢ وتوفي عام ١٩٠٨م. . .  
اشتهرت رواياته بالبساطة وصدق التعبير وقوة العاطفة وقصتنا هذه الليلة في قمة ما كتب.

الراوي: كان الدوق الفتى «دي هارد مورد» مقيماً في مدينة (أكس) حيث يعالج فرسه الشهير مما أصابه من الرطوبة في سباق (دربي) عندما قرأ في الصحف نبأ كارثة (ويشهوفا) التي انهزم فيها الفرنسيون أمام الألمان فغار الدم في عروقه والتفت إلى خادمه قائلاً:

هارد موندا: جاك. . جاك. . هيا حقايب السفر وأعد كل شيء لسفري إلى باريس.

جاك: أمرك سيدي. .

الراوي: ووصل (هارد موندا) إلى باريس وأسرع إلى إدارة التجنيد وانخرط متطوعاً في سلك الجنود المتطوعين الذاهبين إلى ميدان القتال وعهد إليه بالحراسة أمام حصن (هوت بروبير). . وفي ليلة من ليالي الشتاء القارسة تكاثفت فيها الغيوم القائمة وأظهرت الطبيعة ما لديها من ضروب النعمة والغضب وكان الظلام حالكاً بحيث لم يكن يرى فيه

قبس من نور إلا في الفترات التي تنطلق فيها قذائف العدو على الحصن الذي يحرسه (هارد موند) في تلك الليلة شعر هذا بالبرد والجوع وظل يرتجف حتى انتهت (دوريته) فسلم الحراسة إلى زميله الذي قال له :

الزميل: يا حسن حظك يا (هارد موند).. لقد انتهت حراستك قبل أن ينتصف الليل ويشتد الزمهير فاذكرني وأنت تستدفيء .

هارد موند: (ضاحكاً) استدفيء.. هيه.. هيه.. رحم الله أيام الدفء والفراش الوثير والليالي الضاحكة.. طاب مساؤك أيها الزميل العزيز..

الزميل: طاب مساؤك..

الراوي: واتخذ (هارد موند) جانباً من الحصن وجثا على إحدى ركبتيه وفتح جعبته وأخرج منها قطعة كبيرة من الخبز ولم يجد سكيناً يقطعها بها فقضمها بأسنانه وكانت يابسة.. مرة المذاق.. فاكتفى بلقيمات قليلة تبلغ بها ثم ألقى مشمئزاً بقطعة الخبز الباقية في الوحل.. ولم يره إلا جندي من جنود فصيلته يخرج مسرعاً من أحد الأركان القريبة فيلتقط كسرة الخبز ويسير بها بضع خطوات ثم يمسحها بردائه ويقبل على أكلها في شراهة ونهم عجيبين فقال هارد موند في نفسه..

هارد موند: يا لله هل هناك بين زملائي من الجنود من هم بهذه الحال من البؤس.. كيف يستطيعون الدفاع عن بلادهم وعدوهم الجوع يغتالهم من الداخل..

الراوي: ثم دنا (هارد موند) من الجندي ونظر إليه نظرة إشفاق وعطف فرآه

طويل القامة نحيف الجسم محمر العينين . . أشعث اللحية يبدو على  
سيماه أنه خارج من المستشفى وقد كادت تبرز عظامه من ثيابه فخاطبه  
(هارد موند) قائلاً :

هارد موند: أجاجع أنت أيها الرفيق .

الجندي: ألا يكفيك ما تراه دليلاً على ذلك . .

هارد موند: عذراً يا صديقي . . فلو علمت أنك شديد الجوع إلى هذا الحد  
لما ألقيت بكسرة الخبز في الأوحال . .

الجندي: لا عليك في ذلك فقد تعودت مثل هذا . . وليس يضير كسرة الخبز  
إن ألقيت في الوحل فهي لا تزال طعاماً صالحاً لا أشعر بأي اشمئزاز  
من أكله .

هارد موند: كيفما كان الأمر فقد اخطأت وشعرت بأن ضميري يؤنبني على  
ما فعلت ورجائي إليك ألا تسيء بي الظن وأن تتفضل علي في أن  
تشاركني في شرب قدح من الشاي في (كانتين) الحصن . .

الراوي: وكان الجندي قد التهم كسرة الخبز كلها . . فشاركه في شرب  
الشاي مبتهجاً مسروراً ثم سأله :

الجندي: ما اسمك أيها الرفيق المحسن؟

هارد موند: اسمي (هارد موند) فما اسمك أنت؟

الجندي: جان فكتور . . وقد ألحقوني بهذه الفصيلة بعد أن خرجت من  
المستشفى المتنقل وكنت قد أصبت في معركة (شاتلون) . . آه كم كنت  
مرتاحاً يا صاحبي في المستشفى بما يقدمه لي الممرض من حساء  
شههي ولحم خيل لذيذ . . وقد كانت إصابتي بسيطة فشفيت منها



سريعاً.. وأمر الممرض بإخراجي.. له الله فقد حرمني تلك المآكل الطيبة اللذيذة.. وها أنذا أبدأ حياة الجوع من جديد.. صدقني يا أخي إنني قضيت حياتي كلها جائعاً..

الراوي: وتألّم (هارد موند) الشاب المترف من العبارة الأخيرة التي تفوه بها (جان فيكتور) فشخص إليه ورائت على محياه إمارات الألم والحزن فابتسم جان ابتسامة المتألّم أيضاً وظهرت - في انفراج شفثيه - أسنان بيضاء في وجه معبس قاتم تدل على أن صاحبه يريد أن يفض إليه بمكنون أمره ولم يلبث أن قال:

فكتور: هيا بنا يا صديقي نمشي في الطريق لندفء أقدامنا.. وسأقص عليك ما لم تألف أذنك سماعه طول عمرك.. قلت لك إن اسمي (جان فكتور) ولم أزد فليس لي لقب آخر لأنني لقيط.. ولعلّ أشهى ذكرى تهش إليها نفسي هي أيام طفولتي الأولى بملجأ اللقطاء..

هارد موند: قل يا للمسكين.

فكتور: وعندما بلغت الثانية عشرة من العمر بدأت أشعر بشقاء الحياة ومرارتها فقد رأت إدارة المستشفى أن تعلمني صناعة فأسلمتني إلى صانع كراسي كان هو وزوجته مثلاً عجباً للشح والتقتير بالإضافة إلى الوجه العبوس.. كانا في كل مرة يقدمان لي كسرة من الخبز لا تسمن ولا تغنى من جوع ثم يودعان الرغيف في صندوقهما بعد أن يحكما رتاجه..

هارد موند: يا لله أتوجد في الكون قلوب بهذه القسوة..

فكتور: وظللت على هذه الحال ثلاث سنوات لم أطمع فيها غذاء كاملاً ولم أشعر خلالها بلذة الشبع مرة واحدة.. آه يا سيدي لقد أدهشتك

إنني تناولت كسرة من الخبز من بين الأوحال . . إذن فاعلم إنني طالما  
تعودت التقاط فتات الخبز الذي آكله من صندوق القمامات . . ولكن  
ظفرت بكسرة يابسة من الخبز فوضعتها في وعاء مملوء بالماء طول  
الليل ليسهل علي أن أكلها .

هارد موند: يا ما تحملت من شقاء وتعرضت لآلام يا صديقي . .

فكتور: ولما انتهت مدة دراستي ولم تكن صناعتي كافية لجلب القوت  
الضروري تركتها وعملت مع البنائين ثم عملت مساح أحذية ثم  
انقطعت عن العمل أحياناً . . وأنا في طول هذه الأعوام لا أكاد أظفر  
بما يكفيني من القوت .

هارد موند: لقد قطعت نياط قلبي يا صديقي آلامك وأحزانك . .

فكتور: وما كدت أصل الثامنة عشرة من عمري حتى سلكوني في عداد  
الجند وقد كانت هذه فرصة لي أن أشبع ولكن سوء حظي أبي علي أن  
تدوم هذه النعمة الطويلة . . فقد حوصر جيشنا وهزم وحلت بنا  
المجاعة كما ترني واضطرت إلى التقاط الخبز من الوحل مرة  
أخرى . .

هارد موند: استمع إلي يا جان . . كن على ثقة إننا إذا عدنا من الحرب  
سالمين ولم تخترنا المنون فسنلتقي معاً وسأغنيك بقية حياتك . . على  
أنني أستطيع أن أقاسمك من اليوم نصيبي من الخبز فإنهم يعطونني منه  
ضعف ما أنا في حاجة إليه . . وسنعيش معاً صديقين متعاهدين على  
الوفاء . . هات يدك يا صديقي . .

الراوي: ثم صافحه هارد موند بحرارة . . وما كاد يجن الليل حتى أعياهما  
الجهد والقتال فذهبا إلى (القاوش) الكبير وناما على كومة من القش

واستسلما لنوم عميق.. ولما انتصف الليل استيقظ جان فيكتور وحده وأغلب الظن أنه شعر بالجوع وكان الهواء قد بدد الغيوم وأرسل من الأفق شعاع القمر التي اخترق ثغرة كانت في سطح (القاووش) فأضاء وجه الدوق الفتى الجميل.. فظل جان فيكتور ينظر إلى رفيقه الكريم نظرات إعجاب وتقدير.. وإنه لذلك.. إذ فتح الضابط الباب ليدعو الجنود الخمسة الذين حقت عليهم نوبة الحراسة في تلك الليلة وكان الدوق أحد هؤلاء الخمسة فلم يستيقظ عندما نطق الضابط باسمه فقال جان فكتور للضابط:

فكتور: اسمح يا سيدي أن أحل مكانه وأن أقوم بواجبه في هذه الليلة..  
فأنا صديقه ويسرني أن ينال قسطاً وافراً من النوم.

الراوي: فلم ير الضابط بأساً في ذلك فأخذ جان فيكتور مع الجنود الخمسة المخصصين للحراسة في تلك الليلة.. ثم نام الباقون ومرت نصف ساعة.. فدوت طلقات النار دويماً شديداً على مسافة قريبة فاستيقظ الجنود النائمون وساروا حذرين متأهبين للقتال وقد وضعوا أصابعهم على محركات بنادقهم وسأل (هاردموند) رفاقه:

هاردموند: كم الساعة الآن؟ لقد كانت نوبة الحراسة علي في هذه الليلة..

أحدهم: لقد تطوع جان فكتور بالنيابة عنك.

الراوي: وما كاد يتم هذا كلامه حتى جاء جندي يعدوا عدواً شديداً ووقف أمام الجنود وهو يلهث من التعب فسأله هاردموند:

هاردموند: ماذا حدث؟ ما هذه الطلقات التي سمعناها..

الجندي: أسرعوا بالفرار.. فقد هجم علينا العدو وليس أمامنا إلا أن نتقهقر بسرعة.

هارد موند: ماذا حل بزملائنا الجنود الخمسة الذين أنيطت بهم الحراسة؟

الجندي: لقد نجوا جميعاً ما عدا فكتور.

الراوي: فصرخ هاردموند مذعوراً وقال:

هاردموند: وماذا حدث لفكتور؟

الجندي: اخترقت رصاصة العدو رأسه فخر صريعاً في الحال.

الراوي: وحزن هاردموند على صديقه.. وخيم الصلح على ربوع فرنسا

وعادت الأمور إلى مجراها الطبيعي.. وعاد هاردموند إلى سابق أيامه

وحياته المترفة بعد أن وضعت الحرب أوزارها.. وفي ليلة من ليالي

الشتاء كان الدوق دي هاردموند خارجاً مع جاره الكونت (دي سولن)

من أحد النوادي فقال له:

الكونت: هل لك يا صديقي دي هاردموند أن نعود إلى منزلنا سائرين على

الأقدام فإنني أشعر بحاجة إلى استنشاق الهواء.

هاردموند: كما تريد يا عزيزي.. فالطريق معبدة وسهلة.

الراوي: وبينما هما سائران انحنى الدوق دي هاردموند فجأة والتقط شيئاً من

الطريق كان قد عثر به حذاؤه.. ولم يكن ذلك الشيء سوى كسرة من

الخبز مغمورة في الأوحال.. ولشدة ما كانت دهشة الكونت حين رأى

الدوق دي هاردموند ينظف كسرة الخبز بمنديله الثمين بعناية فائقة ثم

يضعها على مقعد صخري في الطريق تحت مصباح الشارع لتكون

ظاهرة للعيان.. وقد أغرق الكونت في الضحك وقال لصاحبه

ساحراً:

الكونت: هل جنتت يا صاحبي... ماذا تصنع؟

الراوي: فأجابه الدوق دي هاردموند بصوت متهدج ظهرت عليه رنة الانفعال والتأثر:

هاردموند: لقد ثارت بنفسي ذكرى رجل ضحى بنفسه من أجلي.. فحذار يا صديقي أن تضحك من فعلي لأنك بهذا تسييء إلى تلك الذكرى المقدسة.

## بعد فوات الأوان

قصتنا هذه الليلة: (بعد فوات الأوان) للقصص الأمريكي المشهور (أوهنري). ولد (أوهنري) عام ١٨٦٢ وتوفي ١٩١٠. يعتبر (أوهنري) أشهر كتاب القصة القصيرة في أمريكا، وتمتاز قصته بالعمق في المعنى والمغزى وقصتنا هذه الأمسية (بعد فوات الأوان) تعد من أروع ما كتب.

**الراوي:** تزوجت «ديلا» من جيمس ديللنغهام - الابن. بعد غرام عنيف كان حديث أهل البلدة التي تسكنها.. وكان والد جيمس أو (جيم) كما يحلو لزوجته أن تدعوه - صاحب محل تجاري مشهور، ولكنه تعرض لمغامرة تجارية أفلس من ورائها وطار محله مع الريح وأخيراً لحق هو بمحله فعاش ابنه «جيمس» عيشة الطبقة الفقيرة الكادحة فالتحق موظفاً بسيطاً بإحدى الشركات. وأقرب يوم العيد، وكان من عادة (ديلا) أن تقدم لزوجها هدية بهذه المناسبة السعيدة فأسرعت إلى (حصالة) التوفير لترى ما تجمع فيها، وبعد أن عدت ما وجدت قالت في دهشة:

**ديلا:** أوه..! دولار واحد وسبعة وثمانون سنتاً.. وهذا كل شيء.. وستون سنتاً منها بنسات، لقد ادخرت هذه البنسات الواحد فوق

الواحد حتى يكاد يحترق خد المرء من التهمة الصامته بالبخل والتقتير التي تتضمنها مثل هذه الصفقات الصغيرة.. دولار واحد - وسبعة وثمانون سنتاً وغداً يوم العيد.. ماذا أفعل.. ماذا أفعل؟

الراوي: ولم يكن لدى (ديلا) ما تفعله سوى أن تطوح بنفسها على الكنبه الصغيرة وتستسلم للبكاء وهذا ما يحمل على التفكير بأن الحياة مصنوعة من الزفرات والتنهدات والابتسامات.. لكن التنهدات هي السائدة حالياً في بيت ديلا.

كانت «ديلا» تسكن شقة مؤثثة بإيجار أسبوعي قدره ثمانية دولارات.. وهو مبلغ لا يدل على الفقر تماماً ولكن من المؤكد أنه ليس بعيداً عن مثل هذه الصفة.

وجفت «ديلا» دموعها ثم أصلحت زينتها بشيء من المساحيق، وبينما هي تفعل سمعت جلبة وضوضاء في الشارع - فتركت زينتها وهرعت إلى النافذة تستجلي الخبر فإذا الشارع يموج بالأطفال، والشباب يهتفون ويرقصون ويقولون: غداً العيد.. غداً العيد.. ما أجمل العيد. وبعض من الرجال يرافقون هذه المواقب وأيديهم تنوء بأحمال الهدايا..

وراحت «ديلا» تنظر إليهم والحزن يعتصر فؤادها.. إنها لا تملك سوى دولار واحد وسبعة وثمانون سنتاً تبتاع بها هدية لزوجها أعز إنسان لديها في هذه الدنيا وطفقت تستعرض الساعات السعيدة التي قضتها وهي تضع المشاريع لهذه الهدية اللطيفة، وقطع عليها حبل تفكيرها صوت جرس الباب فانفتلت لتفتحه وإذا الطارق ابن جارثها الذي ابتدرها قائلاً:

الولد: طاب يومك مامي..

ديلا: طاب يومك جورج.. أدخل.. ماذا أستطيع أن أفعل لك..؟

الولد: شكراً مامي.. لقد كنت في طريقي للسوق لشراء هدية (لدادي)  
بمناسبة العيد فجئت لأقول لك: مامي كل عيد وأنت بخير.

ديلا: وأنت بخير جورج.. شكراً.. شكراً..

الولد: أستودعك الله..

ديلا: مع السلامة.. مع السلامة..

الراوي: وذهب ابن جارها بعد أن نكأ جراحها وأثنخ آلامها وتركها في دوامة من الحزن لا شاطئ لها وعادت تلوك حسراتها على حافة النافذة لعلها تفنؤها في زحمة المشائين وتحت عجلات السيارات وكان بين نافذتي الغرفة مرآة طويلة يستطيع المرء بمراقبة صورته المنعكسة بلمحات متتالية أن يأخذ فكرة عن منظره، وبغته استدارت «ديلا» بعنف عن النافذة ووقفت أمام المرأة.. فكانت عيناها تتألقان ببريق شديد بيد أن محياها قد فقد لونه في أقل من عشرين ثانية وفكت «ديلا» شعرها بسرعة وتركته يسقط حراً من كل قيد.. حوالى جسدها متموجاً ألقاً مثل شلال من المياه حتى ليكاد يجعل من نفسه ثوباً لها.

كان الزوجان يملكان حاجتين يفخران بهما بالدرجة القصوى الأولى هي ساعة جيب الذهبية الموروثة عن أبيه وجده أما الثانية فهي شعر «ديلا».

وما كادت «ديلا» تصل إلى نتيجة حتى عادت وجمعته في سرعة وعصبية وترددت لحظات وجمدت في مكانها بينما سقطت دمعة أو دمعتان من عينيها على السجادة الحمراء المهترئة وارتدت ملابسها ثم استدارت والبريق لما يبرح عينيها وفتحت الباب بشدة وانطلقت تهبط درجات السلم وتخرج إلى الشارع، ثم توقفت أمام لافتة تحمل الكلمات التالية.

- السيدة سوفوني - لوازم الشعر من مختلف الأنواع..



وصعدت «ديلا» حتى الطابق الأول وطرقت الباب ففتحته السيدة (سوفوني) فبادرتها ديلا قائلة:

ديلا: هل تشتري شعري يا سيده سوفوني؟

سوفوني: نعم.. إني أشتري الشعر.. دعيني انظر مظهر شعرك..

الراوي: وتدفق الشلال الأسود متموجاً عنيفاً فقالت (سوفوني) وهي ترفع كتلة الشعر بيد مجربة.

سوفوني: إني أدفع عشرين دولاراً لذلك..

ديلا: اتفقنا.. هات.. أعطنيها بسرعة.

الراوي: وانقضت الساعتان التاليتان في غدو ورواح سريعين. لقد نسيت «ديلا» التحول الذي طرأ عليها وهي الآن بين المخازن تنتقل بحثاً عن هدية لزوجها ووجدتها أخيراً وكانت عبارة عن سلسلة جيب صغيرة مصنوعة من البلاتين، بسيطة.. جميلة التصميم تفصح عن قيمتها بمادتها وحدها وليس بزخرفتها المبهرجة. ودفعت «ديلا» واحداً وعشرين دولاراً ثمناً لها وهرعت قافلة إلى البيت بالسبعة والثمانين سنتاً التي بقيت معها. إن زوجها إذا حمل هذه السلسلة في ساعته وبالرغم من عظمة الساعة فقد كان زوجها ينظر إليها أحياناً في خلسة بسبب تلك الشريطة الجلدية العتيقة التي كان يستعملها بدلاً من السلسلة وما أن بلغت ديلا «الدار حتى تبددت نشوتها لتضع مجالاً للتبصر والعقل فنزعت من شعرها دبابيسه وأسرعت تعمل على إصلاح ما أتلفه السخاء في الحب. ولم تمض أربعون دقيقة حتى كانت «ديلا» قد غطت رأسها بدبابيس صغيرة جعلتها تشبه صبيلاً هرب من مدرسته.

وتطلعت «ديلا» إلى انعكاس صورتها في المرآة طويلاً وبنظرة انتقادية  
بحثة ثم خاطبت نفسها قائلة:

ديلا: آه.. لو أن زوجي لا يقتلني قبل أن يمعن النظر في قليلاً لسوف  
يقول: إني أشبه إحدى فتيات جوقة موسيقية غزلية.. لكن ماذا يمكنني  
أن أفعل.. أوه.. ماذا يمكنني أن أفعل بدولار وسبعة وثمانين سنتاً.

الراوي: واستعدت «ديلا» لاستقبال زوجها، وجلست على مقعد قرب  
الباب الذي يدخل منه دائماً ثم تناهت إليها خطواته على السلم في  
الطابق الأول فأبيض لونها لمدة وجيزة ثم تلت في همس هذا  
الابتهال:

ديلا: يا إلهي.. أتوسل إليك.. أن تجعل زوجي يفكر أنني ما أزال  
جميلة.. وأن يصفح عما ارتكبته في هذا اليوم يا رب.. يا رب..!!

الراوي: وفتح الباب.. ودخل زوجها وأغلقه خلفه.. ومرق من الباب ثابت  
الخطو، فكأنه كلب صيد يشتم أثر طريدته.. وكانت عيناه مثبتتين في  
«ديلا» وكان فيهما تعبير لن تستطيع «ديلا» قراءته وذلك ما أهرق  
الرعب في قلبها، إن ذلك التعبير لم يكن غضباً ولا دهشة ولا  
استنكاراً ولا رعباً ولا أيّاً من الانفعالات التي هيأت نفسها لها، كان  
بكل بساطة يحرق فيها بثبات.. وذلك التعبير المستغرب مرتسم على  
صفحة وجهه وهرعت «ديلا» إليه وهي تقول:

ديلا: جيم!! زوجي!! أعز إنسان لدي.. لا تحملق فيّ هكذا.. لقد قصصت  
شعري وبعته لأنني لم أستطع أن أعيش ليلة العيد من دون أن أقدم لك  
هدية لسوف ينمو ويطول من جديد.. أنت لا تبالي بذلك.. ما كان  
يتوجب علي أن أفعل ما فعلت قل لي - عيد سعيد - يا جيم ولنكن

سعيدين حقاً. أنت لا تدري مبلغ جمال.. الهدية التي جئتك بها..

الراوي: واستفسر زوجها - في جهد - وكأنه لم يستوعب بعد ذلك الواقع الصريح رغم ذلك العمل الذهني الشاق الذي بذله وقال:

الزوج: أحقاً قصصت شعرك..؟

ديلا: نعم.. قصصته وبعته.. على كل حال فأنا - بدونه - ما زلت زوجتك التي تحبها.. أليس كذلك..؟

الراوي: وانثنى زوجها يرمق الغرفة حوالبه في شيء من الغرابة ثم قال في همس يشبه البلاهة.

الزوج: قلت إنك قصصت شعرك؟

ديلا: لا تنظر إليه - لقد قلت لك إني بعته - بعته وانتهى.. ترفق بي.. لقد فعلت ذلك من أجلك.. قد يمكن تعداد شعر رأسي ولكن أحداً لا يستطيع أن يقدر حبي لك.

الراوي: وبدا أن الزوج قد استفاق من غيبوبته بسرعة فتناول رزمة من جيب جاكته وطوح بها على الطاولة وقال:

الزوج: لا تسييء فهمي يا «ديلا» أنا لا أقيم وزناً لهذا الأسلوب من قص الشعر أو الحلاقة أو الدهون.. لكن، إذا أنت فتحت هذه الحزمة فقد تدركين معنى ارتباكي المفاجيء لأول وهلة.

الراوي: وانطلقت أصابع بيض رشيقة الحركة تقطع الشريط وتمزق الورق ومن ثم علت صيحة فرح مذهلة من ديلا:

ديلا: يا إلهي.. كم هي جميلة.. ولكن وا أسفاه.. جاءت بعد فوات الأوان..

الراوي: ثم انهمرت دموعها في نشيج هستيري أستتبع عملاً سريعاً لجميع

القوى المعزية التي يملكها صاحب الدار.. ذلك أن الرزمة التي أتى بها زوجها كانت تحتوي مجموعة من الأمشاط الكبيرة والصغيرة التي كانت «ديلا» قد رأتها معروضة في إحدى واجهات مخازن برودواي.

فتسمرت أمامها وتمنت أن تشتريها ولكن لم يكن آنئذ لديها ثمنها أما الآن فهذه المجموعة ملكها إلا أن الضفائر التي تستحق هذه الزينة قد قصت.

وحملت «ديلا» الأمشاط إلى صدرها وبعد زمن طويل استطاعت أن ترفع رأسها وتنظر بعينين خائبتين ثم تبسم وتقول:

ديلا: إن شعري ينمو بسرعة عظيمة يا «جيم».

الراوي: ثم وثبت ديلا مثل قطة صغيرة صائحة:

ديلا: أوه.. أوه.. إن جيم لم ير بعد هديته الرائعة.

الراوي: ثم أخذت هديتها وفتحتها ومدت السلسلة التي فيها على راحة يدها وبدا أن المعدن الثمين الشاحب قد راح يتألق ويشع بانعكاس روحها المشرقة الغيور وشرعت تقول:

ديلا: جيم - زوجي - أليست جميلة هديتي هذه.. لقد نقتب البلدة كلها حتى عثرت. يمكنك الآن أن تنظر إلى ساعتك مئة مرة في اليوم.. أعطني ساعتك.. أريد أن أرى كيف تبدوان معاً.

الراوي: وبدلاً من أن يلبي جيم طلبها تهاوى على الكنبة ووضع يديه خلف رأسه وراح يبتسم كالطير يرقص مذبوحاً من الألم وقال:

الزوج: فلنضع الهدايا جانباً.. ولنحتفظ بهما فترة من الزمن يا «ديلا» إنهما

رائعتان إذا ما استعملتا كهدية في الوقت الحاضر. . ديل زوجتي  
العزيزة لقد بعت الساعة كي أحصل على مال أشتري به هذه الأمشاط  
لك. . نعم.

الاثنان معاً: نعم ولكن بعد فوات الأوان. .

## اليتيمة

قصتنا هذه الليلة: «اليتيمة» للكاتب الأمريكي المعاصر جورج لوفريدج. ولد جورج لوفريدج عام ١٩٢١م، اعتنى بالأدب الصحفي وبالقصة وألف عدة قصص في طليعتها قصة هذه الأمسية «اليتيمة».

الراوي: أقرب موعد دق الجرس إيداناً بانتباه الدرس الأخير في ذلك اليوم وبدأت التلميذات يتملمن ويتها من فصاحت المدرسة العجوز «مس ويليامز» بصوت جاف لا يخلو من عطف مستور:

المدرسة: إن الجرس لم يدق بعد والدرس لم ينته ثم إن على التلميذة «مارتا أنيو» أن تبقى بعد موعد الانصراف.

الراوي: ودق الجرس فانطلقت الصبايا دفعة واحدة يتدافعن ويتزاحمن إلا «مارتا أنيو» التي مشت بخطى بطيئة إلى منصة أستاذتها كانت «مارتا» في الثانية عشرة من عمرها بذات وجه دقيق وشعر أسود وعينين ساهمتين وحين ألفت إليها أستاذتها بذلك التنبيه الجاف لم تفهم مارتا سبباً لذلك.. ولكن المدرسة قطعت عليها تفكيرها حين بادرتها قائلة:

المدرسة: «مارتا» إنك غير مجدة في دراستك هذه السنة.. وهذا يدهشني.. فلقد سمعت من مدرساتك في السنوات الماضية ثناء عاطراً عليك.. فماذا دهالك؟ هل تجدين صعوبة في فهم دروسك؟

مارتا: كلا..

المدرسة: إذن ما السبب؟

مارتا: لست أدري؟

الراوي: وراحت المدرسة تراقب الصبية عن كثب.. إن بها شيئاً لا تستطيع تحديده.. شيئاً يجعلها منطوية دائماً على نفسها.. شيئاً يوحي بأنها غير ناعمة البال.. ترى ما هو؟ إن ثياب الصبية نظيفة لائقة.. فما هي إذن علة ذلك الانطواء والشروود وتحول الوجه، وذلك الطابع الحزين الذي لا يبدو طبيعياً على صبية في الثانية عشرة.. وأخيراً حزمت المدرسة أمرها فقالت تضرب على وتر آخر:

المدرسة: «مارتا» هل هناك ما ينغص حياتك في البيت؟

مارتا: لا شيء مطلقاً..

المدرسة: أبداً.. أبداً..

مارتا: أبداً..

المدرسة: حسناً.. لقد ظننت أن هناك شيئاً. لأن جميع علاماتك في العام الماضي كانت خيراً منها اليوم فضلاً عن أن مدرّستك «مس هيث» قالت: إنك كنت من أذكى تلميذاتها، وأنا واثقة أنك ما زلت كذلك لو أوليت واجباتك المدرسية مزيداً من العناية والالتفات.. فهل تعديني بذلك؟

مارتا: نعم.. أعدك بذلك..

المدرسة: حسناً جداً.. تستطيعين الانصراف الآن.. إذا حدث لك ما يضايقك فصارحيني فوراً فقد أستطيع مساعدتك..

**الراوي:** وانصرفت «مارتا» من الباب الخلفي بينما وقفت المدرّسة «مس ويليامز» بجانب النافذة العليا ترقب «مارتا» وهي تعبر فناء المدرسة الكبير حاملة كتبها وحقّية طعامها.. وظلت ترقبها حتى اختفت الصبية في زحام المشيين فتنهدت المدرّسة العجوز وهمست لنفسها تقلب المسألة على وجوهها:

**المدرّسة:** من يدري، ربما لا يكون في الأمر شيء.. وربما يكون في الأمر كل شيء.. فما أخطر ما يدور أحياناً في قلوب الأطفال وعقولهم..

**الراوي:** وسارت «مارتا» في طريقها من حي إلى حي حتى وصلت إلى منطقة المصانع والمباني التابعة لها وهي مساكن متواضعة كساها دخان القاطرات الذاهبة والآتية سواد الفحم.. وفي اتجاه هذه المساكن شقت الصبية طريقها.. وفي رأسها أكثر من فكرة تشغل بالها، فكرت في أن أخاها «شارلي» الذي في العاشرة ربما قد عاد من المدرسة ثم خرج إلى الشارع ليلعب مع الصبية بغير أن يغير ثيابه النظيفة. ثم فكرت في العشاء الذي عليها أن تعده لأبيها.. لقد أمضت فترة الدرسين الأخيرين بأكملها في إجراء العمليات الحسابية في ذهنها بخصوص بطاقات التموين، وهل تكفي للحصول على لحم وزبد للعشاء أم لا تكفي فإن صحف الليلة السابقة كانت قد أعلنت عن إجراء تعديلات في فهم البطاقات الأمر الذي خلق لها مشكلة جديدة برغم براعتها في الحساب.

كان والد «مارتا» يشتغل في الليل وكان عمله يبدأ في الساعة السادسة مساءً فكان عليه إذن أن يتناول عشاءه في الخامسة أي بعد عودة ابنته من المدرسة بوقت قصير.. وعندما وصلت «مارتا» في تفكيرها إلى هذا الحد أزاحت خصلات شعرها إلى الوراء في ضيق وتبرم..



وأسرعت في سيرها.. . وحين بلغت الصف الأول من المساكن المتواضعة لمحت أختها في الشارع يركل كرة القدم مشتركاً في اللعب مع نفر من أصحابه فهتفت به قائلة:

مارتا: شارلي.. . شارلي.. . تعالي هنا.. .

شارلي: لما تريدني أن أحضر؟

مارتا: أقول لك تعال.. .

شارلي: كلا، لن آتي.. .

الراوي: ترددت لحظة بين أن تطارده حتى تمسك به وبين أن تهمل من أمره، فهداها تقديرها إلى أنها لن تستطيع اللحاق به بحال من الأحوال فدلقت إلى البيت من فتحة كسر بابها وخلع منذ زمن بعيد وصعدت إلى سكنها في الطابق الثالث ودست يدها في صدر ثوبها فأخرجت منه مفتاحاً مربوطاً بشريط أحمر وفتحت الباب ودخلت ووضعت كتبها فوق منضدة صغيرة واتجهت إلى غرفتها لتجلب كيس النقود الذي تنفق منه على المنزل فقد كان والدها يعطيها مصروف كل أسبوع.. . وفي طريقها وقفت هناك لحظة تتأمل صورة صغيرة لأختها معلقة فوق الدولاب.. . كانت «مارتا» تعرف كل شيء بل لقد حضرت وفاتها وقال الطبيب يومئذ إنها ماتت، أضناها التعب فأحوجها إلى قسط من الراحة. ثم أردف عبارته بوضع إحدى يديه في رفق على رأس «مارتا» واليد الأخرى على رأس «شارلي» ورمى أباهما بنظرة ثابتة ذات معنى ردها له هذا في مرارة.. . واعتماداً على كلام الطبيب توقعت مارتا أن ترى أمها يوماً ما. حين تصحو من رقادها.. . وأيد الأب كلام الطبيب فوعد ابنته وابنه بيقظة أهمها بعد حين. ولم تستطع

الجنائز ولا الحفرة التي في الأرض التي يدعونها بالقبر أن تزرع  
يقين الصبية في عودة أمها . . فقد كانت «مارتا» طفلة تتعثر في عامها  
العاشر . . وحتى فيما بعد حين عرفت الصبية حقائق الأمور أبت أن  
تطلق حلمها القديم فقد أحست بغريزة الأطفال شيئاً ينسأه الناس عادة  
حين يكبرون، هو أن الأحلام وحدها هي التي تتحقق لكنها في بعض  
الأحيان، كحالها اليوم، كان يتتابها ضيق ونفاد صبر. فتحس أنها لن  
تستطيع تحمل غيبة أمها ساعة واحدة أخرى . .

جففت «مارتا» دمعها، ثم أخذت كيس النقود وبطاقات التموين ومضت  
إلى حانوت البقالة . . كانت الساعة قد بلغت الرابعة . . وكان شارلي وأنداده  
ما يزالون يلعبون في الشارع. فتوقفت عندهم لحظة وأمرت «شارلي» أن يعود  
إلى البيت ويبدل بنطلونه . . فلم يكذ زملاؤه يسمعون هذا حتى ضجوا  
بالضحك والسخرية صائحين:

الأولاد: شارلي . . عد لتغيير بنطلونك . . أختك تقول إنك يجب أن تعود  
لتغيير بنطلونك هيّا غير بنطلونك . .

الراوي: وهكذا قطعوا على شارلي سبيل إطاعة أمر أخته حتى لو أراد . .  
فما بالك وهو لم يرد . . وهكذا صاح «شارلي» في وجهها قائلاً:

شارلي: إذهي من هنا . . إذهي إلى الجحيم . .

مارتا: شارلي . . فكر أنني سأقول لأبي . .

الأولاد: سأقول لأبي . . سأقول لأبي . .

الراوي: ومضت «مارتا» إلى البقال منكسة الرأس وضجيج الأولاد  
وسخريتهم يثقبان أذنها ويتبعانها . . وابتاعت من البقال حاجتها  
وعادت مسرعة إلى البيت ولم تسلم من سخرية الأولاد وهزئهم في

عودتها ولكنها تجاهلتهم وعندما وصلت إلى البيت باشرت في غسل الأطباق وجففتها وجهزت السفرة لهم جميعاً وقامت لتصلح أسرة النوم حتى يحين وقت العشاء فأحست بعجزها عن الوقوف على قدميها فأرجأت ذلك إلى ما بعد العشاء واسترخت على كرسي المطبخ تستعرض الحياة الكئيبة التي فرضها عليها أبوها . الحياة الحافلة بالمتاعب، المجردة من الملذات . . إن أباهما يبخل عليها حتى بجهاز صغير للراديو يؤنس وحدتها، برغم أن ذلك في ميسوره الآن بفضل المرتب الكبير الذي يتقاضاه عن عمله . فقد أوضح لها ولأخيها «شارلي» غداً موت والدتهما بصراحة تامة حين قال :

**الوالد:** إسمعوا يا أولاد . . إنني مضطر للبقاء فترة أخرى من الزمن في هذا البيت المتواضع بالرغم من تحسن مواردني المالية لأنني أريد أن أدخر ثروة صغيرة للطوارئ، بعد أن علمتني دروس الحياة أن أقدر فيه كل درهم من النقود . . لقد تذوقت مرارة اليتيم وأنا في الرابعة من عمري وعلى هذا ستستمر «مارتا» في تأدية الأعمال بدلاً من أن أؤجر امرأة تؤدي عنها هذه المهمة حتى تجتمع لنا ثروة مناسبة تقينا عائلة الأيام السود . .

**الراوي:** ثم ابتسم الأب وداعب ابنته «مارتا» وسألها قائلاً :

**الوالد:** هيه «مارتا» أتستطيعين القيام بمهام البيت . . ؟

**الراوي:** وقد أجابت «مارتا» بعقلية الطفل البريء الذي لا يدرك عظم مسؤولية ما هو مقدم عليه . . أجابت . .

**مارتا:** نعم يا أبتاه . . أستطيع . . أستطيع . .

**الراوي:** وربت الوالد على كتفها وقال لها :

الوالد: كنت أعلم أنك فتاة عاقلة..

الراوي: ومنذ ذلك التاريخ صار يعطيها مبلغاً من المال كل أسبوع كي تنفق منه على البيت.. وفي نهاية الأسبوع يراجعان حسابه سوياً فإذا وجد فيه عجزاً أنبها عليه بشدة قائلاً: إنها يجب أن تتعلم كيف تدير الأمور، كي تصير زوجة ناجحة في المستقبل.. وأن تذكر مرارة الفقر ومذلتها، حتى تحزم أمرها على تجنب الوقوع في مخالفه.

مرت كل هذه الأحداث في خاطر «مارتا» الصغير وكأنها فيلم استعراضى ولم تصح من آثاره إلا على صوت أبيها يدخل طالباً العشاء.. وأنتظم شمل العائلة حول مائدة العشاء، وعند الانتهاء منه انصرف رب الأسرة إلى عمله وقامت «مارتا» إلى تنظيف المائدة وأطباقها وأدواتها بينما جلس أخوها «شارلي» على المقعد المريح الوحيد في البيت يقرأ مجلة هزلية. وفات موعد نومه فطلبت منه «مارتا» أن ينهض لينام لكنه أبى أن يفعل إلا إذا قرأت له أخته قصة مسلية فرضخت لطلبه وأحضرت له من درجها كتاب القصص الخرافية، وفيما هي تقرأ قصة بطلتها امرأة سألتها «شارلي» قائلاً:

شارلي: لم تكن أمنا مثل هذه المرأة.. أليس كذلك؟

مارتا: نعم..

شارلي: إنها لن تعود أبداً..

مارتا: من قال لك ذلك؟

شارلي: الأولاد قالوا لي..

مارتا: أنهم لا يعرفون شيئاً..

شارلي: إذن فأنت تعتقدين أنها سوف تعود إلينا؟

مارتا: بالتأكيد.. .

شارلي: متى؟

مارتا: لست أدري.. هذا ما لا يعلمه أحد.. .

الراوي: وغالب «شارلي» النعاس قبل أن تتم «مارتا» القصة.. فتسللت منها في هدوء وأغلقت الباب وشعرت أنها بحاجة إلى أن تخلو بنفسها وسرحت بأفكارها إلى ما هي من حال ثم تذكرت أن عليها ترتق بنطلون أخيها شارلي فنهضت متعبة وأحضرت البنطلون وشرعت ترتقه وهي تفرك عينيها المتعبتين بين الحين والآخر.. وأحست برغبة في البكاء.. إنها لم تستطع بعد أن تتقن حياكة الخروق بحيث يبدو القماش كالجديد تماماً كما كانت تفعل أمها.. آه لو عادت أمها.. .

ثم عكفت على نقودها تعدها فلما لم تجد بها عجزاً تنفست الصعداء، فأعادتها إلى مخبئها بين صفحات كتاب القصص الخرافية.. ثم مضت تكمل واجباتها المنزلية المرهقة المملة وهي تحس كأنها تؤديها منذ مائة عام على التوالي.. آه لو عادت أمها، إذن لاستراحت من هذا العبء الثقيل الذي ألقى على عاتقها الغض، ولوجدت على الأقل من تتحدث إليه.. إنها لا تستطيع الإفضاء إلى أخيها بمتاعبها ووالدها لا تكاد تراه إلاً لماماً، وبرغم عطفه عليها وتسميته إياها بالأم الصغيرة فإنه من العسير عليها أن تكشف له دخيلتها.. ولكن كلا إنها ستسأله في أول فرصة عن أمها متى تعود.. ثم قالت لنفسها:

مارتا: والآن جاء دور الدراسة.. عليّ أن أذهب لغرفتي لاستذكار دروسي.. يا للهول، ليست لدي القوة.. .

الراوي: وسمعت أصواتاً خافتة صادرة من العمارة التي تسكنها ثم سمعت أحدهم يعزف على القيثارة فقالت:

مارتا: ما أعذب سماع الموسيقى.. وإن كانت أنغامها بعيدة ولا تكاد تبلغ أذني..

**الراوي:** ثم تنهدت وعادت إلى كتبها.. وانطبقت عيناها برمشهما، ففتحتهما ثانية ومضت تقرأ لكنها الليلة لا تعبأ بقراءة التاريخ ولا بحوادثه الهامة فإن صناع هذه الحوادث يمتون إلى حقبة من التاريخ سحيقة بالنسبة لها، وهم ليسوا في أهمية أمها.. ووضعت كتاب التاريخ جانباً ومشت إلى المطبخ.. فجلست إلى نافذته.. في الظلام، إنها أحياناً، وهي عائدة من مدرستها كانت تبحث عن أمها بين السحب بعد أن سمعت أنها في مكان لا يمت بصلة إلى السماء وهي تنظر الآن إلى أديم السماء فوق رأسها فترى نجوماً كثيرة.. وتحس أنها قريبة من أمها. وطالت جلستها حيث هي.. وفكرت في أشياء كثيرة.. فكرت أن شيئاً من أحوالها لن يصلح حتى تعود أمها.. فكرت لماذا لم تعد أمها.. لعلها فقدت أو ضلّت طريقها أو أحوجتها الظروف إلى دليل يرشدها إلى البيت.. لا بد أن الأمر كذلك أو شيء من ذلك وإلا لعادت أمها منذ زمن بعيد وخاطبت «مارتا» نفسها قائلة:

مارتا: عجباً.. لماذا لم أفكر في هذا من قبل.. لماذا لا أهجر متاعبي وأذهب للبحث عن أمي التي لا يمكن أن تكون بعيدة عني..

**الراوي:** ووجدت الفكرة رائعة بحيث ملأت قلبها نشوة وسعادة كالسرور والحبور اللذين شعرت بهما بطلة القصة الخرافية التي كانت تقرأ حوادثها لأخيها.. أجل لقد اهدت البطلة إلى السر الذي سيخرجها من الغابة الرهيبة..

وفي غرفتها عكفت «مارتا» على جمع حوائجها الضرورية في حقيبة كبيرة من الورق.. وضعت فيها ثوبها الآخر، ودمية صينية كانت أمها قد

أهدتها إياها في العيد وأصبح أحمر الشفاه الذي اشترته سراً ولم تستعمله قط وصورة أمها التي فوق الدولاب. ثم مندولين ومشطاً وقلم الحبر وشرعت تكتب على ورقة من دفترها. . . وكانت وهي تكتب تتوقف برهة لتفكر. . . وتسقط رأسها فترفعها وتفرك عينها وتستأنف الكتابة.

وعاد أبوها في الفجر الأول من عمله فلمح نور غرفة ابنته مضاء فهرع بخطى واسعة فربما تركت الصبية النور عمداً لكيلا تحس خوفاً من وحدتها. . . إنها تفعل ذلك أحياناً وهو أمر يضايقه لأنه ينفق مزيداً من الكهرباء. . . وقد طالما حاول أن يفهمها ألا تبذر في شيء ولا تخاف من شيء. . .

وصعد الوالد السلم عدواً ودخل غرفة «مارتا» ووقف مشدوهاً. . . رآها متكئة على المنضدة ورأسها فوق ذراعيها. . . وإلى جوارها حقيبة وقلم حبر فأغلق الباب خلفه بهدوء وفيما هو يهمّ بأن يلمس كتفها لمح كلمتي «أبي العزيز» على ورقة تحت يدها. فسحب الورقة في حذر وقرأ:

الوالد: «أبي العزيز» . . .

إنني ذاهبة للبحث عن أمي فقد ساءت حالي في المدرسة وصرت أحس أنني دائماً متعبة، و «شارلي» لا يطيعني حين أوصيه بخلع بنطلونه الجديد وارتدائه القديم عندما يريد أن يلعب، وقد حاولت أن أرتق قطوع البنطلون فلم أوفق ولم أعد أصلح لشيء لهذا أنا ذاهبة للبحث عن أمي كي تتصلح الأمور. . .

ملحوظة: حاولت كثيراً أن أجد في عملي مثلك عندما كنت صغيراً، لكنني فشلت، وإنني آسفة وربما كان السبب أنت كنت ولداً، أما أنا فبنت. . . أرجو. . .

الراوي: وتلت ذلك نقطة من الحبر ثم لا شيء. . . وحمل الأب ابنته إلى

فراشها في رفق، ونزع منها حذائها ونظر إلى وجهها الهادى.. .  
وأطفأ النور ووقف أمام نافذة المطبخ يتطلع إلى الفضاء. كانت النجوم  
كلها قد انطفأت وذاب الظلام ببطء في تباشير الضياء وعند أقصى  
الأفق، في قمة برج مراقبة القطارات أخذ الزجاج ناراً من الشمس  
فاشتعل لونه. على أن والد «مارتا» لم ير شيئاً من هذا كله.. . فإن  
العينين اللتين منذ الطفولة لم تهتز أهدابهما إجمالاً من كل مصاعب  
الحياة، قد تحولتا إلى استيطان أعماق صاحبهما.. . والتحديد في  
جوفه. وصاح في قلبه صوت مباغت:

**الصوت:** لقد قتلت أمها فهل تنوي قتلها هي أيضاً.. .



## تضحية فتى

قصتنا الليلة: «تضحية فتى» للروائي الإيطالي إدمون أمسيس. ولد إدمون أمسيس في مدينة تورينو عام ١٩١٢م.

عنى إدمون أمسيس في مستهل حياته بالأدب والصحافة ثم عالج القصة وبرز فيها ووضع عدة قصص وروايات في مقدمتها قصة هذه الأمسية «تضحية فتى».

الراوي: لم يكن قد جاوز الثانية عشرة من عمره.. وكان أكبر أولاد أبيه وفي السنة السادسة في مدرسة القرية الابتدائية - ومع حداثة سنه وجمال خلقه ونضارة وجهه كان ممتلىء الجسم راجح العقل.. سليم التفكير، كان والده يتقاضى راتباً ضئيلاً من عمله في مصلحة السكة الحديدية لا يكاد يقيم أود أسرته الكبيرة.. وقد بلغ أرذل العمر وكان يعلق آمالاً كبيرة على نجاح ابنه في الشهادة الابتدائية حتى يلحقه بإحدى الوظائف فيخفف عن كاهله بعض الحمل وكان الوالد يقوم ليلاً بعد الفراغ من عمله بالسكة الحديدية بكتابة عناوين المشتركين لبعض دور النشر ويأخذ ثلاث ليرات مقابل كتابة خمسمائة عنوان.. وكان يضحج بالشكوى من هذا العمل ويقول لزوجته وأولاده مع كل ليلة وهم يتناولون العشاء.

الوالد: إن العمل بالليل يكاد يذهب بنور عيني . . ولكن ما حيلتي وليس منه بد . .

الراوي: وذات ليلة قال له ابنه معقباً على هذه العبارة . .

الولد: إنك تعلم يا والدي أن خطي قريب الشبه من خطك وإني أستطيع أن أكتب كما تكتب أنت فهل هناك ما يمنع من مساعدتك بقدر ما أطيع؟

الوالد: لا . . لا يا بني! حاشا لي أن اختلس منك بعض وقتك فأنت في حاجة إلى كل دقيقة تمر لتستذكر فيها دروسك وتجدد معلوماتك فاحرص على وقتك وواظب على عملك - هياً الله لك أسباب النجاح وكتب لك التوفيق . . شكراً يا بني على رقيق شعورك ونبيل عواطفك وأرجو أن لا تعاود التفكير في هذا مرة أخرى .

الراوي: وكان الفتى واسمه (جول) يعرف حق المعرفة أن أباه شديد الحرص على وقته وأنه لن تجدي معه أية محاولة ليقبل أنه يعاونه فأثر الصمت وطوى في نفسه أمراً . . فغالب النوم في تلك الليلة التي دار فيها هذا الحديث مع والده وظل مستيقظاً حتى تيقن أن أباه قد استغرق في نومه، فنهض وتسلل على أطراف أصابعه إلى الحجرة التي اعتاد أبوه أن يكتب فيها ما تكلفه به دور النشر، ودلف إليها وئيد الخطى ثم أشعل المصباح وجلس إلى المكتب وبيده الصغيرة أخذ يقلب الأوراق المكدسة فوقه إلى أن اهتدى إلى المكان الذي انتهى إليه أبوه في ليلته فشرع ينسج على منواله في حذر وحيطة وكله حرص أن يتشابه الخطان وتتقارب الحروف لئلا يكون هناك فرق بينهما يدركه أبوه . وكان يكتب في سرور وعجلة، وكلما توهم أو مر بخاطره أن أحداً يراقبه من أهله كف عن الكتابة وتلمس الباب ليتسمع إن كانت هناك حركة فإذا لم يحس شيئاً رجع إلى مكانه وثابر على عمله وبعد أن كتب في تلك

الليلة حوالي مائة وستين عنواناً يستحق عليها أجر (ليرة واحدة) ألح عليه النوم فأطفأ المصباح ورجع من حيث أتى ثم أخذ مكانه من السرير واستسلم لنوم العميق لم يصح منه إلا على صوت أمه توقظه قائلة:

الوالدة: جول - جول! قم يا بني.. لقد تأخرت في نومك.. ماذا دهاك، ثم حان وقت المدرسة..

جول: حاضر يا ماما.. حاضر..

الراوي: ولم يقم جول نشيطاً كعادته ولكنه تكلف ذلك أمام أهله.. وعندما انتظم عقد الأسرة حول المائدة لتناول الغداء في اليوم التالي كان السرور يشع في نفوسهم جميعاً فقد رأوا والدهم - على غير ما عهدوه فيه - باسم الثغر، لين الحديث، يكاد كلامه يسيل رقة وعذوبة وخاصة عندما أدار دفة الحديث كعادته حول ما يبذله من عمل كان في هذه المرة كثير الفرح والابتهاج يزرع ابتسامته بين زوجه وأولاده.. وأخيراً ربت على كتف ابنه - جول - وكان يجلس بجانبه وقال وابتسامته مشرقة تزين محياه:

الوالد: يسرني أن تعلم يا «جول» أن والدك جم النشاط، كثير الإنتاج، وأنه ما زال في عز الشباب وحسبي في الاستدلال على ذلك أنني قد أنجزت في ليلتي المنصرمة في مدى ساعتين أكثر مما كنت أعمل في كل ليلة بمقدار الثلث..

الراوي: وكان والد «جول» يقدر عمله دائماً بالزمن الذي يقضيه فيه من غير أن يهتم بالنقطة التي منها ابتداء وبالتالي انتهى إليها.. لذلك لم يفتن إلى عمل ابنه وهكذا واصل حديثه قائلاً:

**الوالد:** ومع أنني زدت عن عملي كل ليلة بهذا القدر، لم تفتت همتي ولم تضعف عزيمتي ولم تكل يداي وتتعبني عيناى .

**جول:** إنك عظيم يا أبتاه.. بارك الله لنا فيك وزادك قوة وعزماً ونشاطاً .

**الراوي:** وصمم «جول» على أن يضاعف الجهد في مواصلة العمل ليستديم سرور أبيه ونشاطه وانشراحه وليلازمه الشعور بالقوة، فكان يقوم في منتصف الليل إلى حجرة المكتب ويتابع عمله حتى يغلبه النعاس فيعود إلى سريره وكان يبالغ في الحيلة حتى لا يفتن إلى عمله أحد من الأسرة.. ونجح في ذلك أيما نجاح إلى أن فاجأ الوالد أسرته ذات ليلة قائلاً:

**الوالد:** يخيل إلي أن المصباح في مكتبي يستنفد في هذه الليالي مقداراً ليس باليسير من البترول ولست متأكداً أن المصباح به خلل أو أن البترول فاسد .

**الراوي:** وتولد خوف داخلي في قلب «جول» وخشي أن ينبئه والده لما يقوم به من مساعدة له وساوره شيء من القلق لم يلبث أن تبدد حين أتخذ حديث أبيه مجرى مغايراً.. واستمر «جول» يعمل ما اعتاده بعد أن ينصرف أبوه للنوم وقد بدأ هذا الجهد يؤثر عليه فكان ينام من شدة التعب بينما هو يستذكر دروسه .

وفي إحدى الأمسيات لم يقو (جول) على مدافعة النوم فاستسلم لسلطانه وألقى برأسه على الكتب فوق مكتبه ولم يستيقظ إلا حينما صاح به أبوه وهو يصفق بكلتا يديه في جلبه وضوضاء وينتهره قائلاً:

**الوالد:** جميل منك هذا النوم.. لعلك قضيت يومك في قطع الأحجار وجمع الحطب من الغابة إنك إذن في حاجة إلى الراحة والنوم..

انهض . . انهض . . وذاكر يا - جول - فغير لائق بمثلك أن ينام .

**الراوي:** وانهض المسكين وهو يرتعد فرقا وواصل الاستذكار في سآمة وملل . . ولم تفارق عينه السطر الأول من الكتاب الذي أمسك به . . وما أن غاب عنه أبوه إلى حجرة نومه، وأيقن أنه قد استغرق في النوم حتى شرع في عمله في دأب وجد إلى أن تيقن من أنه فرغ من القدر الذي يكتبه كل ليلة في كتابة العناوين فغادر موضعه إلى سريره .

وتكرر نوم «جول» أثناء الاستذكار وتكرر من أبيه لومه وتأنيبه على تفريطه وإهماله وانضمت والدته مع والده في التقرير وكان مما قالته له:

**الوالدة:** «جول» إنك لم تعد ذلك التلميذ المجد الذي عرفناه من قبل وهذا يؤلمني كثيراً ففكر جيداً وراجع نفسك وعدل سلوكك، وثابر على عملك فإننا جميعاً قد علقنا أملنا عليك ووضعنا رجاءنا بعد الله فيك، فكن عند حسن الظن بك وثق أننا لن نتذوق للحياة طعماً إلا إذا وثقنا من أنك عدت إلى ما كنت عليه نشيطاً في عملك مكباً على دروسك . .

**الراوي:** وقد نالت هذه العبارات من نفس «جول» وأثرت فيه كثيراً لأنه لم ير والديه قط بمثل هذا العبوس . . وفي تلك الليلة التي حدثت في صباحها تلك المشادة بين الوالدين وولدهما جلس والد جول يتحدث إلى أولاده على مائدة العشاء في بشر وسرور وقال لهم في نشوة من الطرب وفيض من الفرح:

**الوالد:** لقد زاد الدخل يا أولادي من كتابة العناوين في هذا الشهر اثنين وثلاثين ليرة عنه في الأشهر الماضية وها قد جئكم بصندوق من الحلوى هدية مني إليكم بهذه المناسبة السارة .

الأولاد: بارك الله فيك يا أبتاه.. بارك الله فيك..

أحد الأولاد: ما ألد هذه الحلوى وما أشهاها..

الوالدة: كلوا يا أولادي هنيئاً مريئاً وادعوا لوالدكم بالصحة والعافية والعمر  
المديد..

الوالد: ولا تنسوا والدتكم يا أولاد من الدعاء وأدعو لأخيكم «جول»  
بالهداية فإن حاله قد ساءت وتبدلت.

الراوي: وتمالك جول نفسه عندما سمع هذا التقريع وأنصت إلى ضميره  
وهو يردد «حسبك يا جول» هذا السرور الذي أفعم قلب والدك.

ووظب «جول» على العمل - ليلاً - معاونة لأبيه مدة شهرين كاملين  
كان خلالهما مثلاً طيباً من أمثلة النشاط والجد. أمّا عمله المدرسي فقد تأخر  
فيه كثيراً وأضحى دون المتوسط مما حمل والده على الحنق عليه والموجدة  
منه.. وفي يوم ما عرج أبوه على المدرسة وقابل أستاذ «جول» ليستفسر منه  
عن حالة والده فقال له الأستاذ:

الأستاذ: إن ابنك في حال لا يحسد عليها.. لقد كان قبل ثلاثة شهور مثلاً  
يحتذي في الجد أما اليوم فقد تسرب إليه الخمول والكسل فكثيراً ما  
يتثاءب ويتمطى أثناء الدرس وأصبح قليل الانتباه إلى الدروس والعناية  
ولا أدري ماذا دهاه.

الراوي: فشكره والد «جول» وانصرف وفي قلبه من الهم ما لا يعلم كنهه إلا  
خالقه، وعندما عاد من عمله في المساء نادى ابنه وانفرد به في حجرة  
مكتبه وقال له في كثير من العفة:

الوالد: إنك تعرف يا جول أن زهرة حياتي قد ذبلت ومع ذلك فأنا أوصل  
الليل بالنهار من أجل العائلة ومن أجلك، وكنت أود أن تقدر ذلك

مني فتشاور على عملك وتجد في دروسك لتبلغ الغاية التي رسمتها لك فاتخذ منك عوناً لي على تدبير ما يلزم لتلك الأسرة الكبيرة من نفقات ولكنك أبيت إلا أن تزيد همومي وتضاعف آلامي بتقصيرك وإهمالك .

**جول:** لا يا والدي! إنني أقدر تمام التقدير أنك تركب الصعب من أجلنا وأنك تضحى بصحتك في سبيلنا .

**الوالد:** أخالك تعلم أن دخلنا ضئيل وأن أسرتنا كبيرة وأنه لا بد لنا من عزائم قوية لتنهض بتكاليف المعيشة وقد كنت أتوقع أن مصلحة السكة الحديدية ستمنحني مائة ليرة في هذا الشهر مكافأة لي ولكن علمت صباح اليوم أنها قد عدلت - فحز ذلك في نفسي وكان وقعه أليماً على قلبي .

**الراوي:** تأثر «جول» لسماع هذا الخبر وارتاعت نفسه . . ولكنه صمم على مساعدة أبيه في كتابة العناوين - أما دروسه فسيذاكرها بالقدر الذي يهيء له النجاح فيها . . وواصل جول «عمله في معاونة أبيه شهرين آخرين كان فيها يغض الطرف عما كان يواجهه به أبوه من قارص الكلام ولاذع التأنيب - ولما رأى والده أن ابنه لم يتأثر بالنصح أهمله إهمالاً تاماً فلم يعد يحدثه ولا يستمع إليه ولا ينظر إليه وقطع كل صلته به يائساً من إصلاحه - وما أن رأى الغلام ذلك من أبيه حتى اعتلت صحته واصفر لونه وغارت عيناه وأصبح أشبه بالمصدورين وشاع الإهمال في عمله المدرسي شيوعاً لم يسبق له نظير لقد همّ أن يكف عن عمله في مساعدة والده ولكن دقائق الساعات الإثنتي عشرة كانت تدفعه دفعاً إلى القيام بالمهمة التي أخذ على نفسه أن يقوم بها .

وراع والده اعتلال صحته فقالت لزوجها

**الوالدة:** إن جول مريض وأنت عنه في شغل - ألا تراه وقد ذوت نضارته  
وكهل جسمه وتمشت العلة في أعضائه .

**الراوي:** ثم التفتت الأم إلى ابنها واقتربت منه قائلة:

**الوالدة:** جول - ولدي - حبيبي!! مم تشكو؟ ماذا تحس؟ قل هذا أبوك وأنا  
لا تخفِ عنا شيئاً . .

**الوالد:** إن هذا الولد لا يهمني الآن في شيء لأنه خيب أملي فيه - فانصرف  
إلى اللهو وضم أذنيه فلم يعد يسمع نصحي .

**الوالدة:** ولكن حالة الولد سيئة . . وقد فات أوان اللوم والتقريع . . فتدبر  
الأمر بحكمة لئلا تسوء العافية وعندها لا ينفع الندم .

**الوالد:** إني أكرر أن «جول» لم يعد يهمني منذ الآن، عاش أو مات صحّ أو  
اعتل . . فقد رضت نفسي على أنه ليس لي ابن لا يقدر ظروفني ولا  
يصغي لإرشادي فلا تحدثيني في شأنه بعد اليوم .

**الراوي:** كان لهذه الكلمات في قلب الصبي وقع السهام فقد أيقن أنه مات  
في قلب والده وأنه أصبح لديه نسياً منسياً . . وأن ذلك كان بسبب  
معاونته له فصمم أن يسترد حب والده وعطفه بالكف عن معاونته في  
أعماله الإضافية وبالعكوف على المذاكرة والجد في دروسه .

فلما أعلنت دقائق الساعة أن الليل قد انتصف وأن موعد قيامه قد حان  
أخذ يتقلب في فراشه كالمحموم وطار منه النوم وأحس أنه يوشك على  
ارتكاب جريمة في حق أسرته إن قعد عن متابعة العون لأبيه وأخيراً لم يجد  
بدأً من القيام إراحة لضميره وبراً بأبيه ورأفة بأسرته، وعقد النية على دعم  
العودة إلى العمل بعد تلك الليلة . . فتسلل إلى حجرة المكتب وأخذ مكانه  
منها وقبل أن يستقر في مكانه . . طاشت من يده حركة أطاحت ببعض الكتب



فأحدث سقوطها على الأرض صوتاً مزعجاً قطع سكون الليل المطبق حوله وبعث الرعب في قلب الفتى فجمد الدم في عروقه ولكنه استرد جأشه ونفسه وقرب إليه سجل العناوين التي أصبح يحفظ معظمها وأخذ يكتب في حركة لا شعورية وقلبه مفعم بشيء من السرور والألم.

وكان كلما تخيل صوت حركة قام إلى الباب ونظر من ثقب الباب ومر الحارس أمام البيت فارتجف قلب جول ومرت سيارة فتركت صدى مزعجاً في نفسه لم يلبث أن زال فاستمر في كتابته، ولم يدرك «جول» أن سقوط الكتب أيقظ والده وأن ضوضاء الشارع والسيارات حالت بينه وبين الشعور بوالده وهو يفتح الباب ويدلف إلى الحجرة ويطل برأسه الأشيب من فوق منكبيه ينظر إلى حركات يد «جول» وهي تسطر العناوين في سرعة فائقة وإتقان بالغ فتسمر في مكانه وغمره شعوره ممتزج بالألم والسرور ولم يستطع أن يتمالك نفسه فسقطت من عينه دموعان على يد (جول) الذي انتبه فارتاح حين رأى أباه وصرخ صرخة عالية:

جول: اغفر لي يا والدي.. لن أعود، لن أعود أبداً.. اغفر لي..

الراوي: فاحتضنه أبوه.. وراح يهدىء روعه ويقبل ما بين عينيه ويقول:

الوالد: لا عليك يا بني - أنا أحق بعفوك - وأولى بمغفرتك - أقبل معذرتي واصفح عني أنا والدك الضعيف سببت لك الآلام وجلبت لك الأمراض.. اهدأ يا بني.. اهدأ..

الراوي: ثم انخرط والده في البكاء وحمل ابنه بين ذراعيه وأسرع به إلى أمه في حركة لا شعورية وكانت تلك العجبة قد أيقظتها.. ثم وضعه برفق بين ذراعيه وهو يقول:

الوالد: قبلي هذا الولد البار.. إنه ضحى بصحته.. وأودى براحته وبذل كل

ما في استطاعته من أجلنا - لقد ضرب أكبر مثل من أمثلة التضحية والإيثار.. حرم على نفسه النوم منذ زمن بعيد ليعاونني على كسب الخبز لتلك الأسرة الكبيرة وأنا أطالعه كل ساعة بنوع جديد من التأنيب والتعذيب حتى أثقلت على قلبه.. ذلك القلب الذهبي الذي انطوى على أنبل العواطف..

الوالدة: ولدي.. حبيبي.. سأظل أفخر بتضحيتك وأعتز..

هيا نأخذه إلى حجرة النوم فإنه بحاجة شديدة إليه.

جول: بارك الله لي فيكما يا والدي.. إنني مدين لكما ولا أستطيع أن أقوم بحقكما عليّ اذهبا أنتما أيضاً بحاجة إلى النوم والراحة.

الراوي: واستغرق «جول» في نوم عميق لم يفق منه إلا في ضحى اليوم التالي.. فاستيقظ نشيطاً تترقرق الحيوية في وجهه مستمتعاً بلذة استعادته لرضا والده ومكانته في قلبه وحين صحا وجد والده بجانب سريره وقد أسند رأسه الأبيض على نفس وسادته واستغرق في سبات عميق وعلى وجهه بسمه الرضا - فابتسم «جول» لأن والده قد قدر له التضحية.

ومرت الأيام - ونجح (جول) واستطاع أن يخفف بعض حمل الأسرة الكبيرة عن كاهل أبيه.

## مذبحة الأبرياء

قصتنا هذه الأملسية: (مذبحة الأبرياء) للروائي البلجيكي المحامي موريس مترلنك . ولد مترلنك عام ١٨٦٢ وتوفي عام ١٩٤٩م. يعد مترلنك في طليعة أدباء بلجيكا تأثر بالأدب الفرنسي. . ورائعة هذه الليلة (مذبحة الأبرياء) في قمة القصة القصيرة البلجيكية.

الراوي: وفي ليلة من ليالي ديسمبر سمع بعض الفلاحين السامرين في أحد مقاهي «نازرت» صوت راعٍ غلام يصرخ:

الراعي: أغيثونا . . أغيثونا . . أدركونا . .

الراوي: وخرج الفلاحون على صوته وبدؤوا يسألونه عما به فأجابهم:

الراعي: لقد هاجمنا الأسبان وأحرقوا مزرعتنا وشنقوا والدتي وربطوا إخواني التسع على جذوع الأشجار.

الراوي: وأمطره الفلاحون بوابل من أسللتهم المتنوعة فقال لهم:

الراعي: إن جنود الإسبان من الخيالة يتمنطقون الدروع والسيوف وقد ساقوا مواشي عمي بطرس وهم الآن يدخلون بها منطقة الأحرش .

الراوي: وأوقد النساء المشاعل وخرجن إلى الساحة حيث اجتمع الرجال

للتشاور فيما يجب وأسرع أحدهم فاستدعى صاحب المزرعة التي يشتغل بها الراعي فحضر على عجل ثم ارتقى أحد أبراج القرية للاستطلاع، وحين عاد سأله أحدهم عما رأى فأجاب:

صاحب المزرعة: لقد رأيت سحابة حمراء تغطي مزرعتي وفيما عدا ذلك فالجو صحو والسماء صافية الأنجم..

الراوي: وتداول الفلاحون فيما بينهم واستقر رأيهم على أن يختبئوا في الحرج الذي سيمر به الأسبان ويهاجمونهم إن كانوا قلة ويستردوا المواشي والأسلاب التي نهبها وتسلمح الفلاحون بفؤوسهم ورؤفهم ومناجلهم ثم ساروا إلى أحد المرتفعات في الحرج واختبأوا بجانب الطاحونة الموجودة هناك وبعثوا بأحدهم إلى صاحب المطحنة للاستطلاع من موقعها العالي وحين عاد هذا أخبرهم أن عدد الأسبان أربعة وهم في الطريق إليهم.. فقال كبير الفلاحين..

كبير الفلاحين: أيها الرفاق! عندما يصل فرسان الأسبان الأربعة إلى قرب المطحنة سنباغتهم من جميع الجهات.. فلا تدعوا لأحدهم فرصة للهرب.

الراوي: وهاجم الفلاحون فرسان الأسبان الأربعة وقتلوهم مع خيلهم واستاقوا المواشي والأسلاب وعادوا بها إلى القرية حيث كان بانتظارهم صاحب المزرعة والنسوة، فأقاموا الأفراح بين ترانيم الصبية والنسوة وشاركتهم الكلاب - بنباحها وتناسوا في غمرة فرحتهم المرأة المصلوبة والبنات الموثوقات بالأشجار حتى ذكرهم ولد المرأة المقتولة قائلاً:

أحد الرعاة: أنسيتم والدتي المشنوقة وأخواتي المربوطات إلى جذع الأشجار..

كبير الفلاحين: ليذهب صاحب المزرعة ومعه أقرباء المرأة المصلوبة وبعض الرجال لنقل القتيلة وفك البنات وإسعافهن وجلبهن إلى القرية.

الراوي: وسارت هذه الجماعة إلى المزرعة التي وجدوها ما تزال تحترق وحلوا وثاق البنات المربوطات وأنزلوا المصلوبة وعادوا إلى القرية حيث دفنوا القتيلة في اليوم التالي.. ومرّ أسبوع من دون أي شيء يذكر وإذا بفصيحة من الجنود الأسبان المدججين بالسلاح تصل فجأة إلى القرية بقيادة ضابط عجوز فساد الذعر.. وترقب أهل القرية الفجيعة، وكان مع كل فارس إسباني جندي من المشاة، وانتشر الجميع يطلبون الدفء والطعام.. وبعد أن نالوا منهما مطلبهم قال لهم قائدهم:

القائد: والآن اجمعوا لي أطفال القرية وأي شخص لا يسلمكم طفله، هاتوه إليّ معه بالقوة وأجمعوا مواشي القرية جميعها أيضاً..

الراوي: وانتشر الجنود في أنحاء القرية يجوسون خلالها وهرع الفلاحون إلى عمدتهم للتفاهم مع القائد الأسباني.. وسار العمدة إليه وحوله جماعة من الفلاحين يرتجفون هلعاً وبرداً، وكان أحد الجنود قد اختطف أحد الأطفال قسراً من والديه ولم يستطع العمدة التفاهم مع القائد الأسباني لأنه كان يجهل لغة البلد..

وأمام الملاء من الجنود والفلاحين إحتز الجندي رأس الطفل ورمى بجثته على الأرض فصرخت والدته:

الأم: قطعت يداك أيها السفاح الآثم.. لتنزل لعنة السماوات عليك وعلى قومك..

آه.. يا ولدي.. آه يا ولدي.. آه.. آه..

الراوي: وحملت المسكينة ولدها وركضت وهي تتعثر به فوق أكداس الثلوج..

أما والد الطفل فدخل في معركة مع القائد وأحد الجنود وتجراً بعض فتیان القرية فحصبوا الأسبان بالحجارة وجذوع الشجر.. ولكن الفرسان شرعوا رماحهم وسيوفهم وهاجموهم فهربوا مع النسوة وتفرقوا شذر مذر وانكمش عمدة القرية ومن معه من الخوف وصرخ الضابط العجوز في جنوده:

الضابط: ماذا تنتظرون.. هيا نفذوا الأوامر..

الراوي: وانطلق الجنود يهاجمون الدور ويختطفون ما فيها من أطفال.. فجمعوا ثلاثة منهم وعادوا بهم إلى قائدهم ورموا بهم تحت قدميه.. فانفلت أحد الأطفال وأسرع راكضاً إلى القرية، فتبعه أحد الجنود وقتله بسيفه وأتبع رفقاء الطفلين الآخرين به.. وارتفعت أصوات أهالي الأطفال بالنحيب والبكاء ومعهم بقية أهل القرية.. وركع العمدة تحت قدمي الضابط وقال:

العمدة: رحماك أيها الضابط الكبير.. اقتلنا نحن واخل هؤلاء الأطفال ما ذنبهم أرجوك الشفقة.. أرجوك.. أرجوك يا سيدي..

الراوي: ولم يلن قلب الضابط المتحجر.. بل أمر مشاة جنوده وفرسانه بتنفيذ الأوامر فانطلقوا يبحثون عن الأطفال الذين أسرع آباءهم بتخبئتهم في المغاور والأماكن المجهولة.. ولكن بكاء هؤلاء الأطفال

من الرعب كان يدل على أماكنهم فيمسكون بهم ويرمون بهم تحت أقدام الضابط الذي كان يأمر بذبحهم في الحال على مرأى من آبائهم وأمهاتهم .

ورأى أحد الجنود بيتاً كبيراً مطلية جداره بزرقة فصرخ في رفاقه . .

**الجندي:** هيا إليه . . أيها الرفاق . . فإن فيه صيداً ثميناً .

**الراوي:** وحاول الجنود فتح البوابة - ولكنهم لم يستطيعوا - فتسلقوا ودخلوا إلى الدار من إحدى النوافذ - فوجدوا جمعاً من الرجال والنساء والأطفال كانوا حول مائدة طعام كبيرة فاقتبأوا حينما سمعوا بما يجري في القرية - فصار الجنود يسحبون الأطفال من بين المختبئين الذين دبّ فيهم الحماس حينما رأوا أطفالهم يختطفون، فهبوا وجرت بينهم وبين الجنود معركة قتل فيها بعض الجنود وقتل كثير من الرجال والنساء واستنجد الجنود بإخوانهم فأنجدوهم فاستمر القتل واستطاع الجنود أخذ الأطفال وأسر بقية المقاومين وسوقهم إلى مركز القائد حيث أعدم الأطفال وصلب المقاومون على جذوع الأشجار . .

وتنادى سكان القرية وألهبت نفوسهم وأذكتها أصوات النساء ومناظر الدماء المهرقة فوزعوا أنفسهم إلى جماعات وصرخ أحدهم قائلاً:

**أحد الفلاحين:** أيها الرفاق . . نحن سائرون إلى الموت فيجب ألا نموت إلا بعد أن ننتقم لأنفسنا .

**الراوي:** وهاجمهم الجنود - فصار الفلاحون يستدرجونهم إلى الأزقة الضيقة حيث يضربونهم بما لديهم من فؤوس ومجارف، والنساء يرمين

بالحجارة والقدور والأدوات الثقيلة من النوافذ وفوق الأسطح على رؤوس الجنود حتى استمر القتل بين الطرفين واضطر قسم من الجنود إلى الهرب إلى حيث يقيم القائد العجوز الذي ما أن رآهم حتى صرخ فيهم:

القائد: أتهربون.. سحفاً وتباً لكم.. هيا ارجعوا وهاجموا..

الراوي: ثم هجم القائد عليهم فكروا ثانية على الفلاحين العزل وأمعنوا فيهم قتلاً وذبحاً.. وانسحب الفلاحون إلى الأماكن العالية وتحصنوا فيها وصاروا يضربون الجنود بكل ما يجدونه بين أيديهم.. ووجد القائد العجوز أن جنوده سيقضي عليهم لا محالة إذا ما استمرت حال المقاومة على شدتها هذه - فأمر جنوده بالانسحاب بعد أن ذبحوا أكثر أطفال القرية.

وبعد انسحابهم صرخ كبير الفلاحين قائلاً:

كبير الفلاحين: إليّ أيها القوم.. أسرعوا.. أسرعوا.. إلي.. إلي..

الراوي: وتجمعت فلول الفلاحين والفلاحات وبقية من سلموا فقال لهم:

كبير الفلاحين: أترك الجنود ينسحبون من دون أن نجهز عليهم وننتقم على الأقل للأطفال الأبرياء.

أحد الفلاحين: ما الرأي يا أنطونيو؟

كبير الفلاحين: لا شك أن الجنود سيهجعون في الحرج القريب من القرية لأنهم لن يستطيعوا مواصلة السفر فوق طبقات الثلج الكثيفة.

أحد الفلاحين: حسناً وماذا بعد ذلك؟

كبير الفلاحين: اجمعوا ما لديكم من فؤوس ومجارف وهراوات ورفوش



واحملوا معكم صفائح من النفط والجاز وسنشعل النار في الحرج -  
فمن يسلم من الحريق لن يسلم من فؤوسنا ومجارفنا ..  
أحد الفلاحين : فكرة هائلة ..

كبير الفلاحين : تجمعوا في حذر وبدون ضجة وأنا بانتظاركم هنا .

الراوي : وتفرق الفلاحون كل يجمع ما عنده من سلاح و النفط و جاز ..

ثم تجمعوا لدى كبير الفلاحين وساروا صوب الحرج .. فوجدوا جنود  
الأسبان قد نزلوا فيه وأوقدوا نيراناً لهم يصطلون بها - فرشّ الفلاحون النفط  
والجاز حول الحرج في حذر وسرعة - ثم أشعلوا فيها النيران .

ولما رأى قائد الأسبان العجوز النار صرخ قائلاً:

القائد: إلى خيلكم أيها الجنود .. هيا .. اهربوا .. قبل أن تأكلكم النيران ..

الراوي: ولكن النيران كانت كثيفة بحيث لم يستطع الكثير من جنود الأسبان  
الخروج - فماتوا حرقاً أو خنقاً من الدخان ومن حاول الهرب منهم لم  
يسلم من فؤوس الفلاحين ..

وكان على رأس الهاربين القائد العجوز الذي ما أن رآه الفلاحون حتى  
انهالوا عليه بفؤوسهم ومجارفهم وهو يئن ويصرخ ..

القائد: ارحموني .. ارحموا شبيتي وكهولتي ..

كبير الفلاحين: لا رحمننا الله أن رحمنك أيها المجرم .. أيها السفاح .. يا  
مصاص الدماء خذ .. خذ .. هذه هي الرحمة التي تستحقها يا أيها  
اللعين .

الراوي: وينهال عليه كبير الفلاحين بفأسه وتتبعه فؤوس ومجارف وهرافات  
والقائد يتوجع ويصرخ حتى لفظ أنفاسه .

كبير الفلاحين: هيا جروه.. واسحلوه ثم اصلبوه في ساحة القرية لعلنا  
نتعزى بمرآه فيما أصابنا على يده وجنوده من ويلات.

الفلاحون: مرحى أنطونيو.. مرحى أنطونيو.. لقد ثأرت لقتلانا  
وضحايانا.. بورك فيك.. بورك فيك..

## فلتزار العاصفة

قصتنا هذه الليلة: الرواية الأمريكية المشهورة (فلتزار العاصفة) للكاتبة الأدبية القاصة «روز وايلدرلين». ولدت روز وايلدرلين الروائية الأمريكية في الخامس من شهر ديسمبر ١٨٨٧ في ولاية داكوتا الجنوبية. وبعد أن أنهت تعليمها اشتغلت بادی الأمر بالصحافة ثم اعتنت بالقصة وبرزت فيها ومن أشهر رواياتها «هیللي بللي» «وسندا» ورائعة هذه الأمسية (فلتزار العاصفة) التي أعيد طبعها ثماني مرات ولا تزال هذه الرواية يعاد طبعها مرة كل سنة.

الراوي: عندما كانا طفلين يلعبان معاً قالوا: إنهما سيتزوجان متى شَبَّا وكبرا. فلما كبرا تزوجا.. تزوجت «كارولين» من «تشارلز» الفتى المرح المقدم، والصيد الجريء المغامر.. أما هي فكانت فتاة صبية هادئة لم يقم لها حظ وافر من الجمال.

وقد اضطر الزوجان - سعيًا وراء أراضي جيدة للفلاحة - أن يذهبا إلى الغرب حيث الأراضي الخصبة السهلة القليلة الغابات.

وأعطى والد «تشارلز» ابنه مركبة وجوادين وأعطى أبو كارولين بعض الأمتعة الضرورية وهكذا رحل الزوجان وهما مزودان تزويداً حسناً.. ولم يستطيعا قط أن يقولوا أيهما كان خيراً أيام الرحلة غرباً وهي متنوعة على طرق مجهولة؛ أم الليالي التي كانا يقضيانها بجانب النار الموقدة.. و«تشارلز»

يعزف على قيثارته، والخيل ترعى، والنجوم تتلألأ، والقمر يضيء، ونسيم الليل ساج جميل.. وكانت أغنيته المحببة إليه تنهضه على قدميه إذ يرفع الصوت بألفاظ التحدي والنصر فتنتطق فوق الحقول المعشوشبة، وتتجاوب بأصدائها الغابات الرحيبة العذراء.

تشارلز: خل العاصفة تزار فإن ذلك أخلق بأن يعجل بفنائها، وسنخوض الإعصار، ونرسو آخر الأمر على الشاطئ السعيد..

الراوي: وكان الصيف قد شارف آخره حين بلغ «تشارلز» وزوجه السهوب حيث وجد عملاً في السكة الحديدية لكي يكسب بعض المال لمؤونة الشتاء ولشراء الأدوات والبذور الزراعية.. وقد وجد «تشارلز» على بعد عشرين كيلومتراً من مكان عمله خمسين فداناً من الأراضي الممهدة بها مكان بيت مسقوف ومستودع للدواب والمؤن، وقبل أن يقدم على اتخاذ الاجراءات الرسمية لتسجيل هذه الأراضي سأل «تشارلز» زوجته قائلاً:

تشارلز: أترى ستكون هذه الأرض موحشة لك يا كارولين؟ إنه لن يكون هناك إنسان آخر غيرنا إلى مسافة ثلاثين ميلاً..؟

كارولين: أما لك بُدّ من أن تنأى عنها؟

تشارلز: كلا.. بل سأكون هناك إلا في حالات الاضطرار..

كارولين: إذن.. لن تستوحش نفسي..

الراوي: وقصد «تشارلز» مكتب تسجيل الأراضي على مسافة ثلاثين ميلاً ليظفر بهذه الأرض قبل أن يسبقه أحد إليها سواه.. وبدأت تباشير الشتاء وانقطع عمله في السكة الحديدية.. وحزم «تشارلز» وزوجه أمتعتهما وسارا إلى أرضهما غرباً.. وكان «تشارلز» متردداً في السفر

لأن كارولين حامل وربما لن تجد أحداً هناك يساعدها حين الوضع . .  
وأحست «كارولين» بقلق زوجها فقالت له :

**كارولين:** «تشارلز» زوجي العزيز . . لا تقلق . . إن الوضع أمر طبيعي وفي  
وسعي أن أضع طفلي هناك كما أضعه في أي مكان آخر . . هيا بنا . .  
هيا بنا . .

**الراوي:** ووصلا أخيراً إلى الأرض ودخلا الكوخ وسرت «كارولين» بالأرض  
بعد أن وجدت فيها خور ماء وأنها لن تحتاج إلى حفر بئر. وضع  
«تشارلز» مهداً من صندوقين انتظارا للمولود الجديد وسار كل شيء  
على ما يرام . .

وهوت الريح ودفعت الثلوج أمامها على الأرض . . وأثقل الحمل  
«كارولين» فصارت بطيئة الحركة قصيرة النفس وكان «تشارلز» لا يفارقها إلا  
قليلاً . . وجاءها المخاض بآلامه وأوجاعه ولكنها آلت على نفسها أن لا  
تصرخ أو تتوجع حتى لا تزيد ما يعانیه زوجها. وُولد الطفل وساعدها زوجها  
على الولادة . . وكان الطفل سميناً صحيح البدن وكانت سعادتها به لا  
توصف .

وذهبت الثلوج وازدانت السهول بالأزهار البرية وكانت «كارولين» تحمل  
الطفل وتمضي به إلى الحقل حيث يحرت زوجها وكانت تبشير الخصب  
ظاهرة على الأرض .

وفي صباح يوم من أيام مايو . . وقد أنبتت الأرض واخضرت رؤوس  
القمح أخذ «تشارلز» يزرع البطاطس أقبلت مركبة تجرها الثيران . . فدعا  
«تشارلز» «كارولين» وأراها ناراً على مسافة نصف ميل وقال لها والفرح يرين  
على كلامه :

تشارلز: سيكون لنا جيران يا كارولين . .

كارولين: حمداً لك يا إلهي . .

الراوي: وفي الصباح مضى «تشارلز» ليحيى القادمين ثم عاد كئيباً لأن القادمين كانوا من السويد لا يعرفون شيئاً من اللغة الإنجليزية . . ولكن «كارولين» كانت على كل حال فرحة برائحة أي إنسان. في هذه المنطقة فسارعت لزيارة الوافدين واستطاعت بطريق الإشارة أن تتفاهم مع زوجة القادم الجديد مستر «سفنسن» وشعرت «كارولين» كأن الأرض تعمر بسرعة غريبة لما صار لها جيران على مسافة نصف ميل منها.

وكانت الأرض تموج بنباتها فقد كانت السنابل الخضراء في الحقل كله نامية نمواً هائلاً لم يستطع «تشارلز» أن يكتف فرحه . . فجاء إلى كارولين ذات يوم وأخذها إلى الحقل وقال لها:

تشارلز: أنظري «يا كارولين» سأحصد أربعين شوال قمح من الفدان الواحد.

كارولين: في وسعنا إذن أن نشترى البقرة . .

تشارلز: (صائحاً) بقرة . . قولي قطعاً من البقر . . وسنحيط الأرض بسياج ونبني بيتاً حديثاً . . وسأشتري لك ثوباً من حرير وستكون لنا مركبة وزوج من الخيل . . أصبحنا أغنياء . . يا «كارولين» . . أغنياء . .

الراوي: وقبل أن تطلع الشمس استقل «تشارلز» المركبة وذهب إلى المدينة . . وعاد في المساء فخرجت «كارولين» للقاءه ومعها مصباح فوقع الضوء على آلة حصاد جديدة حمراء تلمع أجزاءها المصنوعة من الصلب وراء المركبة وكومة من حزم ملفوفة على مقعد المركبة . . فوثب «تشارلز» من المركبة حين رأى زوجته وقال:

تشارلز: خميني ماذا جئتك به؟

كارولين: أوه.. يا «تشارلز» كيف.. أترك استندنت؟

تشارلز: ولم لا؟ إنا قادرون على الوفاء.. أليس كذلك؟ يا ليتك سمعت ما يتحدثون به الناس في البلدة عن قمحنا.. لقد قدمت طلباً للأرض الواقعة فيها وراء خور الماء وصار لنا خير رقعة في هذه المنطقة وحتى صارت كلها مزروعة قمحاً.. رباه: هل كنت تحسبين أنني سأقطع كل هذه الأميال على مركبة فارغة؟ لقد كان واجباً أن نشترى آلة الحصاد هذه.. حمداً لله فإن في وسعي الآن أن أعتني بك وبالطفل.

الراوي: وبينما كانت «كارولين» تضع طعام العشاء على المائدة في اليوم التالي سمعا صراخ امرأة فتناول «تشارلز» بندقيته وخرج وتبعته «كارولين» ولكنها لم تبعد عن الكوخ بل اكتفت بأن تذهب إلى رأس الطريق.. وكانت المسز «سفنسن» مقبلة تعدو وتصرخ وتغمغم بألفاظ تنم على التحذير والفرع وتشير إلى سحابة مقبلة من الشمال الغربي بسرعة.. وتسمر «تشارلز» في مكانه وصاح هو الآخر:

تشارلز: رباه.. رباه!! إن الجراد يتساقط كالمطر من السماء.. كارولين.. إملأ الدلو اغمس البطانيات في الماء فقد تكون النار منجاة لنا من شره.. وسأذهب لحفر ثلاثة أحاديث في الأرض لأحمي بطينها المرفوع حقل القمح من النار سأوقدها بعد ذلك في الحشائش البرية..

كارولين: سأفعل وسأتبع النار على طول الخط المحروث لأمنع النار من

أن تحرق القمح . . وسأضرب على صفائح التنك والبراميل فإن صوتها يطرد الجراد كما يقولون .

**الراوي:** وابتدأت المعركة العنيفة المريرة التي لا رحمة فيها ولا هوادة . . وسقطت «كارولين» على الأرض مختنقة من سحب الدخان والرائحة الفظيعة المنبعثة من الجراد المحترق فخطفها «تشارلز» وأدخلها إلى الكوخ وقد ذهب شعر جفونه واحترق الشعر الذي كان على ذراعيه من لهيب النيران المشتعلة . . وبزغ الفجر داكناً من الدخان . . وعندما طلعت الشمس ارتفعت من الأرض أصوات أشداق صغيرة لا أعداد لها تأكل وتقضم أعواد القمح الطويلة تنتفض وتهتز ثم تساقط على الأرض أو تميل على الأعواد المجاورة .

ولما رأى «تشارلز» امرأته خارجة من الكوخ لمساعدته صاح من خلال الدخان قائلاً:

**تشارلز:** كارولين . . ارجعي إلى الكوخ وأبقي به لا قبل لك بهذا . . إنك ما زلت ترضعين الطفل . .

**الراوي:** وفي اليوم التالي لم يبق عود من القمح أو الحشائش قائماً على الأرض وعاد «تشارلز» إلى الكوخ ودموع عينيه المحمرتين تبلل الهباب الذي على خديه وقد علتها طبقة منه وارتوى على أقرب مقعد قائلاً في يأس مرير:

**تشارلز:** ذهب القمح كله يا كارولين . .

**كارولين:** عوضنا الله بسلامتك يا تشارلز . . لقد استطعت إلى الآن أن تمضي بدون القمح وحسبك هذا البكاء والشهيق .

**تشارلز:** آه يا كارولين . . ليتني لم أرتكب هذه حماقة . . إني مدين بمئتي



دولار.. ولا طحين لهذا الشتاء.. ولا بذور أيضاً..

كارولين: لا تفكر يا عزيزي في هذا الآن.. ولن تعجز عن تدبير أمرك..  
وسيزول عنك هذا الشعور متى نمت قليلاً..

الراوي: ونام «تشارلز» نوماً عميقاً من فرط الجهد والإعياء.. وعندما صحا  
كان وجهه مغضناً وعيناه منتفختان فأفطر وبعد ذلك أقنعتة «كارولين»  
بأن ينام ثانية فامتثل وجلست كارولين ساكنة لا تقلقه.

ورحل الجراد فجأة كما جاء.. ومضت سحابة شفاقة منه إلى الشمال  
الغربي ولم يبق في السهول كلها عود واحد من النبات.. وقرر «تشارلز» أن  
يذهب إلى مخيم السكة الحديدية الواقع على مسافة عشرين ميلاً لعله يجد  
عملاً.. ولكنه عاد بخفي حنين ثائراً غاضباً على معاكسة الظروف له.. فلما  
رأته كارولين بهذه الحال قالت له:

كارولين: ليس الأمر من السوء بهذا القدر.. فعندنا الدريس والبطاطس وفي  
هذا الشتاء تستطيع أن تخرج للصيد..

تشارلز: لن أستطيع فليس عندي بارود.. ولا أستطيع أن أقترض.. لقد  
قضي علي. أنا أنتهيت.

كارولين: هوّن عليك يا عزيزي.. لماذا لا تذهب شرقاً.. حتى يقبل الشتاء  
فقد تجد عملاً.

تشارلز: كيف نرحل فقد يثب أحدهم على هذه الأرض المحروثة إذا  
تركناها.

كارولين: لن يثب على الأرض أحد وأنا هنا.

تشارلز: هل تعين ما تقولين يا كارولين؟

كارولين: إنني أشعر بالوحشة في الحالتين سواء كنت تعمل في السكة الحديدية أم في أقصى الشرق.. سأكون بخير.. فإن جارنا «سفنسن» وعائلته هنا.

الراوي: ورحل «تشارلز» في طلب العمل بعد أن وعدها بالعودة قبل دخول الشتاء. وجاءت منه رسالة أنه وجد عملاً في مطحنة وأن صاحب المطحنة يعامله معاملة حسنة.. ومرة الأيام «سفنسن» وزوجته يريان «كارولين» وطفلها خير الرعاية لولا بوادر اليأس والقنوط التي بدأت تظهر على «سفنسن» وزوجته من عدم توفيقهما في عملهما هذا.. وكانت كارولين تهوّن عليهما الأمر وتقول لهما يجب أن نتحمل الصعاب فنغرس الأشجار لنلطف حرارة الجو من جهة ونستفيد من محاصيلها من جهة أخرى.. ولكن اليأس والقنوط استبد «سفنسن» وزوجته» وقررا أخيراً الرحيل إلى الشرق وفزعت «كارولين» من قرارهما لأنها ستبقى وحدها.. وزاد الطين بلة.. حين وصلتها رسالة من زوجها «تشارلز» يقول فيها:

إنه أصيب بكسر في ساقه ولا يستطيع العودة في هذا الشتاء وأن عليها أن تعتمد على سفنسن وعائلته. ولما علم «سفنسن» وزوجته» بذلك تأسفاً ولكنهما كانا قد قررا السفر.

وبقيت كارولين مع طفلها في كوخها وحدهما ولم تشأ أن تخبر زوجها برحيل «سفنسن» وزوجته» وهجم الشتاء بعواصفه ورياحه وثلوجه وهي تتذرع بالصبر وكان لديها الكفاية من المؤونة.. فلتزأر العاصفة ما شاء لها أن تزأر.. وجاء شهر نوفمبر واشتدت العواصف واستدامت بشكل فظيع حتى نفذ ما لدي «كارولين» من وقود مما اضطرها إلى حرق المهد الذي كان ينام عليها طفلها.. وسكنت العاصفة أخيراً وفت كارولين شملتها على جسمها

وخرجت والمسدس في يدها فرأت قطعاً من الماشية بجانب خور الماء لا يتحرك فدنت منها فرأت كعكات من الثلوج على عيون الماشية فاندفعت إلى أقرب عجل منها ونزعت الثلج عن عينيه، فندت عن حلقه خوار طويل من الألم . . . فصوبت مسدسها نحو صدغ العجل وقتلته ثم أجهزت عليه بفعلها ثم فكرت لعلها تجد بقرة بين هذا القطيع لتستفيد من لبنها . . . وفعلاً وجدت طلبها فأخذتها إلى المخزن وأزالت عن عينها الثلج وألقت إليها بالدريس . . . ثم عادت إلى العجل المذبوح واحتملت من لحمه ما استطاعت إلى كوخها وعاشت ليلتها على اللحم ورائحته التي غمرت الكوخ وكأنها مسك أذفر . . . غير أنها لم تستطع أن تنام تلك الليلة فقد هاجمت الذئب بقايا العجل المذبوح والماشية المتجمدة . . . وظلت «كارولين» ساهرة والمسدس على يدها تهدد طفلها الذي كان يصرخ أحياناً خوفاً من عواء الذئب واقتتالها على فريستها ولم تخلص «كارولين» مما هي فيه إلا حين طلوع الشمس فنامت وطفلها نوماً عميقاً استعداداً لمفاجآت الليل القادمة .

وثارت العاصفة ثانية عند الغروب وانهمر الثلج وخطر «لكارولين» أن صوت الرياح أشبه بأصوات الجن وهي منطلقة تتسابق وتدور فوق الكوخ . . . وراعها أن تسمع صيحة إنسان وأن ترى فجأة مدخنة الكوخ تنثني وتقرقع وأقدام رجل على سطح الكوخ . . . فسحبت «كارولين» مسدسها فما من رجل شريف نزيه القصد أو رجل ضل سبيله يمكن أن يترك بيته في هذه العاصفة فهو لا بد أن يكون من الخارجين على القانون الفارين من عقابه . . . وسمعت أقدام الرجل تتجه إلى الناحية الشرقية من المدخنة أي إلى الجهة التي يقع فيها خور الماء وأنه لا شك سيسقط هناك وتدفعه العاصفة . . . ولكن الناحية الإنسانية في «كارولين» تغلبت عليها فإذا بها تصرخ قائلة:

كارولين: يا هذا يا هذا أمامك طريق.. طريق تحت إلى اليسار ابعده عن الخور..

الراوي: ثم تناولت «كارولين» مسدسها ورفعت المزلاج عن الباب ووقفت وراء المائدة وانتظرت ومسدسها مصوب ناحية الباب.. وفجأة دفعت الرياح الباب فانفتح واندفع الثلج إلى الكوخ وظهر الرجل وكان مديد القامة خافي المعالم.. في معطف من الفرو قبعة وغطاء للأذنين يغطيها الثلج ومضت هنيهة قبل أن تعرفه «كارولين» وتصرخ قائلة:

كارولين: أهذا أنت يا تشارلز.. كيف.. كيف وصلت إلى هنا.. لقد كدت أقتلك يا حبيبي.

تشارلز: لقد نجاني الله من الوقوع في الخور حين سمعت صوتك. وهأنذا أعود إليك يا حبيبتي بعد أن تعافت ساقي لنعيش معاً ولتزار العاصفة ما شاء لها أن تزار فلن نبرح هذه الأرض ما دام فينا عرق ينبض.

## عقدة الرعد والبرق

قصتنا الليلة: الرواية الهزلية (عقدة الرعد والبرق) للروائي الأمريكي الشهير مارك توين. ولد مارك توين واسمه (صمويل لانج هورن كليمنس) في ميسوري في عام ١٨٣٥م وتوفي في عام ١٩١٠م. يعد «مارك توين» زعيم مدرسة القصة الضاحكة ذات المغزى العميق في الأدب الأمريكي فقد ألف كثيراً منها وفي قصة هذه الأمسية تنعكس روح «مارك توين» الضاحكة الساخرة.

الراوي: يخشى بعض الناس من الظلمة وبعضهم من الحيوانات وآخرون من الزوبعات الكهربائية ومن هؤلاء كانت (ايفا نجلين) فقد كانت تخاف من الرعد والبرق.

وفي ليلة منذ بضع سنوات خلت صحا زوج مسز ايفا نجلين على صوت زوجته تقول:

الزوجة: مور تميز!! مور تميز!!

الزوج: (منزعجاً) ها.. ماذا؟ ماذا حدث؟

الزوجة.. استيقظ.. استيقظ..

الزوج: ايفا نجلين أين أنت.. إنني أسمع صوتك ولكن لا أستطيع أن أراك.

الزوجة: إنني في خزانة الملابس مع ابنتي (برتة) ..

الزوج: ماذا تفعلين في دولاب الملابس .. في منتصف الليل ..؟

(يسمع صوت هزيم الرعد)

الزوجة: (صارخة) أسمع ذلك؟ إنه هو سبب وجودنا في دولاب الملابس .

برتة!! بنتي! هل أنت بخير؟

برتة: نعم يا ماما بخير .

الزوج: ما هو الشيء الذي تتحدثين عنه يا ايها نجلين؟

الزوجة: مور تمير .. أنت مما لا شك فيه أصم وأعمى أيضاً .. إنني أتكلم  
عن العاصفة، عن الرعد والبرق - هذا ما أتحدث عنه .

الزوج: أوه .. فهمت ..

(يسمع صوت الرعد)

الزوجة: إن الأمور تسوء .. المنزل على وشك أن يصاب وسنقتل جميعاً،  
إنني أعلم ذلك جيداً مورتمير .. ماذا تفعل؟

الزوج: لا شيء .. إنني مضطجع في فراشي .. نفس المكان الذي كنت فيه  
منذ دقائق .

الزوجة: مضطجع في الفراش .. مورتمير ويليامز .. إن مكانك لأخطر  
مكان ..

الزوج: خطر .. خطر ..؟

الزوجة: جميع الكتب تقول ذلك .. يجب أن تخجل من نفسك .. نائم ..  
نائم!! وكل دقيقة في الوقت الذي نحن فيه عرضة لضربة صاعقة .

الزوج: أنا آسف.. آسف.. برتا.. ابنتي.. هل أنت بخير؟

برتا: نعم يا بابا.. ولكن الجو في دولاب الملابس حار جداً.

الزوج: سأفتح الشباك كي يدخل الهواء النقي.

الزوجة: مور تميز.. ماك ويليامز.. لا تفتح الشباك..

برتا: ولكن الجو حار وخانق يا ماما إني لا أستطيع التنفس.

الزوجة: لن يضرك ألا تتنفس لدقائق قليلة يا بريتا ولكن يضرك إذا نزلت

صاعقة على سطح البيت مور تميز - لا تفتح الشباك.

الزوج: حاضر.. حاضر.. لقد تركت النافذة وإني أفتش على حذائي.

الزوجة: هل أشعلت عود ثقاب؟

الزوج: طبعاً.. هل يمكن أن أرى حذائي في الظلام.

الزوجة: ولكن الأزواج الآخرين يفعلون.. في سبيل الحرص على حياة

زوجاتهم.

مور تميز! هل جننت.. إنه لا شيء يجذب الصواعق كالنور..

إنه أسوأ عمل تقوم به.. اطفئ الكبريت حالاً..

الراوي: يسمع هزيم الرعد فتتابع الزوجة كلامها في رعب ظاهر..

الزوجة: حان أجلنا.. إني متأكدة أن النور سبب ذلك..

الزوج: متأسف يا ايها نجلين.. متأسف..

الزوجة: مور تميز! أين أنت الآن.. هل عدت إلى فراشك؟

الزوج: لا إني أرتدي ملابسني.

الزوجة: ترتدي ملابسك.. هل فقدت عقلك كلياً.. أخلع ملابسك حالاً..  
ألا تعرف أن الصوف يجتذب الصواعق.

الراوي: ويجيب الزوج بصوت غنائي على كلامها قائلاً:

الزوج: حسناً ما تقولين.

الزوجة: هل أنت الذي تغني يا مورتمير؟

الزوج: نعم يا ايها نجلين.. ولو أن صوتي غير حسن إلا أنني أحب أن  
أجرب ذلك في بعض الأحيان..

الزوجة: ألا تتذكر ما أخبرتك عنه أكثر من ألف مرة إن الغناء يولد ذبذبات  
وهذه الذبذبات تقطع مجرى الكهرباء.. وأوه.. حسناً إنه موضوع  
عويص حتى أشرحه.. أين أنت الآن.. هل أنت بجانب النافذة..

الزوج: لا يا ايها نجلين.. إنني بجانب الموقد..

الزوجة: إنك تفعل هذه الأشياء للتنكيد علي.. أبعد حالاً عن الموقد لأنه  
أحسن موصل للصواعق.

الراوي: ويسمع قصف الرعد في الوقت الذي يقول فيه الزوج والحيرة تطغى  
على كلامه.

الزوج: أين أذهب يا ربي.. فأني مكان أذهب إليه تقولين لي أذهب إلى  
مكان آخر.. إنني في حيرة من أمري.

الراوي: يسمعون مواء قط بشكل عالٍ فتقول ايها نجلين:

الزوجة: مورتمير.. ما هذا الصوت؟

الزوج: إنه صوت قطة فقد دعست على ذيلها فألمتها فصرخت.



الزوجة: القطة.. أرم بها في المنور فأجسام القطط مشحونة بالكهرباء..

الراوي: ويرمي الزوج القطة خارج الغرفة وهو يقول:

ازلوج: أمرك يا ايها نجلين.

الزوجة: مورتميرا! هل أوصيت على وسائد الريش التي سألتك أن توصي بصنعها.

الزوج: آسف - لقد نسيت.. وإن أول عمل سأفعله في الصباح هو صنع الوسائد..

الزوجة: سنكون في عداد الأموات في الصباح.. نسيانك ربما يكلفك حياتك.. لو كانت لديك وسائد من الريش لنمت عليها وأنت في أمان من الصواعق.

الزوج: آسف - آسف..

الزوجة: لقد جاء أسفك متأخراً.

الراوي: ويسمعون صوت رعد قوي جداً أكثر من أي مرة مضت فيقول الزوج:

الزوج: سأزيح الستائر وأتطلع من الشباك فصوت الرعد في هذه المرة غريب جداً..

الزوجة: لا تقترب من النافذة.. كم مرة أوصيتك ألا تفعل..

الزوج: حسناً - حسناً.

الزوجة: أعطني الكتاب الأحمر الكبير من على الكوميدينو..

الزوج: أنى لي أن أعرف أنه أحمر..

الزوجة: لا تهتم بلونه - فهو الكتاب الوحيد الموجود على الكومبيوتر.

الزوج: كيف تستطيعين القراءة في الظلام.

الزوجة: سأضيء المصباح داخل دولاب الملابس؟

الزوج: إيفا نجلين كيف تبيحين لنفسك فعل شيء كنت منعتني عنه؟

الزوجة: إن إضاءة المصباح في مكان لا نافذة به لا ضرر منه. أعطني الكتاب والمصباح والكبريت..

الزوج: حاضر..

الزوجة: إنه كتاب علمي يتحدث عن كيفية الوقاية من الصواعق.

امسكي «يا برتا» المصباح وسأقرأه عليكم ما يقوله الكتاب.

برتا: حاضر يا ماما حاضر..

الزوجة: يقول الكتاب - يجب أن تقف على كرسي في وسط الغرفة وأن توضع قوائم الكرسي على شيء عازل.. هات يا مورتمير أربعة أكواب بها ماء وأسرع قبل أن تضربك الصاعقة.

الراوي: يسمع صوت هزيم الرعد - بينما الزوج يقول:

الزوج: لقد وضعت قوائم الكرسي في أكواب الماء.

الزوجة: لا أستطيع أن أرى بقية ما يقول الكتاب.. أمسكي المصباح جيداً يا برتا.. أظن أن الكتاب يقول... واحتفظ بشيء معدني بجانبك أو بعيداً عنك.. إنني غير متأكدة.. حسناً إنه من المعقول أن تحتفظ بشيء معدني بجانبك.

الزوج: إيفا نجلين.. إنني غير متأكد من ذلك.

الزوجة: مورتيمير، ضع خوذة المطافىء على رأسك.. هذا ما يقول الكتاب..

الزوج: حاضر يا ايها نجلين.. ولكن ذلك لا يليق بي.

الزوجة: أفعل ذلك بأي طريقة فالكتاب يقول ذلك ويقول أيضاً إنه ليس من الخطر أن تقرع الأجراس.

الزوج: ولكن ليس لدينا أجراس..

الزوجة: ولكن لدينا جرس الطعام.. أسرع واثت به.. والآن أصعد على الكرسي بعد أن ترتدي خوذةك.. وأبدأ في قرع الجرس.

الزوج: إنك تغالين في ذلك..

الزوجة: أفعل كما أمرك..

الزوج: حسناً ولكن سأظهر بمظهر المغفل الغبي..

الراوي: ويبدأ الزوج في قرع الجرس وزوجته تقول له:

الزوجة: أعلى.. أعلى..

الزوج: هل هذا الصوت كافٍ؟

الزوجة: أقرع الجرس بأقوى ما تقدر عليه..

برتا: ماما يكاد رأسي يتحطم من هذا الصوت..

الراوي: ويتسمعون إلى طرقات على الباب فتقول ايها نجلين:

الزوجة: ما هذا؟

الراوي: ويفتح الباب.. ويتوقف طبعاً قرع الأجراس وإذا بأحد الطارقين واسمه فرنك يقول:

فرنك: مورتمير - ماذا يجري هنا؟

ديك: ماذا تفعل يا مورتمير على ذلك الكرسي في الساعة الواحدة صباحاً  
ولماذا تقرع ذلك الجرس؟

الزوجة: من هؤلاء يا مورتمير - إني أسمع أصواتاً..

مورتمير: إنهما فرنك وديك جارانا.

الزوجة: ماذا يبغيان؟

فرنك: لقد هرعنا لنرى مصدر الصوت يا مسز وليامز..

ديك: لقد ظننا أن أحداً منكم به سوء.

الزوجة: إننا كذلك ألا تسمعون الرعد وتبصرون البرق.. أدخلنا وأغلقنا  
الباب قبل أن نهلك جميعاً.

فرنك: رعد؟

ديك: برق؟

الزوجة: أجل إن ذلك مستمر منذ أكثر من ساعة.

مورتمير: أيفاً نجلين تقول إذا لم تقرع جرساً فالحالة ستزداد سوءاً.

فرنك: ولذلك ظللت تقرع الجرس..

مورتمير: نعم..

ديك: حسناً ولكن لست أدري ما الذي جعلكما تظننان أن هنالك عاصفة  
رعديّة؟

فرنك: افتحوا الستائر وتطلعا.. إن أديم السماء أصفى من أي ليلة في هذه  
السنة - فلا سحاب مطلقاً..

الزوجة: ولكن كنا نرى البرق..

برتنا: وسمعنا الرعد..

ديك: (ضاحكاً) إن ذلك كان صوت المدفع الكبير المنصوب على التل.

مورتمير: مدفع؟

فرنك: نعم فقد جاءت الأخبار بعد منتصف الليل إنه أنتخب رئيس جديد للدولة وصدرت الأوامر بإطلاق المدافع.

الزوجة: لم يخطر ذلك ببالي قط.. أنزل يا مورتمير عن الكرسي وضع الجرس في مكانه فبقاؤك على ما أنت عليه مجلبة للهزء والسخرية.

## مغامرة فوق الجليد

قصتنا هذه الليلة: (مسز مايك) أو (مغامرة فوق الجليد) للروائيين الأمريكيين بنديكت ونانسي فريدمان. ولد بنديكت فريدمان في نيويورك في ١٩ ديسمبر من عام ١٩١٩م وولدت نانسي فريدمان في ٤ يوليو من عام ١٩٢٠م. وقد اشترك بنديكت ونانسي فريدمان في وضع عدة روايات أهمها «مسز مايك» أو مغامرة فوق الجليد وقد وضعها في عام ١٩٤٧.

الراوي: وقف القطار المقل «لكاترين ماري» على محطة (كالجاري) وأقبل رجل طويل أسمر وكان خالها (جون) ينتظرها فلما أبصرها هرع إليها قائلاً:

جون: أنت كاترين ماري؟

كاترين: نعم.. أرجو أن تكون أنت خالي جون.

جون: نعم أنا خالك جون.. ما أشبهك بأمك.. إني لم أرك منذ طفولتك.

الراوي: واستقلا عربة خيل وألقى «جون» على ركبتَي كاترين غطاءً سميكاً من الصوف وبعد يومين وصلا إلى مزرعة خالها بعد أن تعرضا لعواصف ثلجية وأمطار غزيرة.

واستمرت «كاترين» حياة المنطقة الشمالية بالرغم من قساوتها

وضراوتها. وبينما كانت في المطبخ ذات يوم تعد «كعكة» قرع الباب ودخل شاب طويل يرتدي بدلة حمراء ويحمل رجلاً على ظهره فصرخت كاترين:

كاترين: رباه. أهو ميت؟

الراوي: وضحك الشاب وألقى بحمله على المقعد وقال:

الشاب: ستدلك أنفك على حاله.. أنه مخمور.. أنه طباخ خالك.. والقهوة الساخنة تنفعه.. هيا أعديها له بسرعة.

كاترين: أشكرك على مجيئك به إلينا.. ولكني أرجوك أن تتصرف لأنني لا أحب أن أتلقى أمراً من شرطي بريطاني..

الشاب: هل أنا شرطي بريطاني وما الذي جعلك تظنين هذا الظن؟ أنا الجاويش (مايك فلانجان) من قوة شمال كندا..

الراوي: وجاء «جون» وشكر الجاويش «مايك» على صنعه ودعاه إلى تناول العشاء وكان طبق الحلو هو الكعكة التي أعدتها «كاترين» فقصم منها «جون» قضمة وبدت في عينيه نظرة غريبة ووضع الشوكة ورفع مقعده إلى الوراء وكذلك فعل الجاويش «مايك» وهو يقول:

مايك: جون.. أنك حينما تبدأ في تدريب (كاترين) على إطلاق الرصاص لن تجدها في حاجة إلى ذخيرة.

كاترين: ولماذا؟

مايك: يكفيك فتات هذه الكعكة فإنها أصلب من الرصاص.

الراوي: وانفجر «مايك» ضاحكاً.. وتميزت «كاترين» غيظاً وقضمت من الكعكة قطعة كبيرة فأحست كأنما تمضغ حجراً صلباً، وتصنعت إنها تبلع ما قضمت وقام «مايك» محيياً لينصرف ولم تستطع «كاترين» الرد

على تحيته لأنها لم تستطع النطق فتناول «مايك» يدها وقال:

مايك: ابصقي ما في فمك. وأجيدي خبز الكعك في المرة القادمة..

الراوي: وكثر تردد «مايك» على دار «جون» وكانت النتيجة تزوجه «بكاترين» وحملها إلى مكان عمله في «هدسن هوب» بشمال كندا والتي لا يمكن الوصول إليها إلا بالزحافات التي تجرها الكلاب وفي رحلة تستغرق ما بين شهرين إلى ثلاثة شهور.. وبدأت الرحلة واشتد البرد وهبطت الحرارة إلى الخمسين درجة تحت الصفر ووصلت القافلة أول محطة لها وبينما كانوا يتناولون العشاء راع «كاترين» عواء كأنه نحيب يرتفع شيئاً فشيئاً ثم يتحول إلى صرخة مدوية واشتد العواء وكان عواء قطع من الذئاب، وارتعش بدن «كاترين» وانهارت أعصابها واندفعت تصرخ:

كاترين: آي.. آي.. آي.. آي..

مايك: كفى يا كاترين. كفى..

الراوي: واعتادت «كاترين» سماع هذه الأصوات.. وأخيراً وصلت قافلة الزحافات إلى «هدسن هوب» وحطت رحالها «كاترين» في دار «مايك» الذي كان عبارة عن كوخ.. وتطلعت «كاترين» من النافذة إلى الكوخ الذي أعد ليكون مكتباً «لمايك» ومحكمة للقرية ومستشفى وقالت:

كاترين: عزيزي «مايك» أيقصدك الناس هنا إذا ما مرضوا؟

مايك: إننا على بعد (٧٠٠) ميل من أطراف العالم المتمدين ومن أقرب طبيب..

كاترين: ألك خبرة بالطب؟



مايك: علمي به قليل.. وقد اشتريت بعض كتب طبية من كالجاري. لا تخشى سأكون «القابلة» حين ولادتك..

الراوي: وكان «مايك» هو الحاكم المتنفذ في تلك القرية التي يسكنها حوالي (١٣٥) نفساً من الهنود الحمر الذين توافدوا لتحية كاترين «وزوجها» واختلطت «كاترين» بهم وأحبوها وأحبتهم وفي أحد الأيام كانت «كاترين» في حديقتهما فرأت ضباباً حجب أشعة الشمس وصبغها بلون برتقالي فأدركت أن هنالك حريقاً في جهة ما فأسرعت تخبر مايك به فقال لها.

مايك: إذهبي إلى النهر يا كاترين.. وسأذهب أنا للمكافحة.

كاترين: ليحفظك الله: ليحفظك الله..

الراوي: وازدحمت ضفة النهر بنساء ليس فيهن إلا من تجر طفلاً أو تجذب طفلاً أو تحمل طفلاً وتعالى صراخ الأطفال واشتدت لفحة النيران فارتمى النساء والأطفال في النهر الذي أصبح الحاجز الوحيد بينهم وبين النار وتجمد بعضهم وغرق البعض الآخر.. وأصيبت «كاترين» فيمن أصيبوا ببعض الحروق البسيطة في وجهها ورقبتها ولم تخدم النار إلا بعد أن خلفت أرضاً سوداء بعد أن اختفت معالم القرية. ونقل «مايك» بعد هذا الحريق إلى بلد آخر وكان رجاؤه أن يصل إلى مقامه الجديد قبل أن تحين ولادة «كاترين» وجاء «كاترين» المنخاض قبل أن تصل إلى المقر الجديد لزوجها.. وبمساعدة إحدى القابلات ولدت «كاترين» طفلة سموها «ماري» ووصلوا أخيراً إلى بلدة «جروار» مكان عمل «مايك» واستقبلوهم أهل البلدة بحرارة وكان سكانها خليطاً من الهنود الحمر والكنديين المنحدرين من أصل فرنسي وأكثرهم صيادون.. وشد عمدة المستقبلين على يد «مايك» قائلاً:

العمدة: أهلاً بك في بلدتنا . . إننا نتمنى لك ولزوجك وطفلتك طيب المقام  
بيننا . .

مايك: شكراً لك أيها العمدة . . وشكراً للحفاوة والترحيب الحار من  
الجميع . .

الراوي: واتخذت «كاترين» أو مسز «مايك» خادمة لها من الهنود سميتها  
«فرحانة» لأنها كانت دائمة البشاشة والابتسام . وجاء «مايك» ذات مساء  
ومعه فتى أمه هندية وأبوه من البيض اسمه «فوكيه» وما أن رآته مسز  
«مايك» حتى أخذت بيد زوجها إلى غرفة مجاورة وقالت له بغضب:

كاترين: لما أتيت بهذا الفتى؟ ألم تر نظرته إلى الفتاة (فرحانة) إنه تصرف  
خاطيء وأن المؤسسة التي أخذنا منها الفتاة إذا ما علمت بمجيئه  
عندنا سيطلبون بدون شك إعادة الفتاة إليهم خوفاً على الفتاة منه . .

مايك: إسمعي أيتها الحمقاء لقد أتيت (بفوكيه) لتطعميه فهو يكاد يهلك  
جوعاً . . لقد رأيت حين وجدته ينزع قشر شجرة ليلتمس تحته ما يبيل به  
ظمأه كما وجدته مثخناً بالجراح ويظهر أنه تقاتل مع «كردينال» حول  
مصائد الفراء .

كاترين: ألم يقل لك عن أسباب جراحه . .

مايك: لا . . لقد رفض أن يتكلم أنه شديد الكبرياء شأن قومه الهنود .  
أطعميه من فضلك وسأتولى تضميد جراحه . .

الراوي: وأكل «فوكيه» بهدوء وبعد أن فرغ من طعامه قال له مايك:

مايك: لقد أصبحنا أصدقاء يا «فوكيه» .

فوكيه: نعم . . لقد أكلت في دار صديقي . .

الراوي: وكان «فرحانه» الخادم في غاية السرور بينما كان «فوكيه» يأكل وهو الآخر يراقبها بسرور زائد. . وبعد أن انتهى «مايك» من تضييد جراح «فوكيه» سمعا طرقتاً على الباب فهرع «مايك» وفتحه فإذا بالداخل «كردينال» الذي ما أن رأى «فوكيه» حتى قال:

كردينال: لقد أحسنت صنعاً بالقبض على «فوكيه».

مايك: إنه طليق لم يقبض عليه، وقد أخبرتك أن الابتعاد عن «فوكيه» خير لك وليس في حضورك هنا إلا الضرر. . إني أعلم أن «فوكيه» رماك ببعض سهامه وقد جئت به إلى هنا لا لأقبض عليه بل لأسمع أقواله وأريده أن يعدني بالألا يعود إلى فعلته الأولى وإلا قبضت عليه. .

فوكيه: إذن فالمهم القادم سيكون هو المهم الأخير. .

مايك: إذن سأوقفك «يا فوكيه» إزاء تهديدك هذا. .

الراوي: ورحل «كردينال» بعد هذا التهديد إلى بلد في شمال المنطقة التي يحكمها «مايك» ثم تواترت الأنباء بعد مدة أن «كردينال» قد عاد إلى خلته القديمة في سرقة الفراء ولكن بطريقة جديدة وهي وضع فراء رخيصة محل الفراء الثمينة التي يسرقها. فعزم مايك على أن يقبض عليه وأخذ يعد عدته لذلك مع زميل له وعلمت زوجته «كاترين» بالأمر فقالت له:

كاترين: متى تعود يا مايك؟

مايك: بعد شهرين يا عزيزتي.

كاترين: إذن سألد طفلي الثاني في غيابك. . ساعدني وارحمني يا إلهي.

مايك: لا تبكي يا عزيزتي سأعمل ما استطعت على ألا أتأخر. . والله معك. .

كاترين: مع السلامة.. مع السلامة..

الراوي: وعاد «مايك» قبل أن تلد زوجه - وبعد أن قبض على اللص «كردينال» وأودعه السجن وفي تلك الليلة وبينما كان «مايك» يتناول العشاء مع أهله فتح الباب وإذا بأحد زملائه يقول بلهفة:

الزميل: وجد «كردينال» مقتولاً.. فقد طعن في حلقه ولا تزال المدية مغروزة فيه.

مايك: هل رأيت تلك المدية؟ أو هل تعرف صاحبها؟

الزميل: إنها مدية «فوكيه» فعلى مقصمهما نقش لمناظر صيد وهذا النقش لا يجيده إلا «فوكيه»..

مايك: لا أحب التسرع في الاستنتاج فتعال معي نحقق في الأمر..

الراوي: وتبين من التحقيق أن «كردينال» هذا قتل بمدية سيدة كان اعتدي عليها وأن المدية كانت مشتراه من «فوكيه» وأطلق سراح «فوكيه» وتزوج من فرحانة «الخادم» وهاجر إلى إحدى قرى الهنود الحمر النائية.. وانتشر مرض الدفتريا بشكل وبائي قضى على أكثر الأطفال بما فيهم أولاد مايك وتجلد «مايك» وزوجه وهان عليهما مصابهما مقابل أرواح عشرات الأطفال من أبناء الآخرين وصارت «كاترين» تساعد زوجها في إسعاف أطفال تلك البلدة وجاءها «مايك» ذات مساء قائلاً:

مايك: كاترين.. أرجو أن تذهبي إلى مسز «كونستانس» فإن ابنتها «بريتا» مريضة منذ أيام.

كاترين: ولكن..

مايك: ماذا..

كاترين: إنها تسكن في جهة بعيدة عن العمران وأخشى من الوحوش والكلاب .

مايك: خذي معك هذه العصا وهذا المسدس . . إنك تحسنين استعماله إذا اقتضى الأمر .

الراوي: وتعرضت «كاترين» لهجوم الكلاب الضارية واستعملت مسدسها مرة واحدة لإرهاب بعض الوحوش وأخيراً وصلت إلى «كونستانس» فوجدت ابنتها «بريتا» قد فارقت الحياة . . وعادت كاترين إلى دارها تجتر أحزانها وتسرح في تيه من الألم المرير وبينما هي في هذه المتاهة إذا بأصوات في الخارج وإذا بزوجها يقول :

مايك: أدركيني يا كاترين إن معي رجلاً هجم عليه دب فكسر أحد ضلوعه وجرح كتفه . . ساعديني على حمله . .

كاترين: إني قادمة . . إني قادمة . .

مايك: لا تأتي . . لقد جاء من يساعدني . . افتحي لنا الباب . . وأدفيء المكان فالعاصفة الثلجية بدأت تزأر والثلج شرع يتساقط .

الراوي: ودخل «مايك» ومعه المصاب وأجرى الإسعافات اللازمة له وراح في سبات عميق . . وانتظم «مايك» وزوجه ومساعدته حول مائدة العشاء يتحدثون في مشاكل البلدة والمفارقات العجيبة التي يتعرضون لها وبينما هم يتسامرون إذا بالباب يقرع فهرع «مايك» ففتحه ثم عاد وييده برقية ما أن فتحها وقرأها حتى خبط على جبينه وقال .

مايك: أعلنت الحرب . . ألمانيا الهتلرية تهاجم بولندا وفرنسا . . كندا أصبحت في حالة حرب معها بعد إعلان إنكلترا الحرب على ألمانيا .

يا للهول . يا للفضاعة . . تباً للحروب .

ولم ينج القسم الذي يحكمه الجاويش «مايك» من ويلات هذه الحرب فقد فجعت بعض عائلات المجندين بفقد أبنائها، فكان «مايك» وزوجه يقومان بالتعزية والمواسات كما أن هذا البلد لم يسلم من الحرب الباردة وانتشار الشائعات عن وجود غواصات ألمانية في المياه الإقليمية الكندية.

وإذا كان هذا البلد قد تجنب ويلات الغارات الجوية فإنه مني بموجة وبائية من الأنفلونزا فتكت بكثير من الرجال والنساء وفي المقدمة مادلين صديقة «مايك» وزوجه إذ توفيت تاركة طفلين وليس هنالك من يعولهما مما اضطر مايك وزوجه إلى تبني الطفلين . . بعد أن أوصته جدتهما «كونستانس» التي وافتها المنية بعد ابنتها مادلين بأيام، بقولها . .

كونستانس: إني في سباق مع الموت . . ولست مبالية بذلك . . وإنما أبالي بالتوأمين ولدي مادلين . . فإذا مت فخذوا التوأمين وإني سأموت قريرة العين إذا ما وعدنا بذلك . .

مايك: سنفعل إذا ما قدر الله . . أنت بخير يا كونستانس .

كونستانس: إذن . . سأنام نومتي الأبدية وأنا مرتاحة البال . .

الراوي: ثم فاضت روح «كونستانس» إلى بارئها وأخذ مايك وزوجه التوأمين إلى دارهما . . وفي اليوم الذي احتفل فيه الحلفاء في (بوتسدام) بانتصارهم على ألمانيا كان «فوكيه» يدخل على «كاترين» قائلاً . .

فوكيه: كاترين لقد ماتت «فرحانة» وخلفت هذا الطفل وأنه ليسرني أن تتبنيه أنت ومايك . .

كاترين: لقد عوضنا الله عن طفلينا بثلاثة يا مايك فالحمد لله .

مايك: الحمد لله الحمد لله .

## الانتقام الرهيب

للكاتب الفرنسي المسرحي ألبير كامبي

**الراوي:** في أحد الفنادق الريفية بمقاطعة (مورافيا) جلست الأم صاحبة الفندق وابتنتها (مارتا) تتبادلان الأحاديث عن نزيل يوشك أن يحل بالفندق وتتمنيان أن يكون غنياً ووحيداً كذلك . . فالنزيل من هذا النوع هو الذي يلائم أغراضهما ولو أنه ندر في الأيام الأخيرة هبوط مثل هذا الصيد على الفندق مما أدى إلى عسر حالهما وكثرة تبرم «مارتا» من هذه الحال والأم تهدهد هذا التبرم بقولها:

**الأم:** بنيتي «مارتا» إن مطالب الأغنياء كثيرة . . وتحقيقها لا تتحملة أوضاعنا المالية السيئة . .

**مارتا:** ولكن الأغنياء يدفعون كثيراً يا أمه . .

**الأم:** آه يا بنيتي! إنني أتطلع فقط إلى الطمأنينة والدعة، وإلى شيء من الراحة بعد طول العناء . . وثمة ليالٍ ينتابني فيها ما يشبه أن يكون أحاسيس دينية تهيب بي أن أترك نفسي على سجيتها وأن لا أكون قاسية متشددة مثلك يا (مارتا) . .

مارتا: أنا .. أنا .. يا أماه ..

الأم: أجل (يا مارتا) أجل .. إنك تأخذين الحياة بكثير من الجد وهذا لا يناسب سنك فإني أعرف فتيات ولدن معك في عام واحد ولا يحلمن إلا بالحماقات ..

مارتا: ولكن حماقاتهن لا تقاس بما نرتكب كما تعرفين يا أماه ..

الأم: صدقت يا بنيتي وهذا ما يؤرقني ويضنني فكلما حل بفندقنا ضيف وحيد غني قدمنا له المخدر في قده الشاي حتى إذا فقد وعيه جردناه من ماله وأوراقه وحملناه إلى النهر وغيبناه في جوفه وسره معه ..

مارتا: ما بك يا أماه .. ماذا تقولين؟

الأم: وددت يا بنيتي لو أن الضيف الذي يوشك أن يحل بفندقنا تتيح له الأقدار أن يفلت من أيدينا ..

مارتا: لا .. لا .. لن يفلت من أيدينا ويجب أن يلقي مصير من سبقوه وستشتركين معي يا أماه .. أليس كذلك؟

الأم: (كالمغلوب على أمره) .. ليكن ما تريدين يا (مارتا) ..

مارتا: أراك تقولينها بطريقة غريبة كما لو كنت مكرهة على ذلك ..

الأم: الحق إنني متعبة وإنني لأتمنى أن يكون ذلك هو الرجل الأخير فالقتل مزعج إلى حد يثير الفزع، ورغم أنه لا يهمني أن أموت على ساحل البحر أو في هذا السهل الفسيح فإني أود أن نرحل بعد ذلك معاً ..

مارتا: سنرحل .. تمالكي نفسك فلم يبق إلا القليل يا أماه .. سيشرّب النزيل قده الشاي وينام ولسوف نحمله وهو لا يزال ينبض بالحياة إلى



النهر وبعدها ستجدين الراحة التي تنشدينها ..

الأم: إنني ذاهبة فأعدي كل شيء يا (مارتا) إذا كان الأمر يساوي حقاً ما نعاني في سبيله ..

الراوي: ويفد «جان» النزيل ولا تلبث أن تقبل «ماريا» زوجه فيسوؤه مقدمها إلا أنها تبدي له ما يساورها من قلق فهي لا تريد منه أن يبعد عنها إذ أنهما كانا ينزلان في فندق آخر .. ولكن «جان» رغب في أن يدعها في ذلك الفندق ليقتضي ليلته في فندق الأم وابنتها .. وتحاول «ماريا» أن تثني زوجها عن عزمه ولكنه كان مسوقاً إلى هذا المكان بفكرة معينة تجعله يتشبث بالميت فيه وإذ ذاك تسأله «ماريا» .

ماريا: أهذا هو المكان يا جان؟

جان: أجل! إنه هو .. ومن هذا الباب خرجت منذ عشرين عاماً ..

ماريا: لا أستطيع أن أصدق أن صاحبة هذا الفندق أو ابنتها لم تتعرفا عليك بمجرد أن شاهدتاك فالأم خليقة بأن تعرف انها .. وهذا أقل ما يمكنها عمله ..

جان: بلى ماريا بلى .. ولكن عشرين عاماً من البعاد والفراق تغير معالم الأشياء قليلاً .. ولقد بلغت والدتي من الكبر عتياً وضعف بصرها حتى أنني نفسي لم أكد أعرفها .. لقد جئت إلى هنا أحمل معي حظي والسعادة إذا استطعت أن أحققها فمسؤوليتي نحو أمي وأختي قد وجبت . بعد وفاة والدي ..

ماريا: ولماذا لم تعلمهما بحضورك يا جان؟

جان: أريد أولاً أن أستطلع أحوالهما عن كثب لأتبين ما يحقق لهما السعادة ثم أبحث بعد ذلك عن وسيلة لأعرفهما بنفسي ..

ماريا: قد تكون على صواب يا جان.. فأرجو عفوك.. فأني منذ وطئت  
قدمي هذا البلد أسىء الظن في كل شيء.. جان.. لترحل يا جان  
فإنك لن تعثر على السعادة في هذا المكان..

جان: ليست السعادة هي الأمل الذي جئنا نبحث عنه فنحن نتمتع بالسعادة  
فعالاً..

ماريا: فلماذا لا تقنع بما نحن فيه..

جان: ليست السعادة كل شيء يا ماريا.. فللرجال واجبات يلتزمون بها  
ومن واجبي أن أبحث عن أمي وأن أجد موطناً لي.. فالمرء يفتقد  
سعاده في الغربة أو في غمرة النسيان.. حقيقة أن الإنسان في حاجة  
إلى السعادة ولكنه أيضاً في حاجة إلى أن يجد ما ينتسب إليه..

ماريا: إنني يا جان إزاء إصرارك لا أملك إلا أن أعود من حيث أتيت أعود  
وأنا خائفة وقلقة جداً عليك..

جان: لا تخافي.. اطمئني.. مع السلامة.. مع السلامة..

الراوي: وبعد خروج «ماريا» بمدة تأتي «مارتا» فتسأل «جان» في خشونة أن  
يدلي إليها بالبيانات المألوفة كي تكتبها في سجل الفندق.. ويفكر  
«جان» أن ينتهز الفرصة فيكشف لها عن شخصيته ولكنه يجد نفسه  
حائراً بين رغبتي تنازعه.. فهو يريد أن يفصح عن الحقيقة ولكنه  
في نفس الوقت يريد كذلك أن يستخفي ولو إلى حين وينتهي من حيرته  
فيذكر «مارتا» اسماً مستعاراً.. وتسأله «مارتا» عن المكان الذي  
سيقصد إليه بعد مبارحته الفندق فيجيب مراوغاً..

جان: لست أعلم بالضبط فهذا سيتوقف على اعتبارات شتى..

مارتا: أتريد أن تستقر هنا؟

جان: سوف أقرر الأمر على ضوء ظروفي ..

مارتا: ألا ينتظرك أحد؟

جان: مبدئياً لا أحد ..

مارتا: هل لديك ما يثبت شخصيتك؟

جان: أجل يا مدموزيل .. خذي هذا جواز سفري فيه ما تبغين ..

الراوي: وأمّل «جان» أن تعرف (مارتا) الحقيقة من تلقاء نفسها حين تقرأ جواز سفره ولكن هذه تركت الجواز بين يديها وشرد ذهنها لتحلم بأشياء أخرى ثم ما لبثت أن ردت إليه الجواز من دون أن تنظر فيه. إن ما ذكره (جان) عن عدم وجود من يرتقب عودته قد طمأن (مارتا) إلى أنها قد وقعت على صيد طيب وحاول جان أن يستدل من (مارتا) على نوع الحياة التي تحياها هي وأمها ولكنها صدته بخشونة وأفهمته أن حياتهما تخصصهما وحدهما دون سواهما .. وتدخل الأم فيدور بينها وبين «جان» حديث آخر وتتهياً الفرص الكثيرة له ليكشف عن شخصيته ولكنه يتردد مرة أخرى فيعمد إلى اللف والدوران والحديث عن المودة والقلب الوفي فتصرخ فيه (مارتا).

مارتا: ليس من عمل للقلب هنا يا مسيو ..

جان: صدقت يا مدموزيل .. هذا بالنسبة إلى قلبك أنت، أما أمك فيلوح أنها تفهم الأمور وتقدرها حق قدرها .. سيدتي .. أقيمين في هذا الفندق منذ أمد بعيد؟

الأم: منذ أعوام وأعوام كثيرة حتى أنني لا أذكر كيف كانت بداية إقامتي بل إنني نسيت ما كنت عليه إذ ذاك، إن هذه الفتاة ابنتي وقد لازمتني

طوال هذه المدة فلماذا أعرفها ولعلّها بغير ذلك كانت تصبح هي الأخرى نسياً منسياً بالنسبة لي . .

جان: أجل إنني أدرك هذا ولكن لو أن لك ولدًا أعارك ساعده فما أراك كنت تنسينه؟

الأم: ولدًا . . أو اه إنني امرأة طاعنة في السن والعجائز لا يعرفن كيف يحببن أولادهن . . لقد وهن القلب يا سيدي . .

مارتا: أراك استرسلت في الحديث مع هذا الشاب يا أماه فهلا تركته يذهب إلى مخدعه . . خذ يا مسيو جان مفتاح غرفتك . . إنني ذاهبة يا أماه . .  
الأم: حسنًا . . مع السلامة . .

جان: مع السلامة يا مدموزيل . .

الأم: إنني ذاهبة أيضاً يا مسيو جان . .

جان: دعيني أساعدك على النهوض يا مدام .

الأم: خل عنك يا ولدي . . فلست عاجزة . . أنظر إلى هاتين اليدين إنهما لا تزالان قويتين . . وتستطيعان أن تقبضا على ساقي رجل . .

الراوي: ولا يجد (جان) ما يدعوه إلى البقاء فيتجه إلى غرفته وتحدث الأم نفسها وهي تتأمل يديها . .

الأم: إنها لفكرة غريبة أن أحدث «جان» عن يديّ ولو أنه نظر إليهما فلعلّه كان يدرك ما رفض أن يفهمه من حديث (مارتا) ولكن لماذا يبدو جنوح هذا الرجل إلى الموت شديداً ورغبتي في معاودة القتل ضئيلة لكم أود أن يرحل . . فأستطيع أن أرقد في هذه الليلة أيضاً وأستغرق في النوم . . إنني طاعنة في السن ولن أقوى على أن أطبق يدي على

رسغيه، وأشعر باهتزازات جسده على طول الطريق المؤدية إلى النهر  
وابذل ذلك الجهد الأخير حين ألقى في الماء ثم أعود مرتخية  
الذراعين.. مبهورة الأنفاس.. مشلولة لا أقوى على نفض العرق  
الذي تفصد من جسدي.. لا بأس.. إن الضحية في إبانها..

الراوي: وتدخل (مارتا) ثائرة فتطلب إلى أمها أن تبادر إلى العمل ولا تجعل  
لمشاعرها سلطاناً عليها.. فتجيبها الأم:

الأم: أرجو أن تكون هذه آخر مرة نضطر فيها إلى أن نتجرد من مشاعرنا  
وأن طلبك المبادرة للعمل هو لكي تبدي ما يعاودني من إحساس  
ضئيل بالأمانة..

مارتا: إن ما تسمينه إحساساً بالأمانة ليس إلا رغبة في النوم..

الأم: الحق معك. ولكن لماذا ترسل إلينا المصادفة ضحية قليلة الجاذبية  
مثل هذا الرجل..

مارتا: إنه كثيراً لشروود يا أماه.. وهو طيب إلى حد كبير.. ولكن ماذا يصير  
إليه العالم لو أن المحكوم عليهم أشاعوا في جلاديهم أحاسيس  
العطف والرحمة..

الأم: أراني اليوم متعبة يا (مارتا) وأنت ثائرة.. فلما نتثت بالعناد ونطرح  
كل اعتبار في سبيل شيء من المال..

مارتا: كلا يا أماه.. ليس من أجل المال ما نفعل. ولكن من أجل نسيان  
هذا البلد.. ومن أجل بيت هادئ على شاطئ البحر..

الأم: ولكنني قانعة بما أنا فيه..

مارتا: لئن كنت أنت قانعة بما أنت فيه فإنني سئمت حياتي من هذا الأفق

المغلق.. إنك كهلة لا تريدين إلا أن تغلقي عينيك وتنسي.. أما أنا التي تستشعر في القلب قليلاً من رغبات أعوام عمرها العشرين فأريد أن أحقق هذه الرغبات ولو تحتم على أن أوغل في الحياة البشعة التي نريد أن نهجرها..

الأم: إن من العسير أحياناً فهم امرأة عجوز.. ولكنني أريد أن أقول لك ليس هذا المساء.. لنترك (لجان) هذه الليلة.. فقد تكون نجاتنا على يديه..

مارتا: أقسم لك يا أماه بأن نجاتنا في متناول أيدينا بالفعل وليس علينا إلا الخروج من هذا التردد القاسي.. فإما أن نعمل هذه الليلة وإلا فلن نعمل أبداً..

الراوي: وظل (جان) ساهداً في غرفته يستشعر القلق وشيئاً من خوف مبهم وقد أرخى الليل سدوله وهو جالس يحدث نفسه..

جان: ما أثقل هذه الليلة.. إن (ماريا) محقة في رأيها عن هذا البلد.. ترى ماذا تفعل هي الآن.. وفيم تفكر.. لقد كانت لياalina هناك تفيض بالسعادة.. أما هنا فعلى العكس، ولكنني لا أرى ما يدعو إلى هذا القلق وهذه المخاوف فعلى المرء أن يعرف ما يريد.. وفي هذه الغرفة ستصحح الأوضاع وتسوى الأمور..

«يسمع طرقة على الباب فيقول»..

أدخل.. أدخل..

مارتا: طاب مساؤك..

جان: طاب مساؤك يا مدموزيل (مارتا).. هل تريدين شيئاً؟

مارتا: لا.. لقد جئت لاستبدال المنشفة وتغيير الماء.. فلعلّه دفىء من جفاف هذا البلد وحره..

جان: صدقت.. إن هذا البلد جاف وحر.. تنقبض فيه النفس ويكتئب من مناظره الخاطر.. أين منه بلدي الجميل على شاطئ البحر الهادى.. نهاره شمس مشرقة وليله نسائم علية منعشة..

مارتا: لطالما حلمت بمثل بلدك يا سيدي وكثيراً ما وازنت بين ربيعنا الكئيب هنا وما هنالك من بحر وأزهار.. وإن هذا التصور يا سيدي يجعلني عمياء عن كل ما حولي..

جان: إنني أقدر هذا يا مدموزيل.. والحق يقال إن الربيع في بلدي يشرح صدرك.. والأزهار التي تغطي الأسوار البيضاء تحيط بك من كل جانب ولو أنك تنزهت ساعة بين الروابي حول بلدي.. لعبقت ملابسك بأريج ورودها الزاهية..

مارتا: ما أبدع ما تقول يا سيدي.. أما ما ندعوه ربيعاً هنا فلا يعد وردة وبرعمتين تنفتح في حديقة الدير وهذا يكفي لفتنة الرجال في بلدي.. إن روحهم شبيهة بتلك الوردة الضئيلة وأن لفحة دفاء قوية كفيلة بأن تبيسهم.. حقاً إنه الربيع الذي يستحقونه..

جان: شيء مدهش يا مدموزيل (مارتا) أن ألاحظ أنك تخاطبينني - للمرة الأولى - بلهجة إنسانية.. بعد حدة تلك القسوة..

مارتا: إن الشيء الإنساني الوحيد الذي عندي هو الرغبة وفي سبيل الحصول على مشتهاي أحطم كل شيء يعيق طريقي..

الراوي: وتخرج (مارتا) وإذ ذاك يمضي (جان) إلى الفراش فيجلس فوقه ثم يعود إلى حديثه مع نفسه..

جان: يا إلهي! إن هذه الفتاة تحرضني على أن أغادر المكان وأن الحق بماريا، لكم أكون سعيداً إذ ذاك أنها حماقة لعمرى.. ماذا تراني أصنع هنا.. في هذا المكان الكئيب.. ولكن لا.. فيها هنا أُمي وأختي اللتان أغفلت أمرهما طويلاً.. ها هي أختي (مارتا) عائدة إلي وفي يدها قرح الشاي.. ولكنني لم أطلب منها شاي..

مارتا: إليك قرح الشاي.. أشرب يا مسيو (جان) فقد يساعدك على ما أنت فيه من حال..

جان: شكراً يا مارتا) شكراً..

الراوي: وتخرج (مارتا).. ويتناول (جان) قرح الشاي وما يكاد يفرغ في جوفه محتوياته حتى يقرع الباب بشدة وتدخل الأم لكي تحاول أن تمنع جان من احتساء قرح الشاي.. ولكنها حين تراه قد شربه تدرك أن لا جدوى من محاولة إنقاذه ويتبادلان حديثاً قصيراً ينبئها خلاله أنه سيغادر الفندق صباح الغد.. ثم يعطيها أجرة مبيتته.. وتخرج الأم فيعود (جان) إلى حديثه مع نفسه وقد بلغ منه الإعياء مبلغه بتأثير المخدر..

جان: سأعود غداً بصحبة (ماريا) وسأقول لها «هذا أنا» ولن يعيقني أي شيء عن جعلهما سعيدتين.. لقد كانت ماريا على حق.. أواه.. لست أحب هذا المساء الذي يبدو كل شيء فيه بعيداً بهذا الشكل نعم.. أم.. لا؟..

الراوي: ثم يغرق في النوم.. ويهوم الليل وتدخل المرأتان ومعهما ضوء يبدو تحته جسد النائم وتحاول الأم - للمرة الأخيرة - إن تشني ابنتها عن اقتراف الجريمة، ولكن هذه تزداد إصراراً، وتنتزع حافظة



«جان» فتحصي ما بها من نقود بينما تسألها الأم أن تجلس قليلاً  
فتهتف (مارتا).. .

مارتا: هنا بالقرب منه.. .

الأم: أجل، ولم لا؟ إنه يوشك أن يمضي في رقدة تنقله إلى عالم بعيد.. .  
إنه لن يستيقظ وشيكاً فيسألنا عما نفعل.. . أما عن بقية الدنيا فإنها  
ستتوقف على باب هذه الغرفة المغلقة فهو ونحن نستطيع أن ننعيم في  
سلام بهذه اللحظة وتلك السكنينة أحرى بك أن تجلسي يا (مارتا) فإن  
لدينا من الوقت ما يكفي انظري إليه.. .

مارتا: أماه.. . ليس لدينا من الوقت ما يكفي لأداء المهمة هيا للعمل هيا.. .

الأم: (مارتا) أكنت تعلمين برغبة (جان) في الرحيل هذا المساء.. .؟

مارتا: لا، لم أكن أعلم.. . ولو أنني علمت لما بدل هذا من خطتي شيئاً إنه  
هو الذي شجعني على أن أقرر مصرعه فلقد ترددت مثلك في البداية  
ولكنه حدثني عن بلاد أتوق إليها وأعرف كيف يمس مشاعري فزودني  
بسلاح ضده.

الأم: هيا للعمل يا مارتا.. . لكم يبدو لي أن ذلك الفجر لن يطل أبداً.. .

الراوي: ويطل الصباح ويأتي خادم الفندق الكهل يكنس المكان ويرتب  
الأشياء.. . ونرى الأم ومارتا خلف المكتب تطرح شعرها إلى الوراء  
وتمني النفس بتحقيق الآمال.. .

مارتا: أماه! ها أنتدى ترين أن الصباح قد أهل وإننا قد أوفينا على نهاية  
ذلك الليل.. .

الأم: أجل! وفي غد سأشعر بأن انتهاءنا من ذلك العمل شيء حسن جداً.. .

أما الآن فلست أحس إلا بحاجتي إلى النوم وبجفاف قلبي . . لقد كان الليل قاسياً . .

مارتا: ولكن هذا الصباح هو أول صباح أحياه منذ سنوات . . لكأنني أسمع صوت البحر سلفاً وأن في نفسي لخبوراً يدفعني إلى الصباح ألا دعيني أهناً بسعادتي هادئة البال فلقد عدت الشابة التي كنت . فجسدي يستعيد دفئه وكلي شعور بالرغبة في الانطلاق . . أماه بربك خبريني أتريني ما زلت جميلة . .

الراوي: وبعد قليل تخرج الأم . . ويعثر الخادم على جواز سفر (جان) فيفتحه ويتفحصه ثم يقدمه مفتوحاً إلى (مارتا) التي ترفض أن تأخذه، ولكن يد الخادم تظل ممدودة به حتى تأخذه فيتركها وحدها ويخرج وتقرأ (مارتا) جواز السفر فتجمد في مكانها دون أن يبدو عليها أي أثر لأي انفعال، ثم تنادي أمها وتعطيها إياه فتقرأ الأم بدورها وتتسمر عيناها على الكلمات في صمت رهيب، ولا تلبث أن تقرر أمراً، ويدور بينها وبين ابنتها هذا الحوار الأليم . .

الأم: ويحي! لقد كنت أعرف أن الدائرة تدور هكذا يوماً . .

مارتا: أماه!!

الأم: دعيني يا (مارتا) لقد عشت ما يكفي . . عشت كثيراً . . أكثر من ولدي . . وليس هذا في نظام الكون . . الآن أستطيع أن أنضم إليه في أعماق ذلك النهر حيث تغطي الأعشاب وجهه . .

مارتا: أماه! لن تتركيني وحيدة؟

الأم: إن قلبي الهرم الذي كان يعتقد أنه بمنجاة من كل شيء يعود اليوم

فيستشعر الألم، وعندما تعجز أم عن أن تتعرف على ولدها، فإن دورها على الأرض يكون قد انتهى..

مارتا: كلا.. إنه لم ينته بعد طالما كانت سعادة ابنتها توشك أن تحقق..

الأم: إن في العالم قوى لا تقبل الأفكار.. وأن لنا يقيننا على هذه الأرض.. وحب الوالدة لولدها هو الآن يقيني.. كيف أستطيع الآن أن أتحول عن حب ولدي..

مارتا: با له من حب أصيل وعميق نسبيته عشرين عاماً يا أماه..

الأم: أجل، حب جميل ظل حياً خلال عشرين عاماً من الصمت الرهيب حسبي هذا الحب الجميل، ما دمت لا أستطيع أن أحيا خارجاً..

مارتا: لا يمكن أن تقولي ذلك دون أن يكون بنفسك ظل من ثورة ومن دون أن تفكري في ابنتك..

الأم: بل إنه ممكن.. وإن يكن قاسياً عليك.. لست أفكر في شيء أو أثور على شيء، وأحسب أن هذا هو العقاب..

مارتا: ما اعتدت أن تقولي هذا من قبل بل إنك في خلال تلك الأعوام كنت تقفين بالقرب مني، وتقبضيني بيد ثابتة على سيقان أولئك الذين كتب عليهم الموت.. لم تكوني تفكرين إذ ذاك في الحرية ولا في الجحيم..

وما رأيت قط مرة أن الحياة حرام عليك..

الأم: كان الحزن خليقاً بتغيير هذا كله.. وماذا يعني الحزن لمجرمة؟ ها أنتدى ترين أنه ليس حزناً حقيقياً تعانيه أم فما ندت عني صرخة.. وما هو إلا معاناة لآلام مولد الحب من جديد وأنها لتفوق احتمالي..

مارتا: لا تنسى أنني أنا الباقية على قيد الحياة، وأنه هو رحل وأنك وجدتني بجوارك عمراً بأسره.. أما هو فقد ألقى بك في زاوية النسيان فلا بد لذلك من ثمن.. لقد منحته الحياة ما تستطيع أن تمنحه إنساناً أما أنا فقد بقيت هنا.. نشأت صغيرة كئيبة ملولاً، وكبرت في جلمود هذه الأراضي.. إن ما حدث لابنك ليس شيئاً هائلاً إذ لم يبق في الدنيا شيء لم يعرفه أفينبغي أن يسلبني حب أمي كذلك وأن يقتادك إلى غير نهاية في صقيع نهره..

الراوي: ولكن الأم لا ترجع عما اعتزمت عليه فتخرج مهرولة إلى حيث تلقى مصيرها بجوار ابنها في جوف النهر.. وحينئذ يحن حنون الابنة (مارتا) فتنفجر في صياح وحشي..

مارتا: آه.. آه.. الويل لك يا أماه.. اللعنة عليك وعلى أخي قضيتما على أحلامي الذهبية وآمالي اليانعة.. دفنتم البحر الذي عشقته وتمنيت أن أعيش على شطآنه حيث الشمس والهواء الطلق والحرية.. تركتmani في صحراء الوحدة الرهيبة.. والسكون القاتل.. آه.. آه.. اللعنة عليكمما الويل لكما.. آه.. آه.. آه..

الراوي: وتصمم (مارتا) أن تقتل نفسها وتلحق بأمها وأخيها وفيما هي تتأهب لذلك يطرق الباب وتدخل (ماريا) زوجة (جان) سائلة عن زوجها فتقول لها مارتا..

مارتا: إنه مات.. مات..

ماريا: آه.. يا لهول ما تقولين.. يا لحزني.. أرني وجه زوجي ولو ميتاً..

مارتا: إن ذلك مستحيل.. لأنه الآن في أعماق النهر حيث ألقيته أنا وأمي بعد أن خدرناه..

ماريا: يا للفظاعة.. يا للبشاعة.. ويحك إنني أسمع من الكلمات.. ما لم يتردد قط على هذه الأرض إن عباراتك توقف مجرى الحياة في عروقي.. كأنك تتحدثين عن كائن آخر غير هذا الذي شاركني حياتي وعن تاريخ بعيد لم يكن لقلبي نصيب فيه.. ولكن.. قولي لماذا؟ لماذا فعلتما ذلك؟

مارتا: باسم من تسأليني يا هذه؟

ماريا: (صارخة) باسم حبي..

مارتا: ماذا تعني هذه الكلمة؟

ماريا: تعني ما يمزقني الآن وينهشني.. تعني ذلك الجنون الذي يهيبني يدي للقتل.. تعني مسرتي الماضية وهذا الألم الجديد الذي تجلبينه إلي.. لتعلمي أيتها المحبولة أنه لولا ذلك الشك العنيد في قلبي لعرفت ما تعني هذه الكلمة حالما تشعرين بوجهك يتمزق تحت أظفري.. هاتي أوضحني ما أريد أن أعرف جليته قبل أن تخونني شجاعتني..

مارتا: يا هذه.. جوابي إنني سأشقق نفسي بعد قليل وإني أدعوك إلى أن تفعلني مثلما أفعل لتنضمي إلى زوجك في العالم الآخر.. فماذا يجدي حرصنا الشديد على الوجود ورجفة الأرواح هذه؟ وفيم اللهفة على مواجهة البحر أو على الحب.. إن زوجك يعرف الآن الجواب ولسوف تعرفينه أنت الأخرى وداعاً يا أختاه..

الراوي: وتخرج (مارتا) فتهتف (ماريا) صارخة ضارعة..

ماريا: أواه يا ربي! لا أستطيع أن أعيش، في هذه الصحراء.. إليك أوبتي فكن شفيقاً.. إسمعني يا مولاي.. خذ بيدي وارحم أولئك الذين يتحابون وأولئك الذين يكابدون آلام الفراق..

## هنريك وروسالي

رائعتنا هذه الأملسية (هنريك وروسالي) للروائي الدانمركي ماير. أرون جولدميمث. ولد ماير جولدميمث عام ١٨١٦م وتوفي عام ١٨٨٧م. يعد جولدميمث قمة بين الروائيين في بلده بصورة خاصة وفي اسكندنافيا بصورة عامة. فقد عانى الكتابة والصحافة مدة طويلة ثم امتاز برواياته وقصصه ورائعة الليلة (هنريك وروسالي) أو (موعد في الوحل) من أجود ما كتبه.

الراوي: دعا الطالب الجامعي «هنريك فالك» خطيبته «روسالي هيدبرج» ذات مساء لحضور تمثيلية في أحد المسارح، وفي صباح اليوم التالي وبينما كان هنريك في بيت الطلبة تلقى وريقة من «روسالي» تقول فيها:

روسالي: أرى من المستحسن أن نفسخ خطوبتنا..

الراوي: وعرت الدهشة «هنريك» فنهض وارتدى ملابسه وأسرع إلى منزل خطيبته.. حيث أخبر أنها ارتحلت إلى جهة مجهولة وأن عمته على استعداد لمقابلته إذا أحب..

وجاءت العممة لمقابلته بناء على طلبه فحيأها «هنريك» وأطلعها على رسالة «روسالي» ثم سألها قائلاً:

هنريك: هل أجد لديك يا سيدتي تفسيراً لما في هذه الرسالة؟

العمة: لا يا بني.. إني أجهل تماماً دوافع ذلك.

الراوي: وكانت «روسالي» عندما عادت من المسرح هادئة تماماً، غير أنها لم تلبث أن ظهرت عليها أمائر انفعال داخلي كبير مرده تأثرها بالتمثيلية التي كانت تدور حوادثها حول خطيبين فسحا خطوبتهما لاختلاف الاتجاه والمشاعر وقد ألقى هذا المشهد التمثيلي في روع «روسالي».. إن كل خطوبة مصيرها عاجلاً أو آجلاً أن تفسخ فلماذا تنتظر.. إن الوحداية خير وأبقى..

ومن ثم قامت «روسالي» فكتبت بضع رسائل إلى «هنريك» كانت ما تنتهي من كتابة واحدة منها حتى تمزقها لتبدأ في تحرير أخرى حتى قر قرارها على الوريقة التي صبّحت بها «هنريك».. ثم حزمت أمتعتها واستقلت أول قطار في الصباح.

(وتابعت عمة «روسالي» حديثها مع «هنريك» فقالت)..

العمة: أنت تعرف أنني ليس لي أي سلطان على أفكار أو اتجاهات «روسالي» وأنها كانت في زيارة لي فقط، وإني لا أستطيع منعها من زيارة أقربائها إذا أرادت ذلك.

هنريك: أي أقارب يا سيدتي، أي عم بل أية عمة.. إن والديّ «روسالي» توفيا كما تعلمين إني أعتقد أن وراء الأكمة ما وراءها..

العمة: لقد وعدت روسالي ألا أبوح بالسر الذي أئتمنتني عليه..

هنريك: حسناً يا سيدتي فليكن ما تريد.

العمة: هنريك! ألم تصدر منك أية إساءة ما إلى «روسالي».

هنريك: لا يا سيدتي.. أبداً.. أبداً..

**العمة:** حسناً.. إن ترويض فتاة في السابعة عشرة من العمر مسألة عويصة ولا سيما من فتاة مستقلة في تصرفاتها لا تخشى والداً أو ولياً. وإنك لتعلم يا مستر هنريك أن «روسالي» في الحقيقة صغيرة على أن تصبح مخطوبة.. يجب أن تنتبه لذلك في المرة القادمة.

**الراوي:** ودع «هنريك» العمة وانصرف. وفي طريق عودته مكث عدة ساعات يستعرض في دقة، حياته الماضية.. لقد تذكر أنه مرّ بعدة لحظات ندم فيها على السرعة في الخطبة ليس لأنه وجد عيوباً في «روسالي» ولكن لأنه لم يقدر وضعه ومورده المادي..

وسأل هنريك قلبه فتملكه حزن عميق على فعلة «روسالي» ولكن الأيام كفيلة بإطفاء لهيب الأحزان والغرام.

وكان أول عمل قام به «هنريك» هو تغيير دراسته من طالب في كلية اللاهوت إلى طالب في كلية الطب.. وبعد خمس سنوات ونصف من جهاد دراسي مستمر تخرج «هنريك» في كلية الطب واستقر رأيه أن يفتح عيادة في بلدة صغيرة في جزيرة (جتلاندا) بدلاً من فتحها في (كوبنهاجن) العاصمة. وقد وجد صعوبات في بادئ الأمر للحصول على شقة تصلح لأن تكون عيادة.. وفي حالة اليأس وافاه أحد سماسرة العقارات وقال له:

**السمسار:** دكتور «هنريك» لقد وجدت لك داراً تصلح سكناً وعيادة.. فهل لديك المال الكافي لشرائها؟

**هنريك:** لمن هذه الدار؟

**السمسار:** لأرملة دكتور بيطري توفي منذ أيام..

**الراوي:** وكان وضع «هنريك» المادي قد تحسن بعد أن ماتت إحدى قريباته وأوصت له بكل ما لديها من ثروة.. فاشترى الدار وانتقل إليها.. ولم



تمض بضعة أيام حتى جاءه فلاح من إحدى القرى المجاورة يطلب منه أن يذهب معه إلى مزرعة سيده . . وقد سر «هنريك» بذلك ووقر في نفسه أن اسمه قد اشتهر حتى بلغ القرى المجاورة . . وهكذا أخذ «هنريك» حقيبته الطبية وفيها آلاته التي لم يستعملها بعد . . وفي الطريق تراءى له أن يسأل الفلاح عن المريض الذي سيذهب لمعالجته فقال:

هنريك: مم يشكو هذا المريض؟ وماذا فعل قبل أن يمرض؟

الفلاح: لقد نشبت عظمة في حلقة بينما كان يأكل .

هنريك: ألم يضربه أحدكم بشدة على ظهره؟

الفلاح: شيء عجيب . . لم نعرف مثل هذا العلاج . .

الراوي: وانتهت المحادثة . . ووصلا بعد ذلك إلى المزرعة وأخذ الفلاح الطبيب إلى غرفة الجلوس . . وذهب ليحضر له أكلاً خفيفاً وبعض المرطبات، فاعتذر الطبيب وطلب رؤية المريض . . فقاده الفلاح إلى ساحة بين الاسطبلات حيث وقفا أمام بيت معزول مشيد على مستنقع تفوح منه رائحة كريهة وفتح الفلاح الباب الصغير وقال:

الفلاح: ها هو مريضك يا دكتور .

الراوي: ونظر «الدكتور» فإذا مريضه (خنزير) . . . لقد تناسى «هنريك» إنه اشترى بيت طبيب بيطري ونقل عيادته إليه فعلى الدم في وجهه وصاح:

هنريك: أنتتظر مني أن أعالج خنزيراً؟

الفلاح: حسناً . . لقد طلبنا قبل مجيئك الدكتور (جاسيرس) ليعالج

الحصان.. ولكن إذا حصل على رضاء سيدي فستعالج الحصان في المرة القادمة.

هنريك: اذهب إلى جهنم مع خنزيرك وحصانك.

الفلاح: من واجبك يا دكتور ألا تستعمل كلمات بذيئة.

هنريك: (محتدًا) إنها اللغة التي تستحقها.. في المرة القادمة عندما يكون لديك حيوان مريض أدع له طبيباً بيطرياً.. لقد كنت أسمع عنكم أيها الفلاحين أنكم تستدعون الطبيب البيطري عندما يكون المريض آدمياً.

الفلاح: هل انتهيت من سبابك؟

هنريك: نعم.. والآن دعني أعود إلى البلدة حالاً.

الفلاح: امش على طول.. فلا أحد سيوقفك أنت أو كلماتك البذيئة.. التي يستحسن أن تأخذها معك..

الراوي: واسترجع الطبيب هدوءه، وقال يخاطب الفلاح بلهجة ناعمة:

هنريك: لقد حدث ما حدث لي نتيجة غلظتي فقد انتقلت إلى دار الطبيب البيطري.. وهذا يوضح لك حالتي.

الفلاح: ذلك ممكن.

هنريك: والآن أرجوك ترسل لي العربة.

الفلاح: لا.. فخيّلنا لن تقود عربتك ولا كلماتك القبيحة من هذا المكان.. لا.. حتى تعالج الخنزير أولاً.

هنريك: لا تكلمني عن خنزيرك المريض.

الراوي: ومن دون أي كلام أمسك الفلاح بتلابيب الدكتور ثم ألوى ذراعيه

بشدة وحمله مسافة غير قصيرة ورأس الدكتور يتدلى على ظهر الفلاح غير بعيد عن الأرض ثم رمى به على كثيب من العشب بعيداً عن المزرعة وقال له :

**الفلاح :** الخزي لك ولكلماتك النابية .

**الراوي :** وصرخ الطبيب وهو يتلوى من الألم والغضب وقال :

**هنريك :** يجب أن تعود بي إلى الدار فقد تركت حقيتي الطيبة بها وسأعتبرك سارقاً إذا لم تعدها إليّ .

**الراوي :** وأسرع الفلاح إلى الدار وعاد بالحقيبة ووضع عليها (كرونين) أي ما يعادل شلنين وسلمها للدكتور قائلاً :

**الفلاح :** هذه حقيبتك . . ومرة أخرى أقول لك : الخزي لك .

**الراوي :** وانصرف الفلاح وأدرك الطبيب أنه هالك . . فصمم على العودة مشياً إلى داره على قدميه . .

ولما كان يجهل كل شيء حوله ، فقد تحير أي طريق يسلكه للخروج من المزرعة . وظل يتخبط على غير هدى وخاصة في أول الأمر عندما كان في حالة الانفعال الشديد . . واستمر على هذه الحال حتى أظلم الليل وزاد في حيرته ولبكته انهمار المطر وعصف ريح بارد شديد فابتلت ملابسه وبدأ يشعر بقسوة البرد وأسود كل شيء في ناظريه وانتابه صداع وألم شديد في رأسه ولكنه استمر يمشي طلباً للدفء وأملاً في الخروج مما هو فيه وأخيراً لاحت له عن بعد أنوار نوافذ بيت فأسرع في مشيته وإذا به يجد حاجزاً من الماء بينه وبين هذا البيت على أنه لم ييأس بل ثابر في دورانه .

وبينما هو على هذه الحال . . كانت في ذلك البيت امرأتان ، إحداهما سيدة كبيرة والثانية فتاة في الثالثة والعشرين من عمرها . وكانت الفتاة تقرأ

للسيدة مقطوعات شعرية لبعض شعراء الدانمارك. على أنها ما لبثت أن وقفت لتقول:

الفتاة: إني لأعجب يا سيدتي من الأساطير التي تتحدث عن العشاق الذين يخرجون من قبورهم.. إن مثل هذه القصص بعيدة عن الحقيقة على ما أعتقد.

السيدة: إن مثل هذه الأساطير مليئة بالأشباح والطيوف التي يشاهدها بعضهم أو يجسدها لهم عقلهم الباطني أو خوفهم الشديد أو حبهم الشديد.

الفتاة: حبذا لو أرى بعض هذه الأشباح التي تخرج من هذه القبور.

السيدة: أظن أننا لا نستطيع رؤية هذه الأشباح إلا عندما نكون معهم في قبورهم.. (يضحكان)..

الراوي: وراى سكون مطبق على المرأتين اللتين سبحتا في خيالتهما وأفكارهما..

وفجأة ظهرت الخادمة لتقول لهما..

الخادمة: يوجد خارج الدار شخص يطلب ملجأ..

السيدة: ما شكل هذا الشخص؟

الخادمة: لا أعرف لأن شكله مربع.. وهو منقوع في ملبسه المبتلة..

السيدة: هل هو عامل أو مسافر؟

الخادمة: إنه يرتدي قميصاً أبيض ولو أن قميصه لم يعد أبيض من الوحل..

السيدة: إني متعجبة.. من ترى يكون.. أسأليه عن اسمه..

الراوي: وخرجت الخادم ثم عادت على عجل وهي تقول:

الخادم: إنه ممدد على الأرض يا سيدتي.

السيدة: ماذا تقولين؟

الخادم: إنه منطرح أرضاً.. وإني أخشى أن يكون ميتاً.

الراوي: وخرجت المرأتان على عجل.. وإذا بالفتاة تصرخ:

الفتاة: يا إلهي.. إنه هنريك فالك.. خطيبي.

الراوي: وحمل الدكتور وهو فاقد الوعي إلى غرفة دافئة وبدأ في إسعافه..

وظل هنريك على حاله بضعة أيام و«روسالي» بجانبه تقوم على خدمته

وراحته وحين عاد إلى وعيه وفتح عينيه ورأى «روسالي» بجانبه صرخ:

هنريك: يا إلهي.. أأنت بجانبني.. هل أنا في حلم.. شكراً لك يا

إلهي..

## جرح لا يرى

قصتنا هذه الأمسية: (جرح لا يرى) للروائي المجري (كارولي كيز فالودي). ولد كيز فالودي عام ١٧٨٨ وتوفي عام ١٨٣٠. يعتبر كيز فالودي وأخوه إسكندر من رواد الأدب المجري الحديث.. وقد اشتهر كيز فالودي برواياته وقصصه القصيرة بصورة خاصة. ورائعتنا هذه الأمسية (جرح لا يرى) في طليعة ما كتب.

الراوي: وفي الصباح الباكر من ذات يوم وقبل أن ينهض الدكتور الجراح الشهير من فراشه، حضر إلى عيادته مريض وأرسل نداء عاجلاً يدل على أن حالته تستدعي الفحص الفوري.

فارتدى الدكتور ملابسه وقال لخادمه الخاص:

الدكتور: أدخل المريض حالاً.

الراوي: ودخل المريض وكانت هيئته تدل على أنه من الأوساط الراقية كما أن وجهه الأصفر وتصرفاته العصبية تفصح عن مبلغ آلامه.. وكانت يده اليمنى مربوطة ومعلقة على كتفه وأنات أليمة تفر من شفثيه الفينة بعد الفينة..

الدكتور: تفضل.. اجلس.. قل.. ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك؟

المريض: لم أُنم منذ أسبوع من شدة الألم في يدي اليمنى ولا أعرف ما هو مصدره.

أهو سرطان أو مرض من الأمراض الخبيثة الأخرى.. إن الألم يزداد ساعة بعد ساعة وقد أتيتك لمعالجتي، فصبري قد نفذ - وسأجن إذا لم يقف هذا الألم أو تقطعه بأي شكل.

الدكتور: هوّن عليك فربما ألمك لا يحتاج إلى عملية.

المريض: لا.. لا.. يجب أن تجري لي عملية.. لقد أتيت خصيصاً لكي تستأصل مكان الداء وتقطع دابره.. وقد تستغرب يا دكتور إذا كنت لا ترى أي جرح في يدي، فحالتني شاذة جداً.

الدكتور: إنني لا أدهش للحالات الغريبة ومع ذلك سنرى..

الراوي: وكشف الدكتور عن يد المريض وفحصها بدقة ثم أرخاها وقد عرته الدهشة لأنه لم يجد أي مرض فيها أو أي شيء غير طبيعي يخالف ما في يده اليسرى ومع ذلك فالمرضى يتوجع بحرقه وأخيراً سأله..

الدكتور: أين مكان الألم بالضبط.. قل لي..

الراوي: وأشار المريض إلى بقعة دائرية بين العرقين الكبيرين في يده ولما ضغط الدكتور على هذه البقعة بعناية سحب المريض يده متألماً فقال  
الدكتور:

الدكتور: هل هذا مكان الألم؟

المريض: نعم وبشكل مزعج.

الدكتور: هل تشعر بالضغط عندما أضع إصبعي على مكان الألم؟

الراوي: ولم يجب المريض بل تكلمت دموعه لتروي آلامه..

الدكتور: شيء عجيب.. إني لا أرى أي شيء..

المريض: ولا أنا؛ غير الألم المستمر ذلك الألم الذي أفضل الموت على ما أعانيه منه..

الراوي: وأعاد الدكتور الجراح الفحص بالميكروسكوب وأخذ حرارة المريض ثم هز رأسه قائلاً:

الدكتور: الجلد سليم جداً، والعروق طبيعية ولا التهابات بها أو تورم.

المريض: أظن يوجد احمرار قليل في تلك البقعة يا دكتور؟

الدكتور: أين..؟

الراوي: وصنع المريض دائرة أصغر من المليم على يده وقال:

المريض: هنا يا دكتور.. هنا..

الراوي: وتطلع الدكتور في المريض وابتدأ يظن أن مريضه مختل الشعور فأردف يقول:

الدكتور: يجب أن تبقى في البلدة بعض الوقت وسأعمل بكل جهدي على معالجتك في هذه المدة..

المريض: لا أستطيع أن أنتظر دقيقة واحدة.. لا تظن إنني مجنون يا دكتور.. فالجرح الذي لا يرى يؤلمني بفضاعة وأريدك أن تقتطع ذلك الجزء حتى العظم..

الدكتور: لن أفعل ذلك يا سيدي..

المريض: لماذا؟

الدكتور: لأنه لا يوجد مرض في يدك وهي صحيحة وسليمة كيدي..



المريض: أظنك ما تزال تعتقد إنني مجنون..

الراوي: ثم أخرج المريض من جيبه ألف فيورين (والفيورين عملة هنغارية) ورمى بها على الطاولة وقال:

المريض: هأنت ترى إنني رجل غني.. والمسألة مهمة بالنسبة إليّ إلى درجة أنني أدفع ألف فيورين من أجلها.. أرجوك أن تجري العملية..

الدكتور: لو أعطيتني مال الدنيا ما لمست عضواً سليماً بمبضعي..

المريض: لماذا؟

الدكتور: ذلك لأن هذا العمل ينافي شرف المهنة.. وسيقول الناس عنك إنك مغفل وسيتهمونني بأني استغلّيت سداجتك أو يعلنون عني إنني جاهل بحيث لم أستطع تشخيص جرح غير موجود..

المريض: حسناً جداً يا سيدي.. هل لي أن أسألك هذا المعروف. سأقوم أنا بنفسني بإجراء هذه العملية بالرغم من أن يدي اليسرى غير معتادة على مثل هذه الأمور. وجل ما أطلبه منك هو أن تعتني بجرحي بعد أن أجري أنا العملية..

الراوي: ونظر الدكتور الجراح في دهشة هدوء الرجل وراقبه وهو يخلع جاكته ويلف كم قميصه وينتضي موسى جيبه وقبل أن يتدخل الدكتور في الأمر كان المريض قد فتح جرحاً عميقاً في يده فلم يسع الدكتور إلا أن يصرخ خوفاً من أن يقطع المريض أحد عروق يده الرئيسية:

الدكتور: قف.. ما دمت تعتقد أنه لا بد من إجراء عملية فسأقوم بها أنا..

الراوي: وأستعد الدكتور للعملية وعندما أصبح متهيأً لإجرائها طلب من المريض أن يدير وجهه لأن بعض الناس يتأثرون من رؤية الدم ولكن

المريض أجاب قائلاً :

المريض: ليس من الضروري إذ يجب علي أن أوجه يدك ومبضعك حتى تعرف مقدار ما يجب أن تقطع .

الراوي: ولم ترتجف يد المريض بل كان ثابت الجأش وكانت توجيهاته تساعد الدكتور في مهمته وما أن فرغ الدكتور من حفر البقعة التي كان يشكو المريض منها حتى تنفس هذا الصعداء فرحاً وكأنَّ حملاً ثقيلًا قد انزاح عن ظهره . وعندها سأله الدكتور:

الدكتور: ألا تشعر بأي ألم؟

المريض: (مبتسماً) أبداً يا دكتور.. إنني على العكس أشعر براحة وكان ما أجريته نسمة باردة تهب بعد نهار حار.. خل دمى ينزف فإن ذلك يريحني..

الراوي: وضمد الدكتور الجرح وظل يتردد على المريض في الفندق بضعة أيام حتى التأم جرحه فذهب إلى بلده وهو شاكر حامد للدكتور وبعد ثلاثة اسابيع عاد المريض إلى عيادة الدكتور ويده معلقة إلى كتفه ووجهه باهت ذابل وهو يشكو من نفس الألم فلما رآه الدكتور خرج:

الدكتور: يا إلهي . ماذا جرى لك ..

المريض: لم تتعمق في تجويف يدي كما يجب فعادت لي الآلام بشكل أفظع وأشد بحيث لا يمكنني أن أتحمل هذه الآلام ويجب أن أقتل نفسي حتى ارتاح إذا لم تجر لي عملية أخرى ..

الراوي: وفحص الدكتور يد المريض ومكان العملية الأولى فوجد كل شيء قد التأم تماماً حتى العروق بقيت سليمة ونبضاتها طبيعية وليس على المريض حمى ومع ذلك يصرخ من الألم . واضطر الدكتور لإجراء

عملية أخرى في نفس المكان. وظل المريض رابط الجأش وبعد أن انتهى الدكتور قال المريض:

**المريض:** لا تستغرب يا دكتور إذا ما عدت إليك بعد شهر آخر.

**الراوي:** وانصرف المريض وتناقش الدكتور مع زملاء له في موضوع مريضه وكل واحد منهم أبدى رأياً يختلف عن الآخر ولا يشفي الغليل. ومر شهر ولم يراجع المريض وتبعته بضعة أسابيع وفي يوم تلقى الدكتور رسالة من بلدة المريض ففتحها فإذا هو يقول فيها:

**الرسالة:** عزيزي الدكتور: لا أريدك أن تبقى في شك من سبب مرضي ولا يهمني أن أحمل هذا السر إلى قبري أو أي مكان آخر. وسأقص عليك تاريخ مرضي الفظيع. منذ ستة شهور كنت رجلاً سعيداً وغنياً وقلوباً اقتنص المسرة في كل شيء. تزوجت منذ سنة بفتاة جميلة مثقفة كانت صديقة لكونتيسة تعيش بالقرب منا. . ومرت ستة شهور على زواجنا وكل يوم يمر أسعد من اليوم السابق فقد كانت زوجتي تغمرني بعطفها وحنانها وعنايتها الفائقة بي. . ولا أدري ماذا أدخل في روعي أن كل حنان زوجتي إنما هو رياء وملق. . فالإنسان قد يبلغ به الحمق أحياناً فيبحث عن التعاسة بينما هو في قمة سعادته الكبيرة. كانت لزوجتي ماكنة خياطة وبهذه الماكنة درج كانت تقفله زوجتي دائماً وتحفظ بمفتاحه في حرص زائد. . وقد وقر في نفسي ما عسى أن تحفظ زوجتي في هذا الدرج. . وجننت من الغيرة ولم أعد اصدق عينها البريئتين ولا ما تفيضه علي من حنان ومحبة بل كنت أحسب كل ذلك خداعاً ونفاقاً.

ودعتها الكونتيسة ذات يوم لتقضي عندها نهراً كاملاً في قصرها وقد وعدت أن الحق بهما فيما بعد. . وانتهزت خلو البيت من زوجتي وفتحت

الدرج بواسطة مفتاح من عديد المفاتيح الموجودة لدينا . وبالتفتيش وجدت رزمة من الرسائل التي يدرك الإنسان من أول وهلة إنها رسائل غرامية وكانت مربوطة بشريط قرمزي واشتد سعير الغيرة في قلبي وقرأت الرسائل الواحدة بعد الأخرى فإذا بها رسائل من صديق لي حميم . تفيض بالحب المحموم وتلعن الزوج المغفل الذي هو أنا طبعاً وكانت تواريخ الرسائل تدل على أنها كتبت أثناء فترة زواجنا وليس قبلها . وكانت أتعس ساعة في حياتي . . وبعد أن انتهيت من قراءة الرسائل أعدتها كما كانت برباطها وشربت كأس غيرتي وألمي حتى الثمالة . .

وبالرغم مما أنا فيه فقد اضطررت إلى اللحاق بزوجتي في قصر صديقتها الكونتيسة وقد قابلتني بفرحة عارمة وعطف لا أستطيع وصفه . وقد وضعت غيرتي في ثلاجة . وبعد العشاء عدنا إلى منزلنا . . ودخلت زوجتي غرفة نومها ودخلت أنا غرفة نومي ولكني لم أستطع النوم فقد فاض كل عرق في بالغيرة والانتقام . . وبعد منتصف الليل دخلت في حذر إلى مخدع زوجتي فوجدتها نائمة وكانت البراءة والطهارة تزينان وجهها الجميل ولكن الحقد قد أكل كل حب في نفسي فمددت يدي إلى عنقها وضغطت عليه بكل قوتي ففتحت عينيها أول الأمر في دهشة ثم ما لبثت أن أغمضتهما للأبد . وماتت وكأنها كانت في حلم جميل . وقد نزت نقطة دم من شفثها وسقطت على يدي في البقعة التي تعرفها ولم ألاحظها إلا في الصباح بعد أن جفت . .

وواريت زوجتي في غداها بدون أي مشقة وعشت بعدها بدون أن يعرف أحد شيئاً عنها وقد أعلنت وفاتها وأظهرت من الحزن والوجع الشيء الكثير، ولم يوبخني ضميري على ما فعلت لأنني أعتقد أنها كانت تستحق . وكان حزن الكونتيسة على زوجتي عظيماً جداً فجاءت تعزيني بحرارة ولكن لم أكن في حاجة إلى من يعزيني فيها . ثم أخذت يدي في لطف وقالت لي .

الكونتيسة: أريد أن أأتمنك على سر لي وأرجو أن لا تستغله ضدي ..

الزوج: كوني مطمئنة يا سيدتي الكونتيسة ..

الكونتيسة: لقد أأتمنت زوجتك الراحلة على رزمة رسائل لم أتمكن من الاحتفاظ بها في قصري لأسباب خاصة .. ولا أدري هل من الممكن أن تعيدها لي .

الزوج: وشعرت برجفة شديدة في العمود الفقري وأنا أصغي لما تقول ولكن تدرعت بالصبر وسألتها: (عما تحتوي هذه الرسائل ..) فارتجفت الكونتيسة لسؤالي وقالت:

الكونتيسة: كانت زوجتك أخلص وأصدق امرأة قابلتها في حياتي .. إنها لم تسألني عن محتويات هذه الرسائل كما وعدتني بالأ تطلع عليها أبداً.

الزوج: هل تعرفين يا سيدتي أين كانت تحتفظ زوجتي بهذه الرسائل؟

الكونتيسة: قالت لي إنها كانت تحتفظ بها في ماكينة الخياطة والرسائل مربوطة بشريط قرمزي وعددها ثلاثون رسالة .

الزوج: وأخذت الكونتيسة إلى الغرفة التي بها ماكينة الخياطة وفتحت الدرج وسلمتها الرسائل وقلت لها:

هل هذه هي يا سيدتي؟ فأجابت:

الكونتيسة: نعم .. ألف شكر .. وغادرت المكان بسرعة .

الزوج: ولم أستطع أن أرفع عيني إلى الكونتيسة خشية أن تقرأ فيها مصابي .

وبعد أسبوع من دفن زوجتي زارني ألم خبيث في البقعة التي التصق بها

دمها في تلك الليلة الرهيبة وأنت لتعرف يا دكتور بقية القصة . . إنه عقاب من  
الله على تسرعي وعلى الطريقة الوحشية التي قتلت بها زوجتي البريئة الطاهرة  
وليس بيدي ما أَدفع به هذا العقاب سوى أن ألحق بزواجتي لعلها تصفح  
عني . . أشكرك يا دكتور على كل ما فعلت من أجلي .

## زوجة صياد

قصتنا هذه الأملسية: (زوجة صياد) للروائية السويدية (سلمى لاجرلوف). ولدت سلمى لاجرلوف سنة ١٨٥٨ وتوفيت ١٩٤٠. وحصلت على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٠٩ وتمتاز رواياتها بدقة التصوير وصدق التعبير لبيئة الطبقة الكادحة فقد كانت منهم، ألّفت عدة كتب وروايات ورائعة هذه الأملسية (زوجة صياد) من أحسن ما كتبت.

الراوي: في طرف قرية صغيرة للصيادين وعلى سفح رابية من الرمل الأبيض قام كوخ صغير كانت تقطنه امرأة عجوز. . لم يكن حسن البناء أو نظيفاً رحباً ليأخذ سمته إلى جانب البيوت الأخرى القائمة حول الساحة الكبيرة حيث تنشر شباك الصيد السمراء لتجف في وهج الشمس وقد شيدت الأرملة العجوز هذا الكوخ بنفسها ورغبت أن تكون جداره أعلى من جدران البيوت الأخرى وأن يكون سقفه المصنوع من القش اليابس أعلى من سقف أي بيت آخر.

وكان يلذ لهذه الأرملة واسمها (استريد) أن تتطلع إلى الأشجار لا سيما في الخريف عندما تذبل وتجف أوراقها فتبدوا متعلقة بالأحجار التي حولها متمسكة بها. .

وكانت كثيراً ما تقص على نفسها قصة حياتها وكيف قذفت بها الصدفة

الغريبة من قريتها في النرويج إلى هذا الشاطئ الجاف من منطقة (اسكانيا) بالسويد فتشعرانها بحاجة إلى البكاء والضحك معاً. أما كيف بدأ مصيرها العجيب فقد كانت عائدة إلى البيت في إحدى الأمسيات من منزل الخياطة التي تشتغل عندها فهاجمها اثنان من البحارة فصرخت . .

استريد: ادركوني يا ناس . . ادركوني . .

بحار ثالث: اتركوها أيها الأوغاد . .

الراوي: ويدخل البحار الثالث في معركة مع البحارين الآخرين ويستطيع التغلب عليهما وينقذ (استريد) ويوصلها إلى بيتها واستقبلت عائلة استريد النوتي الشاب السويدي الجنسية استقبالاً حاراً وطلبت إليه أن يتردد عليهم كلما وجد فرصة لديه وقد كسب هذا النوتي واسمه (بيرج نيلسون) محبة العائلة الصديقة المؤلفة من أم استريد وشقيقتين أخريين كان يحلو لهن في غياب «نيلسون» أن يتحدثن في إعجاب عن هذا الفتى النوتي الوسيم فنسمع الأم تقول:

الأم: أنا لا أصدق أن هذا الشاب الجميل الأنيق في ملابس البحرية البيضاء النظيفة هو بحار بسيط بل يلوح لي أنه ابن أرملة غنية اختار هذه المهنة عن هواية وشغف وارتبط بها كنوتي بسيط ليعطي أمه الدليل على حبه الفطري لأعمال البحر.

إحدى الشقيقات: إن مظهره يا أماه يدل على ذلك ولا شك أن أمه ستشتري له سفينة خاصة عندما يجتاز مدة المران.

استريد: أماه - ها هو نيلسون قادم.

نيلسون: مساء الخير يا سيدتي . . طاب مساؤكن يا مدموزيلات . .

الأم: طاب مساؤك يا بني . . تفضل واجلس . . يا مرحبا . . يا مرحبا . .



إحدى الشقيقات: كيف كانت رحلتك يا سيد نيلسون.. لقد مضت أيام لم نرك فيها فأين كنت؟

نيلسون: كنت في زيارة لوالدتي فقد طلبت مني بعض الحاجات لتنسيق بيتنا الجميل ذي السقف العالي بحيث لا يوجد في بلدتنا بيت يشبهه في طرازه وبلور نوافذه المزخرفة وكنت ووالدتي كلما جلسنا حول المدفأة الكبيرة نتحدث عنكم وعمما تشملونني به من عطف ورعاية وعناية، إن والدتي لجد ممتنة لكل ذلك.

الأم: العفو يا سيد نيلسون فنحن مدينون لك بإنقاذ ابنتنا من مخالب المجرمين الأثيمين.

نيلسون: العفو يا سيدتي.. العفو.. إنما قمت به واجب ولا يشكر المرء على واجب أداه..

الراوي: وسيطر النوتي السويدي على هذه العائلة النرويجية الطيبة القلب ولعب بعقلها حتى أصبحت تعتقد أن الله قد بعث إليها بهذا السويدي ليبعد عنها شبح الفاقة والفقر لو كان لهؤلاء النسوة رجل حي لاستعلم عن هذا الغريب أما هن فلم يرد على خاطرهن مثل ذلك وقد دفعن بطريقتهن هذه نيلسون إلى الكذب وشجعنه على الاسترسال فيه حتى أنه عندما عرف بمبلغ سعادتهن في الطواف على أجنحة الخيال منعه خوفاً من فقد «استريد» أن يرجع عن خداعه. وجاءهم نيلسون ذات يوم ليقول:

نيلسون: سيدتي - يشرفني أن أتقدم إليك بطلب يد ابنتك «استريد» فهل لي أن أنال هذا الشرف.

الراوي: وشاعت الفرحة في وجه أم استريد وأخواتها ثم قالت:

الأم: يشرفني يا سيد نيلسون قبول طلبك إذا كنت أنت واستريد متفقين .

الراوي: وتطلع نيلسون إلى استريد التي أخفت طرفها خجلاً وتصبب وجهها عرقاً فقال:

نيلسون: أليس كذلك يا آنسة (استريد) ..

الراوي: ولم تجب «استريد» خجلاً ولكن الأم كانت تحس بما بينهما والتي تعتقد أن نيلسون صيد ثمين يجب ألا يفلت من يدها أردفت على الفور قائلة:

الأم: مبروك - مبروك ..

الراوي: وأقيم حفل زفاف بسيط وأخذ نيلسون زوجته على ظهر السفينة التي كان يعمل فيها، وكان قبطان الباخرة كريماً حينما أعطاهما حجرته حيث قابلت «استريد» هذا العرض بقولها:

استريد: ألف شكر يا سيدي القبطان على مكرماتك هذه التي أقدرها حق قدرها ولن أنساها ما حييت ..

القبطان: ألف مبروك يا بنيتي ..

الراوي: وبذل «نيلسون» «لأستريد» كل ما يستطيع خياله من سعادة وكان يبدو له كوخ أمه الحقير غارقاً في الرمل فيسعى به خياله حتى يرفع من سقفه قليلاً ..

أما (استريد) ففتخيل نفسها وقد وصلا المرفأ المزين بالأعلام والزهور وأنها تمر في عربة فخمة تحت قوس النصر فيرميها الرجال بالورود ونظرات الإعجاب، وتصفر وجوه النساء غيرة من العروس الجميلة . ثم يدخل بها الزوج إلى بيته الجميل فيطالعها خدمه بثيابهم الرسمية وشعورهم البيضاء

التقليدية . . وتزين المائدة لهذه المناسبة السعيدة بالأزهار والشموع . .

وآبت «استريد» إلى نفسها من متاهات خيالها على صوت زوجها نيلسون يقول لها:

نيلسون: نحن نقرب من المرفأ فهيئي نفسك لمغادرة السفينة .

الراوي: وحصل نيلسون على إجازة يوم وليلة من قبطان السفينة ليوصل امرأته ويهييء لها أسباب الحياة في مقرها الجديد . وعندما وصلوا إلى الميناء الذي تصورته استريد حافلاً بالمستقبلين والأعلام والزهور - لم تلق غير الفراغ والهدوء المعتاد . .

ولحظ نيلسون أن امرأته توزع فيما حولها نظرات حزينة خائبة فقال لها:

نيلسون: جننا في ساعة مبكرة وكان سفرنا قصيراً في هذا الريح الرخاء . . أنهم لم يرسلوا عربة للقائنا وعلينا أن نسير مشياً على الأقدام بعض الوقت فالبيت يقع خارج المدينة . .

استريد: وماذا يهم يا نيلسون . . فقد مضى علينا زمن طويل ولم نقم بحركة وسيحلو لنا المشي . . هيا بنا . .

الراوي: وبدا سيرهما . . وكان الطريق وعراً جداً لم تكن لتتحمل السير فيه حتى في أحلك أيامها دون أن تضح بالشكوى والألم . . وكان يتقدمان في شوارع غرزت على جوانبها البيوت الباهتة القديمة ولكن أين بيت زوجها ذو الواجهة العالية المزخرفة والسلم الكبير بعواميده الرخامية كما كان يصفه .

وحزر نيلسون ما يدور بخاطر زوجته فقال لها:

نيلسون: إن بيتنا بعيد . . لم نصله بعد . .

**الراوي:** واجتاز المدينة وسارا في السهل فرأت ودياناً قائمة وحصوناً أثرية منيعة وبيوتاً قديمة باهتة اللون.. وسلك بها نيلسون طريقاً جانبية فسألته قائلة:

**استريد:** إلى أين تسير بنا يا نيلسون؟

**نيلسون:** إننا نقتصر الطريق إلى بيتنا.

**الراوي:** ولم تجرؤ «استريد» خلال المرحلة الأخيرة من الطريق أن توجه إليه سؤالاً واحداً فقد بدأت الشكوك تساورها ولكن منظر صف جديد من البيوت أعاد إليها شجاعته وأنه من المحتمل أن نيلسون لم يكذب عليها.. وطالعتها هذه البيوت بأصص الزهور وسجف بيضاء على النوافذ ورأت أخيراً في طرف القرية كوخاً صغيراً فأشفقت على نفسها لأنها اضطرت أن تجتاز ذلك الصف من البيوت الصغيرة النظيفة.. وشعرت كأنها رأت هذا الكوخ منذ القديم في عيني نفسها قبل أن تراه في الحقيقة فقالت لنيلسون وهي تتوقف على سفح رابية الرمل:

**استريد:** أهذا هو قصرنا العاجي؟

**الراوي:** فأوماً نيلسون برأسه واستمر يتقدم نحو الكوخ فصاحت به مهددة.

**استريد:** لقد كذبت علي وخدعتني.. وفعلت أسوأ ما يمكن أن يفعله ألد أعدائي.

**الراوي:** وأجابها نيلسون بصوت خافت مضطرب:

**نيلسون:** أردت أن تكوني لي وحدي.

**استريد:** ليتك خدعتني بشكل معقول.. لماذا ملأت رأسي بأوهام هذا الغني؟

لم كل هؤلاء الخدم؟ ولم أقواس النصر؟ هل كنت تعتقد أنني متعلقة بالمال إلى هذا الحد؟ ألم تشعر بأني أحبك بالقدر الكافي لاتبعك حيث شئت.. يا لغبائي.. يا لشقائي.. كيف استطعت أن تستمر في الكذب إلى اللحظة الأخيرة.

نيلسون: ألا تدخلني وتتحدثني إلى أمي؟

استريد: لن أدخل هذا البيت.

نيلسون: إذن تعودين إلى أهلك.

استريد: نيلسون.. كيف أستطيع ذلك.. كيف أسبب لهم مثل هذا الحزن والغم العظيم وهم يعتقدون أنني سعيدة وغنية.. لا.. ولكنني لن ابقى هنا.. إنني أستطيع أن أكسب قوتي بعرق جبينني.

نيلسون: أرجوك يا استريد. أن تبقى فما فعلت إلا حرصاً عليك.

استريد: لو صارحتني بالحقيقة قبل هذا الوقت بقليل لقبلت..

نيلسون: كنت تبقين لو قلت لك إنني فقير.

الراوي: وكانت استريد تهم بالعودة عندما فتح باب الكوخ وظهرت أم نيلسون على العتبة كانت عجوزاً ضئيلة تركت السنون آثاراً على وجهها أكثر مما تركته في عقلها.. وكانت قد سمعت جزءاً من الحديث وحزرت الباقي.. كانت تعرف ابنها وتعرف شيئاً عن الزوجة التي أتى بها فقالت لابنها:

أم نيلسون: هذه إذن يا نيلسون ابنة العائلة الكريمة التي تزوجتها.. يبدو لي إنك خدعتها وبذلت لها الأكاذيب.

الراوي: وتقدمت بلطف من استريد وداعبت خدها وقالت:

أم نيلسون: أدخلني معي يا ابنتي المسكينة.. إني أعرف متاعبك.. فأنت منهكة.. هذا كوخى أنا فلن يدخله.. تعالى فأنت الآن ابنتي الصغيرة ولن أدعك تذهبين إلى بيت غريب.

الراوي: وبذلت أم نيلسون لأستريد الكثير من عطفها وحنانها ثم دفعتها برفق نحو الباب ودخلت أستريد أخيراً وظل «نيلسون» خارج الكوخ.. وسألته العجوز عن قصة تعرفها إلى ابنها وكيف تم زواجهما.. ثم بكت عليها حناناً وإشفاقاً وبكت أستريد على نفسها وحدثتها أم نيلسون عن ابنها قائلة:

أم نيلسون: إن نيلسون كثير الكذب، حباه الله وجهاً جميلاً وجسماً رشيقاً كان يرى كل شيء خلال نظارات مكبرة.. ولكن أكاذيبه لم تكن قد أساءت إلى أحد من قبل والحق كان أمامه ما يغري هذه المرة.. كان يجيد تقليد الأغنياء في حركاتهم ودقائق حياتهم حتى لبيدو غنياً منذ الولادة.. أليس غريباً من هذا الفتى ابن الصياد أن يستطيع خداع الناس وكيف لم تثر أحاديثه الشكوك في قلبك يا أستريد.

الراوي: وكانت الأم تتكلم وتتكلم فتصغي إليها أستريد وتتشرب في حالة حزنها كل كلمة تقولها ثم أضافت الأم قائلة:

الأم: أترين يا أستريد.. إني لم أستطع أن أقتلع من نيلسون هذا الكبرياء وهذه الحاجة الداخلية التي تدفع به إلى ادعاء ما ليس له من غنى وجاه..

ولعلّ امرأة أخرى محبوبة تفوقني ذكاء توفيق حيث فشلت.

الراوي: وسألته أستريد فجأة قائلة:

أستريد: وأين يقضي نيلسون ليلته؟

الأم: يمكنه أن ينام على الرمل خارج الكوخ وسأعطيه غطاء.

الراوي: واستمرت الأم تتحدث إلى استريد واستطاعت إقناعها بالبقاء معها إلى قرب ابنها وبعد أيام من حلول الوئام والصفاء بين الزوجين ودّعت أم نيلسون دنياها وذهبت إلى بارئها. ورزقت استريد طفلاً.. وبدأت تعيش له ومن أجله وهبته كل ذاتها ووجدت فيه معنى جديداً لحياتها وتفانت في العناية به بعد أن أفلحت في تغيير طباع زوجها وصرفه عن سعادة الوهم والأكاذيب.. وغرق زوجها نيلسون في إحدى رحلاته غيبه الخضم العظيم في أحشائه الهائلة وتبعه بعد مدة قصيرة ابنها الوحيد ولم تحاول استريد أن تواجه أحداً من أهلها لأنه كان يخلجها أنها أصبحت شبيهة بنساء الصيادين تكسب عيشها من صنع شباك الصيد وظلت «استريد» وحدها في هذا القفر النائي بعد أن وطنت نفسها على الاستسلام لقضاء الله وقدره.

## الحب الخالد

ولد سامي لأبوين فلاحين كانا يكسبان قوتهما بالعرق والدموع والكد آناء النهار وأطراف الليل .

وأول ما تفتحت عينا سامي تفتحت على فقر مدقع . و حياة خشنة فكانت تحمله أمه معها إلى الحقل وترمي به على ترابه يلعب فيه ويلعب ما علق منه بين ثنايا أصابعه ، وهي قريبة منه منشغلة عنه بمساعدة أبيه في عمله اليومي .

ولم تمر طفولة سامي هادئة ، لينة فقد كان لسوء التغذية وغبار الحقل وقذارة الماء عميق الأثر على صحته بصورة عامة ، شأنه شأن غيره من أبناء هذه الطبقة الكادحة ولولا أنه كان في البلدة طبيب دائم ووحدة صحية متنقلة لكان سامي في عداد المرحومين .

ولما بلغ سامي الثالثة من العمر جاءت أمه بأخت له فزادت أعباء والديه ثقلاً على ثقل ، بيد أنهما لم ييأسا بل قابلا الحياة بابتسامة المؤمن الصابر المستسلم لقضاء الله وقدره ، الراضي بما قسم له ربه .

بهذا الإيمان العميق جاهداً وجاهداً ، وكافحاً وناضلاً حتى أصبح حقلهما نموذجاً يحتذى به بين حقول البلدة جميعها ، فظفرا بجائزة الدولة فوسعا بها



عملهما فزاد درهما وكسبهما وتحسنت تبعاً لذلك حالهما وحال طفليهما وأصبحا على مر الأيام من الأغنياء المرموقين .

ولم يقنع والدا سامي بما وصلإ إليه بل عمل كل واحد منهما من جانبه على النهوض ببلدهما صحياً وثقافياً وزراعياً فكافأت الدولة والد سامي بتعيينه حاكماً لبلدته ، فأحسن المعاملة ونشر العدالة وبسط الأمن فأصبح محبوباً من جميع السكان على اختلاف طبقاتهم وميولهم ورشح نفسه في الانتخابات العامة ففاز بعضوية البرلمان بالتزكية عن منطقته .

ودخل سامي المدرسة الابتدائية فكان الأول بين طلابها في جميع مراحلها كذلك كان شأنه في الإعدادية والثانوية .

وقد أهله مجموعته العالي أن يتعلم مجاناً في الجامعة وأن يتخصص في الطب وفجع سامي - قبل دخوله الجامعة - في أخته فقد اختطفتها يد المنون فبكاها سامي وحزن عليها حزناً شديداً حتى خشي والداه على صحته بيد أن يد الزمان كفيلة بمسح الأحزان مهما جل شأنها وعظم أثرها وهكذا انتظم سامي في دراسته الجامعية وظل في الطليعة مبرزاً على أقرانه في خلقه وخلقه وذكائه وفهمه وحسن معاملته فأحبه كل من اتصل به أو زامله في دراسته واستحكمت صداقة متينة بينه وبين زميل له في كلية الطب اسمه فؤاد . . . واشتركا معاً في جميع أوجه النشاط الاجتماعي في الجامعة .

وانتخب سامي رئيساً لاتحاد الطلبة في الجامعة بالتزكية وانتخبت سلوى سكرتيرة لهذا الاتحاد .

كانت سلوى في العشرين من عمرها فارعة الطول ناعمة البياض رشيقة القد والقوام يزين رأسها شعر أشقر ابدعت في تنسيقه يد الخالق والصانع وكانت على جانب عظيم من الجمال الطاغي الذي يشد الناظر إليه فيتسمر بصره على عتبة محرابه المقدس وكانت من عائلة كريمة تتمتع بنفوذ واسع

وجاه عريض وثناء طائل وقد شغل والدها - بجدارة - مناصب رفيعة متعددة فأنعم عليه سلطان عصره بلقب (باشا).

ولما كانت سلوى وحيدة والديها فقد نذرا نفسيهما للعناية بها صحياً وخلقياً وثقافياً فنشأت نشأة كريمة صالحة ونجحت في جميع مراحل تعليمها ودخلت الجامعة للحصول على دبلوم التربية والتعليم واشتركت في كثير من وجوه النشاط الاجتماعي فيها . .

وكانت انتخابات الاتحاد العام للطلبة أول معرفة سلوى بسامي . . وقد ربط الإعجاب المتبادل بينهما فتعاونوا على النهوض بالاتحاد على خير ما يرام ثم انقلب الإعجاب إلى حب عارم اتفقا على كتمانهم مخافة أن يؤثر على دراستهما ولاختلاف التخصص نالت سلوى دبلوم التربية والتعليم قبل سامي فأقام والدها سليم (باشا) احتفالاً كبيراً في داره بهذه المناسبة كان سامي نجمه وموضع إعجاب الحاضرين من رجال ونساء وعلى رأسهم والدا سامي . وفي هذا الحفل تعرف سامي «بهند» فأحبهت حباً جارفاً من أول نظرة وأول لقاء كما يقولون . .

كانت هند في الثانية والعشرين من عمرها ربعة القامة ميالة إلى الطول أكثر منها إلى القصر رياضية الجسم والتكوين بيضاء البشرة كستنائية الشعر متوردة الخدين يمرح الدل في أعطافها وتسري الأنوثة الصارخة في كل حركة من حركاتها توفي والدها عامر (باشا) ولحقت به أمها في فترات متقاربة وخلفاً لهند ثروة كبيرة حام حولها فراش من الطامعين غير أن تربيتها القويمة وذكائها الحاد الخارق فوتا الفرصة على الراغبين وجنباها شباك . . . الصائدين الماكرين . . .

واهتبلت هند فرصة تعرفها بسامي فحاولت القاء شباكها وأحس سامي بالحرح فأفلت بلباقة مذهلة وألقى بصديقه فؤاد في الشباك فكان صيداً هيناً ليناً

غير أن طعمه كان من النوع الذي لا تستسيغه «هند» ومن سخرية القدر أن يقع فؤاد في حب «هند» فيجلس في شبابه الحبيب خاشعاً متبتلاً كالراهب أمام تمثال العذراء يتطلع إلى هند ثم يفرك عينيه وهو لا يصدق أنها خلقت من طينته . . . أنها - في نظرة - حورية هبطت بطريقة ما على الأرض لتملأها بهجة وحبوراً . . .

وقد لاحظت هند ما اعتراه من وجوم وذهول . . فرنت في زهو وكبرياء إلى ضحيتها الجاثية على أقدام سحرها وفتونها وابتسمت ابتسام الظافر ثم سارت تجر أذيال التيه والفخار على زفرات وآهات المعجبين المتصاعدة ودعوات المتيمن المتعالية تحرسها وترعاها . . .

وانفض الحفل وعاد سامي وفؤاد كل إلى سكنه وفي الطريق كان سامي يضحك ويغرق في ضحكه من المقلب الذي شربه فؤاد كلما رأى هذا ساهماً غارقاً في لجة حبه الجديد . . وكثيراً ما كان يحاول استثارته غير أن فؤاداً كان يستعذب هذه السخرية ويقابلها بابتسامة الواثق بانتصاره على «هند» في يوم من الأيام وأخيراً تهادئا وعادا ينتظمان دراستهما بما عرف عنهما من جد ومثابرة . . .

ونال سامي دبلوم الطب بامتياز لم تعرف له الجامعة مثيلاً من قبل وحصل فؤاد أيضاً على الدبلوم بدرجة جيد . . وانهالت التهاني والحفلات وأقام والد سامي حفلة ضخمة في قصرهما احتفاءً بنجاح سامي وفؤاد ضمت عدداً غير قليل من صفوة المجتمع وزهراته وفي المقدمة سلوى وهند . . .

وبينما كان المدعوون ينتظمون الموائد المتناثرة هنا وهناك في أبهاء الحديقة الغناء فاجأت هند الحاضرين بدعوتهم لحضور الحفلة الساهرة التي ستقيمها في دارها للدكتور فؤاد وفي الوقت الذي كانت هند تخاطب المدعوين من خلف المذياع كان الخدم يوزعون الدعوة على المجتمعين .

صعق فؤاد من المفاجأة السارة غير المنتظرة ثم آب إلى رشده واندفع إلى الميكروفون يشكر «لهند» تلتفها بتكريمه ثم عاد إلى مكانه والدهشة ما تزال تسيطر على الحاضرين . .

أما سامي فلم تذهله المفاجأة بل عرف أنها قناع يستمر وراءه خططاً جهنمية تدبرها هند لإيقاعه في حبالها . .

وقطع تفكير سامي ودهشة السامرين برنامج الحفلة الزاخر بألوان متعددة من غناء ورقص وملح وفكاهة . .

وعاد فؤاد إلى منزله وهو نهب لأحاسيس متدفقة يزحم بعضها البعض . . إنه أصبح يفكر في هند أكثر من ذي قبل إنه مدين لها إنها طوقت عنقه بجميل أبدي إنها احتفت به وكرمته إنها شغله الشاغل إنها يومه وغده ومستقبله إنه وحيد لا والد ولا أم وأخ ولا عم إنها إذن والده وأمه وأخوه وعمه إنها كل شيء له في هذه الحياة أتراها تحبه أم أن هناك سرّاً تبطنه . . وظل فؤاد يتقلب على فراشه يصارع أفكاره وهو اجسه حتى أنهكته وأنهكها فنام أخيراً . .

أما «هند» فلم تياس من إفلات الصيد من الفخ بل تفننت في ضروب الحيل للظفر به غير مبالية بما تلاقيه من إخفاق . . لقد أرادت لنفسها وفي سبيل ذلك استسهلت التضحيات . . ورأت في صداقتها المزيفة لفؤاد جسراً يسهل لها لقاء سامي .

وقاوم سامي بحذر وكياسة إغراء هند وأحبط مؤامرتها المتنوعة بقوة حبه لسلوى ومثانة صبره وجلده وكان أخشى ما يخشاه أن يطلع فؤاد على الأمر فتقتله الصدمة . . إن فؤاداً رفيق الصبا وصديق العمر، إنه مرهف الحس رقيق الشعور إنه يخاف أن تفاجئه هذه المعركة فتودي به حالاً . . ماذا عليه أن يفعل لقد فكر وقدر ثم فكر وقدر فهداه تفكيره إلى السفر للخارج للتخصص

في طب أمراض البلاد الحارة فيضرب بذلك عصفورين بحجر واحد.. أجل هذا هو السبيل.. الوحيد لخروجه من هذا المأزق ولو إلى حين.. ولكن كيف يوفق بين هذا المخرج ووعده لسلوى بالزواج فور حصوله على الدبلوم.. مشكلة عويصة أخرى وراود فكره حل سريع لهذه المعضلة.. لم لا يتزوجها فتنتهي المشكلة.. وتجيبه كرامته لا.. يا سامي إنك ما زلت في أول الطريق لم تكوّن بعد مركزاً أدبياً ولا مادياً أتريد أن تنفق عليك زوجك.. أتريد أن تعيش وزوجتك عالية على والديك.. إنك رجل والرجولة لا ترتضي ذلك..

وأخيراً وازن سامي بين المشكلتين فرجحت كفة تأجيل الزواج على السفر ففاتح سلوى فغضبت في أول الأمر ثم أذعنت للأمر الواقع وقالت:  
سأنتظرك.. سأنتظر عودتك يا حبيبي.. موفقاً بإذن الله..

فشكرها وشد على يديها بحرارة فارتمت على صدره تبكي فراقه بمرارة فرفع رأسها وكفكف دمعها وقبلها قبلة أودعها ما يكته لها من حب وإخلاص وسافر سامي على بركة الله وكان في توديعه والداه وسلوى وهند وفؤاد.. وجمهرة من المعارف والأصدقاء.. وبدأت رسائل سامي تتوالى منتظمة على سلوى وهي ترد عليها بانتظام أيضاً وكان سامي يختم تحاريره لفؤاد بإهداء تحياته لهند مكرهاً..

وبعد فهل رضيت هند بالهزيمة أو استسلمت للفشل.. كلا وألف كلا أنها طفقت تبعث لسامي برسائل يومية تفيض بحبها وآلامها ولما لم يجب سامي على واحدة من هذه الرسائل عذمت على أن تستعمل سلاحاً آخر تضرب به في صميم فؤاده..

سلوى.. أجل ومن غير سلوى.. إنها قلبه النابض.. فلماذا لا تفرق بين القلب والجسد..

واستراحت هند إلى هذه الخطة فاسترخت أعصابها المتوترة وشرعت تفكر في هدوء. . . وتستعرض في تؤدة وصبر جميع أنواع أسلحة المكر والخديعة وتقلبها لترى أيها أشد مضاء وفتكاً. . . وأخيراً وليس آخراً عثرت عليه فصفقت فرحاً ورقصت طرباً. . . فما هو يا ترى هذا السلاح السري الجديد. . .

لقد أشاعت بواسطة أعوانها وعبيد مالها وجمالها أن سامي تقدم لخطبة سلوى وأن والدها رفض ذلك بحجة عدم التكافؤ بين الأسرتين. . . فسامي من طبقة الفلاحين. . . وصاحب الحسب والنسب والأصل الرفيع سليم (باشا) لا يمكن بحال من الأحوال أن يقبل مصاهرة شخص من هذه الطبقة. . . ولذلك سافر سامي إلى الخارج متأثراً من هذا الرفض. . .

وسرت هذه الإشاعة سريان النار في الهشيم وتناقلها الرواة وبالغوا في تجسيدها وتضخيمها وحشوها بما سمح لهم خيالهم الخصب من إفك وبهتان. . .

وبلغت الشائعة والد سامي وكان مريضاً فتأثر منها وزادت وطأة مرضه شدة على شدة أما والد سلوى فصدمة الشائعة في كبريائه ومركز عائلته وحمد الله على تكشف هذه الحقيقة له قبل أن يتقدم لخطبة ابنته وأما سلوى فكان وقع الخبر عادياً في نفسها في بادئ الأمر ثم لم تلبث أن جاهرت بتكذيبه ذلك لأن سامي حدثها عن كل شيء إلا عن أصله وماذا يهمها من أصله وفصله إنما أصل الفتى ما قد حصل. . . إنها وهي المثقفة لا تكثر لمثل هذه الشائعات فسامي يفضل الكثيرين من ذوي الحسب الرفيع ولذلك لم تكلف نفسها أخيراً معرفة مروجي هذه الإشاعة. . .

ولما علمت هند أن بذرة شائعتها قد وجدت تربة صالحة لدى والدي سلوى. . . جندت أخلص أعوانها وأرسلته إلى بلدة سامي ليتقصى. . . لينبش ماضي عائلته. . . ويأتيها بالخبر اليقين. . . فجاءها بعد أيام من البحث والتنقيب

بصورة فوتوغرافية لوالدي سامي بلباس الفلاحين وسامي الطفل بينهما في نفس الزي عاري الرأس . . حافي القدم وأمه تحمل أخته على كتفها . .

قنبلة دونها القنابل الهيدروجينية وصاروخ يعجز عن صنعه عباقرة علماء أمريكا وروسيا أجل وجدت هند هذا السلاح المدمر فطبعت منه مئات النسخ ووزعتها بطريق البريد المقفل . . على معارف سلوى وأصدقاء والديها وخاصة تلك الطبقة منهم المحافظة على التقاليد البالية والعادات البائدة . .

وفتح سليم (باشا) مغلفه فطالعه الصورة وبينما هو يتأملها مشدوهاً جاءته زوجته تسعى تلطم خديها وتقذف سامي وعائلته بأقذع الشتائم . . إذا . . بزوجها يحمل نفس الصورة فتبتدره قائلة :

يا للفضيحة . . يا للعار . . كيف كنا نداري وجوهنا عن الناس . . لقد فاتحتني سلوى منذ مدة عن عزم سامي التقدم لخطبتها وأنها ترى فيه فتى أحلامها ثم تخبط جانب فخذها وهي تردد . .

يا للفضيحة . . يا للعار . .

ويجيها زوجها . .

احمدي الله يا زينب . . واشكريه على تجلّي هذه الحقيقة لنا قبل الخطبة . .

ثم يسألها :

أين سلوى . . ألا تزال نائمة . .

لقد تركتها تتناول طعام الإفطار . .

لا شك أن الصدمة ستكون جد قاسية على سلوى . .

نعم لأنها - كما أخبرتك - تحبه وتجله منذ كانا في الجامعة . .

وتدخل سلوى عليهما وابتسامه عريضة تشيع في محياها والصورة إياها في

يدها . . وإذ بها تفاجأ بأن لدى والديها مثلها . . فينتقطب وجهها وتقول  
مخاطبة إياهما . .

لا شك أنها مؤامرة دنيئة للإيقاع بيننا وبين عائلة سامي إن من فعلها يعتقد  
أننا ما نزال نعيش العقلية الرجعية القديمة عقلية الحسب والنسب والأصل . .  
إن هذه الصورة - في رأيي - شرف ما بعده شرف لسامي ووالديه ثم ماذا ينبغي  
فاعل هذه المكيدة من مكيدته . .  
وتقاطعها والدتها قائلة . .

إن من فعلها يريد لنا الخير جميعاً . . إنه أراد أن يكشف لنا الحقيقة  
المؤلمة ثم تجد في كلامها . .

إسمعي يا سلوى: ألم تقولي لي إنك وسامي قد اتفقتما على الزواج  
وأنكما أجلتما ذلك حتى عودته من رحلته الدراسية التي ستستغرق سنتين . .  
أليس كذلك . .

وتجيبها سلوى وهي مغضية خجلاً . .

نعم يا أماه . . نعم يا أبتاه . . لقد مضت السنة الدراسية الأولى وها هي  
السنة الثانية توشك أن تنتصف . .  
وتقاطعها أمها محتدة . .

وتصرين على ذلك بعدما اتضح لك ضعة أصله . . يا للفضيحة . . إنني  
ووالدك لا نوافق على هذا الزواج أبداً أبداً، ويومي والدها برأسه على كلام  
زوجته فتمتعض سلوى وتقول . .

وهل في انتماء سامي إلى طبقة الفلاحين فضيحة . . من يدري يا والدتي  
إن جدّي الأول كان من هذه الطبقة التي تحتقرونها الآن إننا كلنا نعيش  
على . . سواعد هذه الطبقة الكادحة إننا نأكل نتاج كدها وعرقها ودموعها . .



وإنه ليؤسفني أن تتمسكي ووالدي بهذه القشور الباهتة من التقاليد والعادات ويرتفع صوتها عالياً:

أروني بربكما فتى في ثقافة سامي وأخلاقه.. . أروني بربكما أباً مثل أبيه  
نشأ نشأة عصامية وعمل لبلده ووطنه ما عمل والد سامي لبلده وقومه.

إن الجمعيات التعاونية الزراعية المنتشرة في طول البلاد وعرضها والتي  
إليها يرجع الفضل الأكبر في نهضة بلدنا هذه النهضة الزراعية العظيمة.. .  
من أسسها.. . من فكر فيها.. . أليس والد سامي.. . حرام عليكم تنسون كل  
هذه الفضائل وتتمسكون بنفايات الأشياء وتفاهاتها.. .

ثم تخفض صوتها وتقول والسخرية تملأ عباراتها:

ومع كل ذلك فلماذا تستبقون الحوادث وسامي لم يتقدم بعد لخطبة ابنتكم  
ثم تنهي حدة هذا الجدل قائلة.. .

والآن هل تسمحون لي بزيارة والد سامي فقد قرأت في جرائد هذا الصباح  
أنه نقل للمستشفى وحالته خطيرة جداً.. .

ويردان عليها مشفقين له متمنين له البرء والعافية.. .

وحم القضاء وتوفي والد سامي ولم يتمكن ابنه الغائب من الحضور.. .  
وشيع جثمان الراحل الكريم تشييعاً رسمياً أشارك فيه كبار رجال الدولة ونواب  
الامة وأعيانها ووجوه البلاد وزعمائها وممثلو الهيئات والطبقات العاملة  
وجماهير شعبية غفيرة.

وقبل أن يوارى جسده مثواه الأخير ألقى رئيس الوزراء كلمة رثاء أبّن فيها  
الفقيد وعدّد مناقبه وأعماله وأعلن أن رئيس الدولة كان قد أنعم على الراحل  
العظيم - أثناء مرضه - بأكبر لقب في الدولة وأرفع وسام فيها.. . وكان يرجو

أن يمن الله عليه بالشفاء فيقلده ذلك بنفسه . . ولئن حال موته دون ذلك فلن يحول دون تقديره وهو مسجى أمامكم . .

ثم أخرج الوسام وبراءته واللقب وبراءته ووضعهما على النعش فبكاه . . الحاضرون وترحموا عله وأبرزت الصحف في أعمدتها الأولى خبر نعيه ومناظر تشييعه وعددت خدماته الجليلة لأمته ووطنه . .

. . ولبست سلوى وهند ثياب الحداد على الفقيده وأرسلت سلوى ووالداها وهند وفؤاد وغيرهم برقيات التعازي لسامي وتقبلنا - مع أقربائه تعزية المعزين وكان جزع هند على المتوفى بيناً وظاهراً لقد صحا - على ما يظهر - ضميرها فأثبها وأفحش في تأنيبها وتبكيته حتى أنها لم تستطع تحمل هذا التعذيب فهجرت موطنها بغتةً إلى قطر مجاور فور انتهاء أيام العزاء وكان سفرها المفاجيء موضع تساؤل الكثيرين من معارفها ومحبيها وعلى رأسهم الدكتور فؤاد . .

وفي صباح ذات يوم تلقى سليم باشا برقية من جلال ابن أخيه ينبئه عزمه العودة من أمريكا إلى وطنه العزيز ويحدد موعد وصول طائرته وقد فرح العم بهذا النبأ ولا سيما وأنه لم ير ابن أخيه هذا إلا عن طريق الصور الفوتوغرافية التي كان يبعث بها أخوه المرحوم . .

وفي الموعد المحدد كان سليم باشا وزوجه وسلوى في ساحة المطار يستقبلون - جلالاً بحرارة واشتياق ونزل بالطبع في دار عمه ضيفاً مكرماً معززاً . .

كان جلال في الخمسين من عمره قد خطَّ الشيب فوديه وكان مديد القامة حسن المنظر متوقد الذكاء والمكر والدهاء خفيف الروح حلو الحديث سريع النكته حاضر البديهة مرحاً في غير تكلف . . أميركياً في طباعه ومزاجه متأنقاً في زيهِ وهندامه . . كان زير نساء خبيراً مَفناً في معاملته لهن وكان محباً

للتظاهر.. . والمعرفة مولعاً بالخمر والميسر حتى أنه بدد ثروة أبيه الطائلة على موائدهما.

ومن العجب المستغرب قدرته الخارقة على التحكم في صفاته هذه وإظهارها أو إخفائها حسبما تقتضيه المواقف.. . وتتطلبه المناسبات.. .

بهذه المؤهلات من المتناقضات سيطر جلال في سرعة فائقة على جميع من في الدار فأصبحوا لا يبتون في أمرٍ مهما ضؤل أو عظم شأنه إلا بمشورته وقراره فيه نافذ من دون أي تردد.. .

ووجدت سلوى في ابن عمها رفيقاً مؤنساً استطاع بمواهبه الخلاقة أن يكسب ثقته ويملاً فراغها الموحش.. . ورأى جلال في سلوى خاتمة المطاف ومنتهى الأمل والرجاء.

ورأى والد سلوى في جلال المخلص لهما من سامي ومن مشكلة عائلته وأصله فعملاً - في حرص وحذر على تنمية الألفة بينهما فسمحا لها بالخروج معه فكان أين يذهب نراها معه في النوادي في السينما في المسارح وفي المنتزهات وقد زاد في تباهي سلوى استيلاؤه في كل مجلس على الباب الحاضرين والحاضرات.. . برصيده الذي لا ينضب من أحاديث وفكاهات وطرائف مستملحات وكانت طريقته في التعبير رائعة جذابة تسترق أسماع المجتمعين وأبصارهم وهكذا أصبح جلال - بين عشية وضحاها - دون جوان المجتمعات والأندية الراقية فتهافت الفتيات والنساء على التعرف به وتوالت مهاتفاتهن له طوال النهار وبعد منتصف الليل مما أثار غيرة وحفيظة سلوى عليهن فكانت ترد على هذه المكالمات ببرود وأحياناً بحدة قائلة إنه غير موجود بينما هو جالس بجانبها أو قبالتها وتناست سلوى في زحمة هذه الحوادث أن تجيب على رسائل سامي المتواصلة إلا فيما ندر.. .

وأدرك جلال - وهو العليم بقلوب النساء - أن سلوى بدأت تحس

بوجوده.. فأخرج من جعبة أفكاره تكتيكاً نفذه على الفور فأنقطع فجأة عن ارتياد النوادي والمجتمعات وترك لسلوى - بدلاً منه - ترتيب برنامجهما اليومي فزاد التصاقه واحتكاكه بها وكثرت تبعاً لذلك أقاويل الناس وتكهناتهم وكلها كانت تجمع على مولد حب جديد بين سلوى وجلال..

وكتب فؤاد إلى سامي - بإسهاب عن علاقة سلوى بجلال وعن الشائعات.. المنتشرة في الأوساط على اختلاف طبقاتها فصعق سامي بهذا الخبر ولم يصدقه في بادئ الأمر غير أن ندرة رسائل سلوى إليه ورسالة والدته الأخيرة التي جاءت معززة لرسالة فؤاد جعلته يميل - باحتراس إلى تصديق الخبر وهكذا قلل سامي أيضاً رسائله إلى سلوى وهكذا بدأت الجفوة وهكذا نجح تكتيك جلال وعاشت سلوى في دوامة من الحيرة بين ماضي حبيب إليها وتباشير إشراقه حب جديد في قلبها..

وبينما كانت سلوى تتأرجح في حيرتها وقلقها أثرت من جديد زوبعة عدم التكافؤ بين سلوى وسامي.. واحتدم الجدل في أوساط المعارف والأصدقاء ما رأى جلال - بثاقب بصره - إن الفرصة سانحة فرمى في الميدان بتكتيك ثانٍ.. فانطلقت.. الشائعات والهمسات تردد وتؤكد قرب زواج جلال بابنة أحد الوزراء وأشارت بعض المجلات الأسبوعية - بطريقة غير مباشرة - إلى هذا الزواج وأنه سيكون قبلة الموسم..

وبلغت سلوى الأخبار فثارت ثائرتها وطلبت من جلال أن يكون صريحاً في إجابته لها فجنح للمراوغة فأصرت بشدة على الإجابة فاهتبل الفرصة الذهبية وقال..

- وماذا يهمك من أمر هذه الشائعة..

- إنك قريبي وأرجو - بهذه الصفة أن يكون لي رأي في زواجك فإنك لا

تعرف بنات هذا البلد أكثر مني..

- أشكرك من كل قلبي على هذا الاهتمام واسمحي لي أن أسألك: هل في عروس.. الشائعة من عيوب..

وقبل أن تجيب على سؤاله تراقصت أمام عينيها في سرعة حلول مسائل كثيرة.. مستعصية لقد باتت تعتقد أن قلة رسائل سامي مردها وقوعه في غرام جديد وأن قضية التكافؤ التي تبناها والدها ستكون حجر عثرة في سبيل زواجها بسامي وأن زواج جلال بآبنة أحد الوزراء لا شك فيه وأن ما تعتد به من جمال وثقيف قد فشل في التأثير على قلب جلال وأن قصة خيبتها سيتحدث عنها المجتمع بسخرية لاذعة وتهكم مريع..

وفطن جلال إلى ما يعتمل بنفسها فأمسك بيدها وقال:

- سلوى إنني أحبك لقد أحببتك منذ اللحظة الأولى للقاءنا هل تقبلين الزواج بي وقاطعته سلوى قائلة:

- وبنت الوزير؟

- ثقي إنني لا ولن أحب سواك وهاك البرهان على صحة قلبي..

ثم رمى بعبدة رسائل كان قد زينها من قبل وأعدّها لهذه الساعة فأخذت سلوى إحداها وفضتها وتطلعت للتوقيع ثم صرخت بلا شعور..

- إن هذه الرسالة منها إذن أنت تحبها وهي تحبك ولولا ذلك ما اجترأت على الكتابة إليك..

وأجاب في تضرع مصطنع..

- أقسم لك إنني ما أحببت ولن أحب أحداً قبلك ولا بعدك.. اقرئي هذه الرسائل بإمعان تري أن الحب من جانب واحد..

وشرعت سلوى تقرأ الرسائل بلهفة ظاهرة وهو يتقمص الأستكانة والخضوع ويختلس النظر إليها بين الفينة والأخرى..

وصدقت سلوى ذات القلب الطيب والنفس الطاهرة ما جاء في هذه  
الرسائل الملفقة والتفتت إلى جلال قائلة وهي خجلى:

- أعذر تسرعي في الحكم ..

- لقد عذرتك حتى لو كان حكمك ضدي .. وها أنذا أضع حياتي  
ومصيري بين يديك وأتوسل إليك الإجابة ..

فارتبكت سلوى وتفصّد جبينها عرقاً ونهضت تقول وهي تتلثم:

- سل قلبك .. أما المسألة الأخرى فاترك الحديث عنها إلى فرصة ثانية ..

وأمسك جلال يدها يقبلها ويشكرها وانفلتت من بين يديه وأسرعت إلى  
حجرتها وهي تتعثر في خجلها وحيائها ..

ونادى منادي الفرحة في قلب جلال مدوياً:

يا للفوز يا للنصر المبين:

واحتفل جلال بانتصاره في أحد النوادي الليلية وشرب حتى ثمل ثم انتقل  
إلى المائدة الخضراء وقامر وربح أولاً وثانياً وأستخفه الربح فجازف بجميع ما  
لديه فخسر وحزت في نفسه الخسارة .. فتطلع يمناً ويسرة ليستدين فبصر  
برجل واقف خلفه يسأله ماذا يريد .. فطلب منه أن يقرضه فأجابته إلى ما  
طلب ولعب جلال وخسر ثانية والتفت إلى الرجل إياه فأجاب سؤاله ولعب  
جلال ولكن الحظ خالفه للمرة الثالثة فتطلع إلى الرجل مستجدياً فأنهضه من  
كرسيه وأخذه وأجلسه إلى إحدى الموائد وطلب له كأساً وله أخرى فشربا  
نخب التعارف .. وفي أثناء ذلك عرف الرجل إياه الشيء الكثير عن جلال  
وعرف هذا أن جليسه يهودي اسمه «رامات حايم» وأنه من عملاء هذا  
الكازينو ومن كبار الصرافيين في هذا البلد وتبسطا في الحديث حتى لاحت  
تباشير الفجر .. فنهض جلال بعد أن وقع على سند بقيمة ما استدان بفوائد

جنونية وعاد إلى غرفته ودخل من دون أن يشعر به أحد واستسلم للنوم . .  
أما سلوى فارتمت على أحد المقاعد في حجرتها وهي نهب لتيارات  
متشعبة من الصراع النفسي . . ما الذي حملها على أن تقول لجلال ما  
قالت . . أتراها تحبه أم أنها نطقت بما نطقت لتتقي سخرية الساخرين وتشفي  
الشامتين . .

أكانت تتحداهم بحبها الجديد فرمت بقفازاها في وجوههم أم أن الخوف  
من ألسنتهم السليطة وقلوبهم المتربصة هو الذي دفعها إلى ذلك . . أم  
أنها . . . رضخت أخيراً لسلطان التقاليد المستحوذ على عقلية والديها  
فاستسلمت له بما فاهت وسامي أحقاً نسيته أأصبحت حقيقة في حلٍّ من  
وعدها له أم أنها تريد أن . . تداري سوء فعلتها بما زينه واختلقه لها كبرياؤها  
وغرورها من حب سامي لغيرها إن رسائل سامي على ندرتها تفيض باسمي  
معاني الحب وأصدقه أكان هو البادئ أم أنها في لجة انشغالها بضيفها  
وقريبها المحترم . . تناست الكتابة إلى سامي وأنهكها هذا الصراع العنيف ولما  
تخلص منه فابتلعت قرصاً منوماً ورقدت في فراشها وراحت في سبات عميق  
وأفاقت متعبة مكدودة ومتأخرة عن عاداتها في الاستيقاظ وكادت تعود للنوم  
ثانية لولا أن دق جرس التليفون فأخذت السماعة وإذا بهند تكلمها أنها  
رجعت من رحلتها الممتعة وأنها بشوق ملح للقائها . . فتهنئها سلوى على  
سلامة العودة وتقول لها إنها ستكون عندها بعد ساعتين . .

وينتزع موعد هند سلوى من فراشها فتنهض لتستحم وتفطر وتأخذ في  
أسباب زينتها وقبل الموعد بنصف ساعة تنزل إلى الصالون فتسمع ضحكات  
والديها على نواذر جلال تجلجل أبهاء الصالون وتقبل يدي والديها وتصافح  
جلالاً فتسألها والدتها . .

أراك في زينتك الكاملة فيألى أين . .

إلى زيارة «هند» فقد هاتفتني هذا الصباح إنها عادت أمس من رحلتها الطويلة هل تسمحان لي بهذه الزيارة.. .

بكل سرور نحن بانتظارك على الغداء وسيكون معنا الدكتور فؤاد فهلا دعوت هنداً معنا.. .

سأجرب.. .

وتصل سلوى دار هند فتستقبلها هذه بالقبلات وبالأحضان وتستفيض هند في التحدث عن جمال البلاد التي كانت في زيارتها وتريها (ألبوم) الصور التذكارية التي التقطتها (بكامرتها) وأشترتها وبينما كانتا مسترسلتين.. . ومنسجمتين في الحديث تدخل الخادم معلنة قدوم الدكتور فؤاد فيستقبلانه بترحيب حار وتنتهز سلوى الفرصة فتدعو هند للغداء الذي يقيمه والداها للدكتور فؤاد وتعتذر «هند» بانشغالها بترتيب دارها بعد الغيبة الطويلة وتصر سلوى على الدعوة فلا تجد هند مندوحة من القبول ويتطرق الحديث - طبعاً - إلى سامي فيبلغهم فؤاد أنه نجح بتفوق وأنه كان الأول بين أقرانه ثم يطلعهم على المجلة الطبية العالمية التي نشرت هذا الخبر ونشرت في نفس الوقت صورة سامي والبحث الطبي العلمي الذي تقدم به للحصول على درجة زميل في كلية طب أمراض البلاد الحارة.. .

فتشيع الفرحة في وجه «هند» صافية كالماء الزلال وفي وجه سلوى ممزوجة بكدره من تأنيب الضمير.. .

وذهب الجميع بعد ذلك إلى دار سلوى وانتظموا مع المدعوين حول مائدة حوت ما لذ وطاب من أكل وشراب وبعد الغداء انصرف كل إلى وجهته ودخلت سلوى مخدعها لتجد رسالة من سامي ومجلة طبية كالتي شاهدتها مع فؤاد وتفتح الرسالة بيدين ترتعشان فإذا هي على قلة أسطرها تزخر بعواطفه وإخلاصه لها لقد كتب يقول إن لها الفضل الأول في نجاحه وأنه عما قريب



سيكون لديهم وأنه سيرق بموعد سفره.. وأعادت سلوى قراءة الرسالة وهي مستلقية على سريرها ثم طوتها ومسحت دمعتين تحدرتا من عينيها ولا تدري أهما دمعتا الفرح أم الندم وداعب النوم جفونها فاسترخت ونامت..

وأفاقت سلوى في العصر وارتدت ملابسها ونزلت إلى الصالون فوجدت جلالاً ينتظرها وذهبا معاً إلى الحفلة التي يقيمها نادي البريدج تكريماً لجلال بمناسبة إحرازه بطولة النادي في هذه اللعبة..

وبينما كان رئيس النادي يحيي البطل بكلمات مناسبة بصرت سلوى بغريمتها ابنة الوزير تتصدر أحد المقاعد الأمامية بالقرب منها فأريد وجهها واضطربت وشعر جلال بذلك فتلفتت يمنة ويسرة فرأى ابنة الوزير فأدرك السبب وأسرى إلى سلوى.. يرجوها أن تتمالك أعصابها فنزلت عند رغبته..

وبعد انتهاء الحفلة خرج جلال يتأبط ذراع سلوى وساق السيارة بسرعة وهو لا يصدق نجاته من ذلك المأزق بينما استغرقت سلوى بجواره في تفكير عميق صحت بعده لتتأكد ميلاد حب جديد في قلبها.. حبها لجلال..

وعاد رنين التليفون يصم أذان سلوى وسؤال الفتيات المعجبات والماجنات منهن عن جلال يحطم أعصابها لقد بلغت القحة ببعضهن إلى حدّ الشتيمة وسلوى ترد عليهن بمثلهما ووالداها تغمر الفرحة قلبيهما وهما يسمعان قذائف السباب المتبادل ويريان أعصاب ابنتهما متوترة مشدودة أنه بشرى لهما بحب سلوى لجلال أنهما لم.. يخلفا ولداً إنهما يريدان جلالاً وريثاً لهما بزواجه من سلوى فعليهما أن ينميا هذا الحب يباركاه..

ولا تسل عن سرور جلال بهذه المعركة على أنه كثيراً ما يطلب من سلوى أن تتدخل في المعركة ولكنها كانت تمناع لقد أصبحت نمرة تدافع عن حبها الوليد بكل ما أوتيت من قوة وشجاعة..

ومرت الأيام والوليد الجديد ينمو ويترعرع وجلال يغذيه بكل ما لديه من

براعة ودهاء ووالدا سلوى يباركانه ويهددهانه في حرص وحذر وشاركتهما هند العناية بهذا الطفل بطرقها هي الأخرى بعد أن أطلعها والدا سلوى على موقفهما من علاقة سامي بسلوى وطلبا منها المساعدة بالنظر للصدقة الوطيدة بينها وبين سلوى ففرحت بهذه الثقة وعدتها فرصة العمر ودخلت في الميدان ومن أقدر منها في مثل هذا الميدان . .

وأبرق سامي لسلوى وفؤاد بيوم وصوله وعلم والدا سلوى بذلك فدعوا هنداً وجلالاً إلى اجتماع سري يرسمون فيه الخطط لتدمير العلاقة بين سامي وسلوى وإعلان - حالة الطوارئ استعداداً للمفاجآت . .

ووصل سامي وكان في استقباله والدته وسلوى وجلال وهند وفؤاد وغيرهم من المعارف الأصدقاء . .

وحيا سامي مستقبله وشد على يد سلوى بحرارة ظاهرة استرعت الأنظار ولما رأى هنداً وجلالاً بين المستقبلين غاضت الفرحة في وجهه وتعوذ في نفسه من الشيطان الرجيم ولكنه لم يلبث أن تمالك نفسه فعادت الابتسامة تشرق في محيائه . .

وتوافد المهنيون على دار سامي ونشرت الصحف خبر وصوله ونوهت بنجاحه الذي رفع به رأس وطنه عالياً ولما انتهت مراسم التهاني والاستقبال اختلى بوالدته وبفؤاد وظلوا يتباحثون في الرسائل التي بعثوا بها إليه وقالت أمه . . إنما أرسلناه إليك قطرة من بحر . .

ثم سردت له الشائعات والصورة التي وزعت بالبريد ولما جاء دور جلال تصدى فؤاد لذلك وأورد من الأدلة والشواهد ما لا يدع مجالاً للشك في وجود حب بين سلوى . . وجلال وقد تزود فؤاد بهذه المعلومات - بالطبع - من أستاذه هند . . وكان سامي يصغي بكل انتباه إلى ما يقولون ولما افرغوا ما بجعبتهم أجاب :

أشكركما من كل قلبي على اهتمامكما بأمرى الخاص ومع ميلي إلى تصديق ما قلت . . واحترامي لما أوردتم فإنني أرى أن نترك البت في هذا الموضوع للأيام القادمة وكل آت قريب وأرفض الاجتماع العائلي وآب سامي إلى فراشه يفحص ويحلل ما سمع بيد العالم الخبير . . وكانت النتيجة أن تقنعه بإدانة سلوى . . ولكن حبه النابع من سويداء قلبه أتخذ موقف المدافع عن سلوى ففند ودحض ادعاءات الاتهام وحججه وإذا سلوى هي سلوى حبه الذي لا يفنى ولا يموت واطمأن سامي وهو يصل إلى هذه النتيجة فاستسلمت عيناه للكرى . .

وتناسى سامي كل ما قيل له واستمر في معاملته لسلوى كما كان قبل سفره غير أنه انقطع عن زيارته لها في بيت والديها بعدما أنس منها بعض الجفوة . . وانتظرت سلوى تفسيراً منه لهذا الانقطاع ولكنه أعذر بانشغاله في التفتيش على شقة تصلح لأن تكون عيادة يستقبل فيها المرضى وقد بدأ يحس بنذر العاصفة ولكنه كتم هذا الشعور وانصرف ينتظم عمله الجديد تاركاً للمستقبل تبيان المخبأ . .

واستطاعت هند أن تجد لسامي طلبه في أحسن شارع بالمدينة فشكرها على هذه . . الخدمة التي لا تنسى . . وشرع فوراً في تأييث العيادة وتزويدها بالآلات الطبية الحديثة التي جلبها معه ثم بنى مختبراً علمياً لأمراض البلاد الحارة المستوطنة على أحدث طراز من عدد وآلات وأدوات وأدوية وأشرك معه في العيادة زميله وصديقه الدكتور فؤاد ليكون في العيادة في الوقت الذي يكون هو فيه في المختبر كما أسكنه معه في قصر والده الفخم . .

وأخلص سامي لمهنته ولمرضاه فأقبلوا عليه بالعشرات من كل حذب وصب فذاع صيته وانتشر ولمع اسمه واشتهر . .

كان الدكتور سامي إنساناً رحيماً بكل ما في الكلمة من دلالة ومعنى يواسي

الفقراء والمعوزين يعالجهم ويصرف لهم الدواء مجاناً وينقذ المعدوم منهم ويعمل متبرعاً ساعة كل أسبوع في أكبر مستوصف خيري في بلده . .

ولم يركن الدكتور سامي إلى شهرته كما يفعل بعض أطبائنا الشباب بل كان يعكف ليلاً على مطالعة الكتب والمجلات الطبية ليتزود منها بأحدث ما توصل إليه الطب وليظل وثيق الاتصال بكل مجهود طبي علمي وهكذا اتسعت آفاق مداركه ونمت . . فتمكن من مهنته وحذقها وازداد في نفسه حب الاستطلاع والبحث العلمي تمكناً وقوة فأقبل على تجاربه وأبحاثه بنهم وبعزم لا يعرف الكلل ولا الملل بل لقد انغمس في عمله كلياً حتى ينسى ما حوله وأشفق عليه معارفه وأصدقائه أن يصيبه مكروه من هذا الإرهاق فأسرعوا إلى الدكتور فؤاد يسرون إليه بمخاوفهم ووعدهم مفاتحة سامي في هذا الأمر فعلاً ذهب إليه في مختبره وبادره قائلاً . .

دكتور سامي . . أراك منهمكاً بكليتك في هذا المختبر فالليل والنهار . . تساويا عندك من حيث العمل . . إن لجسمك عليك حقاً يا سيد العارفين وأنى يشاركني كثير من إخوانك وأصدقائك نخشى على صحتك من الانهيار إذا ما داومت على هذا الإرهاق . .

- مرحباً بالآلام في سبيل تخفيف ويلات الإنسانية المعذبة . . ما أنا يا دكتور فؤاد بأول ضحية لهذا المبدأ السامي . . كثير من المخترعين والمكتشفين لا قوا حتفهم في هذا السبيل . . لن يهنأ لي بال حتى استحضر المصل الذي يقي الناس نوازل الشتاء وآلام الصيف . . كم يحز في نفسي وأنا أرى آلاف الناس يتوجعون فلا يجدون إلا علاجاً مسكناً لا شافياً . .

ثم يتحمس في كلامه :

سأعمل جاهداً لتحقيق هذا الهدف فإن وفقت فذلك ما أبغي وإن هلكت كنت إلى جانب أولئك الشهداء على صعيد الإنسانية المقدس .

ولم يشعر الدكتور فؤاد إلا بلسانه ينطلق:

- وفقك الله وبلغك ما تصبو إليه . .

ويدق جرس التلفون فيسرع فؤاد إليه . .

- هلو من . . سلوى . . أهلاً وسهلاً . .

ويتنبه سامي من استغراقه عمله على ذكر سلوى . . ويكمل فؤاد حديثه الهاتفي . .

حسناً . . أنا بانتظارك . . مع السلامة . .

ويضع سماعة التلفون ثم يلتفت مخاطباً سامي . .

خبرتني سلوى أن قريبها جلال مريض . . وتدعوني لمعالجته وستمر بسيارتها لتأخذني إليه . .

ثم يغير فجأة مجرى الحديث فيقول:

قل لي . . لقد انقطعت سلوى عن زيارتنا . . وكلما سألت عنها قيل لي إنها مع قريبها جلال في فسحة أو زيارة . . ألعها أصبحت مفتونة به . . وإن قصة الحب بينهما أضحت حقيقة لا غبار عليها . .

رمى فؤاد بقنبلته هذه وهو يعلم حب سامي الكبير لسلوى وإذا بسامي يجيبه:

ربما شغفها تفننه في الإغراء وأعجبته عقليته الأميركية . . صدقني يا فؤاد إنه محدث بارع يخلب حديثه الألباب . .

- ولكنه في سن أبيها . . إنه في الخمسين من عمره قد وسمت السنين في فوديه وخديه علاماتها . .

ويقاطععه سامي:

- لا تنسى أن سن الخمسين هو سن النضوج في كل شيء على رأي بنات اليوم.. ويضيق فؤاد ذرعاً ببرودة سامي فيقول محتداً..

- ولكنك تحبها يا سامي وكيف تسمح لهذا الطفيلي بالتدخل..  
ويحاول سامي أن ينهي هذا الجدل فيقول..

دعنا من فضلك والخوض في أحاديث الحب والغرام ولنلتفت إلى ما نحن فيه من عمل سيعود على الناس بالخير العميم إذا وفقنا الله..  
- ولكن..

ويقاطعه سامي..

- إذا كانت أحاديث الحب تروق لك لأن حب هند يملأ كل شيء في حياتك فلتعلم أن سامي الأمس غير سامي اليوم..  
ويقول فؤاد وهو يقهقه..

رمتني بدائها وانسلت.. اسمع.. أنا أحب هنداً وأموت في حب هند..  
بالرغم من أنني أشعر أنها لا تحبني فما كل ما يتمنى المرء يدركه..

وينسحب سامي ضاحكاً.. ثم ينكب على عمله فيضع سائلاً فوق آخر ويدون النتائج ويجلس فؤاد على أحد المقاعد يقرأ مجلة طبية ويستغرق كل منهما فيما هو فيه ولا يصحوان إلا على فتح الخادم للباب معلناً حضور سلوى تدخل سلوى فتسلم ويردان التحية بأحسن منها ويدعوانها للجلوس فتقول شكراً.. مستعجلة.. جلال مريض.. وبحاجة للعلاج والعناية..

ويسألها سامي:

ومم يشكو قريبك..

ذلك ما أترك للدكتور فؤاد تفسيره.. هيا بنا يا فؤاد ولنترك سامي في

ابحاثه ومعادلاته الكيماوية فهي كل شيء عنده في الحياة.. أليس كذلك  
دكتور.. سامي.. باي.. باي دكتور..

تقولها وهي تضحك متهكمة ويجيبها سامي بكل هدوء واحترام..  
باي.. باي.. سلوى إنني أتمنى لقريبك الصحة والسلامة..

ويذهبان تاركين سامي بجتر آلامه المكبوتة وتتصارع في فمه الشكوك  
والأوهام ومد وجزر من التخيلات والأفكار أن منافساً خطيراً قد برز في  
الميدان يحتل المراكز الاستراتيجية في قلب حبيبته.. إن مقاومة سلوى لهذا  
الغازي بدأت تنهار بل إن هناك بوادر استسلام فما عساه أن يفعل وهو القابع  
بين بوتقات مختبره ومعادلاته الكيماوية كما قالت سلوى..

أسئلة جالت وصالت في خاطره واستولت على لبه وتفكيره ولم يصح من  
وعثاء تخبطه في ديجورها إلا على رنين الهاتف.. فيمسك السماعة ويقول:  
هلو.. مين.. اسطى محمد.. تتكلم من العيادة..

العيادة بها مرضى كثيرون وفؤاد لم يعد بعد أنا آت حالاً..

ويضع السماعة ويرتدي جاكته ويذهب على عجل إلى العيادة يستقبل  
المرضى فمن كان فقيراً منهم فحصه وأعطاه العلاج من صيدلية العيادة أو نقده  
ثمنه إن لم يكن بها الدواء وما كاد يفرغ من مهمته ويستريح على مقعد وثير  
في عيادته حتى دخل عليه التمرجي وهو في حالة وجل فسأله سامي.. ما به  
فأجاب: هند بنت عامر باشا في الصالون..

ويمتعص سامي ولكنه.. لا يلبثان يذعن للأمر الواقع فيقول:

أدخلها وأمرنا الله..

وتدخل هند وآثار النعمة والفتنة تسربلها وتنطق في كل خطوة من خطواتها  
وفي عينيها تحدٍ وتصميم على وضع حد لعلاقتها بسامي..

بنجور دكتور سامي . .

بونجور مدموزيل . . تفضلي . . خيراً إن شاء الله . .

قالها بكل حذر وهدوء وحرص وإذا بها تحييه وهي جالسة على الأريكة  
بشكل مثير . .

- أشكو من المرض القديم المزمن وفي يديك علاجه ولكنك تبخل به على  
ألعلك تعالج به مريضة غيري هي أحق بعطفك وعنايتك . .  
ويجيئها سامي برود:

- عدنا للنغمة القديمة يا مدموزيل . .

- لا شك إنها نشاز في أذنيك يا دكتور . .

ويضغط سامي على أعصابه بل يضعها في ثلاجة بتعبير أصح ويقول:

- هنالك من هو أحق مني بسماع هذه النغمة الحلوة فقد أحبها بكل  
جوارحه . .

ثم يردف بحماس:

- دكتور فؤاد يا أنسة هند شاب في مقتبل العمر وسيم الطلعة من عائلة  
محترمة له مستقبل باهر في مهنته وهي الصفات التي تتطلبها كل فتاة عاقلة  
مدركة من كل من يتقدم لخطبتها . .

وتقاطعه هند:

- في كل مرة تزج بفؤاد فيما بيننا . .

- ولم لا . .

ثم تنهض هند وتقترب منه في حالة تضرع واستجداء وتقول:

- سامي . . تذلت فاستكبرت وتقربت فابتعدت والآن علام عولت . .



ويرى سامي أن الفرصة مواتية لوضع حد لهذه المسألة فيجيبها بصراحة . .  
قلت لك مراراً إن قلبي كالزهرة لا يتفتح إلا مرة واحدة ولا يسع إلا حباً  
واحداً وأنت تعلمين من أحب . .  
وتقاطعه هند محتدة:

- كفاية . . ذل . . ومهانة . . هي المرأة لما تحب معناه أنها باعت عزة  
نفسها وكرامتها . . نعم تذلت واستعطفت أملاً إن لك قلباً لينا لا حنجرة  
صماء ومع كل ذلك فأنا لا يهمني ما دمت لي نفس كالأشعة تمر بالوحل  
لتعود صافية نقية كالبلور . .

ويفلت زمام أعصاب سامي منه فيجيب:

- أشكرك على هذه الإهانة التي أتحملها إكراماً لصديقي فؤاد راجياً أن  
تكون خاتمة حضورك لهذه العيادة . .  
وتنفجر هند صارخة من قسوة الإجابة . .

- تطردني يا قاسي . . ثق إنني سأنتقم لنفسي . . فالمرأة إذا صدمت في حبها  
اندفعت في نقيتها كالبركان والويل لمن يقف في سبيل حممه . .

وتترك العيادة في حالة جنونية ويجلس سامي على مقعده يتنفس  
الصعداء . . ثم يخرج من درج المنضدة دفتر مذكراته اليومية فيدون ويتلو ما  
يدون بصوت مسموع:

«مسكينة هند . . لقد كنت قاسياً في معاملتها وكان الأولى بي وأنا مصاب  
بنفس دائها أن أترفق بعواطفها وأحاسيسها ولكن كيف أستجيب لندائها وأنا  
العليم بحب صديقي فؤاد لها وضميري وخلقها وشرفي وعفتي وحبها لسلوى  
كيف أهرب من ذلك مسكينة هند لقد باحت لي بحبها . . أما أنا فأتألم من  
حبي وشكوكي وظنوني وهو اجسي . .

ما ذنبي لديك يا سلوى .. ما هذه السحب التي أراها تتلبد في سماء حبنا الصافية تقولين في كل مرة أراك فيها إن البحث العلمي شغلك عن مباحج الحياة ومتعتها وأكسبك جمود العلماء وذهول الفلاسفة .. لعل لك عذراً في تحولك الأخير عني وانشغالك بجلال فهو والحق يقال محدث بارع سريع النكتة حاضر البديهة ولكن هل اطلعت على قلبه كما اطلعت على قلبي إنني أخشى على قلبك الصافي ونفسك النقية الطاهرة من جلال وأمثاله ..

إن نذر كارثة توشك أن تعصف بحبنا إنك لا تعلمين يا سلوى إن انصرافي للعلم وانكبابي عليه إنما هو من أجلك .. أريد الشهرة .. أريد المجد متى ما حصلت عليهما حق لي أنئذ أن أتقدم بطلب يديك .. آه يا سلوى ليس كحبك شيء ينير لي السبيل ويذل لي الصعاب ..

ويدخل فؤاد فيطوي سامي مذكراته ويضعها في درج مكتبه ويقفله ثم ينهض للقاءه قائلاً ..

- أهلاً فؤاد .. كيف مريضك ..

- وعكة بسيطة لا تمنعه من الخروج ..

ويستمر فؤاد في كلامه قائلاً:

أوصلتني سلوى بسيارتها هنا وعادت لتكون بجانب جلال ..

ثم يمسك بيد سامي ويجلسه على مقعد ويجلس هو قبالة على مقعد آخر ويقول:

- أريد أن أتحدث إليك يا سامي بصراحة تامة .. سيكون آخر حديث لي معك في هذا الموضوع ..

- تفضل ..

- سامي .. أخشى سلوى تفلت من يديك .. إن ميلها لجلال - كما

لاحظت - ميل الحبيب للحبيب لا حنو القريب على القريب وأنت منهمك في أبحاثك تاركاً لجلال المجال مفتوحاً يلعب فيه كما يشاء وقلوب العذارى كقلوب الأطفال تأسرها النكتة الحلوة والبسمة المشرقة والروح المرحمة المتطلقة لا يهملها شكل ولا عمر من قالها . . أو أرسلها وأنت جلمود صخر تتكسر على جوانبه أمواج العواطف فلا تحركه أو ترحزه . .

- ولكن سلوى فتاة متعلمة لها من ثقافتها ما يجنبها جادة الخطر وشباك الصائدين . . أما جمودي الظاهر فمهام أبحاثي العلمية تفرضه . .

أجل سيأتي اليوم الذي تنطلق فيه عواطفي من أسارها فيتحدث بها العالم ويقاطعه فؤاد ساخراً:

- بعد خراب البصرة كما يقولون يا سامي لا تنسى أن سلوى من فتيات اليوم لا تنسى أن أباهما سليم باشا من الجيل القديم . . لا تنسى . . ويقطع سامي الحديث من فم فؤاد قائلاً . .

- أبوها . . صدقت . . لقد لاحظت أنه يكرهني ولذلك انقطعت عن زيارة سلوى في دارها إنني أخشى أن تكون قصة عدم التكافؤ بين الأُسرتين مستولية على عقله وربما على عقل سلوى ولكن سلوى لا أعتقد أن عقليتها تقبل أو تهضم مثل هذه الخرافة أنه ليشرفني أن يكون والدي من الطبقة الكادحة على كل حال . . أنا . . أشكرك وأعدك أنني سأغير سياستي نحو سلوى . . لعلي أتدرك ما فات والآن هلم بنا إلى المختبر . .

وانتظرت سلوى أن يتقدم سامي لخطبتها كما اتفقا عليه من قبل وكانت تتلهف على ذلك أن حبها لسامي من حب جذري لا يمكن اقتلاعه بسهولة وحبها لجلال لم ير النور إلا منذ مدة قريبة إنها كانت مستعدة لأن تئد هذا الوليد الرضيع في مهده ولكن سامي لم يخط أية خطوة في هذا السبيل . . إنه على العكس انقطع عن زيارتها في دارها ولم يعط أي تفسير يشفي غليل

سؤالها أصبحت حصيرة جامع تقادم عليها العهد فرموا بها من صدر المسجد إلى عباته . . أكان انتظارها مدة سنتين انتظار أمل سراب . أصحيح إذن ما أشيع عن أنه وقع في حب أجنبية كانت تزامله في الدراسة بالخارج . . وتناست سلوى في عنفوان انفعالها وزحمة هواجسها وظنونها أن أقاويل الناس وأحاديثهم عن علاقتها بجلال وشائعات عدم التكافؤ بين العائلتين وجفوة والديها السافرة لسامي كلها مجتمعة كان تمنعه من الإقدام على عمل فاشل . . إن له كرامة يحرص عليها ويعتز بها ولا يريد أن يجازف بها وأنه لذلك آثر أن يترث ليتبين مبلغ هذه الأقاويل والإشاعات من الصحة . .

في هذا الهدير الصاخب من أمواج الظنون والهواجس وسفينة غرام سامي وسلوى تصارع هذه الأمواج المتلاطمة العاتية . . أذاع الحزب الرباعي أنّ إنهماك سامي في بحثه العلمي مرده حب جديد وقع فيه وأن زواج جلال بابنة أحد الوزراء وشيك الوقوع فإذا بهذا الطوربيد يغرق السفينة فيبتلعها بحر الريب والظنون وإذا بصبر سلوى ينفذ وإذا بها تخشى قوات القافلة وإذا بها تشير إلى جلال بطريقة غير مباشرة أن يتقدم لخطبتها من والديها فيسر هذا كالبرق فيوافق الوالدان . ويباركان هذا الزواج والدنيا لا تسع أفراحهما . .

ويجتمع الحزب الرباعي - بعد هذه المفاجأة السارة ويوكل إلى هند - ومن أقدر منها على تحمل مثل هذه المسؤولية - العمل على استعجال سلوى لتحديد موعد حفلة الخطبة والزفاف معاً والتأكد من حقيقة نوايا سلوى جرت كل هذه الأحداث وسامي وفؤاد مستغرقان في عملهما بالمخبر يحلل الأول ويدون الثاني نتائج التحليل وبينما هما كذلك يدق جرس التلفون فيهرع فؤاد إليه قائلاً:

- هلو . . جلال . . خيراً إن شاء الله . .

فاتني يا دكتور أن أدعوك للوليمة التي سأقيمها يوم الجمعة القادم لأصحاب

- سلوى وأصحابي في حدائق الأقمار السبعة ويسرني حضورك إياها . .
- يسعدني الحضور ولكن يجب أن تحتاط من تقلبات الجو على صحتك . .
- ما دمت معنا فلا خوف سنمر وسلوى بك لننال شرف صحبتك . . قل لي هل الدكتور سامي بجانبك . .
- نعم . .
- دعني أكلمه من فضلك . .
- ويدعو فؤاد سامي فيأتي ويأخذ السماعه ويقول . .
- صباح الخير جلال . . الحمد لله على السلامة . .
- شكراً الله يسلمك . .
- ويوجه الدعوة إلى سامي فيجيبه . .
- أشكرك وأعتذر لأنني مرتبط بمواعيد في مختبري وعيادتي . .
- لك ما تقول مع السلامة . .
- مع السلامة . .
- ويرمي بالسماعة ويعود إلى مختبره وفؤاد يقلب بصره ويحرك يديه متعجباً من برودة أعصاب سامي الذي ينصرف إلى متابعة تحاليله في مثابرة وجلد غريبين يتحطم أمامهما صبر الدكتور فؤاد فيستأذن ويذهب للعيادة . .
- ويظل سامي غارقاً في عمله طوال ذلك النهار ويشاء ربك أن يكافئه على جهده وجهاده فيكتشف سائلاً له لون قرمزي فيتهلل وجهه بشراً وحبوراً ويمسك بالأنبوبة ويرقص فرحاً ثم يضعها في مكانها ويهاتف فؤاد ليحضر على عجل فيجيء هذا ويدخل والاضطراب يغمر محياه قائلاً:

خيراً يا سامي :

ويمسك سامي بالأنبوبة ويقول :

- فؤاد.. هذا السائل هو العنصر الهام في تركيب المصل الواقى.. لقد بدأنا نمسك بطرف الحبل .

ثم يسبح سامي في تأملاته غير ملتفت إلى مباركة فؤاد له بهذه النتيجة فنراه يخاطب نفسه في ذهول المخترعين والفلاسفة :

- آه يا ربي متى اكتشف العنصرين الباقيين.. آه عندما أتقدم بطلب يدك.. ويقاطعه فؤاد والدهشة تهدر في كلامه فقد ظنه جن فيصرخ :

- تتقدم بطلب يدي من يا دكتور..

ويحاول سامي أن يصلح غلطته فيقع في أعظم منها إذ يقول :

- الإنسانية المعذبة..

فيضحك فؤاد ملء شذقيه ويربت على ظهر سامي قائلاً :

- هل الإنسانية ذكر أم أنثى..

ويثوب سامي إلى رشده فيقول متصنعاً الجذ :

- دعنا من مزاحك يا فؤاد..

ويجيب فؤاد على عادته من السخرية والمرح..

- أمرك يا إنسانية معذبة.. قم بنا فقد أرهقك عمل اليوم وما وصلت إليه

من نتائج يتطلب الراحة لاستئناف نشاطك..

- وهو كذلك.. هيا بنا..

وتبدأ هند في تنفيذ المهمة التي ألقيت على عاتقها فتهاتف سلوى عصارى

ذات يوم ويرن الجرس فتأخذ سلوى السماعة قائلة :

هلو.. مين.. هند.. مساء الخير..

- مساء الخير سلوى..

- كم أنا مشتاقة إليك..

- إنك تتكلمين بلسان حالي.. سلوى.. هل لديك مانع من حضوري الآن..

- أهلاً وسهلاً.. أنا بانتظارك..

وتضع السماعة وتدير الراديو فتنبعث منه أنغام ساحرة جميلة.. ثم تأخذ من مكتبتها كتاباً اسمه «فلسفة الحب» وتجلس تقرأ بإمعان وتستمع بلهفة للموسيقى.. ثم ترن الجرس فتأتي الخادمة فتقول لها:

هند بنت عامر باشا آتية الآن.. أدخلها عليّ هنا حال وصولها..

حاضر يا ستي..

وتنصرف الخادمة وتستمر سلوى في إصغائها وقراءاتها ثم تقوم للمرأة وتصلح من هندامها وتعود إلى كتابها وتصل هند ويفتح الباب فتدلف وتنهض سلوى لاستقبالها بالأحضان ويجلسان وتقدم لها سلوى سيجارة وتشعلها وهي تقول:

بأشد الشوق إليك هند..

وأنا والله كذلك.. كم من مرة سألت عنك فقبل لي إنك في زيارة أو فسحة لم يقل لي أحد أنك سألت عني..

الحق عليّ لأنني لا أخبرهم باسمي..

ثم تغير مجرى الحديث وتساءل مازحة:

قولي لي.. زيارات وفسح مع مين يا عفريته.. طبعاً مع الدكتور..

سامي . . وتنفجر سلوى ضاحكة . . حتى تكاد تستلقي على قفاها وتقول:  
وهل لدى سامي وقت لحاجات كهذه . . إنه مشغول بمختبره وأبحاثه غارق  
فيها إلى ذقنه . .

وتتجاهل هند - وهي العليمة بكل شيء - فتقول وهي تصطنع الغباء:  
إذن مع من . .

مع ابن عمي جلال . .

وتهتبل هند الفرصة فتقول:

سمعت الشيء الكثير عن ابن عمك هذا في المجتمعات الراقية . .  
وتقاطعها سلوى قائلة بتلهف.

- وماذا يقولون عنه . .

- يقولون إنه مثقف حلو المعشر سريع النكتة حاضر البديهة خبير بالقلوب  
تتمناه كل فتاة زوجاً لها بالرغم من أنه جاوز الأربعين . .

وتشد هند على عبارة بالرغم من أنه جاوز الأربعين فتفيض ابتسامة كانت  
تسطع في محيا سلوى فتتزعج الكلام من هند وتجيب بامتعاض:

هذه فلسفة أنصار الحب الجنسي وهو أخط درجات الحب إسمعي سأقرأ  
عليك فقرات من كتاب (فلسفة الحب) وهو أحدث كتاب ظهر في هذا  
الموضوع . .

وتتناول الكتاب من جانب مقعدها وتقرأ:

«يجمع فلاسفة الحب على أن الحب الجنسي هو أخط أنواع الحب ذلك  
لسهولة الحصول عليه لإشباع الرغبة البهيمية . . أما الحب المثالي فدوافعه:  
صفات ومميزات ومؤهلات تتوفر جميعها في شخص ما ولا تتوفر في غيره



وهذه الخصال تستهويك فتجذب إليها وأصحاب هذا المبدأ لا يقيمون لفارق العمر وزناً» .

ثم تتوقف عن القراءة وتتطلع في وجه هند لترى تأثير ما قرأت فيه فتتظاهر هذه باستيعابها كل ما قرأت وتقول مستفهمة في خبث ومكر:

- وما هي هذه الصفات والمميزات والمؤهلات . .

- إليك يساق الحديث . . لم أنته بعد من قراءاتي . . وتستمر في القراءة:

«أما هذه الصفات والمميزات والمؤهلات فهي: اللطف والظرف والرجولة الكاملة البديهة الحاضرة النفس المرححة المنطلقة إذ ليس الشيب شيب الرأس وإنما هو شيب النفس . .

وتصرخ هند متصنعة تأثرها بما سمعت وتردد:

- ليس الشيب شيب الرأس وإنما هو شيب النفس . . الله . . الله . . فلسفة عظيمة رائعة . .

وتشيع البسمة ثانية في وجه سلوى فتقف عن القراءة وترمي بالكتاب جانباً وتقتنصها هند فرصة للتعرف أكثر على ما تبطنه سلوى فتقول:

- ولكن سامي يتمتع بكثير مما قلت . .

- لا أنكر أن سامي كان في نظري الشاب المثالي عندما كنا طلاباً في الجامعة وكانت مفاهيمي للحياة بدائية أما الآن وقد اتسعت مداركي وآفاق تجاربي فقد تغير رأيي في سامي وصرت بعد انصرافه الكلي للبحث العلمي - أنظر إليه نظرة الزميل الصديق لا نظرة . .

وتقاطعها هند قائلة:

- لا نظرة الحبيب المثالي . .

- هو كذلك ..

قالتها سلوى والألم يعتصر فؤادها .. وإنها كانت تحب سامي حباً تحدثت عنه ردهات الجامعة ودور الأقارب والأصدقاء الذين ما يزالون ينتظرون أن يتوج بالزواج لا شك أن قرار سلوى هذا يحز في نفسها ولكنها كانت ضحية مؤامرة محكمة الحلقات ..

وتنتهز هند وقوع سلوى في زحمة هذه الدوامة فتقول وهي تريد أن تنتزع تأكيداً آخر من سلوى:

- إذن فجلال هو - في رأيك - الرجل المثالي .

وتجيب سلوى ذات القلب الطيب بكل صراحة وبراعة:

- هذا ما بدأت أحس به أو قلني هذا هو الواقع ..

وتؤمن هند على كلام سلوى بقولها:

- أرى أنك على حق في الموقف الذي اتخذت فيه بالنسبة للدكتور سامي .. فهو على غزارة علمه .. تنقصه الصفات التي ذكرتها إنني أهنئك من كل قلبي على النتيجة التي وصلت إليها ..

لقد كشفت سلوى أوراقها ببساطة لهند فلم تجد هذه أية مقاومة تذكر في معرفة نوايا سلوى ومع أنها أي هند تعرف أكثر ذلك من والدي سلوى ومن جلال إلا أن المهمة التي أنيطت بها هي تحديد موعد الخطبة والزواج معاً فلتزحف - وقد انهارت الحصون الأمامية - على الهدف الرئيسي .. فقالت بابتسامة مصطنعة:

- على فكرة .. متى ستعلن خطبتك من جلال لا شك أنها ستكون قبلة الموسم .. ويهز هذا المديح والإطراء سلوى .. والغواني يغرهنّ الشناء

وترقص الفرحة في كل جانحة منها فإذا بها تقول في غرور يحجبه التواضع المصطنع .

- لا شك أنها ستكون مفاجأة ..

وتتوقف قليلاً ثم تردف في استحياء :

- لم نحدد بعد موعد الخطبة ونحن بانتظار بعض الحاجات التي أوصى بها جلال من اوروبا وأمريكا ..

ولم تستطع هند أن تكتم فرحة حقيقية انفجرت في قلبها وشاعت في وجهها فإذا بها تصفق بيديها وعقلها وتقول :

مبروك يا حبيبي .. مبروك .. ألف مبروك ..

ثم تنهض وتقبلها قبلة عميقة وترمي بأخر تكتيك في جعبتها قائلة بلهجة فيها الرجاء والتوسل ..

ما رأيك في أن تكون الحفلة الساهرة السعيدة في داري .. إنه رجاء أرجو ألا يخيب .. إنه واجب أقوم به غير مشكورة نحو صديقة العمر وأعز إنسانة لدي ..

وينظلي هذا الرياء على قلب سلوى الطيب فتجيب :

هذا كرم منك يا هند وفضل لا أنساه .. سأستشير والدي وجلالاً وأخبرك برأيهم في الوقت المناسب ..

- سأكون جد سعيدة إذا نلت هذا الشرف ..

- العفو يا هند ..

ثم تضرب سلوى كفاً على كف قائلة ..

لقد أنساني حديثك اللطيف شيئاً هاماً ..

وتقاطعها هند:

- وما هو . .

- بعد غد سيقم جلال حفلة غداء في حدائق الأقمار السبعة دعا إليها شلة من أصدقائه وأصدقائي وأنت بالطبع في مقدمتهم وكنت على وشك أن تفتك لو لم تكوني أنت السابقة لكل مكرمة ويسعدني أن تقبلي دعوتي هذه وتصفحني عن تأخري في تبليغك إياها . .

عفواً يا عزيزتي . . بكل سرور أقبل الدعوة وأعدّها فرصة ذهبية للتعرف أكثر . . بصهرنا العزيز جلال . . استأذنك في الانصراف . .  
مع السلامة يا هند . .

وتشيعها سلوى حتى الباب الخارجي وترجع هند إلى دارها وليس هناك من بيان أو يراع يستطيع وصف فرحتها وسرورها ثم تنام نوماً عميقاً حافلاً بأعذب الأمانى والأحلام .

أما جلال فنراه جالساً في شرفة دار صديقه اليهودي وأمامه مائدة حوت . . أطيب الطعام والشراب أعدّها صديقه هذا احتفاءً بنجاح جلال في مهمته وكان الحديث يجري بينهما على النحو التالي:

جلال يا لك من صياد ماهر . . لقد أوقعت سلوى في شباكك بطريقة فنية هائلة . . ويقاطعه جلال معتداً:

ليست سلوى أول فتاة تقع في شباكي . . كم من فتاة قبلها وقعت في حباللي فتمتعت بها وبعدها أشبعت نفسي منها رميت بها عرض الطريق . .

لكن سلوى تختلف عن غيرها إذ هي بالإضافة إلى قربتها تعد من أجمل فتيات هذا البلد خلقاً وخلقاً . . ولا تنسى أنها الوريثة الوحيدة لوالدها المليونير ولهذا أعتقد أن معاملتك لها ستختلف عن سواها . .

ويحاول جلال أن يداري تبجحه فيقول:

بكل تأكيد ستكون معاملتي لسلوى مختلفة كل الاختلاف عمن سبقنها  
خاصة أنني بحاجة للمال بعد أن بددت ثروتي على موائد الملذات .  
ومتى ستعلن خطبتك . .

هذا ما سنتفق عليه غداً أو بعد غد على الأكثر . .

أرى أن تكون الخطبة والزفاف في ليلة واحدة لأنني أخشى أن تتكشف لها  
أوضاعك المالية السيئة أيام الخطبة فيطير الصيد من يدك . .  
ويقول جلال والنشوة تسري في عروقه فيتمطى كلامه وتتلوى عباراته  
وتتعثر ألفاظه:

رأي سديد . . برافو . . برافو . . حاييم . . كأنك تقرأ آرائي وأفكاري . . لقد  
اتفقت مع والديها على ذلك . . ولم تبق إلا موافقة سلوى يا عزيزي . .  
المدهش المدهش جداً . .

الغفو يا اكسلانس . . فما ارتأيت مستمد من بعض ما عندك . . يا أستاذ . .  
ويضحك جلال حتى يكاد يقع أرضاً من شدة ضحكه وبينما كان جلال  
وصديقه اليهودي يتأمران ويحتفلان بانتصارهما ويهيئان أنفسهما للثروة  
المنتظرة كان الدكتور سامي يتقلب على فراشه يحاول أن ينام فلا يستطيع  
فينهض ويرتدي ملابسه وينسل في حذر إلى مختبره يشتغل بنهم ويدون  
النتائج وأخيراً يوفق إلى اكتشاف العنصر الثاني في تركيب المصل فيمسك  
الأنبوبة في يده ويقول:

الحمد لله على نعمتك يا رب .

وبينما هو يقول ذلك سمع صوت المؤذن يؤذن لصلاة الصبح فيضع سامي  
الأنبوبة في مكانها ثم يتوضأ ويصلي ويحمد الله على توفيقه . . وبعد الصلاة

يترك المختبر ويعود إلى داره لينام ويصحو في الساعة الثامنة فيرتدي ملابسه وينزل إلى الصالون ليتناول القهوة ويقرأ جريدة الصباح . . ويأتي له الخادم بالقهوة وفي أثناء ذلك يدير قرص التلفزيون فيدق الجرس في غرفة فؤاد فيصحو هذا من نومه ويتناول السماعة وسامي يخاطبه :

صباح الخير دكتور فؤاد . . هل نسيت موعد سلوى . .

آه شكراً . . سرقني النوم . . لا تنتظرنني على الإفطار طالما أنت على موعد من مرضاك . .

ويضع سامي السماعة ثم يذهب إلى غرفة الطعام . . وبينما هو يفطر يدخل الخادم قائلاً :

الآنسة سلوى في الصالون بانتظار الدكتور فؤاد . .

أذهب وادعه إليها . .

ثم يسرع سامي لمقابلتها ويقول :

صباح الخير يا آنسة سلوى . .

صباح الخير دكتور . . أين فؤاد . .

بعثت أذعوه . .

أنا مستعجلة لأن جلالاً ينتظرنني في السيارة . .

ثم تقول مجاملة :

لم اعتذرت عن قبول الدعوة . .

خشيت أن يكون في حضوري ما ينقص من بهجة الحفلة . .

وتتجاهل سلوى ما يرمي إليه فتقول ببرود ظاهر :

بالعكس وجودك يسرنا ويسعدنا . .

ويرى سامي أن الفرصة تتطلب أن يبت في موضوع علاقته بسلوى وأن يضع النقط على الحروف كما يقولون فيقاطعها قاتلاً:

- أراك تتكلمين بصيغة الجمع ..

وتتمادى سلوى في برودها فتجيب ..

- نعم يسرني أنا وجلال حضورك ..

وتسري الحدة قليلاً في كلامه فيقول:

- إذن فقد كنت على حق في اعتذاري عن الحضور طالما أنت وجلال

شيء واحد وأنا أصبحت على الرف ..

وتحاول سلوى أن تلتف جو الحديث فتقول:

أنت ما زلت الزميل والصديق الذي أجله وأحترمه ..

وتعلو الحدة والجدة في كلامه وعباراته وصوته حين يقول:

كنت أطمع في أن أكون أكثر من ذلك ومن حقي أن ..

وتقاطعه سلوى وقد فهمت أنه سيفاتحها في موضوع الزواج وأنه سينكأ

الجروح جروح حبها التي بدأت تبرأ، فتقول في سخرية وفضاظة وقسوة فخر

سامي فاه أمامها ولم يصدق أن سلوى .. سلوى زمان هي التي تقول:

حلم قد مر في نوم القدر يا دكتور: لقد بدأت أصحو وأتفهم الحياة على

وجهها الصحيح فتبين لي إنني وأنت على طرفي نقيض في كل شيء ولذلك

أرجوك يا دكتور أن تعتبر كل ما بيننا من آمال منتهيا وأن تنظر إلي نظرة

الصديق للصديق وكفى ..

ويتحمل سامي الصدمة بتؤدة العاقل ويقول وهو يلوك جراحات فؤاده:

أشكرك يا آنسة سلوى على صراحتك التي إن دلت فإنما تدل على كرم

نجارك ونبل أخلاقك وأنه ليسعدني ويشرفني اعتبارك لي صديقاً وهو اعتبار  
سأظل أراعاه بعين الأمين المخلص مدى الحياة.

واسمحي لي يا صديقتي العزيزة أن أهنتك على الطريق التي اخترتها متمنياً  
لك التوفيق في كل خطواتك. .

ويتندى جبين سلوى خجلاً وتتمنى لو غاصت في مقعدها على أن تقف  
هذا الموقف وتسمع هذا الجواب الفياض بأروع ما يسمو إليه الأدب من  
عبارات وأساليب وبيكيتها ضميرها أسفاً وندماً أكثر فأكثر تجمل سامي بالصبر  
واعترازه بصدقتها ومباركته خطواتها المستقبلية كل ذلك كان له أبلغ الأثر  
وأعمقه في نفسها فترتبك ويتورد خدها ولا تشعر إلا ويدها تمتد إلى سامي  
تصافحه وهي ترتعش وتقول والألفاظ تتدحرج في لسانها والجمل تتحشرج  
في مخارج صوتها:

ألف شكر يا سامي. . سأبقى ما حييت مقدره هذا الموقف النبيل. . وإني  
لأعتذر عن قسوتي في التعبير عن رأيي وأستمحيك العفو. .

ويدخل الدكتور فؤاد قائلاً. . وكان خلاصاً ونجاة لسلوى مما كانت فيه. .

صباح الخير سلوى. . صباح الخير سامي. . تأخرت فأرجو عدم المؤاخذة  
وتريد سلوى أن تداري الموقف فتقول:

لقد أنساني الدكتور سامي بلطفه هذا التأخر. .

ثم تنهض وتشد على يد سامي بحرارة تسترعي انتباه فؤاد وتقول:

- استودعك الله دكتور سامي. .

- مع السلامة آنسة سلوى. . مع السلامة فؤاد. .

ويذهبان ويستلقي سامي على أقرب مقعد يللم أشلاء قلبه وآماله المتناثرة



ويمضغ آلامه وعواطفه على أنه لا يلبث أن يحبسها - كعادته - في قمقم من صبره وجلده .

ويسير رتل من السيارات تتقدمه سيارة سلوى ويصل الموكب حدائق الأقمار السبعة وينتظم الجمع حول مائدة نسقت أبدع تنسيق ووضعت عليها أشهى المقبلات وتوابعها . .

ويرى فؤاد هنداً بين المدعويين فيسلم عليها وتدعوه للجلوس بجانبها . . فيجلس وقد أذهله هذا العطف وتستفيض هند في الحديث معه وهي تستهدف أن تقف على أحوال سامي بعد الصدمة الأخيرة . . وتحل هند بحذقها وكياستها عقدة فؤاد فيتبسط في حديثه معها ويعطيها أكثر ما تطلب من تفاصيل وحقائق من دون أن يفطن للفخ المنصوب ويقطع حبل حديثهما إعلان المفاجآت السارة التي أعدها جلال لمدعويه من ألعاب خفيفة ونكات بارعة وحيل مبتكرة . . وأحاديث شيقة وقصص رائعة استولى على ألباب المدعويين والمدعوات وأثار إعجاب سلوى وزهوها حتى كاد المجتمعون من فرط سرورهم ينسون موعد الغداء لولا أن الشخص المكلف بذلك تدخّل يدعوهم إليه . .

وبعد الغداء يتنحى جلال وسلوى جانباً وعلى انفراد يتباحثان في التحضيرات اللازمة لحفلة الخطبة وموعدها . . وأثناء الحديث تخبره سلوى بطلب هند أن تكون حفلة السهرة في دارها ومن قبيل التغطية والتعمية يقول لها جلال :

أرى أن نترك هذا الموضوع لوالديك يا سلوى .

وتؤمن سلوى على كلامه ثم تسأله :

هل لديك مانع من مشاركة هند لنا في الرأي . . كما أحب أن تسمع منك الجواب على طلبها . .

بكل سرور ما دمت ترين ذلك . .

وتدعو سلوى هنداً فتقبل على عجل وتجلس معهما وتبادرها سلوى قائلة :

أنت بمثابة أخت لي ولجلال وقد أردنا أن تشتركي معنا في الرأي .

أشكركما على هذه الثقة وأرجو أن أكون عند حسن الظن . .

ويقول جلال :

لقد وصلت الجمرک الحاجيات التي أوصينا بها وغداً أو بعد غد ستكون  
في (فيلتنا) التي استأجرناها لهذه الغاية كما أن بقية الأشياء قد تم تحضيرها  
من هنا ولم يبق إلا أن تحدد سلوى موعد يوم الخطبة . .

وتغضي سلوى برأسها استحياء ويغمز جلال هنداً لتضرب ضربتها المتفق  
عليها من قبل . فتتنهز هذه الفرصة وتقول :

طالما أن جميع الأشياء جاهزة فلماذا لا تحددان ليلة الجمعة القادمة موعداً  
للخطبة . . أليس كذلك يا سلوى . .

كما يريد جلال . .

وهو كذلك ليلة مباركة . . غير أنني أرى - والرأي لسلوى - أن نأخذ موافقة  
عمي وزوجته على ذلك .

وتوافق سلوى على رأيه وتسألها هند :

هل وافقتما على أن تكون الحفلة الساهرة في داري . . إن هذا اقل شيء  
أقوم به تجاه أخلص صديقة لي . .

ويرد جلال :

وهذه أيضاً نتركها لموافقة والدي سلوى . .

وترمي هند بورقتها الأخيرة وقد رأت أن الجو ملائم لها فتقول :

ما رأيكما أن تكون الحفلة خطبة وزفاف معاً . .  
ويقاطعها جلال قائلاً لثلاث شعور سلوى أنه ضالع مع هند أو أن هناك سابق  
اتفاق :

وهذه أيضاً نوكلها لرأي والدي سلوى . .  
وتظهر هند شبه امتعاض تغطية للموقف أيضاً إلا أن شعور الفرحة الذي  
يغمرها وقد تخلصت من منافسة خطيرة يدفعها - بلا وعي - لأن تنهض فتقبل  
سلوى قبلة حرى وعميقة ثم يعودون إلى ضيوفهم . .  
ويؤوب فؤاد إلى سكنه فيجد سامي في انتظاره فيسلم ثم يسترخي على  
أحد المقاعد والبشر يسربل محياه فيسأله سامي :

أرى وجهك مشرقاً يا فؤاد . . لا شك أن هنداً كانت مع الشلة .  
كانت يا حبيبي ولا تسئل كيف كانت . . لم أرها في يوم من الأيام مشرقة  
ومبتهجة كما رأيتها اليوم . لقد كانت معاملتها لي تختلف عن كل الأيام التي  
سبقت وفي الحقيقة كانت الحفلة ناجحة جداً .

ربما يسعدك ويوفقك يا فؤاد . .  
ويسعدك أنت ويوفقك يا أعز صديق . . بشرنى . .  
هل تمكنت من مفاتحة سلوى هذا الصباح بما اعتزمت عليه فقد رأيتها  
منشرحة الصدر معك على غير عاداتها . .

ويجتري سامي جراحه فيقول :  
نعم يا فؤاد . . لقد كانت معي في غاية الصراحة . .  
ويقاطع سامي فؤاداً متلهفاً :

ها . . وماذا قالت :

قالت . . أرجو أن تعتبر كل ما بيننا من آمال منتهيا . . وأن تنظر إلي - بعد اليوم - نظرة الصديق للصديق . . وكفى . .

ويصعق فؤاد فينتصب واقفاً قائلاً:

وبماذا أجبت . .

بماذا أجيب . . أجبت أنني سعيد جداً لاعتبارها إياي صديقاً وتمنيت لها التوفيق في كل خطواتها . .

يا للقلب الطاهر الكبير لو كنت مكانك لأمسكت بخناقها ولم أتركها إلا جثة هامدة .

أنت عاطفي يا فؤاد لا تحتمل الصدمات . .

ويرتمي فؤاد على مقعده وقد دان الحزن والغم عليه فيقول والحسرة تعتصر كلامه:

إذن ستتزوج سلوى جلالاً . . لا حول ولا قوة إلا بالله . . ويمسح دموعه ترقرت من محاجر عينيه فيبتدره سامي قائلاً:

فؤاد . . ما هذا كنت أنتظر منك تضميد جراحي إنك بعملك هذا تزيدها نزيفاً فوق نزيفها . . لا . . لا لقد كنت عوناً لي في كل مرافق حياتي واليوم وفي هذه الساعة بالضبط - أنا بحاجة إلى عونك ومساعدتك على رأب الصدع ثم يقول وقوة الجلد ومثانة الصبر تتجلى بأجمل معانيها وأبدع مواقفها . .

- لتتزوج سلوى جلالاً . . وليكن مباركاً عليها . . وسأحضر حفلة الخطبة والزفاف إذا دعيت إليهما . .

ويطير صواب فؤاد فيصرخ:

- أجاد أنت في كلامك . . لا . لا . إنه هذيان محموم . .

- لا يا فؤاد.. إنه ليس هدياناً - كما تظن - سأحضر الاحتفال فالمحب  
المخلص يحب أن يتحمل التضحية.. يحب أن يشرب الكأس حتى الثمالة..  
إن سلوى أرادت غيري وعليّ وأنا المخلص الأمين أن أرضى بمن ارتضت  
وأن أهنأ من اختارت.

- أعصابك حديد.. لا.. بل فولاذ.. أنا لا يمكن أن أتحمل شيئاً  
كهذا.. ويغير سامي مجرى الحديث فيقول:

- ما لنا ولكل هذا.. فالحديث عنه قد انتهى.. هات البشارة..

- على أي شيء.. على حب هند لغيري.. هذه مصيبة وليست بشارة..  
ويقهقه سامي ملء شذقيه قائلاً:

- كل شيء عندك هند..

- نعم.. هي كل شيء عندي.. حسناً وما هي البشارة.. هات  
وأصدقني..

- لقد اكتشفت العنصر الثاني من مركبات المصل الواقى ولم يبق إلا  
العنصر الثالث وما أظن اكتشافه صعباً..

ويقبله فؤاد قبلات الصديق المبتهج بهذا الاكتشاف..

ويشكره سامي قائلاً:

- وقد أزمعت - بعد اكتشاف العنصر الثالث - أن افتح مختبراً صغيراً في  
الريف أنقل إليه أدوات ومستحضرات ومستلزمات المصل الجديد لأقوم  
بتجربته في موطن الداء فسكان الريف - كما تعلم - معرضون للإصابة بهذا  
الداء أكثر من سكان المدن.

- وأنا سأذهب معك..

- لا . . أنت ستبقى هنا في العيادة من جهة وبقرب هند من جهة أخرى . .  
ولأنني أحتاج إلى أشياء كثيرة من المدينة ومن غيرك يمكنه تأمينها وإرسالها  
إلي . .

- حسناً توكلنا على الله :

أجل . . لقد تقبل سامي الصدمة بيقين المحب المؤمن المخلص لحبه بكل  
ما في هذه الكلمة من معنى وارتضى قلبياً بما ارتضت سلوى وأنتك لتعجب  
أيما عجب بكلمة (قلبياً) فالمحب المخلص في رأي سامي يحب أن يكون  
شعاره الرضاء بما يرتضى حبيبه ولو كان فيه ضرره وتبنى ما يتبنى حبيبه  
وحب ما يحب حبيبه لو كان عدوه أن اليأس والتذمر والبكاء والتفجع وغيرها  
من الأمور التي يلجأ إليها المصدومون في حبيهم . . إن دلت فإنما تدل على  
أنانيتهم وحبيهم لأنفسهم أنهم لا يحبون لذات الحب للمعاني السامية التي  
تحملها كلمة الحب أن هؤلاء وأمثالهم تجار حب لا فرق بينهم وبين تاجر  
بصل أو تاجر أقمشة وخردوات .

أجل . . لقد ارتضى سامي وهو المحب المخلص الأمين بما ارتضت به  
سلوى . . واعتبر كل شيء طبيعياً كأن لم يكن فانصرف - في الأيام التالية  
لحادث الصدمة إلى عمله بشغف وهمة ودأب متواصل . ويشاء الله سبحانه  
وتعالى أن يجزيه على تعبته وإخلاصه في عمله وفي حبه فيكتشف العنصر  
الثالث من مركبات . . المصل ويمسك بالأنبوبة ويهتف من فرحه قائلاً: حمداً  
لك يا رب على ما أنعمت .

هذا هو العنصر الثالث ولم يبق إلا مزج هذه العناصر الثلاثة وتجربة هذا  
المركب . وتجري مراسم عقد الزواج في قصر سليم باشا ويحضر سامي  
وفؤاد الحفل . .

وتنزل سلوى بملابس الزفاف ويدها في يد جلال وقد أحاط بهما والداها

ومن خلفهم الأصدقاء والصدقات والعوالم يزفن ويدقن وتصل سلوى إلى القاعة الكبرى المزدانة بأجمل ما يمكن أن يتصوره المرء وتجلس وبجانبها جلال على المقعدين المختصين لهذه المناسبة ويدار شراب الأفراح وعلبه الفاخرة على المدعوين وكان سامي فرحاً جذاً بقدر ما كان فؤاد متقطباً عابساً ينظر في حنق إلى جلال وفي دهشة وتساؤل إلى سامي .

ويهنئ سامي - مع المهنيين - سلوى التي تشكره على حضوره وترجو أن تراه في الحفل الذي تقيمه هند الليلة في دارها . فيعدها بذلك وقد أكبر الحاضرون الروح الرياضية التي تحلى بها سامي وأثنوا عليه بما هو أهل له . .

وحضر سامي - بعد ذلك - الحفل الفخم الذي أقامته هند وأنفقت عليه بسخاء حتى صار حديث الناس ومضرب أمثالهم في تلك السنة . وبدأ البرنامج بعزف موسيقي راقص أفتتحته سلوى وجلال . . وبينما هما يرقصان بصرت سلوى بسامي وفؤاد جالسين معاً وفؤاد مكفهر الوجه وسامي ممتلىء بهجة وحبوراً . . ولما التقت عينا سلوى بعيني سامي ابتسمت وابتسم هو رفع رأسه محيياً فابتدأت همسات الحاضرين والحاضرات فقالت إحداهن لجارتها:

أين سامي من هذا الخليج الماجن . . أين شبابه من شيب هذا . .

وأجابتها جارتها:

الزواج قسمة ونصيب .

وقالت أخرى لرفيقها:

لا شك أن سلوى مجنونة أو مسحورة إذ أن فارق السن بينهما كبير . .

وأجاب رفيقها متحمساً:

أراهن أن سلوى مسحورة إذ لا يقبل مثل هذا العريس زوجاً إلا من كان  
مسحوراً أو به جنة..

وتنتهي الرقصة الأولى.. فتعود سلوى وزوجها إلى مكانهما وهند من  
ورائهما وتمر سلوى بجانب منضدة سامي وفؤاد فتسألهما:

لِمَ لم ترقصا..

ويجيب فؤاد..

- لم نجد من نراقص..

وتلثفت سلوى إلى هند وتقول:

- هند ترقص مع فؤاد وأنا مع سامي..

وتفاجأ هند بذلك فلا ترى بداً من قبول الأمر الواقع وتعزف الأركسترا  
ويرقص كل مع رفيقته.. وتبدع كل من سلوى وهند في الرقص مع صاحبها  
ويلتهب الحفلة طرباً ونشوة ويتفنن العازفون في عزفهم حتى لتكاد الآلات  
نفسها ترقص مع الراقصين وتنثال الهمسات بين الموجودين فيقول أحدهم  
لجاره..

انظر إلى سلوى وسامي.. لقد خلقا لبعض حتى جاء هذا العجوز ودخل  
بينهما كالشيطان..

ويجيبه جاره:

- أقسم أن زواج سلوى من جلال لن يعمر طويلاً..

وتضحك إحدى الحاضرات وقد رأت جلالاً يكاد يتميز غيظاً وكمداً فتسر  
إلى جارتها:

- قل موتوا بغيظكم.



ويغرقان في الضحك ويشعر جلال أنه هو المقصود فيسكت على مضض.. وتنتهي الرقصة فيصفق الحاضرون تصفيقاً متواصلاً زاد في غيظ جلال وغمه وأدخل في روع سلوى أن المدعويين والمدعوات كن يردنها لسامي لا لجلال..

ولكن بعد فوات الوقت وتعود سلوى إلى مقعدها والناس ما زالوا يصفقون وتجلس وقد رانت على محياها سحابة غم أحس بها جلال وأعضاء الحزب الرباعي فهرعوا لتبديدها وكان في البرنامج الممتع الذي تلا الرقص ما ساعد على زوال الغمة فعادت البسمة تعلق وجه سلوى.

وينفض الحفل ويبدأ الناس في الخروج وحينما يودع سامي سلوى تقول له:

أرجو أن أسمع قريباً نجاحك في اكتشاف المصل يا دكتور..

ويرد سامي بقوله:

شكراً أرجو لك ولجلال حياة زوجية سعيدة حافلة بأعظم الأمانى والآمال.

ويجيب جلال:

شكراً يا دكتور..

وينصرف سامي وعينا سلوى تشيعانه كأنهما لا تريدانه أن ينصرف ويغيب

سامي بين المنصرفين فتغيض البسمة والفرحة في وجه سلوى.

ويشرع سامي في نقل مختبره إلى الريف ويشرف بنفسه على التحميل بينما

فؤاد ما يزال يغط في نومه ولا يصحو منه إلا على رنين قوي فيمسك السماعة

ويقول:

- هلو.. مين هند.. يا صباح الفل والياسمين والورد.. أمر مدموزيل..

وترد هند:

- آه يا عفريت.. قل لي صحيح أن الدكتور سامي يعتمزم نقل مختبره إلى الريف؟..

ومتى سيكون ذلك..

اليوم.. وإني أكلمك وهو من دون شك في ساحة القصر يرشد الحمالين إلى طريقة التحميل..

- أنا قادمة إليك حالاً..

بالانتظار على أحر من الجمر..

ويرمي فؤاد السماعة ويسرع في الحلاقة والاستحمام واللبس وينزل إلى الصالون لاستقبال هند ويدخل عليه الخادم ويناوله ورقة من سامي إليه ينبئه أنه ذاهب على عجل لزيارة مريض ويرجوه عدم مغادرة الدار قبل عودته ولم يدر سامي أن فؤاداً متسمر في الدار ينتظر قدوم الحبيب الموعود.

ويعلن الخادم وصول هند فيهرع فؤاد لاستقبالها.. وتدخل فتجلس على أحد المقاعد ويشعل فؤاد سيجارتها ويدق الجرس فيأتي الخادم فيسألها فؤاد ماذا تحب أن تشرب فتطلب قهوة وينصرف الخادم لشأنه فيخاطبها فؤاد قائلاً:

كم أنا سعيد ومسرور بهذه الزيارة اللطيفة وجزى الله الأسباب خيراً.

صدقني أن الزيارة لك ولسامي.

ويشرق البشر جالياً في وجه فؤاد فيقول:

شكراً جزيلاً على تكرمك بالزيارة. وتهانئ القلبية على حفلتك الساهرة أمس تلك الحفلة التي ستبقى حديث الناس للسنوات القادمة..

وتجيبه هند ضاحكة:

إنك تثير غروري بتحيات المجاملة.. شكراً على تهانيك.. قل لي.. أين سامي..

ذهب لعيادة مريض وسيعود حالاً للإشراف على تحميل أدوات مختبره..  
ألا يحتاج إلى أية مساعدة مني ولو في التحميل مثلاً..  
ويجيب فؤاد ضاحكاً:

أنت تعلمين أن سامي حريص جداً على أدوات أجهزة معمله. إنه يحب أن يتولى بنفسه توضيبيها وترتيبها بدون مشاركة أحد إنه لم يمكنني أنا زميله وصديقه من مساعدته في أي شيء..

وتغير هند مجرى الحديث فتقول:

- هل قرأت جرائد هذا الصباح..

- لم أقرأها بعد.. وماذا بها..

- لقد ذكرت كلها خبر سفر سلوى وجلال إلى أوروبا لقضاء شهر العسل.

ويجيب فؤاد بتكلف ظاهر:

أرجو لسلوى حياة سعيدة مع من اختارت.

ويعود سامي ويدخل إلى الصالون فيرى هنداً وفؤاد فيقول:

- بونجور مدموزيل هند.. بونجور فؤاد.. زيارة لطيفة.. ومفاجأة سارة

كانت حفلتك البارحة رائعة جداً.. هائلة.. كلها ذوق.. كلها متعة وسرور..

أهنتك من كل قلبي.. وأتمنى أن أهنتك بالساعة السعيدة.. التي تترقبها كل

فتاة مثقفة مهذبة عاقلة مدركة مثلك.

ويجلس بينما هند تقول:

- أخجلتني يا دكتور - حتى أن لساني ليعجز عن شكرك على هذا التقريظ.

- العفو يا آنسة.. ها.. قول لي.. هل هناك من خدمة أستطيع أنا وفؤاد تقديمها:

وتجيب هند:

- علمت بعزمك الرحيل إلى الريف فأتيت لمساعدتك لعلمي أن النساء اقدر على القيام بهذه المهمة من الرجال. ولو أن البركة في والدتك.. ولكنني علمت أنها تسكن داركم في الريف منذ مدة للإشراف على إدارة أراضيكم الزراعية..

- هذا لطف وكرم منك يا هند.. لقد حزمنا كل شيء والحمالون ينقلون الآن.. على كل حال أنا شاكر يا مدموزيل.. وتلفتت هند إلى فؤاد قائلة:

- فؤاد.. ألم يكن بوسعك إقناع الدكتور بعدم الرحيل في الوقت الحاضر على الأقل..

ويجيب سامي مستغرباً:

ولماذا يا هند..

أخشى أن يفسر الناس رحيلك على عدم تحملك البقاء هنا بعد زواج سلوى.. ورحيلك هذا يناقض ما تحليت به البارحة من متانة أعصاب وروح رياضية عالية كانت حديث الحاضرين والحاضرات..

ويقاطعها سامي متمثلاً:

مالي وللناس لم يلحونني سفها ديني لنفسي ودين الناس للناس

ثم يخاطب فؤاد قائلاً:

فؤاد هل تسمح لي بالتحدث إلى هند على انفراد..

وينسحب فؤاد قائلاً:

بكل سرور..

وبدون أية مقدمات يقول سامي لهند:

هند اسمحي لي أن أرفع الكلفة بيننا وأن أخاطبك بدون أية ألقاب أو  
مراوغة أو مفاجأة.. وأرجو أن تجيبيني بصراحة وشجاعة كما تقضي به  
الروح الرياضية التي تتحلين بها.  
- تفضل سامي.

- هند أنا أعرف لماذا أتيت هذا الصباح.. وماذا تهدفين من وراء هذه  
الزيارة..

وتسكت هند وقد أذهلتها المفاجأة.. فيقول سامي:

أستمر في كلامي أم أقف حيث انتهيت:

قل بربك فإني أشعر أنني سأكون صريحة معك بكل ما في هذه الكلمة من  
معنى..

- أتيت يا هند تجسين نبضي بعد زواج سلوى..

فاسمعي: لقد آليت على نفسي ألا أحب أحداً بعد سلوى وأن أبقى على  
هذا العهد حتى يختارني المولى إلى جواره فأرجوك وألح في رجائي بأن  
تطرحي جانباً كل تفكير فيّ وأن تنظري إلى مستقبلك فأنت ما زلت في ربيع  
العمر وريق الصبا والشباب والراغبون فيك كثيرون.. ونصيحتي لك إن كنت  
على استعداد لقبولها أن تفكري في فؤاد كما يفكر فيك فهو كفؤ لك وأنت  
أهل له..

ويستيقظ ضمير هند من طول سباته وينبعث من مرقدته فإذا بها تنخرط في  
البكاء فتشج نشيج الثكالي.. وتقول عويل الأيامي وإذ بالموقف يفاجأ سامي  
ويذهله وإذا به ينهض فيمسك بيدها ويجس نبضها وهي تهتز وترتعش بين  
يديه كالعصفور بلله القطر وإذا به يسألها وقد أخذه الموقف:

هند.. هند.. ما بك يا هند.. أتشعرين بأبي ألم.. قولني بالله.. هل  
جرحتك بكلامي.. هل أساءك تعبيرتي.. إني أستمحيك العفو عن كل ما  
صدر مني.. تكلمي هند.. أَدعو فؤاد..

وتثوب هند إلى نفسها.. وتكفكف عبراتها.. وتقول وصدورها يعلو ويهبط  
وكلامها ينضح بالتوبة والندم:

سامي لا تدع أحداً إنني بخير.. لقد وعدتك أن أكون صريحة معك..  
وها أنذا عند وعدي لك فقد آن لي أن أستجيب لنداء الضمير.. سامي لقد  
أكبرت فيك أنا وغيري تضحيتك ونكرانك لذاتك أمس فقد سموت في  
مثاليتك وبلغت أعلى مراتبها وستظل حديث الأجيال المقبلة.. وعليَّ عهد الله  
أن أطرح جانباً ما كنت أهدف إليه منك وأئني لإنسانة مثلي أن ترتفع إلى  
درجة مثاليتك وسأظل أنظر إليك نظرتي إلى ملاك رحيم..

تم تعتدل في جلستها وتستمر قائلة:

وإذا كنت قد أوفيتك وعدي لك بالمصارحة التامة من دون ريب أو تزييف  
فإن لي أكثر من رجاء أمل أن تلبيه..  
ويقاطعها سامي وقد هدأ روعه قائلاً:

- وما هو..

وتدني هند كرسيتها من كرسیه حتى لتكاد تلاصقه ثم تقول:

- هل تقسم بالألا تطلع الدكتور فؤاد أو أي أحد غيره على ما جرى بيني  
وبينك في الماضي والحاضر..

- أقسم بالله العظيم أن أكنم ما جرى بيني وبينك في الماضي والحاضر.

- وأن تعفو عن أية إساءة مني إليك سواء أطلعت عليها أم لم تطلع..

- لك ما تقولين لقد عفوت عن أي شيء صدر منك ضدي سواء أطلعت عليه أم لم أطلع ..

- وأن تعتبرني أختاً لك بكل ما في هذه الكلمة من معنى سام.

- يا أختي هند ستكونين عندي أعلى وأعز من أختي التي افتقدتها وحرمت من عطفها.

- حسناً ما دمت اتخذتك أختاً لي فقد أصبح لك حق الولاية علي بعد أن افتقدت أبي وأخي في حرب فلسطين. وإنني منذ هذه الدقيقة تحت تصرفك ولن أعصي لك أمراً.

وتغمر عيني سامي دموع الفرحة فتقترب هند منه تكفكف دموعه وتسأله:

- لم تبك يا أخي ..

- أبكي من فرحي لقد عوض الله بك كل شيء فقدت يا أختي ..

ما أعذب هذه الكلمة وأحلاها على قلبي ..

ثم يسرع ويفتح الباب ويدعو:

- فؤاد .. فؤاد تعال ..

ويدخل فؤاد قائلاً:

- لقد طالت الخلوة .. لعل لي فيها نصيب ..

ويجيئه سامي:

- لقد كنا نتحدث عنك ..

- لا شك أنكما (أجرتما) في ..

ويضحكون جميعاً .. ثم يلتفت سامي لفؤاد قائلاً:

اسمع يا فؤاد .. أريد أن أعرفك بهند الجديدة فقد أصبحت أختاً لي وأعز

من أختي ..

ويجيب فؤاد مندهشاً:

تشرفنا .. مبروك ..

ويسكت قليلاً ثم لا يلبث أن يقول:

أتهزءان بي ..

وترد هند قائلة:

استغفر الله يا فؤاد .. صدقني لقد اتخذت سامي أخاً لي بكل ما في هذه

الكلمة من معنى ومبنى ..

عظيم .. وإذا كان حقاً ما تقولين . فمعنى هذا أنك لا ترفضين أي شيء

يراه خيراً لك ..

بكل تأكيد.

وبحركة مضحكة يزور فؤاد جاكته ويصلح رباط عنقه ثم يتقدم من سامي

قائلاً:

سيدي الدكتور العظيم .. يسعدني أن أنال شرف القربى منك .. فأطلب يد

هند وقد أصبحت أخاً لها وولياً ..

ويلتفت سامي إلى هند قائلاً:

ما رأيك يا أختي ..

وتجيب هند باستحياء:

أقبل من تقبل وأرفض من ترفض .

يا أختي أنا لا أريد أن امتدح فؤاداً في وجهه وأمامك لأنني أعتقد أن المدة

التي تعرفت فيها بفؤاد كانت كافية لك لتطوعي على دخيلته وحقيقته .. وما

دمت علقته مسألة القبول عليّ فأنا من جهتي أقبل والرأي الأول والأخير لك .



وتغضي هند رأسها خجلاً وتقول وهي تتلثم:

وأنا.. قبلت..

مبروك يا فؤاد.. مبروك يا هند..

ويجيب فؤاد:

ربنا يبارك لنا فيك..

ثم يسرع فيقبل سامي والدنيا لا تسع أفراحه وسروره.

ويقترب سامي من هند ويشد على يدها قائلاً:

أكرر تهنئتي لك ولفؤاد وأرجو لكما حياة عائلية سعيدة ومستقبلاً حافلاً  
بالسعادة والرفاهية.. والآن دعونا نذهب لنرى ما تم بشأن التحميل.

أما سلوى فقضت شهر العسل الأول مع جلال في زيارات لأجمل مدن  
أوروبا وفي مطلع الشهر الثاني حطا رحالهما في الريفيرا ليستمتعا بجمالها  
وجوها اللطيف وهنا بدأ جلال يتغيب وينتحل لتأخره أعداراً بعضها سليم  
وبعضها واه.. وكانت سلوى ذات القلب الطيب تتقبل أعداره، إنها لم تدر  
أن كباريهات الريفيرا وموائد مونت كارلو الخضراء قد أهاجت في نفس جلال  
حُباً قديماً وذكريات له فيها لا تنسى.. فإذا بعواطفه الحبيسة تنطلق من  
اسارها فتقبل بنهم وشغف على ارتياد هذه الأماكن.

وإذا بجلال يعود إلى سابق إدمانه من سكر وعريضة وقمار وإذا به وقد  
أشبع رغبته في شهر العسل الأول ينغمس بلا وعي وشعور في مراقص علب  
الليل وحاناتها وإذا به يجد بقايا من زملائه القدامى فيلتفون حوله وقد رأوا  
جيبه منتفخاً عامراً بالمال. لقد سلمته سلوى عن طيبة قلب وخاطر جميع ما  
لديها من مال.. ولم لا أليس زوجها!!

ألم يصبح الآن روحاً واحدة وجسداً واحداً وقلباً واحداً إن ما لها ماله

وحالها حاله فلماذا تخشى عنه ما تملك بهذا المنطلق وضعت سلوى بيدها مركزها في بيت الزوجية وبنّت سياستها على هذه القواعد ورسمت خططها على ضوء هذا الاتجاه في التفكير . .

وجلال نفسه طفق يحس بعد زواجه من سلوى أن ثروتها وثروة أبيها أصبحت ملكاً له فلماذا لا يخرّف من ثروته ما يشاء وينفق عن سعة مطمئناً إلى أنه ليس هناك من يحاسبه أو يسأله .

ولما كثر تغيب جلال بدأت سلوى تحس أن في الجو شيئاً غير عادي وأن الأمور تجري في عكس ما رسمت وقدرت وأن وراء الأكمة ما وراءها فساورتها الريب والظنون . . ولكنها كانت تتغلب عليها وتصرعها بمنطقها البريء . إلى أن جاءها جلال ذات ليلة مخموراً يتوكأ على سواعد اثنين من خدم الفندق .

فأذهلت سلوى المفاجأة وعقدت لسانها ولم تنم تلك الليلة وهي تفكر في الواقع المؤلم الذي بدأت تعيشه . .

وعندما أفاق جلال من سكرته رآها جالسة على أحد المقاعد برداء النوم . . وعيناها مخمرتان كالجمر من السهر والبكاء فراح يصلح غلظته ويدمل جراح فعلته وقد استطاع بأسلوبه المرن ودهائه المولد أن يجبر الصدع ويرتق الفتق فاستجابت سلوى أخيراً لتوسلاته ووعوده وعادت حياتها تنتظم مسيرتها الأولى ولكن نقطة سوداء بدأت تتمركز في سويداء قلبها النقي فلم تستطع دموع التماسيح المنهمرة من عيني جلال أن تمحوها . .

وسار جلال في الأيام التي تلت هذا الحادث سير الزوج المثالي وكاد بعمله هذا أن يزيل ما علق بفؤاد سلوى الطاهر غير أن المكالمات الهاتفية التي كان يتلقاها من رجل اسمه جاك وكان يكلفها بأن ترد عليها في كل مرة بأنه غير موجود أثارت في نفسها الشبهات والوساوس وكلما سألت جلالاً عن

«جاك» هذا وعن سبب مكالماته المتصلة انتحل اسباباً ولفق أعذاراً لم تقتنع سلوى بجملتها . .

وبصر جلال بسحب شك وريب توشك أن تتلبد ثانية في سماء حبهما فصمم على أن يضع حداً لهذه المسألة . . يجب عليه أن يسدد المبلغ الذي استدانه من جاك على المائدة الخضراء . . قبل أن يفتضح أمره . . قبل أن تهب العاصفة فتهدم صروح آماله وأحلامه . . ولكن من أين يحصل على المال . . وكيف . . خاصة وأن مبلغ الدين كبير جداً . . سيل من التفكير سال في مخيلته وجرى في عقله وأخيراً . . اهتدى إلى أنه يجب أن يداوي الداء بالتي كانت هي الداء . . يجب أن يجرب حظه مرة ثانية على المائدة الخضراء بأي مبلغ . . ولو كان ضئيلاً . . ولكن حتى هذا المبلغ البسيط من أين يجده . . إن معارفه في هذا البلد من حثالة القوم ونفايات علب الليل ليس فيهم من يستطيع أن يتدبر ما يتبلغ به إلا بشق الأنفس فممن يستدين لقد تعقدت الأمور وسدت في وجهه السبل وبينما هو غارق في بحرهما التمتع في خاطره بريق فكرة جهنمية . . لماذا لا يسرق عقد سلوى الماسي ويرهنه ويقامر بمبلغ الرهان . .

وفي غفلة من سلوى . . سرق جلال العقد ورهنه عند مرايبي اسمه «شرتوك» ثم اتصل بجاك وذهبا معاً إلى قاعة القمار ولعب فربح أولاً وثانياً فسدد ما عليه من دين لجاك وكان ما تبقى لديه من مال كافياً لفك العقد المرهون . . غير أن آفة القمار التي تنخر نفسه كما ينخر السوس الخشب . . أغرته على متابعة اللهب فقامر فخسر جميع ما تبقى لديه وتطلع إلى جاك ليسعفه فأبى هذا أن يلبي طلبه بل ولاه ظهره وانصرف لشأنه فعزت على جلال نفسه فهاتف المرايبي شرتوك فحضر هذا ومعه المبلغ الذي طلبه جلال .

وعاد جلال إلى مقعده على المائدة الخضراء فلعب وخسر أيضاً وكان ما

خسره في هذه المرة مبلغاً ضخماً فترك المائدة وتحامل على نفسه وجلس إلى إحدى الموائد المنتثرة في أبهاء القاعة وبجانبه شرتوك ينتظر مصير القرض فطمأنه جلال بما أحذقه في هذا النوع من الإقناع فانفجرت أسارير وجه المرابي أما جلال فكان يفكر بانهماك ظاهر في إيجاد حل للخروج من هذه الورطة الجديدة والدائن أمامه كالشبح المرعب كلما تطلع إليه كلما ازدادت أعصاب جلال شداً وتوتراً.

فلجأ إلى الشرب عسى أن يجد فيه ما يهدىء قلقه ويعينه على تفكيره ففتش في جيوبه فعثر على بقايا جنيهاً كافية لإشباع رغبته فشرب حتى ثمل ثم قام مع المرابي وأخذاً طريقهما إلى الفندق فوصلاه وقد شقشق الفجر . .

وفتح جلال باب غرفته بالمفتاح الذي معه ودلف إلى داخلها وطلب إلى شرتوك أن يتبعه فتبعه وصحت سلوى فزعة من الضجيج الذي أحدثه دخولهما ثم نهضت بسرعة وارتدت روبرها وإذ بها ترى جلالاً والشرر يتطاير من عينيه ورائحة الخمر تفوح قوية من بين شفثيه فارتاعت وتسمرت في مكانها وقلبها ينبض بشدة وصدرها يعلو ويهبط من شدة الهلع والخوف ثم لم تلبث أن استردت أنفاسها وشجاعته حين بصرت برجل غريب فإذا بها تصرخ في وجه جلال قائلة:

كيف تدخل هذا الرجل الغريب عليّ في هذه الساعة المتأخرة من الليل وأنا بهذه الحال . .

ثم التفتت إلى الرجل الغريب قائلة بنفس اللهجة:

وأنت يا ايها الرجل . . كيف سمحت لنفسك بالدخول من دون استئذان . .

فأحنى شرتوك رأسه احتراماً وقال بأدب جم:

سيدتي .. لقد سمح لي زوجك بالدخول .. ولولا ذلك ما تجرأت  
فاستميحك العفو وإنني انسحب ..

وأدار ظهره ليخرج .. فأشارت إليه سلوى أن يبقى ثم تطلعت إلى زوجها  
وقالت بتهكم ظاهر:

وماذا يبغي هذا الغريب يا أيها الزوج المحترم جداً ..

فتطلع إليها جلال شزراً أو بطرف عينه على الوجه الأصح وقال وقد بلغ به  
السكر أشده:

سليه أنت ..

فصرخت سلوى محتدة:

ولم لا تنطق أنت ..

أأخرسك الخزي أم أجمك السم الذي (طفحته) ..

فقاطعها جلال غاضباً وقال والكلام يتعثر في فمه لفرط سكره وأمائر الشر  
تتراقص في عينه:

أخرسي .. أنت .. يا قليلة .. الأ.د.ب .. أنا .. أنا .. زوجك .. وهم  
أن يضربها لولا أنها تراجعت بسرعة وتدخل شرتوك فأمسك بتلابيب جلال  
وأجلسه على أحد المقاعد

وجلس هو بجانبه .. وجلست سلوى على مقعد مقابل وقد أذهلها الموقف  
وأعشى عينيها وقطع المرابي شرتوك هذا السكون الذي خيم عليهم بعد تلك  
العاصفة بقوله:

أكرر رجائي يا سيدتي بأن تصفحي عن دخولي عليك بهذه الحال وبالنظر  
إلى أن زوجك متعب الآن فإني أرجىء الحديث عن المهمة التي قدمت من  
أجلها إلى وقت آخر أترك لك تحديده ..

ونهض ليخرج .. فشده جلال إليه ومنعه .. وقال بصوت متهدج ..  
متقطع ..

يجب .. أن تقول .. لها .. كل .. شيء ..

وأفاقت سلوى من ذهولها .. وطلبت هي أيضاً إلى شرتوك أن يشرح  
المهمة التي جاء من أجلها فنزل المرابي عند رغبتها وسرد لسلوى القصة  
بحذافيرها وأفهمها أن مبلغ الدين المطلوب من زوجها هو مائة وخمسون ألف  
فرنك .. ثم أخرج العقد من جيبه ووضعها على المنضدة .. فجن جنون  
سلوى ونهضت وهي تنتفض واقتربت من جلال وهي تقول بشدة وقسوة:

هل بلغت بك الجرأة إلى حد السرقة .. هل وصل بك ولع القمار إلى  
اللصوصية يا للمصيبة .. يا للفضيحة .. لقد خدعتني وغررت بي .. يا  
سافل .. يا منحط .. ونهض جلال من مقعده بسرعة خاطفة وهاج كالثور في  
حلبة المصارعة فصفع سلوى في وجهها ورمى بها أرضاً وطفق يركلها بقدميه  
ويقول والزبد يتناثر من بين شذقيه:

يجب أن تعرفي أن لصبري حداً .. يجب أن تعلمي إنني زوجك وأن  
عليك احترامي لا إهانتني .. لقد تحمّلت كثيراً .. ولم يبق في قوس التجمل  
منزع .. واستطاع المرابي شرتوك .. بعد صراع عنيف تمزقت فيه سترته  
وربطة عنقه أن يبعد جلالاً عن سلوى فقد كاد يقضي عليها وهو يركلها بلا  
وعي وبلا تعور .. بينا هي مطروحة على وجهها أرضاً تتقبل تلك الضربات  
وذلك الركل من دون أن يصدر عنها أي توجع أو تألم أو دفاع عن النفس ..

ولما ابتعد جلال عنها .. نهضت وجلست على أحد المقاعد والدموع  
تنهمر من عينيها مدراراً وجلال يتواعد ويهدر ويزأر كالأسد وهو يرى فريسته  
صرعى تحت أقدامه والمرابي شرتوك يحاول تهدئة الموقف بكل ما لديه من  
جهد و طاقة وأخيراً رأت سلوى أن الموقف سيتعقد أكثر وأن الضجيج

المستمر سيبعث بمتفرجين جدد من سكان الفندق خاصة وقد طلع الصبح وبدأت الحركة في الشوارع فقامت إلى خزانها وأخرجت ما تبقى لديها من حلى ومجوهرات وأعطتها لشرتوك قائلة والعبرات تخنق كلامها:

خذ هذه الحلى والمجوهرات بالإضافة إلى العقد رهينة لديك ريثما نتدبر لك دينك في خلال عشرة أيام على أسوأ الاحتمالات وسأعطيك الآن برقية أرجو أن تبرقها حالاً فسألها جلال قائلاً:

وماذا ستكتبين في هذه البرقية.. قولي.. أنطقي.. وإلا خمدت أنفاسك.. فأجابت وقد تجمدت الدموع في عينيها وتحجرت:  
سأطلب من والدي أن يحول بريقاً القيمة التي استدنتها..  
ويرد جلال عليها بلهجة الأمر النهائي:

أطلبني من أبيك ضعف هذه القيمة لكي نسدد فاتورة الفندق والنفقات الأخرى غير المنظورة.

وتضغط سلوى على أعصابها إن كانت لديها أعصاب تقول:  
حاضر.. أمرك.. يا سيدي..

ثم تجلس إلى إحدى المناضد وتكتب البرقية وتسلمها للمرابي ويسلمها هو بطاقته وبها رقم تلفون مكتبه ومنزله ويخرج حاملاً الحللي والمجوهرات وبعد ذهابه يرتمي جلال على فراشه وينام بملابسه من حدة الإعياء والتعب والسكر..

أما سلوى فبعد أن اطمأنت على استغراق جلال في نومه جلست إلى إحدى المناضد وأخرجت دفتر مذكراتها وبدأت تدون وتتلو ما تكتب بصوت خفيض «ها أنذا أصحو على نذير الكارثة ومعولي في يدي لأدفن أشلاء أحلامي وآمالي وقد نحررتها على مذبح الحقيقة المرة ولأشهد بأعيني ما

قرأته من نظريات وفلسفات ينصهر في بوتقة تجارب الحياة ثم يتبخر ولا يترك أثراً.. صحوت لأرى جلالاً في ثوبه الحقيقي وقد ظهر منه ما أخفاه وأبطنه.. رأيت ثراءه المزيف بالأمس فقره الحقيقي اليوم رأيت تنكبه عن مجالس اللهو والشراء تهافته اليوم على موائد الخمر والميسر رأيت وهنا الطامة الكبرى (تبكي) يسرق حلي ويرهنها ويقامر بما أرتهن فيخسر فيسير إليّ كالمجنون يصفعني ويركلني بقدمه حتى ليكاد يقتلني لولا أن كان معنا المرابي شرتوك.. وهكذا رأيتني خوفاً على حياتي وخوف الفضيحة في هذا البلد الغريب لا أهل ولا قريب ولا معين ولا مستجيب رأيتني اضطر فأبرق لوالدي بأن يحول ثلاثمائة ألف فرنك لنسدد دين جلال.. أجل هذا هو اقل ما أستحقه جزاء على جريمتي.. لقد ضيعت سامي ذلك الملاك.. الرحيم لأستبدل به هذا الشيطان الرجيم.. فإليّ.. إليّ أيتها الآلام عليّ أكفر عما ارتكبت من آثام».

ثم تطوي مذكراتها وتضعها في مكان أمين وتدخل سريرها وتنام وقد بلغ بها اليأس أشده واليأس إحدى الراحتين كما يقولون..

ونترك سلوى تتجرع كؤوس العذاب الذي اختارته بنفسها وسعت إليه بظلفها لترى سامي يغط في نومه ويتحرك حركات تدل على أنه يحلم فماذا يرى..

«يرى أنه جالس في صالون داره سابح في أفكاره وتخيلاته ولم يشعر إلا بالباب يفتح وتدخل سلوى حزينة باكية متشحة بالسواد فينهض للقائها قائلاً:

«سلوى حبيبتى ماذا دهاك ما الذي أحزنك قولي بربك وإذا بها تترنج على صدره تشهق قائلة والدموع تغمر محياها:

«ذنبك يا سامي.. جنائتي عليك سبب كل هذه الآلام والأحزان.. أعف عني أرحمني..» ويجيبها سامي:



«لقد سامحتك يا حبيبتي فقلوب المحب المخلص لا يحمل الحقد ولا الغضب وجل ما أتمناه هو سعادتك وهناؤك.. وأنت اخترت طريقك وعليّ أن أَرْضَى بما ارتضيت فترفع رأسها عن صدره وتتلاقى عيونهما: عيناها المبللتان بالدموع وعيناها المتسعتان حباً وشفقة وحناناً ليقبلها وتقبله طويلاً».

ويصحو سامي من حلمه وهو يتلمظ شفّيته ويقول:

اللَّهُم اجعله خيراً لا شك أن سلوى في ضائقة.. لا حول ولا قوة إلا بالله..

ثم يتطلع سامي إلى ساعته فيجد أن صلاة الصبح قد حانت فينهض ويتوضأ ويصلي ثم يتناول المصحف ويتلو ما تيسر من سوره وبعد ذلك يتضرع إلى الله في خشية وخشوع ويبكي وهو يدعو بحرقة وحرارة مبتهلاً إلى ربه أن يحرس من أحب بعين عنايته التي لا تنام.

ويعود سامي إلى فراشه وجيش لجب من الأفكار يزحم خياله وسحب من القلق تحجب سماوات أفكاره ولم يستطع النوم فيقوم ويرتدي ملابسه وينزل إلى الصالون ويطلب من خادمه القهوة وجرائد الصباح وبينما كان يتصفحها يفتح باب الصالون وإذا بهند وفؤاد يدخلان قائلين معاً:

صباح الخير دكتور سامي.

صباح الخير يا هند.. صباح الخير دكتور فؤاد.

ويهرع لاستقبالهما بالأحضان فيقبل هند وفؤاد وهو يقول:

يا مرحبا يا مرحبا بالعريسين تفضلاً وأجلسا.. الحمد لله على السلامة كان يجب أن تخبراني بعودتكما من شهر العسل..

وتجيب هند:

لقد أردنا المفاجأة يا أخي..

يا لها من مفاجأة سارة وسعيدة ..

ويقول فؤاد:

وجودك وعطفك الدائم علينا هو مصدر سرورنا وسعادتنا ..

قل لي يا دكتور .. عسى أن كل شيء يجري حسب الخطة المرسومة ..

ويقول سامي: كل شيء - لله الحمد .. - حتى الآن على ما يرام. وتجربة

المصل تجري تحت إشراف مندوبين من وزارة الصحة .. والنتائج الأولية

للتجربة تبشر بالخير وتفرج أسارير هند فتقول:

الحمد لله .. الحمد لله .. مبروك يا أخي .. ألف مبروك ..

ويقول فؤاد والفرحة ترفرف في محياه:

حقق الله آمالك يا دكتور وكتب لك النجاح في كل خطواتك.

ويجيب سامي:

إنك شريك في هذا النجاح فلولا جهودك الصادقة ما وصلت إلى ما

وصلت.

العفو يا دكتور.

ثم يلتفت سامي إلى هند قائلاً:

لقد صحوتما مبكرين ولا شك أنكما لم تجدا الوقت الكافي للإفطار هيا

بنا .. فالإفطار جاهز ..

وبينما هم يفطرون يصر سامي على أن يستضيفهما في داره بضعة أيام

فيعتذران بانشغالهما بترتيب منزل الزوجية الجديد ليكون مهيناً لاستقبال

المهنيين على أنهما نزولاً عند رغبته وإلحاحه يقضيان ليلة واحدة في ضيافته

ثم يعودان إلى مكان إقامتهما.

ووصلت برقية سلوى إلى مكتب أبيها ففضها السكرتير الخاص وقرأها واحترار في إيجاد الطريقة السليمة لإبلاغ محتوياتها إلى والد سلوى . إنه مريض . . يرقد في فراشه منذ أسبوع أثر إصابته بمرض من أمراض الشيوخوخة وأن الدكتور المداوي أوصى بالحرص على عدم إزعاجه أو تبليغه ما يكدر أو يثير أعصابه لأنه بحاجة إلى الراحة التامة ولكن البرقية هامة ومستعجلة وأخيراً هداه تفكيره إلى عرض الموضوع على والدته سلوى لتتصرف فيه كما ترى وبذلك يرفع عن نفسه عبء المسؤولية وفعلاً طلب مقابلتها وعرض البرقية عليها فصعقت وضربت كفاً على كف كعادتها في كل أمر جلل ولم تلبث الرعونة التي تتحلى بها أن سيطرت عليها فأفقدتها توازنها فذهبت بالبرقية إلى الباشا وتلتها عليه فانفعل هو الآخر واحتقن وجهه وانتابه سعال شديد متقطع لم تهدأ حدته إلا على اسعافات الدكتور المداوي منصور الذي حضر لحسن الحظ في الوقت المناسب وبعد ان أستراح والد سلوى من الأزمة التي حدثت له دعا إليه سكرتيه الخاص وأمره بأن يحول المبلغ المطلوب برقيةً وزيادة عليه وأن يطلب إلى سلوى وجلال العودة حالاً ويصدق السكرتير بما يؤمر . .

وبعد ذهابه وخروج الدكتور المداوي يلتفت الباشا إلى زوجته قائلاً:

لا شك أن سلوى وزوجها في ضائقة شديدة أو أن خلافاً نشب بينهما .

ربما لأنه من المستغرب جداً طلب سلوى هذا المبلغ الضخم منك أين أموال جلال وأملاكه التي كان يتبجح بوجودها في أوروبا يظهر أن كلامه كله كذب في كذب . . مسكينة يا بنيتي . . يا سلوى . . كيف حالك في ذلك البلد البعيد حيث لا صديق ولا قريب . .

وتمسح دموعه ظفرت من عينها فيقاطعها زوجها قائلاً:

ولماذا الاستعجال في الحكم . . والغائب حجته معه كما يقولون . . لا بد أن في الأمر سرّاً ربنا يجعله خيراً . .

وتدخل الممرضة «الولى» فتعطي الباشا الدواء من عصير الليمون وبعد أن يشربه يلتفت إلى زوجته قائلاً:

اتركي الأمر يا زينب لصاحب الأمر .

ثم يتزحلق على سريره ويخلو للراحة فيغلب عليه النعاس وتنصرف زوجته لشأنها وتبقى الممرضة على أحد المقاعد ويدها مجلة تقطع الوقت بقراءتها:

وحاول جلال أن يرأب الصدع ويداوي الجراح النازفة بكل ما لديه من وسائل وخطط وحيل بيد أن محاولاته جميعاً ذهبت سدى فقلب سلوى الأبيض النقي الناصع أسود من فعلته ولم يعد فيه موضع لصفح أو غفران لقد أصبحت تمقت جلالاً وتحترقه تبغضه وتكرهه ولكنها لا تجرؤ على مصارحته بما يعتمل في نفسها . . إنها تخشاه وترهبه تخشى تكرار حادث أمس القريب وترهب تلكم الوحشية التي تلبسها جلال ليلتئذ أنها ترتجف فرقاً وهلعاً كلما تذكرت الحادث المشؤوم أنها تداري موقفها منه فتظهر خلاف ما تبطن وتترقب على أحر من الجمر وصول التحويل المالي لتسديد الدين الذي وعدت بتسديده ولتدفع فاتورة الفندق العديدة الصفحات والأرقام . . أنها تطلب من ربها العون على اجتياز هذا الموقف الدقيق والنجاة في هذا البلد الغريب . .

ويأتي الفرج فيصل التحويل المالي كما طلبت وأزيد فتسدد دين المرائي وتستعيد حليها ومجوهراتها وتدفع فاتورة الفندق وتعطي جلال المبلغ الذي يريده . . لتسديد ديون أخرى لا تعرفها بل أصبح لا يهتمها أن تعرفها إنما يهتمها الآن هو الحجز في أول طائرة تطلع صوب وطنها والإبراق لوالديها بموعد وصولها . .

واستقلت سلوى وجلال الطائرة في طريقهما إلى الوطن وكانت سلوى متجهمة الوجه قلقة النفس طيلة هذه الرحلة . . تطل الفينة بعد الفينة من شبك

الطائرة متمنية أن لو كانت للطائرة سرعة الصواريخ الموجهة ولم تخلص من قلقها نسبياً إلا عندما أعلنت المضيفة أن الطائرة ستهبط بعد خمس دقائق ولما درجت الطائرة على أرض المطار واستقرت في المكان المخصص لها انفرجت أسارير وجه سلوى وعادت الطمأنينة إلى قلبها وزوجها . .

ونزلت سلوى وزوجها فبصرت بوالدتها وبعض المعارف في استقبالها بساحة المطار وأريد وجهها عندما لم تر أباهما بينهم ولم تصدق أنتهاء اجراءات . . الجوازات والجمارك حتى هرعت إلى والدتها وارتمت على صدرها تبلل خديها وصدرها بدموعها وتساءلها عن أبيها ولما أخبرتها بوعكته البسيطة انطلقت سلوى بسرعة صوب السيارة - بعد أن حيت مستقبلها وشكرتهم على تحملهم مشقة استقبالها - ولحقت بها والدتها وجلال .

ودخلت سلوى على والدها وانحنت تقبل يديه ووجنتيه وهو يحتضنها ويقبلها ويدعو لها ويقول:

الحمد لله الذي أبقاني حتى أراك يا بنيتي . . لقد خفت أن ألقى المنية وأنت بعيدة عني . .

وتجيبه سلوى:

لا قدر الله أنت بخير يا أبتاه . .

ثم يمد الباشا يده إلى جلال فيقبلها ويقول:

لا بأس عليك يا عماء . .

أشكرك يا بني . .

ويجلسان على مقعدين قريبين منه فيسألها:

إن شاء الله كانت رحلتكما موفقة . .

ويقاطعه جلال:

كانت جميلة وممتعة يا عماء . .

وتمتعض سلوى من نفاقه وكذبه وتنظر إليه نظرة لا يعرف معناها أحد  
سواه حتى الآن . . ولكن جلال لا يكثر بل يستمر في كذبه قائلاً:

لقد انفقنا بحساب وبدون حساب حتى نفذ ما لدينا فاضطررنا للإستنجاد  
بك ربنا لا يحرمننا منك يا عماء . . .

ويضيق صدر والدة سلوى بكلامه فتقول بكلام لاذع:

وأنفقت حتى واردات أملاكك في أوروبا ورصيدك في بنوكها . .

ويقطع سليم باشا حديث زوجته قائلاً:

بسيطة يا زينب الحال واحد.

وترتاح سلوى إلى قبلة أمها وترى فيها بداية حسنة وتمهيداً فنياً للمعركة  
المقبلة ويرتاح جلال إلى جواب عمه ويرى فيه الفرصة للتفكير في تكتيك  
جديد يسترجع به قواعده في قلب سلوى وأمها . .

ويتطلع والد سلوى إلى زوجته وابنته من جهة وإلى ابن أخيه من جهة  
أخرى فيدرك - بسرعة - أن في الجو غيماً وإن انقلاب زوجته ضد جلال -  
بعد أن كانت من أشد أنصاره - ليس مبعثه عدااء الحموات التقليدي لأزواج  
بناتهن فحسب وإنما مرده إلى سر سينكشف له فوراً لو أفسح لمعركة أن تبدأ  
ولكن ابنته وزوجها قدما الآن من رحلة طويلة وهما لا شك متعبان كما أنه  
هو نفسه في وضع صحي لا يحتمل رؤية مشاهد مثيرة ولذلك آثر أن يجمد  
الموقف إلى فرصة أخرى أكثر ملاءمة . . فالتفت إلى جلال وسلوى قائلاً:

لا شك أنكما بحاجة إلى الراحة بعد السفر الطويل . . وقد خصصنا لكما  
جناحاً في القصر هنا لتسكنا فيه . . ريثما ينتهي ترتيب الفيلا التي استأجرتموها  
وتجيب سلوى:

أما من جهتي أنا فسابقى بجانبك يا ابتاه حتى لو كانت الفيلا جاهزة.. ويرى جلال أن بقاءه في القصر بجانب سلوى وأمها لن يتيح له الهدوء الذي ينشده ليشحذ أسلحته لعله يجد حلاً للورطة التي تردى فيها وإن سكناه.. بالقصر يشحن أسلحته لعله يجد حلاً للورطة. والقدرة العجيبة على التخلص من المأزق وإن بُعده عن زوجته وحماته سيعجل في كشف خطط المعركة المنتظرة.. وعندها سيقدر نوع السلاح الذي سيستعمله.

مر هذا الفيلم بخاطر جلال في سرعة البرق فإذا به يخاطب عمه..:

- عماه.. من واجبي أن أبقى بجانبك وأن أسهر على راحتك ولكن الأثاث الذي اشتريته من ايطاليا وشحنه منذ مدة لا بد أنه وصل..  
وتقاطعه سلوى:

ودفعنا بقية ثمنه من التحويل الذي أرسلته يا ابتاه..

ويصطنع جلال الهدوء على مضض فيجيب على تحية زوجته بقوله:

- ودفعنا بقية ثمنه كما قالت سلوى من خيرك يا عماه..

وخشية تكسر هذا الأثاث أو تلفه أو سرقة أرجو أن تسمحوا لي بالمبيت في الفيلا..

ثم يرد كيل سلوى بكيل أوفى منه فيقول:

ومع أن هذه الأمور من صميم اختصاص سلوى.. لكنني نزولاً عند رغبتها البقاء بجوارك سأتولى ذلك بنفسى يا عماه ويلتفت الباشا إلى ابنته قائلاً:

أنا بخير يا بنيتي فمجيئكما قد سرى عني كل الامي. وليس عندي أي..  
مانع من ذهابك مع زوجك لمساعدته في الأمور التي ذكرها..

وتقاطعه زوجته قائلة.. بانفعال:

لا .. لا .. لا يمكن سلوى .. تظل عندي أنا مشتاقة إليها جداً ..

ويخاطب جلال امرأة عمه قائلاً:

أنا لا أصر يا سيدتي على ذهاب سلوى معي إنني - على العكس - أرغب في أن تبقى بجانبكما المدة التي تراها مناسبة .. استودعكم الله .. ويذهب جلال .. وتلفت والدة سلوى إلى ابنتها قائلة:

هيا .. قومي يا بنيتي .. غيري ملابسك وارتاحي من عناء الرحلة الطويلة وسأذهب معك .. لأساعدك وأرى الهدايا التي أوصيت بإحضارها .. ويتدخل والد سلوى في الحديث ويقول وهو يضحك:

لا تنسوا هديتي أنا أيضاً ..

وتختلي سلوى بأمها .. فتروي لها قصتها مع جلال من ألفها إلى يائها وتريها آثار الكدمات الباقية شهوداً على خسة جلال ودناءته فيطير صواب .. الأم وهي تتحسس بيديها مواقع الكدمات وتختلط قذائف الشتائم الموجهة منها إلى جلال مع العبرات المهرقة من عينيها وعيني سلوى ..

ويصحو ضمير الأم فيؤنبها ويبكتها على تضحيتها بفلذة كبدها على مذبح التقاليد البالية فتغرق في بكائها بلهفة وحرقة تنسي معهما سلوى مصيبتها وتنشغل بالحالة الطارئة فلا تترك في قاموس المواساة كلمة إلا واستعملتها ولا سبيلاً للتهدئة إلا طرقته وأخيراً تهدأ الأم فتضم إلى صدرها ابنتها التي كانت ترعش خوفاً على أمها أن يصيبها مكروه وتقول:

لا تخافي يا سلوى .. إنني بخير .. لقد كنت أبكي .. ومن حقي أن أبكي بألم على ما أصابك .. ولكن .. ثقي إنني سأنتقم من جلال أشد الانتقام والآن .. علينا أن نفكر فيما ينبغي أن نفعل ..

ويظهر لنا من مجريات حديثهما أنهما اتفقنا مبدئياً على بقاء سلوى في بيت



أيها ومن ثم السعي على الطلاق ولكنهما اختلفتا على التوقيت أو ساعة الصفر كما يقولون.. وبعد جدل بنظري بعضه منطقي وبعضه خارج عنه رأتا تأجيل ساعة الهجوم حتى يتمثل الباشا للشفاء مع اتخاذ كافة الاحتياطات لأية مناورة أو تكتيك يقوم به جلال بكل ما لديهما من حول وطول ولو أدى ذلك إلى ما لا تحمد عقباه.

ويقرأ سامي في الجرائد أن سلوى وزوجها قطعا رحلة شهر العسل وعادا إلى بلدهما بسبب مرض والد سلوى فيستقل سيارته ويذهب إلى دار هند وفؤاد فيجدهما جالسين في الصالون يلعبان النرد (طاولة زهر) فيفرحان بقدمه وينهضان للقاءه وتقبل هند أباها قائلة:

أهلاً وسهلاً بك يا أخي..

ويقبله فؤاد قائلاً:

يا مرحباً.. يا مرحباً..

ويجلسون.. وبعد حديث المجاملة التقليدي يقول سامي:

هل قرأت جرائد اليوم..

ويجيب فؤاد على عاداته من المرح

لا يا سيدي نحن في شغل عنها بشهر العسل الثاني.

وتغضي هند رأسها خجلاً.. ثم لا تلبث أن ترفعه وتتكلم لتقطع استمرار

فؤاد في هذا النوع من الحديث فتقول:

وماذا بالجرائد يا أخي الدكتور..

لقد ذكرت أنّ والد سلوى مريض وأنها وزوجها عادا ليكونا بجانبه.

وتقول هند وقد تبينت لها أسباب زيارة سامي الفجائية:

مسكينة سلوى . . الواجب يقضي بالزيارة فوراً . . إذا كنت ترى يا أخي  
ذلك . .

ويجب سامي وقد ضربت له هند على الوتر الحساس :

لا ينقصك يا אחتي شيء من الكمال ومعرفة الواجب . . إنني في سبيل  
الواجب يجب أن يتناسى المرء آلامه . . بل كل شيء أحياناً . .  
ويقول فؤاد :

إنكما تعرفان رأيي من قبل بالنسبة لسلوى وجلال وبالرغم من ذلك فأنا مع  
الأكثرية . .

وتقطع هند الشك باليقين فتقول :

هل تسمحان لي إذن بارتداء ملابس الخروج . .  
تفضلي . .

وفي أثناء انشغال هند بزيبتها يسأل فؤاد سامي عن نتائج تجاربه فيخبره . .

هذا بالنجاح الباهر الذي تحققه وإنه عما قريب سيعلن على صفحات  
الجرائد والمجلات خبر هذا الاكتشاف ويرقص فؤاد فرحاً ويقبل سامي قبلات  
جنونية فيرجوه هذا أن يكتم كل شيء للوقت المناسب .

ودخلت سلوى على أبيها وبعد أن قبلت يديه جلست تقرأ له أهم ما في  
جرائد الصباح من أخبار سياسية وغير سياسية وبعد أن انتهت من ذلك التفتت  
إلى أبيها قائلة :

يا بابا لم لم تستدعي الدكتور فؤاد أو الدكتور سامي لمعالجتك . .

سامي رحل إلى الريف بعد سفرك مباشرة . . .

وتنهد سلوى وتقول :

وفؤاد . . .

ويجيب الباشا:

كان في شهر العسل . . .

وتقول سلوى بلهفة . . .

مع من يا أبي . .

مع هند . . فمنذ تزوجا في الحقيقة يا بنيتي قطعت كل علاقة بيني وبين سامي وفؤاد - بعد زواجك من جلال - حتى إنني لم أحضر حفلة زفاف هند بل اكتفيت بإرسال برقية تهنئة . .

ولماذا يا أبتاه . .

كنت مخجولاً من سامي وفؤاد لتفضيلك الزواج بجلال على سامي . .  
ولذلك . . حين مرضت استدعيتما الدكتور منصور . .

ربنا يجعل على يديه الشفاء . .

ثم تردف قائلة:

ألم يعدك سامي أو فؤاد أو هند في مرضك هنا . .

لا يا بنيتي . . من أين لهم أن يعرفوا بمرضي .

- إنهم لا يتوانون من أداء الواجب . . لو علموا بمرضك لسارعوا إلى زيارتك للغائبين حجتهم وعذرهم .

ويدخل الفراش معلناً وجود هند والدكتورين سامي وفؤاد في الصالون فتنظر سلوى إلى أبيها نظرة لها معناها . . وتقوم إلى المرأة تصلح من هندامها وزينتها والفرحة تنطق من محياها . . أما الباشا فيقول للخادم:

- دعهم يدخلون ..

وتدخل هند وسامي وفؤاد وخلفهم الخادم يحمل باقة ورد جميلة فيسلمون على المريض ثم يصفحون سلوى ويزجي كل بدوره من العبارات والكلمات التي تناسب المقام ولم تكتف هند بكليشة المجاملات بل عانقت سلوى وقبلتها طويلاً وهي تقول:

الحمد لله على سلامة الوصول.

وتجيئها سلوى:

شكراً وألف مبروك يا حبيبي ..

ثم تلتفت إلى فؤاد قائلة:

ألف مبروك دكتور فؤاد.

ويجيب فؤاد:

شكراً يا هانم .. وألف حمد لله على السلامة ..

ويجلسون .. فيستهل سامي الحديث قائلاً:

أرجو عفوك يا سعادة الباشا .. لم أعلم بمرضك إلا عندما قرأت الجرائد هذا اليوم فأسرعت لسؤال الخاطر أما هند وفؤاد فمشغولان بشهر العسل عما يدور في هذا العالم ..

ويضحكون وفي أثناء ذلك يقول والد سلوى:

أتمنى لهند هانم والدكتور فؤاد التوفيق والسعادة الزوجية.

ويرد فؤاد:

- اشكر عواطفكم الكريمة وتمنياتكم الطيبة.

وتلتفت سلوى إلى سامي وتقول:

كيف أبحاثك يا دكتور.. عسى أنك وفقت فيما كرسست نفسك من  
أجله...

ويجيب سامي..

أبحاثي تسير - لله الحمد - حسب الخطة المرسومة وستسمعين قريباً ما  
يسرك وترد سلوى:

أتمنى لك التوفيق من كل قلبي..

أشكرك يا هانم على تمنياتك القلبية الصادقة.

ويتطرق الحديث إلى مواضيع قديمة وحديثة ويمتد ويتشعب فتقطعه هند..  
بقولها لسلوى:

أين جلال.. أين والدتك يا سلوى..

جلال ذهب للفيلا التي استأجرناها ليتفقدوها.. وماما ذهبت قبل تشريفكم  
لحضور اجتماع هام لجمعية رعاية الطفولة.. وربما جاءت وأنتم هنا..  
وتقول هند:

يسعدنا أن نراها ونرى صهرنا العزيز جلال.. ولكن الدكتور سامي مرتبط  
بموعد مع نقيب الأطباء ومضطر للعودة إلى الريف بعد الغداء مباشرة ويؤمن  
سامي على كلامها قائلاً:

لولا هذه المواعيد لانتظرنا بكل سرور مجيء السيدة والدتك وزوجك  
المحترم..

ثم يلتفت إلى الباشا قائلاً:

والآن.. هل يسمح لنا سيدي الباشا بالذهاب..

وتريد سلوى أن تستبقي الدكتور سامي مدة أطول وأن تزج به في معالجة

أبيها لثقتها بتمكنه من مهنته ولتأكد ما إذا كان وما يزال مقيماً على حبها . .  
فتصطاد بذلك عصفورين بحجر واحد . .

وقبل أن يتكلم والدها تنتهز هي الفرصة فتقول :

دكتور سامي : هل بالإمكان أن تقوم أنت والدكتور فؤاد بفحص والدي  
وتريا ما إذا كانت العلاجات التي وصفها الدكتور منصور صحيحة . .

ويجيب سامي :

الدكتور منصور من خيرة أطباء هذا البلد .

وترد سلوى :

صحيح . . ولكننا نثق بالدكتور سامي والدكتور فؤاد . .

وتدرك هند - في سرعة - ما تهدف إليه سلوى . . وكيف لا وهي الأستاذة  
البارعة المفنة في هذا المضمار . . فتحشر أنفها في الموضوع بدافع من غريزة  
حب الاستطلاع المتأصلة فيها . . وسعيًا وراء استجلاء نوايا سلوى . . فتقول :

صحة الباشا تهمنا جميعاً . . وأنا أضم صوتي ورجائي إلى صوت ورجاء  
سلوى فنلتمس من أخي الدكتور وزوجي الدكتور تلبية طلبنا . .

ويتدخل والد سلوى شأنه شأن أي مريض يتعلق بخيط العنكبوت في سبيل  
البراء والعافية . . فنراه يقول :

وأنا أضم أيضاً رجائي إلى رجائهما . .

ويرد سامي :

استغفر الله يا باشا . . أنت تأمر وعلينا الطاعة . . ولكن لتلبية ما . .  
تطلبون . . يجب أن أستأذن الطبيب المعالج . . فما هو رقم تليفونه . . وتمليه  
سلوى رقم التليفون . . فيدير قرصه ويمسك بالسماعة . .

هلو.. دكتور منصور.. أنا الدكتور سامي.. كيف حالك.. أشكرك.. الشغل على ما يرام.. أنا الآن مع الدكتور فؤاد في زيارة خاصة لا طيبة عند سليم باشا بمناسبة عودة ابنته سلوى هانم.. وقد رغب الباشا - مع ثقته - وثقتنا بمقدرتكم - أن تفحصه.. فهل لديكم مانع من ذلك..

ويوافق الدكتور منصور.. ويضع سامي سماعة التليفون.. ويطلب من.. سلوى إرسال خادمها ليأتيه بحقيبتة الطبية من السيارة ويقوم هو وفؤاد بالفحص كل بدوره ثم يجلسان على مقعدين نائين يهمسان.. وبعد ذلك ينهضان فيتطلعان في الأدوية التي وصفها الدكتور منصور..

ثم يلتفت سامي إلى والد سلوى قائلاً:

أولاً - أنت لست مريضاً يا باشا.. وإن هي إلا وعكه بسيطة ستزول إن شاء الله.. ثانياً - الأدوية التي وصفها الدكتور منصور هي أحسن ما يوصف لمثل هذه الحالة.. فاستمر عليها ففيها الشفاء بإذن الله.. والآن نستودعكم الله.. متمنين للباشا الصحة والعافية ولسلوى هانم السعادة والهناء..

ويرد الباشا:

أشكركم على زيارتكم اللطيفة.. مع السلامة..

وتقول سلوى:

أشكر لك أطيب تمنياتك.. وأرجو أن تحققها الأيام.. لقد فاهت سلوى بهذه العبارة في لهجة حزينة أدركها سامي بحاسته السادسة.. فتطلع إليها يشاركها آلامها ومضى مع صحبه وفي نفسه ألف سؤال وسؤال..

وعندما يذهبون تفق سلوى بجانب الشباك تراقبهم وهم يركبون السيارة..

وحينما تنطلق السيارة وتغيب عن نظرها تمسح دمعة ترقرت في عينيها..

ثم تعود إلى أبيها فتجلس بجواره صامته فيربت على كتفها قائلاً..

ما بك يا سلوى .. هل تشكين من شيء ..

لا يا ابتاه ..

كيف لا .. أنظري وجهك في المرأة .. لقد كان مشرقاً عند زيارة سامي ..  
وصحبه .. وأراه الآن حزيناً بعد ذهابهم .. وتداري سلوى ما بها فتجيب:

إنني حزينة ومتألّمة بالأحرى من مقاطعتك يا أبي لسامي وصحبه بعد  
سفري .. وخجلت كيف أنهم بالرغم من ذلك لم يتوانوا عن إداء الواجب  
عندما علموا بمرضك.

- ونسيت فعلتك أنت يا بنيتي ..

آه .. صحيح .. صحيح ..

ويغير والدها مجرى الحديث فيقول:

سلوى قولي لي .. ألم تلاحظي شيئاً جديداً في حديث سامي ..

وترتاح إلى حديث والدها عن سامي فتقول بلهفة:

لم ألاحظ شيئاً جديداً ..

إنه أصبح يتكلم بلهجة الواثق باكتشافه المرتقب .. إن وفق هذا الشاب في  
بحثه فسيصبح في مصاف العظماء الذين يشار إليهم بالبنان.

ويقيني إنه سيوفق .. فمن جد وجد .. وسامي ما يزال يجاهد ويكافح  
بعزم ما وهن ودأب ما انقطع ..

- إنه بعمله هذا يضرب مثلاً أعلى للشباب الناهض ..

- سامي مثالي في كل شيء يا أبتاه ..

ويحتقن وجه سلوى بعد ترديدها العبارة الأخيرة وتطفرف بلا وعي دموع  
عينيها فتنهض من جوار أبيها كأنها لا تريده أن يراها بهذه الحال .. ولكنه



رآها . . أبصر وجهها المحترقن وعبراتها المهرقة وتلمس بحنان الأبوة الخارق . . الحزن الدفين والألم المكبوت الذي تنوء بحمله ابنته فإذا به يعتدل في فراشه ويقول :

سلوى . . تعالي إلي . .

وتمسح سلوى دموعها - بسرعة - وتعود إليه فيطلب منها أن تجلس بجواره . . فتمتلل فيخاطبها قائلاً ويداه تضمان عنقها وأصابعه تعبت بخدها . .

بنيتي إنك تخفين شيئاً هاماً عني . . إنني أبوك ولا أرحب ولا أوسع من صدري فاطلعيني يا بنيتي على ما يعتلج في نفسك فلعلي أساعدك على التفريج عن كربك .

ويفاجيء سلوى سؤاله فتحاول أن تغطي الموقف كما اتفقت عليه من والدتها فتقول :

لا شيء لا شيء يا والدي . . إنما بكيت من سامي يجزي السيئة بالحسنة . .

ويقاطعها والدها :

هذه صفات المثاليين . .

ثم يعود بها إلى سؤاله الأول فيقول :

لم لا تجيبين على سؤالي يا سلوى . إنك تتملصين من الإجابة إنني والدك . .

هل أساء جلال معاملتك هل ظهرت لك عيوبه أجيبيني بنيتي . . أرجوك أرجوك . . وتجيب سلوى وهي تكبل عواطفها بسلاسل من صبرها وخوفها على صحة أبيها :

لو ظهر من جلال شيء ما تأخرت في تبليغك إياه :

- إذن ما سبب هذا الجفاء الظاهر منك ومن والدتك له .

ويخرجها إصراره فتقول :

أرجو . . يا والدي أن تبعد عن دماغك هذه الأوهام والتخيلات وأن تلتفت  
إلى صحتك فهي عندنا كل شيء . . .

كما يهمني صحتي كذلك يهمني راحتك ومستقبل حياتك . .

ويزداد الموقف تعقيداً وسلوى تخشى أن تفلت أعصابها من يدها ويأتي  
الفرج لتبصر جلال يفتح الباب ويدخل فتشير إلى أبيها بأطراف أصابعها أن  
يقفل الموضوع فيستجيب إلى طلبها بإحناءة من رأسه .

ويدخل جلال فيسلم فيردان التحية بأحسن منها ويقبل يد عمه ويقبله . .  
ويصافح سلوى فتظهر الفرحة بلقائه لكي تقضي على وساوس والدها ويتعجب  
جلال في قرارة نفسه من هذه المقابلة الحارة غير المنتظرة من سلوى . ويحتار  
في تحليلها وتفسيرها على أنه يدرك - بحدة فطنته - أن سلوى تبيت أمراً لا  
شك أنه في غير صالحه وأن حماته ضالعة معها وربما تكون هي القوة  
الموجهة فسلوى - في رأيه - تلميذة غير موهوبة في هذا النوع من حرب  
الأعصاب فليتهز إذن غياب حماته أو العقل المدبر ويتحرش بسلوى ويستفزها  
عسى أن تكشف . . أوراقها وتسفر عن خبيثتها يقطع السكون الذي غيم على  
الوالد وابنته بعد دخوله فيخاطب عمه قائلاً :

كيف حالك اليوم يا عماء . .

- بخير والله الحمد يا بني . .

ما شاء الله صحتك اليوم في تقدم ظاهر عن أمس . . أليس كذلك يا

سلوى .

ذلك ما ندعو الله أن يسبغه على أبي . .

وأنت يا سلوى .. أراك اليوم في حال أحسن من حالك أمس ..  
نحمده ونشكره ..

وزاد جواب سلوى في حيرته فأراد قبل أن يخطو خطوة أخرى في تكتيكه أن يتأكد من مصير حماته ولما علم من سلوى أن حماته لديها اجتماع في الجمعية اطمأن باله وشرع في تنفيذ خطته فأخبرهم عن الحالة السيئة التي وجد فيها الفيلا وأفاض في وصف ذلك وأطنب ثم رفع يديه ضارعاً إلى الله أن يمن على عمه بالصحة والعافية لتمكن سلوى من العودة إلى بيتها للإشراف عليه .. وترتيب الأثاث الذي وصل اليوم إلى الجمرك ..

ويجب الباشا ببساطته المعهودة:

حقيقة يا بني .. هذه الأمور من اختصاص النساء فهن أحذق فيها منا ..  
أليس كذلك يا سلوى ..

ويخرجها جواب أبيها فتقول:

سنتداول هذه المسألة مع والدتي عند حضورها فربما نجد عندها الحل ..

وتصدق فراسة جلال في أن العقل المدبر هو حماته وبينما هو شارذ في التفكير في تغيير طريقة هجومه .. تدخل والدة سلوى ..

فينهض جلال لاستقبال حماته فتصافحه فيحاول أن يقبل يدها - كعادته - فتسحب يدها ولا تمكنه من تقبيلها وتتخذ لها مقعداً بجوار سرير زوجها .. ويزداد إيمان جلال يقيناً بأن حماته هي خصمه الألد وإنه مقدم على حرب لا هوادة فيها وتساءل سلوى أمها عما تم في اجتماع الجمعية فتخبرها بالقرارات التي اتخذها مجلس الإدارة لتحسين حالة الطفل من حيث الغذاء والكساء والعناية الصحية ثم يخبرها زوجها الباشا بحال فيلا جلال فترد عليه قائلة:

المسألة في غاية البساطة يا جلال.. سأرسل غداً إحدى قريباتي ومعها خادمة سلوى الخاصة لتشطيب التنظيف.. وعندما تنتهي أنت من اجراءات الأثاث الجمركية هاتفني وسأكون وسلوى في استقبال الأثاث.. هل لديك حل غير هذا..

ويرضح جلال لقرار حماته وقد سدت عليه منافذ الاختلاء بسلوى وحدها فيقول:

كل ما ترينه يا سيدتي حسناً فهو عندي حسن..

- مرسي..

وتشرف سلوى ووالدتها على ترتيب وتنسيق أثاث الفيلا وتحبب الحماية كل فرصة يحاول فيها جلال التحدث إلى زوجته على انفراد..

وتعود سلوى وأمها عندما تنتهي مهمتهما اليومية إلى قصر الباشا وجلال يتميز غضباً ولكنه يكتفم غيظه أملاً في اقتناص ظروف أشد ملاءمة من هذه.. الظروف..

وتمر الأيام سراعاً وسلوى ما تزال في بيت أبيها وجلال يتلظى على أحر من الجمر ولما شعرت الحماية بتمائل زوجها للشفاء واستجلاءً لخطط جلال المستقبلية انتهزت فرصة زيارته لهم فاختلفت به وافهمته أن سلوى.. أخبرته بجريمته النكراء وأنها ترى وتصبر على رأيها أن هنالك حلاً واحداً لا غير لإصلاح غلطته..

ويقاطعها جلال متلهفاً:

وما هو..

- أن تطلق سلوى في الحال..

وتبهت جلال المفاجأة ثم لا يلبث أن يسترد رباطة جأشه فيجيب..

يا لبشاعة ما تطلبين .. يا لفداحة ما تبغين .. أطلق سلوى .. مستحيل ..  
مستحيل ..

وتقاطعه حماته قائلة بهزء وسخرية .

- وضربك سلوى وركلك أياها حتى كادت تموت لو لم يخلصها منك  
ذلك .. الرجل الغريب .. ألم يكن بشعاً يا بطل .. ألم يكن منتهى  
الوحشية والبربرية يا أسد .. نعم لقد كان منتهى الخسة والانحطاط ..  
والندالة .. بطولة .. وشجاعة ورجولة .. على امرأة ائتمنك أهلها عليها  
وفضلك على طلابها الكثيرين .. فجزيت الحسنة بالسيئة والنعمة  
بالجحود ..

ويجب جلال وهو يصطنع التذلل والندم والاستكانة :

إني مستعد للتكفير عن خطيئتي وإصلاح ما بدر مني ..

وتقاطعه حماته قائلة :

ليس إلا الطلاق وسيلة للتكفير عن ذنبك .. طلق سلوى .. إني ..  
أنصحك ..

ويستمر جلال في مراوغته فيقول :

هذا رأيك أنت ولكني لم اسمع رأي سلوى .. فهل تسمحين لي بأن  
أحادثها على انفراد ..

وتجيبه حماته :

إن هذا هو رأيها أيضاً ..

ويرمي جلال بأخر سهم في كنانته فيقول :

وهل هذا هو رأي عمي أيضاً ..

وتجيبه حماته :

إن عمك لو علم بما صنعته بابنته . . أعز إنسانة لديه لرمي بك عرض . .  
الطريق . . جلال إنك تعالج فعلتك بتفكير خاطيء . . واتجاه غير سليم أتظن  
أن عمك سيغفر لك ما فعلته . .

ثم تستفزه بسخريتها اللاذعة فتردف قائلة :

أنت غلطان . . يا سيد جلال . . يا بطل . . يا شجاع على النسوان . .  
وبس . . وتطعنه سخريتها في الصميم . . فيغلي الدم في عروقه ويفقد توازنه  
لأول مرة فيقول محتدأً :

وإذا لم أطلقها . .

وتجيبه حماته إجابة الواثق المعتمد بنفسه :

- ستفعل ذلك رضيت أم أبيت . . نحن وراءك والزمان طويل . .

وتترك جلال في مكانه وتعود إلى غرفة زوجها . . ويذهب هو إلى فيلته  
يفكر فيما يجب أن يفعله . . لقد سفرت حماته عن وجهها . . وبدأت هجومها  
بشدة وضراوة وبينما هو مستغرق في لجة أفكاره يدق جرس التليفون فيمسك  
السماعة وإذا بالمتكلم صديقه اليهودي جايم وزوجه راشيل . . يدعوانه إلى  
سهرة خاصة (على الماشي) احتفاءً بعودته من شهر العسل فيتقبل جلال  
الدعوة ويعدها فرصة استجمام وراحة استعداداً للمعارك . . الرهيبة المقبلة . .

ويصل جلال منزل صديقه اليهودي فيجده وزوجه راشيل في استقباله  
ويدخل الصالة فيرى شخصين آخرين غيره فيسلم عليهما وتعرفه راشيل بهما  
فإذا هما من أثرياء الحرب . . فيدرك جلال بداهة أسباب دعوتهما وينتظم  
الشميل - بعد العشاء - حول المائدة الخضراء وتشارك راشيل مع جلال في  
اللعب ضد الشخصين الآخرين ويقوم زوجها بعملية الساقى والخدام . .

ويحالف الحظ جلال هذه الليلة فيلقف ما في جيبي الصيدين الثمينين اللذين ينصرفان بعد خسارتهما مودعين بما ما تقبلا به من حفاوة وتكريم وبعد أن تأخذ راشيل حصتها من الربح وتذهب لتضعه في مكانه الأمين يلتفت جايمم إلى جلال قائلاً:

فاتني أن أسألك في زيارتي الأولى لم تعجلت عودتك من أوروبا وقطعت شهر العسل الشهير . .

فيجيبه جلال والحسرة تقطر من كلامه:

لقد تكشفت لسلوى أوضاعي المادية السيئة بعد أن خسرت كل ما أملك على مائدة القمار . . فأعطتني حليها لإرهنها وأسدد ديون تلك الليلة . . المشؤومة . .

ويقاطعه جايمم قائلاً:

يا لسوء الحظ . . وبعدين . .

أبرقت سلوى لأبيها فحول لها من المال ما استردينا به الحلى المرهونة وكفانا شر الفضيحة في تلك البلاد . .

ويتهز جايمم الفرصة فيقول بخبث اليهودي المطبوع:

ورطة وخلصت منها في أوروبا . . ولا أدري متى نتخلص من الورطات هنا . . إن دائتيك يراجعوني في أمر التسديد لأنني كنت الوسيط . .

ويقاطعه جلال قائلاً:

ما أقل صبر الدائنين . . أيظنون إنني حينما تزوجت سلوى تزوجت ثروة أبيها إن والدها ما يزال حياً قل لهم يصبرون علي حتى يموت والد سلوى . .

وأظن أجله قد قرب فهو مريض منذ شهرين . .

- وإذا لم يمت والد سلوى . . أو لم تعثر على كنز فماذا أنت فاعل  
بدائتيك . . .

ويجيب جلال منفعلًا:

ليشربوا البحر . .

ويقول جاييم بدهاء ومكر وهدوء غريب:

يظهر أنك يا جلال تجهل وضعك السيء مع الدائنين . . لقد ماطلتهم . .  
وسوفتهم . . ووعدتهم بتسديد ديونك بعد الزواج من سلوى . . والآن تريد أن  
تماطل وتسوّف أيضاً . . إنني أخشى عليك من الدعاوى والحجز وبالتالي  
الفضيحة بعد السمعة الطيبة التي اكتسبتها في الأوساط الراقية هنا . .

وتلين قناة جلال فيقول:

ما العمل إذن يا صديقي . . .

أرى أن تقنع سلوى بأن تقترض لك من أبيها مبلغاً يفني ديونك ويستتر  
أمورك . .

- طلب مستحيل يا جاييم . .

ثم يشرح له قصته مع سلوى فيصرخ اليهودي شاداً ما تبقى في صلته من  
شعر وهو يقول:

يا للمصيبة . . يا للكارثة . . يا لضيع أموال الناس ويحاول جلال تهدئة  
صديقه فيقول:

لا منقذ لي من هذه الكارثة إلا بموت والد سلوى . . فمتى يتحقق ذلك . .  
ولكن كيف . . وأشهر اطباء هذا البلد الدكتور سامي يشرف على علاجه  
ويفعل المستحيل لشفائه مدفوعاً بحبه القديم لزوجتي سلوى . .



وتواتي جايمم فكرة جهنمية فيقول:

لدي فكرة هائلة يا جلال ..

ويقول جلال متلهفًا:

- وما هي ...

ويعتدل جايمم في جلسته ويقترب من جلال ويسر إليه قائلاً وهو يتطلع  
يمنة ويسرة حذار أن يسمعه أحد:

طالما خلاصك في موت والد سلوى فلماذا لا تتخلص منه وتنقذ نفسك  
وسمعتك من الدمار .. تصور ماذا ستكون عليه حالك يوم يحجز الدائنون  
على امتعتك ويبيعونها بالمزاد العلني .. يوم لا تلقي إلا الأرصفة مأوى  
لك .. وقد تنزل ضعيفاً على السجن إذا لم تفي ديونك تصور أحاديث الناس  
وتندرهم بأخبارك وكيف أنك كنت كاذباً في تبجحك بثرائك .. تصور ..  
تصور ..

ويشرد جلال بذهنه فيتخيل الدائنين وقد احاطوا به ومعهم المحضرون  
والشبالون ينقلون أمتعته وتصور السنة الناس وهي تلوك أخبارك وتنشر ..  
فضائحه ورأى نفسه بين جدران السجن وحوله السجناء من كافة الطبقات ..  
والأشكال والألوان والعقوبات .. وطالعتة الجرائد وقد كتبت عنه بأحرف  
بارزة وعناوين مختلفة .. وأشد من ذلك كله - في رأيه - حماته وشماتها  
وسلوى وفرحتها وسامي وصحبه وتشفيهم من مصيره المظلم ..

مر كل هذا بمخيلته ولم يصح من شروده إلا على صوت صديقه جايمم  
يقول له:

اقتله واسترح منه ..

ويجيب جلال بصوت كأنه صادر من مكان سحيق:

- كيف . .

قطرة سم في فنجان الدواء الذي يتناوله تريحك منه ومن متاعبك إلى الأبد  
وأنت لي بهذا السم . .

ويتنحج جايم قبل أن يجيب . . وداخل نفسه شيء من العجب والغرور  
فضغط على كتف جلال قائلاً:

في أي وقت تطلبه تجده لدي . . إنه لا لون له ولا طعم ولا كثافة كما أن  
مفعوله يسري بعد مضي أربع ساعات على الأقل من تعاطيه . .

ويستعرض جلال بذكائه الحاد هذه الفكرة الفظيعة ويقلبها بوسع براعته  
وأضاف من حيله وابتكاراته وطاقة الشر الكامنة فيه بل في كل عضو وذرة منه  
فتروق له الفكرة وترضيه طريقة التنفيذ التي قرر في نفسه أن يقدم عليها فإذا  
به يهتف من أعماق قلبه ويربت على كتف جايم قائلاً أنت عظيم . . أنت  
مدهش . .

ويجيب جايم فرحاً:

إذن فلنشرب نخب الغنى والسعادة المنتظرة . .

ويرد عليه جلال قائلاً:

لنشرب نخب خراب بيت حماتي .

وكان من عادة سلوى أن تأخذ قهوة الصباح بجانب سرير والدها وتقرأ  
عليه صحف ذلك اليوم كما مر معنا ودخلت - كعادتها - وجلست تشرب  
قهوتها وجاءها الخادم بجرائد الصباح فتناولت إحداها وتصفححت عناوينها  
البارزة فإذا بوجهها يحترقن وإذا بعبراتها تنهمر وإذا بوالدها وقد فجأه الموقف  
يصرخ متسائلاً:

سلوى . . ماذا جرى لك ماذا بالجرائد قولي . .

وتجيب سلوى وهي تكفكف عبراتها وتضغط على أعصابها:

خبر سار يا أبتاه ..

وهل يبكي الخبر السار .. طمئنيني .. اقرئي بالله ..

وتقرأ سلوى بصوت متهدج:

حدث عظيم في عالم الطب .. الدكتور سامي يكتشف المصل الواقى لنوازل الشتاء .. بعد جهاد عنيف متواصل استحضر الدكتور سامي مصلاً جديداً لمعالجة نوازل البرد المستعصية .. وقد أجرى تجربته بصورة سرية وتحت إشراف وزارة الصحة التي شكلت هيئة من نفس أطبائها للإشراف على التجربة وقد تكلفت تجربة هذا العمل بنجاح باهر .. واليوم يقيم معالي وزير الصحة حفلة شاي كبرى في فندق «السفراء» تكريماً للدكتور سامي .. هنيئاً للوطن بإبنه النابغة وهنيئاً للإنسانية بهذا الإكتشاف العظيم ..

وتكف سلوى عن القراءة وقد فرغت منها فيلثفت والدها إليها قائلاً وتبكين لهذا الخبر .. يجب أن نفرح جميعاً ونفخر بسامي ليس كصديق فحسب بل كمواطن حقق نصراً باهراً لأمته وبلاده وأصبح في مصاف العظماء .

وتجيب وهي تداري ولكنها لا تستطيع فتقول:

كنت أبكي من فرحي .. لقد غلب السرور عليّ فبكيت .. ثم تبدأ أعصابها

في الإنفلات فتدرف قائلة وهي تغالب دموعها:

لقد كنت أسخر منه .. وها هو يفوز .. ومن كانت تسخر منه ..

وتريد سلوى أن تستمر في كلامها تلقائياً وبدون وعي فتبصر أمها قادمة فتعود لصوابها وتلجم لسانها وتستمع إلى حديث والدها وهو يشرح لزوجته ما كتبه الصحف عن سامي ووالدة سلوى تجيب وهي تقاوم أمواجاً من الألم والندم تصطرع في قرارة نفسها.

نجح هذا الشاب ودخل اسمه مع الخالدين . .

وتقول سلوى :

ألا يستحسن أن نهاتف سامي ونهنته هو وفؤاد وهند . .

ويرد الباشا قائلاً :

رأي سديد يا بنتي . . هذا أقل ما يمكن أن نفعله تجاه سامي .

ويهااتفون سامي ويهنتونه ويشكرهم بالطبع وتتدخل هند في الحديث وتدعو سلوى وأمها على غداء عائلي فقد حضرت والدة سامي فجأة من قريتها لتشارك في الفرحة بما حققه ابنها وتعتذر والدة سلوى بمرض الباشا فترجو هند منها أن تسمح لها بمكالمة الباشا فتكلمه وتطلب منه الأذن لسلوى ووالدتها فيأذن متمنياً إن لو كانت صحته تساعده لكان في أول المبتدئين .  
ويأخذ سامي السماعه من يد هند ويدردش مع الباشا ويحقنه بعبارات من المسكنات والمنعشات والمقويات فترسم على وجه الباشا لمحات من البهجة والإنشراح وتنتهي المكالمة فتتصل هند بجلال في فيلته وتدعوه فيعتذر بارتباطه بموعد سابق .

وتذهب سلوى ووالدتها لحضور الغداء تاركين الباشا لعناية الممرضة وبعد ذهابهما بنصف ساعة تقريباً يأتي جلال إلى دار عمه وقد بيت في نفسه أمراً وكان جلال وهو في طريقه إلى غرفة عمه يتحسس جيب سترته . . ليطمئن على وجود زجاجة السم به أو هو تحسس المريب على أصدق تعبير .

ويدخل على عمه فيجده ملقى على سريره والممرضة على كرسي أمامه ومجلة في يدها تلو له منها ما يقطع وقته ووقتها . . .

ويسلم جلال على عمه ويجلس على مقعد بجانبه فيسأله والد سلوى لم لم يلبي دعوة هند فيجيبه بما سبق أن اعتذر به إلى هند ويدور الحديث بينهما

في مواضيع متعددة بعضها غث وبعضها سمين وجلال يتلمس خلسة جيبه كلما لاحت له فرصة ويترقب على أحر من الجمر سنوح أية بادرة مناسبة وتتطلع الممرضة إلى ساعتها فيسألها الباشا:

هل حان موعد استعمال الدواء .

فتجيب بنعم فيقول لها:

اجلسيني قليلاً فقد تعبت من النوم على ظهري وأنت يا جلال هات زجاجة الدواء . . .

ويرى جلال أن فرصة العمر قد واثته فينطلق في طرفة عين إلى مكان الدواء وينتهاز انتقال الممرضة بعمد فيضع قطرة من السم في فنجان الدواء ثم بلتفت إلى الممرضة قائلاً وهو يصطنع الحيرة والغباء:

من أي زجاجة أعطيه يا مدموزيل فالأدوية هنا كثيرة .

فتجيبه الممرضة:

انتظر قليلاً من فضلك .

ويعود جلال إلى مقعده وتفرغ الممرضة من شغلها مع الباشا وتقصد نحو مكان الأدوية فتصب الدواء في الفنجان الذي كان فيه السم وتسقيه للباشا فيشرب وجلال يقول له:

فيه الشفاء يا عماء .

ويرد الباشا قائلاً:

أشكرك يا بني . .

ويشتبك جلال في حديث ناعم مع الممرضة وكأنه لم يأت أمراً إذاً لقد سيطر على أعصابه بشكل إن دلاً فإنما يدل على أصالته في الإجمام وعراقته

فيه ويتشعب الحديث بين جلال والممرضة والباشا فاغر فمه مرهف أذنيه وأخيراً تطلع جلال إلى ساعته وقال وهو يحملق في فريسته .

لقد أنستني الممرضة بحديثها اللطيف موعد الغداء في كازينو شاطيء الأحلام استأذنك يا عماء .

ويجب الباشا :

مع السلامة يا بني . . حذار من الطريق فهو ضيق ومزدحم بالسيارات .

شكراً لك يا عماء . . أرجو لك الصحة والعافية . . .

قالها جلال من قلب لا يعرف الشفقة ولا الرحمة ثم قبل يد عمه وانصرف . . . وأحس الباشا برغبة في النوم فنام واستلقت الممرضة على مقعدها تسامر مجلة في يدها .

وعادت سلوى ووالدتها وهي في منتهى الحبور والسرور فقد تأكدت أن سامي لم يتغير ولن يتغير وأن حبه لها حب لا يفنى ولا يموت . . .

ونهدت الممرضة للقائهما مشيرة إليهما ألا يحدثا أية ضجة فالباشا يغط في سبات عميق . وذهبت معهما إلى الغرفة المجاورة فسألتهما والدة سلوى عن زارهم فأخبرتها بزيارة جلال وسردت لها ما قال بالحرف الواحد وانصرفت الأم وابنتها كل إلى مخدعه وعادت الممرضة إلى مكانها . . .

وبدأ مفعول السم في شكل زفير وشهيق فأسرعت الممرضة إلى مخدع سلوى ووالدتها .

وتهرع سلوى وأما وخلفهما الممرضة إلى غرفة الباشا فيجدونه في حالة سيئة فتصرخ سلوى وهي في حالة هلع وخوف :

بابا . . بابا . . تكلم . . وتضرب الأم كفاً على كف وتلطم خديها - كعادتها - وتسرع الممرضة بطلب الدكتور منصور فتجيب أنه مدعو إلى الحفلة

التكريمية لسامي في فندق السفراء وتهبط شجاعة غير منتظرة على سلوى فتثبت قلبها وتأخذ السماعة من الممرضة وتهاتف فندق السفراء طالبة الدكتور فؤاد فيقال لها أنه يخطب في الحفل ولا سبيل إلى الوصول إليه فترتدي ملابسها على عجل وتقول للمرضة اطلبي بوليس النجدة.. وأنا ذاهبة إلى الفندق لأحضر الدكتورين فؤاد ومنصور ومعهما سامي إذا أمكن وتقود سلوى سيارتها في سرعة جنونية إلى الفندق وتطلب الممرضة بوليس النجدة وتجد سلوى صعوبة كبيرة في الاتصال بفؤاد ومنصور وأخيراً تتمكن.. ويسر فؤاد إلى سامي - قبل ذهابه - بالخبر فيضطرب ويرجوه أن يسرع للإسعاف وإنه أي سامي سيلحق بهما حال انتهاء الحفل.

ويصل الدكتوران فؤاد ومنصور دار الباشا في الوقت الذي تصل فيه سيارة بوليس النجدة فيجدان والد سلوى في حالة احتضار فعيناه جاحظتان ونبضات قلبه آخذة في الهبوط وهو يخطو إلى الموت بسرعة ويسرعان في الإسعاف موجهين في الوقت نفسه أسئلة للممرضة مما أكل الباشا وشرب. فتجيبهما الممرضة أنه أكل وجبته العادية وتناول أدويته المقررة.

وتزداد حالة المريض سوءاً فيقرر الطبيبان ومعهما طبيب بوليس النجدة نقله إلى المستشفى وفي الوقت الذي يحاولون فيه نقله يدخل الدكتور سامي فيسلم على الحاضرين ويطلب من زملائه الدكاترة السماح له بفحص الباشا فيسمحون له فيفحصه وبعد ذلك يصارحهم بمريئاته ويطلب منهم أن يحقنه من دواء كان في حقيبه فيوافقون وبعد الحقنة بخمس دقائق.. يلاحظون أن حدة الشخير والشهيق بدأت تخف تدريجياً ونبضات قلب الباشا شرعت تنتظم تباعاً ثم يدعو سامي زملاؤه الأطباء للمشاورة ويبين لهم أنه يعتقد أن الحالة حالة تسمم وإنها تستدعي غسيل المعدة في الحال فيوافقون على تشخيصه ويدخل الباشا إلى أقرب مشفى.

وفي المشفى تبدأ عملية الغسيل ويسر سامي إلى الدكتور منصور بأن يجمع كل ما يخرج من بطن الباشا في وعاء نظيف لتحليله في سرية تامة فيشكره الدكتور منصور على رأيه هذا ويجد فيه تخلصاً من المسؤولية وحفاظاً على سمعته ويصدع بما أمره الدكتور سامي وبعد الغسيل يرتاح الباشا وتأخذه سنة من النوم وينتهز الدكتور منصور الفرصة فيأخذ ما تجمع من غسيل المعدة إلى مختبر الحكومة ويقف بنفسه بجانب الطبيب . . .

المسؤول عن التحليل وتظهر النتيجة بالإيجاب ويعرف نوع السم فيهرع الدكتور منصور إلى سامي يبلغه النتيجة فيطلب إليه أن ينقلها بدوره . . . للنيابة في شكل خطاب رسمي .

وتضع النيابة يدها على التحقيق ويذهب وكيلها ومعه ضابط البوليس إلى دار الباشا ويستجوبون الممرضة ويقبض عليها وتودع رهن التحقيق ثم يسألون خدم الدار واحداً بعد واحد ويعرفون من أحدهم أن جلال جاء في سيارة ومعه شخص لم يره من قبل ولما سئل أن يصفه . . . وصفه . ودون وكيل النيابة كل ذلك، وأمر بإخلاء سبيل الخدم بعد أن أخذ عليهم موثقاً بكتمان كل شيء حتى عن «سلوى» وأمها . . .

وتقضي «سلوى» ووالدتها والدكتوران سامي وفؤاد وهند طبعاً تلك الليلة في صالون الغرفة المجاورة لغرفة المريض يتناوبون السهر عليه، وتسأل «هند» عن «جلال» فتجيبها والدة سلوى:

- لعله سافر إلى جهة ما أو سهران عند أحد أصدقائه . فقد سمعته يتحدث عن سفره إلى جهة لا أدري أين هي؟ . . .

وتقول «هند» متمسكة في سؤالها:

- ولا تدري «سلوى» أيضاً . . .



وتجيب «سلوى»:

- لقد أنساني مرض والدي كل شيء في هذه الحياة...  
وفي الهزيع الأخير من الليل صحا والد «سلوى» فوجد الدكتور «سامي»  
بجواره، فتطلع يمينه ويسرة وسأل بصوت خافت:

- أين أنا... في مستشفى؟

ويقترب منه الدكتور سامي قائلاً:

- أنت بخير يا باشا أنت في المستشفى... أرجو الإخلاء للسكينة...

ويمثل الباشا لأمر الدكتور سامي ويخلد للراحة، وتعاوده سنة من النوم،  
ويذهب «سامي» إلى الجالسين في الصالون، ليطمئنهم فتشيع في وجوههم  
الفرحة، ويحمدون الله على ذلك - ويتسابقون في شكر سامي وفؤاد.

وفي صباح اليوم التالي، تبدأ صحة الباشا في التحسن، وفي المساء  
يبشرهم الدكتور «سامي» أن الخطر زال - لله الحمد - ويستأذن سامي وفؤاد  
وهند في الذهاب من الدكتور منصور الذي حضر ليقى بجانب المريض.

وينام الباشا ليلة مريحة... وتنام سلوى وأمها على سريرين وضعا خصيصاً  
لهما في الغرفة المجاورة لغرفة المريض، وتنهض والدة سلوى في الصباح  
الباكر، وتذهب لتجلس بالقرب من سرير زوجها.

أما «سلوى» فما زالت في سريرها، ولم تصح إلا على صوت خادمة  
المستشفى تقدم لها القهوة وجرائد الصباح... فتصفح إحداها وتصرخ:

- يا للفظاعة! جلال زوجي... يدس السم لوالدي بمعاونة اليهودي «جايم»

يا له من مجرم غادر...

وتسمع أمها صراخ ابنتها فتهرع إليها لتعرف جلية الأمر... فتروي لها  
«سلوى» قصة «جلال»... ولأول مرة ينزل الله السكينة على قلب والدة

«سلوى» فتقرأ - من دون لطم وصخب الخبر - وما إن انتهت منه حتى التفت إلى ابنتها قائلة:

- علينا يا بنيتي أن نحمد الله الذي أوقع جلالاً في شر أعماله، وأن نبتهل إليه سبحانه وتعالى أن يمن على الباشا بالصحة والعافية..

ويهدأ اضطراب «سلوى» فتجيب:

- صحيح يا أماه... الحمد لله على ذلك...

ويقطع عليهما حبل الحديث دخول الممرضة «لولى» التي قبض عليها فتسألها «سلوى» بلهفة:

- أين كنت يا «لولى» لقد سألنا عنك فقيل لنا أنك ذهبت لزيارة أخيك المريض. لعله بخير...

وتتردد «لولى» في الإجابة فتبادرها والدة سلوى بالقول:

- قولتي... فقد قرأنا كل شيء عن «جلال»...

وتجيب «لولى».

- حققت معي النيابة. واحتجرتني، ثم احتجرت جلال... وحوالي منتصف الليل قبضوا على المرابي اليهودي «جايم» وقد علمت أنهم فتشوا داره فعثروا على السم الذي كان «جلال» أخذه منه، ثم شدد البوليس الضغط على اليهودي فاعترف بأنه أعطى السم لجلال بقصد استعماله في مكافحة الفئران... وبعد اعترافه ومواجهته بجلال اتضح الحقيقة فأخلى سبيلي، وسبق «جلال» واليهودي إلى السجن... وتضرب «سلوى» بكفها على فخدها وتقول:

- يا للجرم الفظيع...

وترد الممرضة:

- من حفر حفرة لأخيه وقع فيها...

وتنهض أم سلوى وهي تقول:

- هيا بنا عند الباشا...

ويدخلون فيسلمون على الباشا فيجدون صحته في تحسن مستمر، وقد سمح له الدكاترة المعالجون بالكلام ويجلسون فيوجه الباشا سؤاله إلى والدة «سلوى» قائلاً:

قولي «يا زينب»... هل تدهورت صحتي حتى اضطررتم إلى نقلي للمستشفى؟..

- نعم... ولكن الله سلمك وأنقذك على أيدي الدكاترة: سامي وفؤاد ومنصور.

حمداً وشكراً لله ثم للدكاترة سامي ورفاقه... صدقيني... لقد أحسست بعد تناول الدواء أول أمس أن نوماً جارفاً يجتاحني فنمت ثم أفقت على آلام فظيعة، وأظن هذا هو الذي دعاكم إلى الاجتماع في غرفتي أمس... وترد «سلوى»:

الحمد لله على السلامة يا أبتاه...

ويسأل الباشا «سلوى» عن «جلال» فتختلق العبارات الآتية:

أخبرني «جلال» أن لديه أعمالاً تجارية مهمة، وقد ذهب لإنجازها بعد أن اطمأن على صحتك، وسيعود بعد ثلاثة أيام...

ويقاطعها الباشا ضاحكاً:

أعمال تجارية... متى أصبح جلال تاجراً مجتهداً... ها... ها...

وترد سلوى:

إنه قام بمغامرة تجارية لو نجح فيها لأصبح في عداد الأثرياء...

وتقاطعها والدتها، وهي تخشى اندفاع ابنتها في حديث قد يصيب أباهها  
بنكسة إذا هي استمرت فيه، فتقول:

كفأك كلاماً فارغاً... إن والدك بحاجة للراحة والإقلال من الكلام يفيد  
وأنت أراك اليوم مفتوحة النفس للحديث بدون فرامل...  
وتجيب «سلوى».

عفوك يا أمه، فإن فرحتي بسلامة والدي هي التي أطلقت لساني من  
عقاله..

ويدخل الدكتور سامي وفؤاد وهند، فيسلمون على الجميع، ويجلسون  
وبعد كلمات المجاملة المناسبة يطلب سامي من «سلوى» ووالدتها وهند أن  
يذهبن إلى الغرفة المجاورة.

ويذهبن ويبدأ الدكتوران سامي وفؤاد في فحص الباشا وبعد أداء هذه  
المهمة يطمئنانه ويستأذناه في الإنصراف تاركين لديه الممرضة ويعرجان في  
طريقهما على الجالسات في الغرفة الملاصقة فتسألهما سلوى عن صحة أبيها  
فيجيبها سامي الحمد لله نبضات قلب الباشا كنبضات قلوب الشباب قوية  
ومنتظمة وصحته على العموم في تقدم ملحوظ.

ويلتفت فؤاد إلى هند قائلاً:

هيا بنا يا هند فالدكتور سامي على موعد مع نقيب الأطباء...

وتصر سلوى وأمها على أن يبقوا معهما قليلاً فيمتثلون وتفاجئهم سلوى  
بقولها والخجل يعتمرها:

لا بد أنكم قرأتم خبر الفضيحة في جرائد الصباح.

وتجيب هند:

نعم قرأناها ويا لهول ما قرأنا.. من كان يظن أن جلالاً يرتكب هذه

الجريمة ويردف فؤاد قائلاً:

يقيني إن ثراء جلال كان مزيفاً وإن إقدامه على تسمم الباشا كان يقصد  
الاستيلاء على ثروته . . .

وبتلهى سامي بتدخين سيجارته عن الاشتراك في الحديث فتلفت إليه  
سلوى . .

قائلة:

وأنت لم لا تتكلم . .

ويجيب سامي:

إعفني يا هانم من الخوض في موضوع جلال فالقول ببرائته أو إدانته في  
يد القضاء .

ويرد فؤاد على عادته من المزاح فيقول مخاطباً سامي:

طبعاً يا سيدي . . . لو تكلمت لقال الناس أنك موتور من جلال .

ويمتعض سامي من دعاياته المستهجنة فيقول:

لا داعي للمزاح يا فؤاد فأنا - كما تعرف - ارفع من أن أنظر إلى موضوع  
سلوى وجلال بنظرة الموتور كل شيء في الحياة قسمة ونصيب لقد برهنت  
الأيام أنني ما زلت أعامل سلوى وجلال معاملة الصديق للصديق .

وتقاطعها سلوى قائلة:

أنت أنبل من عرفت .

وتمسح دمعيتين ترفرتا في عينيها فيتطلع سامي إلى فؤاد معاتباً:

أسرك منظر سلوى يا فؤاد . .

وتنفجر سلوى في بكائها وتقول والعبارات تخنق كلامها:

إنني أبكي حظي العاثر.. أبكي خيبتني وفشلي.. لقد نحرت نفسي  
بيدي...

لقد جللت رأسي بالعار... كيف القى الناس بعد اليوم.. وبأي وجه لا  
حياه لي بعد اليوم في هذا المجتمع..

ثم يغمى عليها فيسرع سامي وفؤاد لإسعافها فتصحو وهي تقول موجهة  
كلامها إلى سامي:

أنا ما زلت على قيد الحياة.. ليتني مت يا سامي.. أتبقي علي لأعيش  
بين الآمي وأحزاني.

ويكاد ينفطر قلب سامي حزناً وهو يرى سلوى بهذه الحال ولكنه يضغط  
على أعصابه الفولاذية فيقول مهدداً آلامها.

لقد أراد الله بك خيراً إذ كتب لوالدك السلامة وانجاه من خطر محقق..  
فلتحمدي الله سبحانه وتعالى على عنايته بأبيك..

هيا بنا إلى الحديقة نستنشق الهواء الطلق فإنك بحاجة إليه أكثر منا  
ويهبطون إلى الحديقة وسلوى متكئة على ذراع سامي وهند متأبطة ذراع فؤاد  
أما الأم فاستأذنت منهم وذهبت لتبقى بجوار زوجها وفي الحديقة تقول سلوى  
لسامي وقد انتحيا جانباً ومهدت هند - ببراعتها - لهذه الخلوة إذ أخذت تعدو  
في الجنينه وفؤاد خلفها اتبع لها من ظلها:

- أزال الخطر تماماً عن والدي يا سامي...

- لقد زال - لله الحمد - وإنه يتمائل للشفاء ولكنه يحتاج إلى بعض الوقت  
بالنظر لشيخوخته.

لا أدري بأي لسان أعبر لك عن شكري على ما تقوم به نحونا لقد بلغت  
في انسانيك مرتبة لا يضارعك فيها أحد.

العفو يا هانم .. انما أقوم به واجب ولا يشكر المرء على واجب أداءه  
وتقاطعه سلوى :

واجب .. أي واجب يا سامي .. لو عملت ما عملت مع أي انسان غيرك  
لنبنذي نبد النواة ولكنك أنت أنت مثالي في كل أعمالك .

- لقد أوليتني يا هانم شرف صداقتك .. والصديق يظهر وقت الضيق .

- أرجو يا سامي لا تخاطبني بكلمة هانم بل قل سلوى وكفى .

- سأناديك يا سلوى .. ما أعظم هذا الاسم وأوقعه في نفسي .

وتجيب سلوى بمرارة مشوية بندم مكبوت :

كان اسماً عظيماً يوم كان محط أمالك .. أما اليوم فقد تسربل بالخزي  
والعار ويقاطعها سامي وقد أفلت زمام أعصابه منه لأول مرة :

- إن سلوى الأمس ... سلوى اليوم ... وستظل في مكانها الأسمى من  
قلبي حتى ألقى الله وأنا أردد اسمك والهج بحبك فالحب الخالد لا يفنى ولا  
يموت ...

وتلتقي عيناهما في نداء صارخ كأنه ثورة بركان خامد .

وكاد سامي يستجيب لذلك الإغراء الذي لا يقاوم لولا أنه ارتد في طرفه  
عين إلى ضميره إلى مثاليته إلى إنسانيته إلى حبه الطاهر الذي .. لا يريد أن  
تدنسه قبلة عابرة القى بها الشيطان في سبيله وأتاه الخلاص في صوت هند  
وهي تنادي :

سامي .. سامي ..

ويرن صوت هند في أذن سامي في حلاوة جرس دونها مزامير داود إيقاعاً  
وأثراً فإذا به يجيب بصوت عال :

حاضر . حاضر . . تعالوا . . .

وتصل هند وفؤاد إلى مكان سامي وسلوى ويستأذنون منها فتقول لهم:  
نراكم غداً إن شاء الله .

ويجيئون بنعم وتشيعهم وعيناها لا تودان تفارقهم .

وتتحسن صحة الباشا ويخرج من المستشفى ويسمح له سامي بالجلوس في  
حديقة قصره ويعرف قصة جلال فلا يترك في قاموس الشتائم كلمة إلا  
استعملها وفي صباح أحد الأيام وبينما كان الباشا يجلس في الحديقة ومعه  
زوجه وابنته سلوى أتاهما الخادم بالقهوة وجرائد الصباح فأخذتها سلوى . .  
وتصفح إحداهما وظهر الاهتمام جلياً على وجهها وهي تتصفح فسألها  
والدها أن تقرأ لهم ما استرعى انتباهها واهتمامها فقالت:

سأقرأ عليكم نتيجة الحكم على جلال:

ويقول الباشا:

اقرئي لعنة الله عليه .

وتكيل والدة سلوى نفس الكيل من الشتائم ثم تسكت على صوت ابنتها  
وهي . . تقرأ:

حكمت محكمة الجنايات على المدعو جلال القبرصلي بالسجن سبع  
سنوات مع الأشغال الشاقة .

ويجيب الباشا:

حكم عادل .

وتقول زوجته:

كنت أنتظر حكم الإعدام ولكن «الشقي عمره بقى» .



ويرد الباشا:

السجن سبع سنوات مع الأشغال الشاقة معناه الموت المحتم.

وتجيب سلوى:

طالما هو حي فجرمه لا يزال حياً. . وخزيي وعاري باقيان أيضاً.

ويقاطعها والدها:

أي خزي وعار. . أرجو ألا اسمع منك بعد اليوم هذه العبارة لقد اراحنا الله منه وكفى.

وترد سلوى:

ولكني ما زلت زوجته واسمي مرتبط باسمه.

- لكل عقدة حل يا بنيتي. . .

ثم يغير مجرى الحديث فيقول مخاطباً سلوى:

ألم يهاتفك سامي اليوم. . وهل هو آت. .

نعم هاتفتني وقال أنه مشغول بالمرضى الذين غصت بهم سرر المستشفى وردهاته وأروقتة وإنه حزين لا اضطراره إلى عدم استقبال مرضى كثيرين.

وتردد الأم عباراتها الأولى:

نجح هذا الشاب ودخل اسمه في مصاف العظماء. . .

وتمسح سلوى دموعه ترقرت في محاجرهما فيقول والدها محتدأ. . .

ومشفقاً في نفس الوقت:

ما لك يا بنيتي كلما ذكرت سامي وأمجاد سامي تبكين.

أبكي لأنني أضعت سامي من يدي واستبدلته بمجرم أثيم.

وتهدأ حدة الباشا. وتغلب الشفقة عليه فيصحو ضميره هو الآخر من  
سباته.. . فينطلق لسانه قائلاً:

كلنا شركاء في الجريمة يا بنيتي.. . هوني عليك.. . إن عطف سامي.. .  
وحدبه على إن دلّ فإنما يدل على أنه ما يزال يطمع فيك.. .  
وتقاطعه سلوى متمثلة:

وتجتنب الأسود ورود ماء إذا ولغت كلاب الحي فيه  
ويجيئها الباشا:

هذه نظرية الحب الجنسي التي كنت تستهجنينها.. . إن حب سامي لك حباً  
أسما على المادة وترفع عن الصغائر.. .  
وترد سلوى:

إن معاملة سامي لنا يا أبتاه سهام تسدد إلى قلبي إنه يجزي الإساءة.. .  
بالإحسان والنكران بالعرفان.

وتحز كلماتها في نفسه حتى لكأنها سهام تصيبه في نحره فيمور أسفاً  
وحزناً ويكظم ما يتعاوره ويكبت صراخ وخز ضميره وأنيته.

وفي هذه الغمرة من مد الآلام وجزرها وارتطامها وارتدادها وفيضها  
وحسرها تهبط عليه فكرة يراها سهلة صعبة قريبة بعيدة وقد تتراءى له سراباً  
أو حلم صيف ولكنه الأب الذي صقلته التجارب وعركته السنون.. . يصمم  
على أن يقتحم ميدانها ويتسابق في مضمارها وينزل حلبتها لعله يكفر عن  
سيئات اقترفها في حق ابنته: ضحية أنانيته وغروره وعنجهيته وكبريائه وتقاليده  
وعاداته إنه يرى فلذة كبده تذوب أمامه كالشمعة الموقدة في محراب الألم  
والحرمان فليلحق الشمعة قبل أن ينطفئ آخر الضياء فيها.. . قبل أن يلفظ  
نورها آخر خفقة.. . ولما انتهى إلى ما انتهى التفت إلى ابنته قائلاً:

سلوى . . لقد قصرنا مع والدة سامي قصوراً لا تشفع فيه شفاعة أحد كان يجب أن تقيم لها حفلة عشاء احتفاء بها كان يجب أيضاً أن نحتفي بنجاح سامي ونكرمه لما قدم لبلدنا من خدمة عظيمة وتقديراً - في نفس الوقت لما أسداه إلى في مرضي الأخير . . إن سامي يا سلوى يستحق أن توهب له المهج الأرواح إنه جوهرة لا تقدر بثمن . .

وتهتف سلوى ضاحكة من أعماقها لأول مرة بعد ليل المآسي الطويل فتقول :

الله . . الله . . على هذا الغزل الرقيق . . أنت عدول خطير يا بابا قومي يا زينب وهاتفي والدة سامي وادعيها هي وهنداً وسامي وفؤاداً على العشاء مساء غد . .

وتدعوهم والدة سلوى فيقبلون . . وينتظم شمل المدعوين حول مائدة . . تفننت سلوى في تنسيقها وتزيينها بالإضافة إلى ما حفلت به من ألوان الطعام وبعد الأكل ينتشرون على الأرائك يتجادبون أطراف الحديث . . وتفاجئهم . . هند بقولها أن الحكومة قد قررت - بناء على الدعوات التي تلقتها من عدة جامعات طبية في أوروبا وأمريكا - إيفاد الدكتور سامي في زيارة لهذه الجامعات تستغرق ثلاثة شهور وذلك لإلقاء محاضرات فيها . عن اختراعه الجديد . . .

ويصدم الخبر سلوى ويزعج والديها ولاسيما الأب فقد كان يفكر في مشروع يصلح به غلظته ويزيح به تبكيت ضميره وتأنيبه الموصول . . على أن الثالوث تمالك أعصابه وترك الباشا للزمن تدبر ذلك وهكذا تجلد فكان أول المهنيين لسامي على هذه الأختيار وأعقبته زوجته بعبارات في هذا المعنى .

وأردفت سلوى قائلة :

أرجو أن يحفظك الله يا سامي في حلك وترحالك وأن يعيدك إلينا سالمًا  
موفقًا متوجًا بأكاليل المجد والفخار .

ويشكرها سامي على تمنياتها الطيبة وتدعو لها والدته بما أسعفته ذاكرتها  
لها آنئذ من دعاء وابتهالات . . وتسأل سلوى سامي عن موعد سفره . .  
فيجيئها :

في مطلع الأسبوع القادم إن شاء الله . .

ويقاطعه الباشا :

لقد تعجلت سفرك يا دكتور سامي . . ولم تترك لنا فرصة أداء بعض ما لك  
في عنقي من دين . .

ويجيب سامي :

استغفر الله يا باشا . . إنني لم أقم إلا ببعض ما يقوم به ولد نحو والده . .

وتقول والدة سلوى :

لقد عملت أكثر مما يفعل ولد بار لأبيه . .

ويتفصد جبين سامي خجلًا ويقول :

أخجلتموني يا ناس . .

وتنقذ هند أخاها من هذا المأزق فتفتح الحاضرين بأحدث نكتة قرأتها  
ويردف ظلها الدكتور فؤاد بآخر فكاهة سمعها وتنتهز سلوى فرصة انشغال هند  
وفؤاد مع والديها في الحديث فتتطلع إلى سامي بعينين فيهما ألف معنى  
ومعنى لا يدركه سواه ويتطلع هو إليها بعينين فيهما أكثر مما تفكر أو  
تعرف . . إن في عيني سلوى خوفًا مبهمًا من هذه الرحلة . . .

إنها أعادت إلى ذاكرتها أسطورة حب سامي لفتاة أجنبية كانت تزامله أيام دراسته في أوروبا إنها تخشى أن زواجها من جلال والعار الذي جلدتها به جلال قد يسولان لسامي التحلل من بقاءه على حب امرأة في عصمة غيره امرأة باعته رخيصاً في سوق (الكانتو) إن المغريات في الخارج لا حد ولا مقاييس لها وشهرة سامي سبقتة وخلقت حوله هالة من المجد بالإضافة إلى ما يتمتع به جمال وخلق وخلق . .

مر هذا المركب التائه في بحيرات عيني سلوى وهي تحديق في سامي وتقاذفت أمواج الظنون المتلاطمة وعواطف الريب العاتية هذا المركب المنكود تعلو به فينحر طريقه بين اللجج السوداء وتهبط به حتى يكاد يغرق في خضمها . . وأخيراً . . وبعد أن أوشكت أنفاس المركبة تخدم رسا على شاطئ الأمان في بحيرات عيني سامي وهو يتطلع إليها . . فإذا بنفس سلوى تقول لنفسها فليذهب سامي إذن على بركة الله . .

وسافر سامي في رحلته الطويلة ووطنت سلوى نفسها على الصبر واستمراته بقوة خارقة وشجاعة هائلة كانت موضع استغراب والديها يتحدثان عنها كلما خلوا إلى نفسيهما . .

وفي ضحى ذات يوم تذكره سلوى لن تنساه . . تلقت مكالمة تليفونية من مدير السجن ينبئها أن جلال بينما كان يكسر مع زملائه السجناء . . بعض الصخور الكبيرة في الجبل انقلبت إحداها عليه فسحقته ومات في الحال . . وإن عليها أن ترسل من يتسلمه ويتولى دفنه فتجيبه إنها سترسل إليه من يقوم بذلك . . وتنهى المكالمة ثم تسرع إلى والديها تبلغهما الخبر . .

فيقول الباشا:

يا لبشاعة المصير . . مسكين ربنا يرحمه ويهون آخرته ثم يلتفت إلى ابنته

قائلاً:

الدكتور فؤاد فقد تركت له جيشاً من المرضى ولكن البركة فيه . . قام عني  
خير القيام . .

وتقاطعه هند مازحة :

فكرك كان مشغولاً بفؤاد وبمرضاك . . أم بشيء آخر . .

ويضحكون جميعاً . . وتغض سلوى طرفها استحياءاً . .

ويجيب سامي :

دائماً تمزحين يا هند أنت وفؤاد . .

ويدخل الخادم ويده صينية القهوة فيقول له سامي :

ضع القهوة وانصرف . . ويستغرب الجميع من لهجته هذه . .

ويتطلعون في شغف إلى ما يتبعها . . ويقطع سامي استغرابهم بقوله :

سيدي الباشا . . هل تسمح لي بالكلام . .

- تكلم يا بني بملء حريتك فأنت في بيتك . .

ويقول سامي :

يشرفني يا سعادة الباشا أن أتقدم بطلب يد ابنتك العزيزة سلوى وأرجو ألا

تخيب رجائي . .

وتشيع الفرحة في وجه الجميع . . ويلتفت الباشا إلى ابنته وقد تورد خذاها

خجلاً فيقول :

ما رأيك يا سلوى . .

وتسكت سلوى ويزيد وجهها تورداً واحمراراً . . فيردف الباشا قائلاً . .

السكوت إقرار . . مبروك يا بني . . مبروك يا سلوى . .

وبهلل الجميع مباركين ومعانقين . . وينهض سامي فيقبل يد والدة سلوى  
ووالدها فيمسك هذا بيده ويقول لابنته :

- تعالي إلي .

تدنو منه فيمسك يدها بيده الأخرى ويقول والجميع يرددون . .

- الحب الخالد لا يفنى ولا يموت . .

**- انتهى -**

## غرام وجحيم ونعيم

### ميلاد طفل

لا يذكر «سالم» يوم ميلاده بل لا يعرف اسم القابلة (الداية). وإنما قيل له فيما بعد وبدون جزم، إنه ولد في شهر جمادى الأولى عام ١٣٢٨هـ وإنه سمي باسم حاكم بلده تيمناً أو نفاقاً.

وأثار ميلاد صاحبنا موجة فرح طاغية بين أفراد الأسرة، فأعتقت جدته العبيد والجواري، وأقامت الولائم والمآدب، وانهالت الهدايا من الأقرباء والأصدقاء والمنح والعطايا من الأمراء. وتوافد المهنتون والمتزلفون، فوالد صاحبنا كان (شمندر) تجار مكة المكرمة أي رئيس التجار وكبيرهم.

كان والد «سالم» عريقاً في عروبته وأرومته، أمّا والدته فكان أبوها من أصل هندي وأمها من أصل مصري، ومن هذا الخليط كانت عجينة صاحبنا.

ولما بلغ «سالم» الثانية من العمر، رأى مولد شقيقة له ورأى والدته تغالب حمى النفاس التي أصيبت بها إثر الولادة. وظلت تعاني آلامها مدة سنة حتى تغلب المرض عليها، فذهبت إلى بارئها وخلفته وشقيقته يتجرعان كؤوس اليتيم والحرمان.

ومن المتناقضات ألا يذكر «سالم» شكل أمه ولا صورتها، وإنما يذكر بوعي أنه يوم وفاة والدته، حمله خاله إلى سطح جيران لهم وأجلسه مع أخته



على الأرض، وتركهما يلعبان في تراب السطح يخطان على صفحاته مصيرهما المجهول.

ليس يتم فقدان الأب بل فقدان الأم. وهكذا تذوق صاحبنا مرارة اليتيم ولوعة الحرمان في أولى مراحل طفولته.

ويشاء القدر أن يمعن في سخريته وقسوته، فيتزوج والد «سالم» ولما تبلَّ عظام زوجته الأولى في جدتها. ويشهد صاحبنا حفل زفاف أمه الجديدة فيعجب بملابس الزفاف فيطلب من والده أن تبقى العروس مرتدية هذه الملابس.

ويتلهى والد سالم بعروسه الجديدة ومشاغله الرسمية، فيترك صاحبنا وشقيقته لرعاية والدة جدتهما، وكانت عجوزاً عمياء في حدود المائة من العمر، شهدت مصرع ابنتها وحفيدتها وعشرة من الأولاد والبنات، بالإضافة إلى زوجها، فلقد كان لهذه العجوز تسعة عشر ولداً وبناتاً من ذلك الزوج.

ومع كل هذه المشاكل والمصائب، فقد كانت العجوز على حيوية غريبة وكأنها في حدود الخمسين لا المائة من العمر. ولعل ذلك من حسن حظ اليتيمين، وقد حذبت عليهما تساعدها جارية كانت أمها اشتريتها حين تزوجت بوالدهما ودخلت بهما ضمن ما دخلت من جهاز عرس.

وحملت أمه الجديدة (زوج أبيه) فاستدعى ذلك دخول والدتها التي كانت مطلقة أبيها وخلفت منه بنتين وولداً. كبرى البنيتين زوجت لأبي سالم والأخرى ما تزال صغيرة تعيش مع والدها. وهنا بدأ الصراع بين الوافدة الجديدة في جهة، وبين الجدة العمياء والجارية الأمانة من جهة أخرى. ومن جراء هذا الصراع ذاقت الجارية صنوف التعذيب، كالجلد بالسياط والخيزران. وذاق اليتيمان «علقات» أليمة خاصة عندما ولدت زوج أبيه وليدها الأول والأخير. وانشغلت زوجة أبيه ووالدتها بأخيه المولود الجديد وتركوا

العناية بسالم وشقيقته إلى الجدة العجوز والخادمة الرؤوم .

ويعمن القدر في قسوته فتموت العجوز (الجددة) العمياء حزناً وكمداً، فأعصابها لم تكن بها القوة الكافية لتحمل هذا الصراع العنيف . ويحس اليتيمان لأول مرة، بمرارة اليتيم؛ فقد كان سالم في السابعة من العمر وأخته في الخامسة منه . وتحاول الجارية المخلصة (الدادة) أن تمسح بحنانها آلام الطفلين وبكل ما لديها من طاقة وإمكانية . فلم تنس في زحمة عملها كخادمة أن ترعى بعينها الساهرتين هذين اليتيمين في الهزيع الأخير من الليل، فتدخل إلى «ناموسيتهما» تغطيتهما إن وجدتهما مكشوفين أو تصلح وضع رأسيهما إن كانا معوجين .

### طفولة اليتيمين

ومرت ليالٍ وأيام كان اليتيمان يأكلان مع الجواري في صحاف تغوص فيها أصابع الأكلين . أما أخوه لأبيه وأمه وجدته، فكانوا يأكلون أطيب الطعام في صحاف وموائد خاصة . وكانت «الدادة» الحنون تسرق من هذا الطعام الشهوي لتطعم اليتيمين سراً؛ وكم من مرة أكلا هذا الطعام المسروق وهما مختبئان تحت اللحاف في «الناموسية» .

أما والد سالم فكان مشغولاً عن طفليه بعمله الرسمي في النهار وبندمانه وسّمّاره بالليل . وإن ذكر اليتيمين فإنما يذكرهما حينما تشكوهما (مرت الأب) أو أمها إليه . وهنا يأكل الطفلان وجبات ساخنة فيها ألوان من الأظعمة كالكرباج (السوط) والمداس (النعل) والخيزران وعصي العرعر . وكانت الجارية الرؤوم تأكل معهما هذه الوجبات راضية مرضية .

ولا يذكر «سالم» أنه أكل على مائدة والده في هذه الفترة إلا مرات تعد على الأصابع ، وكان وشقيقته يشتهيان بعض الحلويات والمأكولات شأن

غيرهما من الأطفال، فكانا يدخران من القرش أو القرشين اللذين يتحسّن بهما والدهما عليهما بغير انتظام، أو من القروش التي يعطيها لهما أحد أخوالهما ما يكفي لإشباع هذه الشهوة.

وكانت كسوة العيد لهما مرة كل سنتين، والويل لهما إن رأهما سيادة الوالد يلبسانها في غير أيام الأعياد إذ يلهب ظهرهما بالسياط.

وهكذا أصبح الشارع هو المتنفس الوحيد لسالم، فكان يقضي فيه مع أولاد حارته لعبة «اليدس» و«التيس» و«البارجوه» فاللعبتان الأوليان أشبه بكرة الحارة اليوم أما «البارجوه» فعبارة عن كرة حجارة صلبة صغيرة كروية الشكل وفي حجم الجوزة الصغيرة يضع اللاعب كرة منها من بين يديه ويطلقها صوب الهدف الذي وضعه خصمه في حفرة، إذ يضطر إلى وضع ظهر كف يده اليمنى مكان الحجر الهدف أي الحفرة وينبري الخصم فيطلق كرة الحجر نحو الهدف، ألا وهو الكف، وكم تورمت أكف من وراء هذه اللعبة الخطيرة..

وكانت شوارع مكة المكرمة وأزقتها تضاء بفوانيس الكاز، لأن الكهرباء لم تكن قد دخلت الحجاز يومئذ، وكثيراً ما كانت هذه الفوانيس هدفاً لكور اللاعبين أو وسائل تسلية (لسالم) عندما لا يجد أحداً يلعب معه. وكان والده يلهب قدمي «سالم» أو ظهره بسياط الخيزران كلما اشتكى خدام هذه الفوانيس المكسورة إليه. وربما يعود إلى داره والدم يسيل من وجهه أو رأسه إثر خناقة مع أحد اللاعبين أو غيرهم فتسرع «الدادة» الحنون بتضميد جراحه وتغطية معالمها خوفاً عليه من أبيه ولكن زوجة أبيه إذا عرفت بذلك أو أمها، نقلاه إلى والده فألهب ظهره أو قدميه بسياطه فوق ألم جراحه.

## في المدرسة

وفي ساعة من ساعات الحنان الأبوي النادر أحس والد «سالم» بشقاوة ولده فخشي عليه من رفقاء الحارة السوء فأدخله في المدرسة الابتدائية المسماة «الراقية»، لأنها كانت أرقى مدرسة حكومية ابتدائية آنئذ، وكانت تقع في ثكنة من الثكنات التي ابتناها الحكام الأتراك سكناً لجنودهم في أحد الجبال المشرفة على الحرم المكي ثم هجروها إلى ثكنة كبيرة بنوها خارج مكة وفي إحدى حواريتها المسماة جرول.

وانتظم «سالم» في دراسته في المدرسة على أيدي مدرسين سوريين أفاضل هربوا إلى الحجاز من ظلم الانتداب الفرنسي على سوريا بعد هزيمتهم للملك فيصل بن الحسين في معركة «ميسلون» من قبل الجنرال الفرنسي الأعور (غورو). وبرز «سالم» في دراسته وكان محبوباً من مدرسيه لجدته واجتهاده وسرعة بديهته. وبقيت أخته في البيت أسوة ببنات عصرها. وكان «سالم» بارعاً في الخطابة عندما تكون شعراً أو نثراً، وكان يتمنى أن يلبس كما يلبس زملائه في المدرسة، فكان على «الداة» الحنون أن تسرق كسوة العيد وتعطيها إلى أحد الصبيان ملفوفة بشكل لا يسترعي الانتباه ليلبسها وهو في طريقه إلى المدرسة. إنه ليذكر فيما يذكر أنه أكل علقة حامية في سبيل هذه الكسوة، فقد كانت لدى والده (مداس) نعل أشبه بمداس أبي القاسم الطنبوري المشهورة. وقد تورمت رأس «سالم» من فداحة ضربه بها إذ شاهده مرتدياً حلة العيد في غير أيامها، حتى إنه لم يستطع حضور صلاة (المشهد) عيد الفطر في تلك السنة.

وظل «سالم» يتحين الفرص لسرقة تلك «المداس» النعل حتى أفلح نهائياً في سرقتها ورميها أمام إحدى عتبات المسجد الحرام. وقد أدرك والده أنه هو السارق، فحاول بالوعد والوعيد والضرب الشديد أن يحمله على الاعتراف.

وكاد «سالم» من قسوة الضرب ورهبة الوعيد أن يعترف، ولكنه كان كلما تحسس رأسه ازداد إمعاناً وإصراراً على الإنكار.

وفجع «سالم» في أخته، فقد أصيبت بمرض عضال كانت تذوب بسببه تباعاً كما تذوب الشمعة، ولعل المسكينة التقطت هذا المرض من بين أصابع الخدم التي كانت تغوص مع أصابعها في صحاف «الملوخية» و «البامية» والمختوم و «الديبازة». وقد أعيب مرضها نطس أطباء بلده في ذلك الوقت، وأخيراً أسلمت روحها إلى بارئها، فبكاها «سالم» حتى أشفق الناس عليه من الموت حزناً على شقيقته.

وأيقظت وفاة البنت ضمير الأب الهمام، فبدأ يولي «سالم» عطفه واهتمامه ويسأل عنه من رآه في ذلك اليوم وصار يأخذه أيام العطل المدرسية معه إلى مجالسه ونزهاته. ومن الإنصاف أن نقول، إن تلك المجالس كانت مجالس بريئة لا كاس ولا طاس ولا مغنى ولا طرب، وإنما كانت للعبة «الدومينو» والأسكامبيل والنوادر والقصص الدور البارز في تلك المجالس والأسمار إذا صح التعبير.

وأثار عطف الوالد على ولده غيرة «مرت الأب» وبدأ صراع بعضه خفي وبعضه ظاهر تجلى حين غضبت زوج أبيه وذهبت إلى دار والدها، وقد تأثر والد «سالم» من عملها هذا وكاد يطلقها لولا كانت معزة لأبيها ودالة خاصة في قلبه فأحجم على مضض ولم يسأل عنها وانقطع عن زيارة والدها بالرغم من أنهما كانا فيما مضى يلتقيان يومياً.

ولئن انقطع والد «سالم» عن زيارة صديقه والد زوجته، ولئن كان العطف الجديد على «سالم» هو سبب كل ما حدث، فإنه لم ينقطع عن زيارة زوج أبيه، فكان بعد خروجه من المدرسة عصراً يذهب لزيارتها خلسة ويظهر لها من العطف ما جعلها تغير سياستها نحوه بعد عودتها إلى بيت الزوجية. ولم

تدر زوج أبيه أن زيارة «سالم» لها كان ستاراً يرى من وراء سجفه شقيقتها «سلمى»، فقد وقع في حبها ووقع في الأخرى في حبه. حب المراهقة كما يقولون...

وكانت زيارات «سالم» هذه ضربة معلم، فقد استفاد منها فيما بعد وأصبحت له الكلمة الأولى والدالة الكبرى عند زوج أبيه، خاصة أن أخاه منها كان عاقاً سيء المعاملة لأمه.

وزادت محبة «سالم» في قلب زوج أبيه بعد وفاة أمها في حادث أليم، فقد تعثرت وهي نازلة على السلالم (الدرجات) ف وقعت وظلت تتدحرج حتى إذا ما وصلت آخرها تكسرت سلسلتها الفقرية فشلت في الحال وهرع الخدم وابنتها على صوت السقوط فحملوها وجيء بالدكتور فقام بالإسعافات الضرورية ثم اختلى بوالد «سالم» وأسر إليه بأن حالة المريضة ميؤوس منها، وهكذا كان فقد لبت نداء ربها بعد ساعات من الحادث.

وحزنت زوج أبي «سالم» على أمها كثيراً وتقاطر المعزون والمعزيات وحضرت «سلمى» طوال مدة أيام العزاء الثلاثة. وقد تقبل «سالم» العزاء مع أهل المتوفاة بعد الدفن وجلس معهم أيضاً أيام العزاء.

كانت «سلمى» بيضاء البشرة كستنائية الشعر، ضيقة الجبهة، لها فم دقيق يضم شفتين مكتنزتين يغريان على التقبيل. وكان أجمل ما فيها عيناها النجلاوان، وكانت ريانة العود والقدمين، ومع أنها في سن النمو، والحكم في هذا السن صعب إلا أننا نستطيع أن نقول إنها ستكون فارهة الطول. حتى من يراها يعطيها من العمر أكثر مما هي عليه في الحقيقة.

ومضت أيام العزاء وكانت «لسالم» أفراحاً لا أتراحاً، وعادت «سلمى» إلى دار والدها بعد أن أهدته منديلاً من مناديل زمان المكتوب عليها بعض الأشعار. ولا تسل عن فرح «سالم» بهذه الهدية الغالية، فهي عنده تساوي

الدنيا وما فيها. وأراد هو أن يهديها تذكراً رمزاً لحبه وإخلاصه، ولكنها رفضت لأنها تعيش بين زوجات أبيها الثلاث وتخاف أن تسأل من أين لها؟؟ أما هو كرجل فالرقابة عليه أقل. وقد قبل «سالم» هذا المنطق على مضض.

## في المنزل الجديد

وانتقل والد «سالم» إلى دار اشتراها في حارة «سوق الليل» قرية من المسجد الحرام، فأدخل ولده في مدرسة «الفلاح» التي افتتحها «بيت زينل» «بالقشاشية» في مكة المكرمة بعد أن فتح قبلها مثلها في «جدة».

و «بيت زينل» وكبيرهم الحاج علي زينل يرحمه الله، من كبار تجار اللؤلؤ في مدينة «بومبي» «بومباي» بالهند قبل تقسيمها، وقد نزحوا إلى الحجاز وسكنوا في «جدة» ولهم في كلا البلدين «بومباي» و«جدة» بيوت تجارية واسعة، وقد اشتهروا بكرمهم فكافأهم أهل الحجاز بانتخاب كبيرهم الحاج علي زينل حاكماً لجدة ومنحه الجنسية العثمانية، ولا يزال هذا البيت مشعلاً ينير هذا البلد وسكانه. وقد جلب الحاج زينل علي رضا مدرّسي المدارس مصريين ومغربيين وتونسيين بالإضافة إلى مدرسين وطنيين. وعين الشيخ عبد الله حمدوه السناري مديراً لمدرسة الفلاح بمكة المكرمة وهو سوداني الأصل، وقد تخرج في هذه المدرسة أكثر زعماء البلاد الحجازية. وقد برز «سالم» بين طلابها بجرأته الخطابية، حتى إنهم كانوا يوفدونه إلى قصر الحكم في برحة «غزة» بمكة المكرمة ليلقي نيابة عن المدرسة أمام شريف مكة الملك الحسين بن علي التهاني في مناسبات الأعياد أو إحدى المناسبات الدينية التاريخية. وفي إحدى هذه المناسبات الخطابية أمام الحسين بن علي ملك المملكة الهاشمية، كان الخطاب فيه تلميح لطلب إصلاحات من الملك، فلم يعجبه الخطاب وطرد الطلبة واستاء من الخطيب «سالم» وكاد يأمر بسجنه لولا أنه ابن رئيس حكومته؛ ولكي يظهر غضبه من الخطيب أمر

بأن يؤتى بأخيه ومنحه وسام قلادة الحسين وأركبه على فرس مزودة بالحراس وطاف وهو عليها شوارع مكة المكرمة فيا للغرابة؟!

وكانت هناك مدرسة أهلية أخرى في مكة المكرمة فقط تسمى المدرسة الصولتية أسسها مهاجرون من سراة الهنود ولا تزال هذه المدرسة قائمة حتى اليوم، وقد درس فيها والد «سالم» وألم بمعرفة قليلة من لغة «الأردو» اللغة الهندية.

وسارت الأيام رتيبة في عيني «سالم» لا يكدرها سوى (الخناقات) التي كانت تقوم بين والده وزوجه، وكان أخشى ما يخشى ويقصّ مضجعه حين يسمع تهديد والده بأنه سيطلقها وسيزوج من أسمى عائلات مكة المكرمة زوجة أخرى. إنه يخشى أن تطلق أخت حبيبته فيحرم رؤية الحبيب. إنه يخاف من الزوجة الجديدة أن يعود شبح الماضي الرهيب وما قاساه من ظلم «مرت الأب» إنه الآن في بحبوحة من عطف زوج أبيه بعد أن وقف معها في محنتها الأخيرة. وماذا عساه أن يفعل إذا ما وضع والده تهديده موضع التنفيذ؟ إنه لا حول له ولا طول تجاه إرادة أبيه الدكتاتور. وأسلم «سالم» نفسه لقضاء الله وقدره، وصرف كل تفكيره وهمه لدروسه فجد واجتهد واجتاز امتحان الكفاءة ودخل القسم الثانوي. وقد قابل والده هذا النجاح بأن زاد له راتبه وكسوته وسمح له بارتداء ملابس العيد في غير أوانها، ذلك لأنه أصبح يشتري له كسوة في كل عيد.

وجاء الصيف ولهيبه فذهب «سالم» مع والده وزوج أبيه إلى المصيف. وذهبت أيضاً عائلة حبيبته «سلمى» إلى المصيف نفسه. وفي المصايف كثيراً ما تخف الحواجز فيشعر المصطافون وكأنهم عائلة واحدة. وهكذا قضى «سالم» صيفاً ممتعاً وجميلاً مع من يهوى ظفر فيه بقبلة من «سلمى» في غفلة من الرقباء.



وآب المصطافون كل إلى بيته وبلده، وانتظم «سالم» في دراسته بكل جد ونشاط وكل أمله أن ينتهي من تحصيله ليتزوج «سلمى» كما تعاهدا على ذلك في الصيف المنصرم، ولكن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن، إذ تقدم لخطبة «سلمى» رجل في الخمسين من عمره له أولاد متزوجون وقد ماتت والدتهم أخيراً فأحب الكهل أن يجدد شبابه، ويدفن عمره بين أحضان فتاة في سن أولاده أو أحفاده على أصح تعبير؛ ولم لا؟ إن له من ثرائه ووجاهته في قومه ما يحقق هذا المطلوب. وهكذا خطب «سلمى» من أبيها الذي رحب بهذا الصيد الثمين.

ونزل الخبر على «سالم» نزول الصاعقة ولم يصدقه بادئ الأمر. وعندما أكدته زوج أبيه بكى وأعول كالأيامي ونشج كالثكالي، فدهشت لذلك وسألته عن الأمر فأخبرها أن أمنيته الوحيدة في الحياة كانت الزواج من «سلمى» ثم أكب على يديها ورجليها يقبلها ويسألها أن تطلب من أبيه أن يخطبها له. فصداقة والده لأبيها لا شك ستفعل المستحيل، فوعده بأن تكلم أباه في هذا الأمر، وما كادت تكمل كلامها حتى انهال سالم يقبلها من رأسها إلى أخمص قدميها.

وفاتحت والده في الأمر فأجابها بكل برود:

- ألا يكفي وقعتي السوداء معك حتى تريدي أن يقع ابني في مصيبة مثلك؟

ثم رفع عقيرته قائلاً بحدة:

- ما شاء الله متى بلغ «سالم» مبلغ الرجال حتى يتزوج. هل يستطيع (فتح

بيت)؟

هل لديه مهر؟

ثم قام صارخاً قائلاً:

- أين هو الكلب، أريد أن أكسر أسنانه وأخمد أنفاسه . . ما شاء الله . . ما شاء الله . . هو ده اللي فاضل . . .

وكان «سالم» يسمع هذا التهديد، فلم يهرب، بل فتح الباب وقال لأبيه بكل شجاعة:

- أنا بين يديك يا أبي فافعل بي ما تشاء.

فوقف والده مكانه ووجم قليلاً وقد فوجيء بجسارة ابنه وأعجب بها، ثم أردف قائلاً بعد أن انغثاً غضبه:

- أصحيح ما قالته (خالتك)؟

- نعم يا والدي.

- ولكنك ما زلت صغيراً يا بني ومتطلبات الزواج كبيرة وباهظة.

- أعرف ذلك.

ثم اندفع يقبل يدي والده ورأسه وقدميه ويقول:

- أتوسل إليك يا والدي أن تخطبها لي. أما الزواج فليكن بعد استكمال

تحصيلي دراستي.

- قم يا بني . . ها إنني ذاهب لهذه المهمة وعلى الله التوفيق.

فقبله ابنه والدنيا لا تسع أفراحه، وقبلته أيضاً زوجه وقد نسيت في سبيل

إسعاد «سالم» وأختها ما لقيت قبل هنيهة من تحقير وإهانة.

ووقع نبأ هذه الخطبة على «سلمى» وقوع القنبلة الذرية على «هيروشيما»

فقد حطم ودمر صرح آمالها وأطواد أحلامها فأصيبت بنوبة إغماء قالت

زوجات أبيها الثلاث إثر ذلك:

- إنها إغماءة الفرحة عند البنات، وكيف لا والعريس، عين الله تحرسه،

لقطة وأي لقطة، مركز وجاه، وفلوس زي الرز. . يا بختها. وقالت إحداهن لنفسها:

- أما كنت أنا أولى بهذا العريس من هذه المفعوضة. . فين كنت يا حظ ليلة أنكتب نصيبي على شبية جهنم. . .  
ولا شك أنها تعني بشبية جهنم والد «سلمى».

وأفاقت «سلمى» من غيبوتها وهي مصممة على رفض هذا العريس أو مبدأ الزواج بشخص غير «سالم»؟ ولكن كيف السبيل إلى ذلك، إنها وحيدة ومحاطة بالأعداء الثلاثة زوجات أبيها وكل واحدة منهن تود خروجها من البيت. . إن أختها بعيدة عنها ولا تستطيع الذهاب إليها، لأن البنت عندما تخطب أو يشم في الجو رائحة عريس، يحرم عليها الخروج من دار أبيها إلا إلى بيت الزوجية. . ولكن عليها أن تفعل شيئاً. . فلتفتاح أباهما فربما رق قلبه ورثى لحالها. . ولكن ماذا تقول له. . ماذا تقول له؟؟ أتقول له إنها تحب «سالم». . وهل يعرف أبؤنا معنى الحب وقوته وسلطانه؟ إنهم تزوجوا من غير حب ووجدوا آباءهم على هذه الضالة وهم على آثارهم مقتفون. ماذا تقول يا ربي. . وقامت وتوضأت وصلت ركعتين وتضرعت إلى ربها أن يخلصها من هذه المصيبة. . وأخيراً هبطت عليها فكرة رأت أنها ربما ألانت قلب أبيها الصلد. . فإن نجحت فذلك ما تبغي وإلا كان عليها أن تنتظر ماذا سيفعل «سالم» من جهته.

وجاءها والدها وابتسامة عريضة تكسو محياه فقامت إليه وقبلت يده ثم جلست على الأرض بجانب رجله فقال لها:

- كيف حالك اليوم يا بنيتي؟

- بخير يا أبتاه ما دمت أنت بخير.

ثم وضع والدها يده تحت ذقنها ورفع وجهها وتطلع إليها قائلاً:

- ما شاء الله . . أرى السرور والبشر يعلو محياك . . ما في شك . . أنت اتولدت ليلة القدر . . وفهمت «سلمى» نتائج هذه المقدمة، وتحضرت للإجابة عنها حالما ينتهي والدها من ذلك .

وتابع والدها حديثه قائلاً:

- كل بنت مصيرها الزواج وبأخت البنت اللي تنستر في حياة والدها .

ثم سحب يده من تحت ذقنها وأردف قائلاً:

- وخصوصاً عندما يكون العريس «ذوات» وابن ناس وصاحب جاه ومال والحمد لله الشيخ «منصور» رجل تتوفر فيه كل هذه الصفات . .

ثم علا صوته قليلاً وقال والسرعة تلف كلامه:

- وأنا قبلت يا بنتي . . قبلت . . مبروك . . مبروك . . ربنا يجعله عريس العمر . .

وأكبت «سلمى» على قدميه وقالت والبكاء يغلب كلامها:

- أبويا . . ربنا يخليك يا أبويا . . ويطول في عمرك . . أنا في نفسي كلمة أريد قولها . .

وقاطعها أبوها قائلاً:

- قولي ولا تخافي أنا أبوك وليس لك بعد الله سواي .

- صحيح يا أبتاه . . أنت لي بعد الله سبحانه وتعالى . . ولكن يا والدي أنت تعرف أنا ما زلت صغيرة السن والشيخ «منصور» رجل كبير وقور يحتاج إلى امرأة أكبر مني سنأ وأعلم مني بتدبير المنزل وأعرف بالعناية بالرجال العظام أمثاله . .

فقاطعتها والدها قائلاً بحدة:

- ومتى كان للبنات عندنا رأي في الزواج؟! .. أنا أبوك.. . أنا أدري  
بصالحك وأعرف بالطيب والبطل.

ثم ارتفع صوته قائلاً:

- خلاص.. . ما في كلام.. . أنا قبلت.. .

فتجرات «سلمى» وقاطعته قائلة:

- ولكن.. . .

وما استطاعت أن تكملها لأن كف والدها أسكتها وأسأل الدم من فمها.  
وشفع والدها كفه بأن رفسها برجله فانقلبت على ظهرها ونهض وهو يرغي  
ويزبد ويقول:

- لكن.. . وما.. . لكن - ما شاء الله أمّا بنت مزبلحة طالعة زي أمك.. . أنا  
رايح أوريكي إيش آخرة الزبلحة.. .

وانهال عليها رداً ورفساً بقدميه ولطماً على وجهها بيديه واستعان  
بالمراوح عندما تعبت يدها وقدماه. ونزفت الدماء من فم «سلمى» وهرعت  
زوجات أبيها على صوت الضرب فخلصنها من بين يديه و «سلمى» لا تتكلم  
ولا تصرخ بل تتحمل آلامها بصبر وجلد أثارها حفيظة أبيها عليها.

ونزل والد «سلمى» إلى مقعده، وراحت زوجات أبيها يسعفننها ويضعن لها  
الكمادات الساخنة على المواقع المتورمة وهي ترجوهن ألا يفعلن.. . وقد  
أشفقن عليها وانهلن شتماً ولعناً ودعاءً على الأب الجبار القاسي المتحجر  
القلب و «سلمى» تلوك جراحها بصبر عجيب غريب.

وجاء والد «سالم» فاستقبله والد «سلمى» وأثار المعركة ظاهرة بجلاء على  
وجهه فسأله والد «سالم» عما إذا كان يشكو من شيء؟ فسرد له والدها

الموضوع من «طقق لسلامو عليكم» وبعد أن انتهى قال له والد «سالم»:

- وماذا قررت أن تفعل طالما أن البنت لا تريد هذا العريس؟

فأجابه والد «سلمى» بجد ظاهر:

- إحنا ما عندنا بنات يقولوا أريد أو ما أريد... وأنا قبلت هذا العريس

الكفو... وأنا أدري بصالحها منها نفسها... ولي عندك رجاء يا شيخ «محمود»

وهو أن تتولى أنت العقد ليلة الجمعة القادمة لكي تحصل لنا البركة.

وسقطت هذه العبارة على والد «سالم» كما يسقط دش ماء بارد على

الجسد في يوم شتاء قارس. وكاد أن يرضى بما سمع جواباً غير مباشر على

المهمة التي قدم من أجلها، إلا أنه رأى تبريراً لموقفه من ولده «سالم» أن

يقول شيئاً ولو تلميحاً... واستفزه أن يطلب منه الشيخ «علي» والد «سلمى»

أن يقوم بوظيفة المأذون، فإذا به يعتدل في جلسته ويقول:

- كان يسعدني يا شيخ «علي» أن أقوم بهذه المهمة لو كان الخطيب ابني

«سالم».

وأذهلت الشيخ «علي» هذه المفاجأة... ثم أب إلى رشده فقال:

- «سالم»!! هل أنت جاد فيما تقول يا شيخ «محمود»؟

- ولم لا يا شيخ «علي»؟

- إن «سالم» ما يزال طالباً في المرحلة الثانوية، وأخشى أن يحول الزواج

بينه وبين إكمال تحصيله.

- كلامك صحيح، ولكني كنت أريد أن نعقد له على «سلمى» الآن ونترك

مسألة الزواج بعد تخرجه في المدرسة.

- ومن يضمن أن «سالم» لا تتغير نظرتة «لسلمى» بعد تخرجه؟ لقد قرأنا

وسمعنا ورأينا مآسي الزواج المبكر وعواقبه الوخيمة على الأبناء، وهم في

هذه الفترة من العمر ينقصهم الوعي والإدراك الصحيح لمفاهيم الزوجية ومسؤولياتها الجسيمة . . .

فقاطعه الشيخ «محمود» قائلاً:

- أفهم من كلامك أنك ترفض «سالم»؟

- معاذ الله يا شيخ «محمود» . . إن «سالم» مني في منزلة «سلمى» وأعز، ولكنني بهذا الشعور وبهذه المحبة لا أريد أن أجني عليه وعلى ابنتي أيضاً . . . ثم استدرك قائلاً:

- يا ريتك فاتحتني في هذا الموضوع قبل قبولي خطبة الشيخ «منصور» لابنتي . . إنني شديد الأسف والحزن ولكن سبق السيف العذل . . والبنات (كتار) يابو «سالم» . . .

فأجابه الشيخ «محمود» بامتعاض:

- صحيح . . البنات (كتار) وكل شيء قسمة ونصيب . . ومبارك سلف . . في أمان الله . . ونهض الشيخ «محمود» ليخرج فأمسك يده الشيخ «علي» قائلاً:

- أخرج بهذه السرعة؟ أغضبك كلامي؟ وإني لأرجوك مخلصاً ألا يؤثر ما سمعته مني على ما بيننا من ود ومحبة . وأستحلفك بما بيننا من عيش وملح ألا يكون فيما قلته لك سبب للقطيعة؛ فاصطنع الشيخ «محمود» الهدوء، ولبس ثوب المداهنة وقال:

- حاشا وكلا . . إن ما بيننا لا تغيره توافه كهذه . . . طاب مساؤك يا شيخ «علي» .

- طاب مساؤك يا شيخ «محمود» في أمان الله . . .

ويودعه الشيخ «علي» حتى الباب الخارجي . ويستقل الشيخ «محمود» بغلته

إلى داره وهو يجر أذيال الفشل ويحمل في صورته أطناناً من الغضب على والد «سلمى».

وتستقبله زوجته وابنه «سالم» متلهفين على النتيجة، وعندما يريانه وما هو عليه من حال، يدركان النتيجة سلفاً. ويروي والده له ما جرى وهو يكاد يتمزق من الغيظ ويحاول تخفيف حدته تارة بصب أفطع الشتائم على رأس والد «سلمى» وأخرى بالسخرية من الوالد وابنته وكل عائلته ومن تبعهم بحسب أو نسب إلى يوم الدين. ومن المضحك المبكي أن تسمع شقيقة «سلمى» هذه اللعنات تنهال على أبيها وكأنها رحمت تنزل عليه، حتى إن «سالم» كان يشعر بالحرج والخجل من زوج أبيه على ما يتلفظ والده من كلمات جارحة قاسية. وختم، والده روايته بقوله:

- لا تهتم يا ولدي سأزوجك إن شاء الله أحسن بنت في هذا البلد.

ولم يدر والده أن أحسن بنت في هذا البلد لا تساوي عند «سالم» قلامه ظفر «سلمى».

وما انتهى والده من حديثه حتى أسرع «سالم» يقبل يديه ورجليه ويشكره على ما فعل من أجله ويأسف على ما لحقه بسببه. وفرعه والده إليه وقبله ما بين عينيه وخرج إلى مجلسه ينتظر سماره وندمانه.

وجلس «سالم» إلى زوج أبيه وشاركهما مجلسهما أخوه «وحيد» وجاءت الدادة الأمينة وعيناها مغرورقتان بالدموع. إنها تعرف حب «سالم» «لسلمى» إنها كانت رسوله إليها ورسولها إليه، إنها تعرف من علاقتهما أدق التفاصيل. إنها تخشى أن يؤثر ذلك على صحة «سالم» أعز إنسان لديها في هذا الوجود. ورآها «سالم» وهي على هذه الحالة فقال:

- لا تبكي يا دادة «حليمة».. إنني أصبحت رجلاً وعليّ أن أعود نفسي على احتمال الصدمات... إن علينا أن نتضرع إلى الله عزّ وجلّ أن يهب



«سلمى» القوة والعون والصبر على ما هي فيه .

وتنخرط الدادة في بكاء ونشيج موصول وتقول والكلمات تتقطع بين بكائها:

- ستي «سلمى» .. مسكينة ستي «سلمى» لقد رأيتها أول أمس وهي تبكي بكاء يقطع نياط قلب الكافر .. تقول أنا أبغي اقتل نفسي ولا أجوزها دا الشايب العايب .. يا ربي كون معاها .. من فين جاتنا هادي البلوى .

وتشاركهما أخت «سلمى» البكاء حزناً على أختها وخوفاً من أن تقدم على قتل نفسها .. ويتدخل «سالم» قائلاً:

- يا جماعة صلوا على النبي .. إحنا رايعين نفتح مناحة وعزا .. أحسن من كل هذا .. خلونا نفكر في حل للبلوى اللي وقعت فيها «سلمى» .

ويتطلع إليه أخوه «وحيد» ويقول وهو يممص شفثيه:

- نفكر في ايش، ونعمل ايش .. وايش طالع بإيدنا أبوك بدقنه وعمته قد «المفته» ما قدر يسوي حاجة .. ما تقولوا يا هوه .. ولا كلامي موعاجبكم .

ثم يوجه كلامه إلى أخيه «سالم» قائلاً:

- سبيك من الخيال يا خويا .. الطيور طارت بأرزاقها وخالتي «سلمى» رايحة تجوز الشيخ «منصور» مهما كلف الأمر بس حرام عليكم تخلوها تعيش في الخيال وتعرض لعلقة ألغن من اللي أكلتها قبل يومين .. أنا وقتي ثمين وما أحب أضيعه كده بلاش .. وفي كلام هلس لا فائدة منه .

وترد عليه أمه ساخرة:

- ما شاء الله .. ما شاء الله .. والله صحيح وقتك ثمين يا سيدي «وحيد» .. ما نحنا عارفين فين تروح وفين تدخشش ..

ويقاطعها قائلاً:

- اللي عاجبه.. عاجبه واللي مو عاجبو يشرب من البحر.. سلامو عليكم  
أيها المؤتمرون!!

ويشيعهم بضحكة تتجلى فيها السخرية بأجلى مظاهرها ويتطلع الباكون عليه  
وسحابة من الغيظ تظللهم وقد كادت تمطر الشتائم مدراراً عليه، إلا أن قوة  
الصبر والحكمة حالت دون ذلك ونزلت بدلاً منها برداً وسلاماً على لسان  
«سالم» حين قال لأخيه «وحيد»:

- مع السلامة يا أخي.. وفي أمان الله يا «وحيد».

وتنظر والدة «وحيد» إلى «سالم» نظرة كلها إشفاق وحنان ثم تقول:

- ما شاء الله على أعصابك يا ولدي ربنا يقويك ويلهمك الرشده  
والصواب.

ويجيب «سالم».

- ربنا يسمع منك.. قولي كمان معايا: ربنا يهدي «وحيد» ويكفيه شر  
نفسه وشر أولاد الحرام وتقولها بيأس:

- ربنا يهديه والله غلبت وأنا بدعيه لكن يظهر اللي مكتوب عالجبين لازم  
تشوفو العين هادا من لما ترك المدرسة أو قوله طردوه منها وهو لافف على  
شلة أولاد حرام زي ما أنت شايف سهر لأنصاف الليالي و (قيلات) مالها  
نهاية وابوك يئس منو ضربو ما فاد.. الهداية من الله يا ولدي.

وتقول الدادة:

- ربنا يهديه وينور بصائره.

ويؤمن الجميع على كلامها وينصرف كل إلى شأنه.

وبعد، فهل ظاهرة التجلد التي تدرع بها «سالم» ظاهرة طبيعية؟ هل صحيح أنه تقبل الأمر الواقع وشرع يروض نفسه على النسيان؟؟ أرضي بالهزيمة واستكان لليأس أم هو من النوع الذي يحني رأسه للعاصفة العاتية حتى إذا مرت رفع رأسه ثانية وبدأ في تخطيط جديد للوصول إلى أهدافه؟ إن «سالم» على حداثة سنه، قدير على التحكم في أعصابه ووضعها في ثلاجة إذا لزم الأمر.

وهكذا ضبط «سالم» أعصابه في هذه الساعة الحرجة ليهيئ لفكره الفرصة لوضع تكتيك جديد يدفع به قوة العدو الضاربة.

ووازن «سالم» بين ما يملك من عدة وعتاد وما يملك خصمه من قوة وسلاح، فرأى بثاقب بصره أنه داخل في معركة خاسرة، معركة مقدر له فيها الفشل من البداية. وسأل نفسه: هل أدى واجبه نحو «سلمى»؟ فوجد أنه - بحسب إمكانياته حالياً - قد قام بواجبه نحوها، فقد أرسل أباه يخطبها. والخطبة أقوى إمكانية لديه. . أما وقد استراح إلى ما فعل، فعليه أن يسعى لإقناع «سلمى» بقبول الأمر الواقع، والتسليم لقضاء الله وقدره.

ودعا إليه (الدادة) الأمانة وأرسلها إلى بيت «سلمى» بعد أن زودها بما يحب أن تقوله لها.

وذهبت الدادة إلى سبيلها، وذهب سالم لاستذكار دروسه وقد تجمل بلباس الصبر والجلد.

وعادت (الدادة) من مهمتها لتخبره أن «سلمى» ستفعل المستحيل لإحباط هذا الزواج ولو كلفها ذلك حياتها، وأنها أي «سلمى» ترجوه أن يحترز من أخيه «وحيد» فقد رأته أمس هو وخطيبها ينزلان من السيارة ويدهما متشابكتان وبسمة الفرحة تعلقو جبين «وحيد».

وأدرك «سالم» الآن سر تحمس أخيه لزواج «سلمى» بالشيخ «منصور» ثم

صعد زفرة ألم دفين وقال قوله يوليوس القيصر:

- حتى أنت يا بروتوس...؟!!

ثم كررها ثانية - حتى أنت يا «وحيد»؟

وليس بمستغرب من «وحيد» أن يخون أخاه ويقف منه هذا الموقف المستهجن، فقرناء السوء قد استولوا على عقله غسلوه وكانت النتيجة طرده من المدرسة من أجل ذلك ولسقوطه المتتالي، وحاول والده وأخوه إصلاحه ففشلوا جميعاً واستمر «وحيد» هذه الحياة وانغمس في توابعها فباع واشترى وتخلق بأخلاق أهل هذه السوق وتجارها، فلئن تنكر اليوم لأخيه «سالم» ووقف في صف خصمه، فمن يدري؟ ربما كان هذا الخصم اشتراه بطريقة أخرى ومن السخف أن ننحى باللوم على شخص هذه حاله وهذه سبيله.

وظفق «سالم» يضرب على كفيه وهو يردد.

- حتى أنت يا «وحيد»...

والدادة الأمانة واقفة أمامه كالصنم مظهراً، إلا أن قلبها كان يعتصر ألماً وحزناً على حالة «وحيد».

ودخلت عليه والدة «وحيد» فنهض للقاءها وسألته عن أخبار «سلمى» فذكر لها ما جاءت به الدادة فقالت:

- ما العمل يا بني... إن إصرار أختي على منع هذه الزيجة مهما كلف الثمن يدل على أنها تبيت أمراً خطيراً.

- ذلك ما تراءى لي يا أمه. وفي رأيي أن نتعاون جميعاً على إقناعها بالتسليم للأمر الواقع وانتظار ما يخبئه المستقبل. يجب أن تذهبي إليها يا أمه، وتفعل المستحيل ولا سيما وقد حددت ليلة الجمعة القادمة للخطبة كما ترين في بطاقة الدعوة التي تلقيتها اليوم.

- ووالدك . . أظن أنه سيحضر (الإملاك) الخطبة؟؟

- سأقنع والدي وسأذهب في ركابه . . فوجودنا لا شك سيخفف من  
تصلب «سلمى» وعنادها وإصرارها .

- توكلنا على الله .

وتلبس والدة «وحيد» ملاءتها (قنعتها) وتذهب لأداء مهمتها، ويمشي  
«سالم» على أشلاء قلبه المتناثرة ليقنع والده، وتنصرف «الدادة» للقيام  
بواجباتها البيتية .

وفي ليلة الجمعة وبعد صلاة العشاء، تم عقد قرآن الحسيب النسيب الشيخ  
«منصور» على صاحبة الصون والعفاف «سلمى» في جو متوتر مشحون  
بالتكهنات والتقولات .

فوالدها وزوجاته الثلاث، وسالم ووالده وزوج أبيه كانوا جميعاً في حالة  
قلق شديد، ولكن «سلمى» بددت سحب التوتر المكفهرة وغيوم القلق المتلبدة  
بما أظهرت من جلد وصبر وتكلف فرحة وابتسامة بين الفينة والأخرى ما  
أشاع موجة من الطمأنينة في قلوبهم وخاصة بعد أن لعلت الزغاريد إثر انتهاء  
العقد .

ووزعت علب الحلوى وكان «وحيد» يشرف على توزيعها . ولما أعطى  
أخاه «سالم» علبته ابتسم في وجه أخيه ابتسامة صفراء ملؤها الشماتة اللاذعة .  
وتقبل «سالم» الابتسامة (المتحدية) بابتسامة كلها حنان وشفقة .

وكان والد العروس وأصدقائه العارفون ببواطن الأمور أكثر الناس فرحاً  
بإتمام صفقة عقد القران .

وتقبل العريس تهاني المهنيين وانصرف المدعوون وفرحة طاغية من  
الزغاريد تغمر سماء ذلك الحي . وانصرف «سالم» ووالده عائدين إلى دارهم،

ودخل والده إلى مجلسه ليستقبل ندمانه وسماره، وآب «سالم» إلى غرفته الخاصة ليسامر أحزانه وأتراحه. إنه يرى نذر كارثة في الجو ولكن ما هي؟ وهل يستطيع دفعها أو صدها؟

وترين على فكره موجة عارمة من القلق كلما تكسرت منها موجة على صخور صبره وجلده تلتها موجات أكثر قوة وأشد اندفاعاً، ولا يستطيع تفكيره الصمود أمام طغيان هذه الأمواج العاتية وهو الحدث سناً وتجربة، فينخرط في البكاء ولا يدري كم من الوقت مر عليه وهو في هذه الحالة، ولا يصحو مما هو فيه إلا على طرق الباب وصوت الدادة يقول:

- افتح يا سيدي .. افتح ..

ويمسح عبراته ويفتح الباب وتدخل الدادة فتضطرب وهي ترى عينيه محتقنتين فتسأل بهلפה عما به قائلة فيقول من القطرة التي استلمتها الآن. وينظلي عليها جوابه فتشعر قائلاً:

- أنا جاية من عند ستي «سلمى» اللي تسلم عليك وتقول لك:

ألست بارعة في تمثيل القسم الأول من المسرحية الجديدة وسأكون أشد براعة وروعة في تمثيل القسم الثاني والأخير منها. . .

وما كادت الدادة تكمل حديثها حتى بدأ «سالم» يلطم خديه بشدة ويبكي بصوت عالٍ ويقول:

- كفاية . . . كفاية يا ربي . . . تعذيب . . وآلام . . كفاية تحملني ما لا طاقة لي به . . لقد خارت قوى صبري وتجلدي، ارحمني يا ربي . . ارحمني . . خلاص . . أنا انتهيت . . انتهيت . .

ويرتمي على سريره وهو يعول كالأيامي، والدادة المسكينة تحاول أن تواسيه وتخفف عنه آلامه بما وسع قاموس معرفتها من ألفاظ وعبارات . . لقد

طفقت هي الأخرى تلعن نفسها وتلطم على خديها وفخذيها لأنها سبب ما جرى . ويختلط بكأؤها ببكائه ونواحا بنواحه وتخف حدة بكائه على شدة بكائها . وينهض مسرعاً إلى المغسلة فيغسل وجهه ثم يتوضأ ويصلي ركعتين لله ملتماً منه الصفح والغفران عن زلة لسانه . وبعد ذلك يلتفت للداداة قائلاً :

- روعي أنت كمان وصلي ركعتين لله واعملي لي بعدها فنجان شاي .

وينزل الله سكينته على قلب «سالم» ويزيده إيماناً فوق إيمانه . ويعود لمتابعة دروسه بكل جد ونشاط، ويفرغ الله في صدره قوة من التحمل والصبر ما يرد بها شماتة أخيه «وحيد» في نحره . لقد عاده هذا اليوم التالي لعقد القران فوجد في «سالم» من متانة الأعصاب ما أذهله وحيره فانصرف من دون أن يروي غليل شماتته في أخيه .

ونذر «سالم» نفسه لربه ودرسه، فكان يداوم على مدرسته في الصباح وبعدما ينتهي من دراسته يذهب للمسجد الحرام قبيل صلاة المغرب فيطوف بالبيت ويصلي صلاة الجماعة ويعود إلى داره لينتظم دروسه .

وجاءته ذات يوم والدة أخيه «وحيد» وأخبرته أن أخت العريس قد دعت «سلمى» وزوجات أبيها الثلاث إلى حفلة غداء في منتزه الأقمار، وأنها دعيت هي أيضاً إلى ذلك، ولما اعتذرت أصرت أخت العريس وأقسمت أغلظ الإيمان أنها استغربت عندما سمعت أختها «سلمى» تلح عليها في الحضور . . وتابعت والدة «وحيد» قولها :

- ولكن استغرابي زال عندما أسرّت إلى «سلمى» فيما بعد أنها تود أن تراك هناك . . . وأدهش «سالم» هذا الطلب وقال مقاطعاً :

- هذا مستحيل . . كيف يتسنى لي رؤيتها مع وجود هذا الحشد من النساء . . لا . . لا . . مستحيل . .

وضحكت والددة «وحيد» ملء شديقيها وقالت :

- مهمتك يا ولدي تسوق السيارة وتوصلني والدادة للمنتزه ودع لنا ترتيب المقابلة . .

وهز «سالم» رأسه قائلاً :

- أريد أن أعرف تفاصيل الخطة بالضبط ، فلربما عدلت فيها أو شجبتها من أساسها .

وقالت والددة «وحيد» وهي تغالب ضحكها :

- هذا سر المهنة يا حدق أو يا حضرة السواق المحترم .

واستمرت في ضحكها ثم قالت بحزم :

- موافق . . قول موافق .

وأجاب «سالم» وعلامات التعجب ترحم خاطره :

- موافق يا ماما . . .

وفي الموعد المضروب ذهبت والددة «وحيد» والدادة إلى الوليمة في المنتزه وكان «سالم» يسوق السيارة وهو يضرب أحماساً في أسداس يفكر كيف يمكن له ملاقة «سلمى» بين هذه العيون الرقيبة . إنه يرى أن ذلك من رابع المستحيلات على أنه يعود فيعلل نفسه بقول الشاعر :

إن النساء شياطين خلقن لنا أعوذ بالله من كيد الشياطين

وتصل السيارة إلى المنتزه وكان «سالم» يضع نظارة سوداء على عينيه ويتخذ من صمادته لثاماً يحجب بقية وجهه . إنه يخشى من زوجات والد «سلمى» . إنهن يعرفنه تماماً .

ونزل من معه . . وسمع أصوات الترحيب واسترعى انتباهه صوت حبيب



إليه هو صوت «سلمى» وأرهف السمع وركز كل حواسه حتى لا تفوته أية ذبذبة منه، وهمست إليه والدة «وحيد» بأن ينتظر في مكان قريب من المنتزه وألا ينزل من السيارة بل يبقى في داخلها. وهز رأسه بالإيجاب. وساق السيارة إلى حيث أمر وانتظر على أحر من الجمر وعد والدة «وحيد» وجاءه زميله سواق الباص الذي نقل أخت العريس وصحبها، ومن حسن الحظ أنه لم يعرف «سالم» وقد حرص هذا على ألا يفسح له المجال للجلوس وأحس السواق بذلك فتركه وذهب إلى زملاء آخرين.

وحان موعد الغداء ولا جديد. وجاءته الدادة بحقه من الغداء وأفهمته أن كل شيء يسير حسب الخطة المرسومة. فقال منفعلًا:

- خطة مرسومة إيه يا دادة.. أنا هلكت من الانتظار.

- اللي يحب يصبر على بلوته يا سيدي.. هون أخلاقك ولا تأتي بأية حركة تفسد كل ترتيبنا ويضرك أنت أكثر الكل..

- حاضر.. حاضر أمري لله.

وانصرفت الدادة لأداء مهمتها وبقي «سالم» في حالة ترقب وعيناه متسمرتان على الجهة التي ذهبت إليها الدادة.

وبعد ترقب مشحون بالقلق والخوف جاءت «سلمى» تمشي على استحياء تخفرها الدادة، وفتحت باب السيارة ودلفت إلى المقعد الأمامي ثم جلست بعد أن سلمت على «سالم» الذي تعثرت كلمات الترحيب على لسانه من هول المفاجأة. وجلست «الدادة» في المقعد الخلفي، وعيناها ترقبان الطرق والمارة فيها.

وراح الحبيبان يتناجيان ويتشاكيان، وعيناها تغرورقان بالدموع من المصير المؤلم الذي زجها والدها فيه، و «سالم» يحاول والألم يعتصر فؤاده، تهدئتها

وإقناعها بقبول الأمر الواقع والرضا بما قضاه الله سبحانه وتعالى وقدره .

وفجأة سحبت «سلمى» يدها من يده وقالت :

- أهذا رأيك يا «سالم» أليس من حل آخر لديك...؟؟

- يا ليت يا «سلمى» إني مستعد لتحمل أية تبعات ومصاعب ولكنك تعرفين تقاليدنا وعاداتنا ولا سبيل إلى الخروج عليها .

وانهمرت دموع «سلمى» مدراراً وهي تقول :

- متى يا ربي نتخلص من هذه العادات البالية . . متى نتخلص من دكتاتورية الآباء الغلاظ الأكباد العديمي الشفقة والرحمة الذين يتخذون من بناتهم سلعة تباع لمن يدفع أغلى ثمن .

ثم مسحت دموعها بمنديل زين «سالم» به صدر جاكته وقالت :

- سأرضى بما قسم الله لي وقدر . أما أنت فأرجوك أن تتأبر على دراستك وإني أنتظر الأخبار السارة بحصولك على الشهادة الثانوية .

- شكراً يا «سلمى» على عواطفك وتجلدك . سأعمل بنصيحتك وستسمعين عني إن شاء الله كل ما يسرك . . .

- والآن أستودعك الله يا «سالم» فقد طال غيابي عن مكان الحفلة وأخشى أن تبدأ عملية التفتيش . . .

ثم تعانقا طويلاً وقد عاود كلاهما البكاء . واستدارت وفتحت الباب وقد سبقتها الدادة وقالت ويدها على أكرة الباب :

- من يدري يا «سالم» ربما يكون هذا لقاءنا الأخير .

وصرخ «سالم» .

- لا . . لا تقولي ذلك يا حبيبتى . . سنلتقي . . سنلتقي . .

وعادت «سلمى» مع الدادة من حيث جاءت، وخلفت «سالم» نهباً لآلامه وأحزانه يبكي ويبكي ولا يدري كم من الوقت مضى وهو على هذه الحالة. ولم يصح مما كان عليه إلا عندما رأى الدادة ووالدة «وحيد» أخيه قادمتين، فمسح دموعه وأدار محرك السيارة وأركبهما وعادوا جميعاً من حيث جاءوا. وفي الطريق شكر «سالم» لزوجته أبيه ما فعلت من أجله، وردت عليه بأن طلبت منه الصبر والجلد ومحاولة النسيان والبنات كثيرات.

فأجابها: ولكن ليس بينهن من تضارع «سلمى» في حُلُقها وحَلَقها.

ووصلوا إلى المنزل ودلف «سالم» إلى مخدعه وهو يفكر في عبارة «سلمى» الوداعية: ربما يكون لقاءنا هذا الأخير.. أتراها تنوي شراً لنفسها أو.. أو.. وطفق يقلب الأمر على جميع جوانبه ولم يخلص من عذاب تفكيره إلا على صوت المؤذن لصلاة الصبح فتوضأ وصلى ثم ارتمى على مضجعه وراح في سبات عميق لم يفق منه إلا على قرع الباب وصوت «الدادة» تدخل وهي تقول:

- وي يا سيدي الظهر رايح يأذن وأنت لساتك نايم. أجبلك الفطور..

- لا يا «دادة».. سوي لي فنجان قهوة سكر مضبوط وسأتغدى معكم حين مجيء والدي..

- ولكن أبوك سيدي قال رايح يتغدى عند والد ستي أم «وحيد».

- حسناً سأغدى معكم إذن..

وتمضي الأيام وينشغل «سالم» بالتحضير للامتحانات ويتقدم للفحص وينجح ويكون اسمه ضمن قائمة العشرة الأول وكانت «سلمى» أول المهنتين له على نجاحه والفرحة تشيع من نبرات صوتها وقد شكرها «سالم» وتمنى لو

يستطيع مقابلتها فأجابته :

- الآن اكتمل سروري بنجاحك . أما الموعد فستسمع به في حينه ،  
أستودعك الله يا أعز إنسان عندي .

- مع السلامة يا حياتي . .

ولا تسل عن فرحة والدي وزوجة أبي والدادة وجميع الأقارب والأحباب  
بنجاحي ، وقد انهالت علي الدعوات منهم وكنت مضطراً إلى تلبيتها بالرغم  
مما تعرضت له من تلبك في المعدة وصداع أليم في الرأس من دسامة هذه  
الأطعمة والبهارات التي مزجت بها لتكسبها على رأيهم لذة في المذاق  
والطعم وفتح الشهية والقابلية .

وكان لقائي «بسلمى» نادراً بل عابراً فقد وضع زوجها وأخته حراسة شديدة  
على تحركاتها وسكناتها .

وانقضت أيام الولائم والحفلات ، وذات صباح ونحن نتناول طعام  
الإفطار ، فاجأني والدي بقوله :

- «سالم»! أي جامعة ترغب في الانتساب إليها؟؟

- أي جامعة تراها أنت يا والدي . . .

- أنت تعلم أنني أريدك أن تدرس الطب ، إذ ليس في بلادنا في الوقت  
الحاضر كليات للطب وأنا أرى . . .

- ترى ماذا يا أبي . . .؟

- أبعثك إلى ألمانيا فالطب فيها متقدم جداً . . فما رأيك؟؟

ونزل رأيه علي كالصاعقة فقد كنت أرغب في استكمال دراستي في بلدي  
لكي أكون قريباً من «سلمى» ومع ذلك أجبته والدي :

- الرأي الأول والأخير لك يا والدي . . .

- بورك فيك . . لسوف أختار لك الجامعة بعد الاستئناس برأي المختصين في وزارة المعارف الذين سيتولون الاتصال برئيسها ومن ثم تسجيلك فيها . .

ونهضت - مكرهاً - وقبلت رأس والدي ويده . وقبلني هو وقال لي :

- هيء نفسك للسفر واستعن بأم أخيك «وحيد» في لوازمه .

ونزلت على رغبة والدي واستعنت بأم أخي «وحيد» وكانت لي نعم المعين في تجهيز لوازم سفري إلى ألمانيا، وجاء «وحيد» ذات يوم فوجد والدته ترتب حقيبة سفري فقال بهزاء وسخرية :

- والله ماشي حالك يا «سالم» وباضت لك في قفص «ستذهب إلى ألمانيا وستصبح دكتور قد الدنيا والتفتت إليه والدته وقالت بحزم وألم :

- أما أنت فستبقى «ثور . . ثور» إلى يوم يبعثون .

واستدار «وحيد» مغضباً وخرج وأقفل الباب بقوة كاد يتحطم منها . . فقلت وهي لا شك، تسمعني :

- ربنا يهديه . . ربنا يهديه . . .

وفتح الباب ثانية بقوة ودخل «وحيد» والدادة معه تبكي وهو يقول :

- أبويا ضرب تليفون وقال خلي أمك تجيء مع «سالم» على مستشفى الحكومة بجدة، وضربت والدته على جبينها وقالت :

- خير إن شاء الله . . خير .

- سلمى وجوزها انقلبت بهم السيارة بالطريق ونقلوهم للمستشفى بين الحياة والموت . . رددت مع أم «وحيد» :

- لا حول ولا قوة إلا بالله . هيا يا ماما . هيا البسي «قنعتك» بسرعة . .

وقالت الدادة:

- وأنا ما تأخدوني معكم؟؟

- طيب . . هيا . . السيارة تشيلنا كلنا . .

وقال «وحيد»:

- أما أنا فسأذهب في سيارتي .

- لك ما تشاء يا ولدي بس سوق بهدوء . . . . .

لا حول ولا قوة إلا بالله . . لا حول ولا قوة إلا بالله . . وقلت والحزن

يعتصر فؤادي:

- ربنا يكتب لهم السلامة . . يا رب . . يا رب . .

ووصلنا للمستشفى فوجدنا والد «سلمى» جالساً على أحد المقاعد في الداخل والدموع، تخرز عينيه، ونهض والدي وتقدم من زوجته معزياً في أختها وزوجها فندت صرخة من أم «وحيد» فأسكتها وقام والدها فأخذها وأجلسها بجانبه وهو يردد: إنا لله وإنا إليه راجعون. واشتركت في العزاء ثم انكفأت على أحد المقاعد ابكي بحرقه عرف أسبابها والدي فاقترب مني وقال:

- تجلد واصبر فهذا قضاء الله ولا راد لقضائه وقدره .

ثم التفت إلى وحيد وقال:

- خذ جدك ووالدتك والدادة إلى الدار، أما أنا و «سالم» فسنسير مع عربة

المستشفى التي ستنقل الجثمانين إلى دارنا، فاسبقونا إلى الدار .

ووارينا الجثمانين متواهما الأخير، وبقيت أياماً وليالي لا يرقأ لي دمع حتى

خشي والدي على صحتي، فرأى بثاقب بصره أن يعجل في أمر سفري فلعلّه ينسيني ما أنا فيه.

ورأيتني أستريح إلى رأي والدي حين أسرّ به إلي ولا سيما ومن أحب سارت إلى دار القرار.

وأخذني أحد موظفي والدي فاستخرجنا جواز سفر لي وأخذنا التأشيرات اللازمة عليه ثم حجزنا على الباخرة التي ستغادر ميناء جدة وأخذت منهم اسم الجامعة التي سأنتسب إليها ورقم تسجيلي فيها، وعندما عدت إلى البيت أخبرني والدي بأن الجامعة في ألمانيا قد رتبت من يستقبلني في ميناء هامبورغ وأعطاني اسمه ورقم هاتفه، فقبلت يده ودعا لي بالتوفيق والسلامة.

### طريق المستقبل

ودع «سالم» والده على رصيف ميناء جدة وهو في طريقه إلى ألمانيا لدراسة الطب فيها، وأبحرت الباخرة ولسان أبيه يردد «بسم الله مجراها ومرساها إن ربي على كل شيء قدير»، وظل «سالم» يلوح لمودعيه بيده ومنديله حتى تعذرت الرؤية فمسح عبرة سالت على خده ثم اتخذ طريقه إلى غرفته في الباخرة واضطجع على سريره وسرح بفكره يستطلع غيب عالمه الجديد وحياته المستقبلية.

وأعياه التفكير وأضناه الجهد فترك غرفته وصعد إلى سطح الباخرة فبهرتة أنوارها ولا سيما وهو يركب البحر لأول مرة. فاستراح من عنائه في زحمة الركاب يحملق في هذا ويتطلع إلى تلك ويصدمه طفل يلعب ويعيقه حاجز السلاالم وسار على غير هدى فغيّر اتجاهه إلى طرف آخر من المركبة إلى جماعة أخرى من المسافرين انتظمت في حلقة مفترشة أديم الباخرة ولأعب على الأكارديون يسحرهم بأعذب الأنغام وانساب اللحن فدبت النشوة في عروق المنتشين فاهتزوا طرباً ورقصوا بشراً وحبوراً، وغمرت البهجة والفرحة

وجوههم فعبرت عنها ألسنتهم بما رق من ألفاظ وغلا من مديح وإطراء؛ وما إن انتهى اللاعب من عزفه وصفق له الجميع تحية وإعجاباً حتى انطلق من أقصى السفينة عازف على الكمان يشنف الآذان، فهرع «سالم» وكثير غيره يستمتعون بأرق الألحان والعازف يشد على أوتاره يتطلع للبحر مرة وللسماء مرة أخرى كأنما يشكو لها بعده وفرقته. واسترقت الريح أنغامه فاسترخت وصفت السماء وشففت، وهدأت أمواج البحر وسكنت وفسحت الطبيعة له صدرها الرحب ليرى حبيبته الغالية وقد جسدها وحيه الخصب على تلفزيون خياله وأشواقه فحلق عازفنا في سمائه فزاد إبداعه واستثار كوامن السامعين فيبكي بعضهم وأن غيرهم واسترخى وتنهى الباكون وسبح «سالم» مع السابحين في خضم الذكريات فاستذكر مجالس الأهل والأخوان واسترجع مغاني الصبا والخلان، ثم سرى اللحن وطرب فانفرجت أسارير الشاكين وانطلقت حناجرهم والتهبت أكفهم استحساناً وطرباً وشاعت الفرحة فيهم وفي العازف فحيا مستمعيه وتطلع إلى كمانه وهو يدخلها في قرابها كأنما يودعها شكره وحنانه.

وتفرق المجتمعون، فشلة أوت إلى فراشها، وأخرى شرعت تذرع ظهر السفينة جيئةً وذهاباً تجتر ذكرياتها، وشلة ثالثة فيها «سالم» لم ترتو بعد ففرجت على صالة الرقص فانظم بعض أفرادها في حلبتها مع الراقصين وقعد البعض الآخر، ومنهم «سالم» يرشفون من عيون الراقصات وأجسادهن ما يطفىء الغليل.

وتسمر «سالم» وقد انتشى بما لم يشاهد من قبل، يتابع في عجب واستغراب أمواج الراقصين والراقصات، وتلفت يمنة ويسرة يمتع ناظريه بمفاتن الجمال العاري ويستعرض بلهفة وحسرة الصدور العارية العامرة، وعليها النهود النافرة تتحدى عيون الناظرين ويصرخ جوعه وظمؤه فيداريه



ويهدده ويشتد الصراخ ويخشى سالم أن يفلت الزمام من يديه فيغادر مكانه على عجل إلى غرفته فيدفن نفسه في سريره، وأذانه يكاد يصمها دوي الشهوة، الصارخة ثم يقوى على عواطفه المكبوتة فيخزنها كما اعتاد، في قمقم من يأسه وحرمانه.

وأفاق على الصداق يكاد يفجر رأسه لعلّه دوار البحر أو لعلّه صدى الليلة الرهيبة، وحاول بما لديه من مسكنات فلم تجد نفعاً فاستدعى طبيب الباخرة فعاده واشتبه في حالته خاصة بعد الإغماء الذي أصابه فأمر بنقله إلى مستشفى الباخرة.

وصحا «سالم» من إغمائه فبصر بيده في يد ممرضة شقراء فاتنة، فسرى مس من الكهرباء في جسمه وارتعش فسألته وكان اسمها «لوسي» عما به؟ فأجاب: لا شيء، وأسلم يده لها فابتسمت وابتسم. وكانت «لوسي» الشقراء كما يدعونها في العشرين من عمرها، رياضية الجسم والقوام، تكسو خديها حمرة الصحة والعافية، وابتسامة لا تفارق ثناياها ومحياها، وعينان زرقاوان يشعان ذكاء وإغراء؛ وكان «سالم» في الثاني والعشرين من عمره، فارح الطول، نحيل الجسم، في غير هزال، له عينان جمليتان وشعر كستنائي لولبي، وفم دقيق على شفيتين رقيقتين.

وليس بعجيب أن ينجذب كل منهما للآخر، ففي «لوسي» كل ما يغري الرجل، وفي «سالم» كل ما يغري الأنثى؛ وهكذا خط القدر في صفحاته بداية حب تكاتف الظروف والأسباب على خلقه وتكوينه.

وأبلى «سالم» من مرضه ليقع في مرض حبيب إلى كل عاشق ولهان، ومن القسوة بمكان أن نسّميه مرضاً إنه الحب... إنه نهاية المطاف السعيد... إنه منتهى كل شيء. في هذا الوجود.

وتجد «لوسي» في سالم ما تبتغي، ويجد هو فيها ما يبتغي، فقد أشبعته من بعد جوع وأروته من بعد ظمأً ليس بغريب أن تصبح «لوسي» شغله الشاغل وهمه الأوحده، فقد أنساه حبها أهله ووطنه وقومه وعشيرته، وصحبه وخلانه، لقد أصبحوا جميعاً ذكريات عفا عليها الزمن ودرسها وذراها، فلا أهل ولا وطن ولا . . ولا . . إلا «لوسي» . . إنها حبه الأول، وكأسه الأولى، وخطوته الأولى .

وكأنما أرادت الطبيعة أن تبارك هذا الحب وتنميه، فمرت أيام البحر رخاء ولا شيء يكدر صفوها سوى ما كان يشاهده «سالم» من التمييز العنصري بين بحارة السفينة .

كانت الباخرة ملكاً لشركة بريطانية وكان بحارتها من اليونان والقبارصة والمالطيين هم الكثرة، ومن العدنيين والصومال العرب وهم الأقلية، وكان قبطان الباخرة ومساعداه بريطانيين يحسنون معاملة القسم الأول من البحارة، بينما يسيئون معاملة القسم الثاني حتى تبلغ درجة الاحتقار، وكان ذلك يحز في نفس «سالم» ويدفعه إلى تبصير «لوسي» به وبالنتائج الوخيمة التي سيلقاها قومها إذا ما استمروا في ذلك، وكانت تعده بنقل ذلك للمسؤولين، لكن جهودها ذهبت عبثاً .

وفي ليلة وصول الباخرة ميناء «هامبروغ» قضى «سالم» و «لوسي» الليل ساهرين يتناجيان، ويتوادعان، وكل يفرغ ما في جعبته من وعود وعهود وإيمان ومثل وآمال حتى آذن الفجر ودخلت الباخرة الميناء فافترقا وقد بللت عيونهما ما كان يحملان من مناديل .

واستطاع «سالم» بجده واجتهاده وتشجيع «لوسي» له برسائلها والزيارات العابرة منها له كلما سنحت له الفرص أن يجتاز سني التحضير فينتسب إلى كلية الطب . وانتهزت «لوسي» فرصة العطلة الصيفية عند «سالم» فجاءت إليه .

## في الجامعة

ودخل «سالم» مدرسة الألسن لتعلم اللغة الألمانية وكانت رسائله «للسي» لا تنقطع ورسائلها إليه تنير له السبيل إلى المجد والمثابرة والجد، وقد استطاع بعد ستة شهور اجتياز الامتحان المدرسي وبالتالي الانتساب للمدرسة التي سوف تؤهله لدخول كلية الطب، وقضت إجازتها معه بناء على دعوته لها. وكانت فرصة طيبة ليعرف كل منهما الكثير من دخائل الآخر، ومن حسن الاتفاق أن تزيدهما هذه الفرصة اتصالاً ووثوقاً وتقديراً وإعجاباً من نفسيهما لنفسيهما، ولا عجب أن يعلو ترمومتر الحب حتى يفجر غطاؤه فنراهما ينهلان الكؤوس من وردة العذب من دون رقيب أو حسيب.

وانتهت عطلة الصيف، وعاد «سالم» ينتظم دروسه في كلية الطب بنشاط وحيوية ومثالية في سيره وسيرته. وظلت «الوسي» توافيه برسائلها وكلها مشاعل تضيء سبيله، وتطلب إليه ألا يكتب إليها إلا عندما تسنح له الفرصة خشية أن تلهيه عن الدراسة، وكان يمثل أمرها، فعندما يجد الوقت، وما أقله عند طالبى الطب، يجلس على مكتبه ويجيب على رسائلها ويختم الصفحة الأخيرة من رسالته بعبارة هي أقل تعبير عما يكابده من شوق وحب.

كانت هذه حالة «سالم» عندما يرسل حبيبته، أما عندما يهزه الشوق إلى أهله ووطنه فنراه يجلس في حديقة الكلية أمام شجرة «السنامكي» يتأملها طويلاً ويشكو إليها برحه وشوقه ثم يمسح دموع وحدته وغرْبته.

وحدث عصارى ذات يوم، وبينما هو على هذه الحال، إن مرَّ به البروفيسور «فوخر» أستاذ الأمراض الباطنية بالجامعة وسأله عما به فأصدقه «سالم» القول، فرَّبَت على كتفيه وخديه وطلب إليه أن ينتظره هنا ريثما

يعود بعد نصف ساعة على الأكثر. وفي الموعد المحدد وافاه البروفيسور ومعه طالبان قدمهما إليه: الأول مصري اسمه «عاصم» وكان يدرس بالسنة الثالثة بكلية الطب والثاني جزائري اسمه «قاسم» وكان يدرس الطب بالسنة الثالثة من الكلية نفسها، وانسجم الجميع ونسي «سالم» آلامه وأحزانه. وفي الحقيقة كان هذان الطالبان يعينان «سالم» في دروسه ويسريان عنه وحدته وكربته. وكان لمعونتتهما العلمية وتوجيهات البروفسور «فوخر» الفضل الأكبر في نجاح «سالم» بكلية الطب.

وجاءت عطلة الصيف، وارتقب «سالم» على أحر من الجمر رسالة «لوسي» وأين سيقضيان الصيف، وأخيراً وافته وإذا بها تخبره أنها لا تستطيع أخذ إجازتها هذا الصيف بالنظر لنقل مركزها من خطوط الملاحة عابرة قنال السويس فالمحيط الهندي إلى خطوط الملاحة عابرة المحيط الأطلسي فأمريكا الجنوبية.

ويحس «سالم» لأول مرة بالفراغ في حياته وبالآلم المرير بعد الهناء الطويل، فيعيش في دوامة من الأفكار وموجات من القلق يساجل بعضها بعضاً وما أكثر ما تكسر منها على صخور يأسه وحينه.

وتطول ليالي الصيف وأيامه، وتطول معها آلام «سالم» وأحزانه، ولا يستروح منها إلا عندما يتلقى رسالة من «لوسي» ينهل منها قلبه الصادي وتقتات منها أفكاره المشوشة فيخلد أياماً وليالي هادئة على فتات الذكريات المنتشرة بين سطور تلك الرسالة، ويسبح بخياله في عالم اللانهائية ويظل على هذا المنوال حتى ينضح بحر خياله فيعود إلى بر أشجانه وحسراته.

وشق على «عاصم» و «قاسم» ما وصلت إليه حالة «سالم» فحاولا الترفيه عنه ما وسعهما إلى ذلك سبيل، ولكن الفراغ واسع الحدود مترامي الأطراف لا يملأ حيزه إلا واحدة لا أحد بعدها، ومن لنا بهذه الواحدة؟ وأين هي؟

يقربها خياله وتبعدها الحقيقة، تلك حال «سالم».

وأعيا صاحبيه وأسهرهما همه فلجأ إلى البروفيسور «فوخر» يسألان النصيح والإرشاد، فجاءهما الجواب في رسالة صغيرة دعاهما و «سالم» بإلحاح وإصرار لقضاء بضعة أيام في مصيفه الجميل جنوبي ألمانيا.

وتقبل الصاحبان الدعوة بفرحة ويتقبلها «سالم» بخجل ومضض مستتر، ويبرقون بالقبول، شاكرين محددين موعد سفرهم.

ويستقل الجمع القطار و «سالم» معهم ساهم واجم مسير غير مخير. ويسعى الصديقان في الترويج عنه، ويظهر أن المناظر الخلابة والعطف الموصول من «عاصم» و «قاسم» أثرت في «سالم» فشاعت البسمة لأول مرة، في وجهه، وانطلقت الكلمات من فيه مترنحة متعثرة تحاول أن تنتصب وتتنظم وتنفض عنها غبار الصمت وغياهب الانتظار، وسرعان ما انجلت وصقلت فعاد إلى «سالم» رقيق تعبيره، وحلو حديثه وجمال رويه.

واستقبلهم في المحطة البروفيسور «فوخر» ومعه ابنة أخيه «ماريا» واستقل الجمع السيارة إلى البيت حيث لاقتهم مدام «فوخر» بما عرف عنها من كرم وحسن لقاء.

وكان بيت البروفيسور يقع على ربوة عالية تطل على المصيف تحيط به غابة منسقة الأشجار تتخللها رحبات انتشرت في وسطها وعلى جنباتها الزهور والورود في نظام بديع تعددت أشكاله وتنوعت صورته ومناظره.

لم يكن للبروفيسور «فوخر» خلف فتبني ابنة أخيه «ماريا» بعد وفاة والديها في حادث سيارة وأسبغ عليها من عطفه وحنانه ما أنساها آلام اليتيم وفداحة المصاب، ومن حسن الاتفاق أن تحبها مدام «فوخر» أكثر من عمها حتى لقد تبلغ من طبيعة هذا الحب أن الزائرين يحسبون «ماريا» ابنتها بل قد يتشككون حينما تتجلى لهم الحقيقة عرضاً.

وكانت «ماريا» شقراء فارعة الطول، متناسقة الجسم، وجهها يميل للاستطالة أكثر من الترييح، لها عينان عسليتان، وفم دقيق، وشفقتان رقيقتان ووجنتان كستهما الطبيعة صحة، ونضارة، فتألق من غير رتوش أو زينة صناعية. وبعبارة مختصرة كانت أنموذجاً صادقاً للجمال الآسر من أول وهلة.

وانتظم جمع الشمل مساءً حول مائدة عمرتها مدام «فوخر» بكرمها وسخائها، ونسقتها أيدي «ماريا» وصديقتين دعتهما للاحتفاء بالضيوف هما «لولا» و «ريتا». . . وبعد العشاء استهل البروفسور «فوخر» وزوجه حفل الرقص وتبعهما ثلاثي الشباب والشابات، واستمروا يرقصون مدة غير قصيرة. ثم توقفوا وانتثروا على الأرائك يستروحون، ثم جمعهم البروفسور في حلقة وطفق يقص عليهم نوادر القصص وأروعه، وطلب من ضيوفه مثل ذلك فروى كل منهم ما أسعفته ذاكرته من قصص وفكاهة، وظلوا على هذا الحال حتى منتصف الليل، وقد شاعت الفرحة في عيون البروفيسور وزوجه حينما رأيا البهجة تعلق وجوه ضيوفهما خاصة وجه «سالم» العزيز لديهما جداً.

وفي صباح اليوم التالي ذرع الثالث شوارع القرية ومنتزهاتها وآثارها، وفي المساء، بعد العشاء صحب كل رفيقته إلى كازينو القرية فسهروا حتى منتصف الليل، وهكذا كان شأنهم في بقية الأيام.

وفي خلال الغدوات والسهرات كانت «ماريا» ملازمة «لسالم» كظله تغدق عليه من عطفها وحنانها ما كان هو بحاجة إليه في وحشة الفراغ الذي أحدثه فراق «لوسي»، وكان «سالم» يشعر بخجل مرير إذ يقابل حنانها الدافق بتحفظ وبالقدر الذي يسمح به وفاؤه «للوسي» وكانت استجابته المقننة بترولاً يصب على عواطف «ماريا» العارمة فيزيدها لهيباً واشتعالاً.

ولا تسل عن عذاب الخجل وتبكيك الضمير الذي عاشه سالم «فكم من مرة كاد يستجيب لحب «ماريا» تخلصاً من عذابه وإشفاقاً عليها مما هي فيه ولكنه وهو المِضْنُ ، كان يكتنم أحاسيسه في صندوق قلبه الحديدي ويشمعه بالصمت الأحمر .

وانقضت أيام الضيافة، وما صدق «سالم» انتهاءها، فقد ناء بحمل عواطفه المكبوتة وضاق ذرعاً بأحاسيسه السجينة، وودع «سالم» ورفقاؤه مضيفيهما شاكرين لهما كرم الضيافة وحسن اللقاء، وانعطف ليودع «ماريا» فانفجرت تبكي بحرارة أذهلت الحاضرين وأخرجت «سالم» فرأى من قبيل المجاملة واللباقة أن يهدى روعها ويطفئ ثورتها فضمها إلى صدره وقبلها، إذا بها تطوقه بحنانها الفتي وتشبع خديه وشفتيه لثماً وتقبيلاً، وانفلت «سالم» من بين ذراعها بصعوبة وأسرع لا يلوي على شيء يتعثر في خجله ويتلوى من تبكيك ضميره .

ولحقه صاحباه، وأمسكا به يهددهان ما اعتراه من حرج وبهونان عليه ما هو فيه من تعذيب وتأنيب داخلي ويشعرانه بأنه لم يأت أمراً منكراً ولم يقترف إثماً يحاسب عليه، وأدركهما رب المنزل وزوجه التي سارعت إلى «سالم» فقبلته قائلة: إنها سعيدة بحب ابنتها له وإنها ترجو أن يمتد ظلال عمرها فتحضر حفلة إكليهما، فقبل «سالم» يديها شاكراً داعياً لها بطول العمر، ثم استقل ورفاقه السيارة في طريق العودة وقد سرى عنه ما انتابه من ضيق وكرب .

وعاد «سالم» إلى وحدته يسامرهما وتسامره ويناجيها وتناجيه، ويشكو منها وإليها ولا يقطع حبل الود الموصول بينهما غير رسائل «لوسي» القليلة، التي يعيش على فتاتها أياماً وليالي يلوك ذكرياتها القريبة والبعيدة حتى ظلها فيعود إلى وحدته الحبيبة .

وفتحت أبواب الجامعة وانتظم «سالم» في دراسته بما عرف عنه من جد واجتهاد، ولم يكن من جديد في حياته الجامعية سوى لقائه المتباعد «بماريا» في مناسبات الأعياد والعطلات المدرسية، فكان يجد في ذلك اللقاء متنفساً لشوقه المكبوت، ورياً لغرامه الظامىء، على أن رواسب التزمّت الراكدة في فجوات تربته البيئية وأصداء النصائح والإرشادات الأبوية المتتالية في رسائل والديه كانت تلجم انطلاقة عواطفه بقيد الوفاء لحبه الأول: حبه «للوسي».

وتلقى «سالم» رسالة من زوجة أبيه تبشره فيها بأن أخاه «وحيد» قد هداه الله سبحانه وتعالى فهجر رفاق السوء وأصبح لا ينقطع عن صلاة الجماعة بالمسجد الحرام، وانتظم في دراسته بجد ونشاط وصارت الدادة «حليمة» تخدمه وترعاه كما كانت تحنو عليك وترعاك، وكان سرور «سالم» بهذه البشارة لا يوصف، فأرسل خطاب تهنئة لأمه بما أنعم الله على أخيه من رشد وهداية، كما بعث رسالة أخرى إلى أخيه يهنئه ويدعو الله له بمستقبل باهر.

وفي صباح يوم يظل يذكره ولا لن ينساه، وصلتته رسالته من «الوسي» تخبره فيها بأنها خطبت إلى ضابط في البحرية الملكية البريطانية وأن حفلة الإكليل ستكون الثالث والعشرين من شهر يوليو القادم وفي مدينة لندن، وترجوه مخلصه حضوره حفل الإكليل الذي سترسل بطاقة دعوته إليه في حينه.

ونزل الخبر على «سالم» نزول الصاعقة، فلم يذهب إلى الكلية في ذلك اليوم بل ظل في غرفته يبكي بكاء الأيامي وينشج نشيج الثكالى، وراع غيابه صديقيه «عاصم» و «قاسم» وخشياً أن يكون أصابه مكروه فسارعا بعد انتهاء المحاضرات إلى السؤال عنه فوجدوه في غرفته منكفئاً على سريره يبكي



ويعول فأجلساه وقام عاصم وبلبل منشفة مسح بها دموعه ووجهه، وسأله قاسم:

- ما بك يا أخي عسى أنك بخير..!!

- وأي خير! بل قولاً أي شر أصابك يا «سالم»؟

وانتفض «عاصم» وقال:

- أعود بالله من الشر قل يا أخي ماذا دهاك؟؟

ودفع «سالم» برسالة «لوسي» إليه فقرأها ثم ناولها إلى «قاسم» فقرأها ثم التفت إلى «سالم» قائلاً:

- حقاً إن «لوسي» فتاة مدركة عاقلة أتريدها أن تنتظر حتى تحصل على دبلوم الطب فتتزوجها.. من يدري؟ ربما لا يوافق أبوك على زواجك من أجنبية.. أو ربما تغير رأيك فيها.. ويستفز «سالم» كلامه فيقول:

- ولكن قلت لها إنني مستعد أن أتزوجها وأنا ما أزال ادرس ولكنها.. . ويقاطعه «عاصم» قائلاً:

- ولكنها ماذا يا «سالم».. . ماذا قالت لك؟؟

- عليك أن تفكر في دراستك قبل التفكير في الزواج مني، كما أنني لا أريدك أن تقوم بعمل لا يرضى عنه والدك ولا سيما وأنت من بلد محافظ كما علمت له تقاليده وعاداته.

فقلت لها سأتزوج بعد حصولي على دبلوم الطب. غير أنها أجابت:

- هل تضمن يا «سالم» مباركة والدك لهذا الزواج؟

إنني أشك في ذلك بل أكاد أكون متأكدة سلفاً من عدم الموافقة.. .

واستمر جدالنا طويلاً حتى حسمته أخيراً بقولها:

- انتبه الآن لدراستك وأجل الحديث في هذا الموضوع حتى تتخرج . .  
ودعنا ننعمة بسعادة هذه اللقاءات . . ثم قامت وأدارت الجرامافون وأسمعتني  
موسيقى كنت أحبها .

وقاطعه «عاصم» و «قاسم» معاً قائلين :

- لقد كان قرار «لوسي» قراراً حكيماً يا «سالم» .

وأردف «قاسم» قائلاً :

- إنني أقدر موقف «لوسي» وبعد نظرها، فموافقة والديك مثل العصفور  
على الشجر قد تصيبه وقد لا تصيبه وهي لا تريد أن يفوتها قطار الزواج . . .  
ويمسك «عاصم» بيد «سالم» ويقول :

- هيا ارتد ملابسك ودعنا نخرج من هذا الجو الخانق إلى مقصف الجامعة  
نستمع بحديثها الغناء ونسيمها العذب العليل . . أليس كذلك يا «قاسم»؟؟

- بلى . . بلى . . هيا فإني بحاجة إلى كوب من الشاي وأنت من القهوة؟  
ويقيني أن «سالم» بحاجة إلى مثل ذلك .

وخرج الجميع، وفي الطريق قابلتهم «ماريا» وكانت قادمة للاطمئنان على  
«سالم» فلما رأته معهم ابتسمت وقالت :

- إنك بخير . . شكراً لله . .

فشكرها «سالم» وحيها الجميع ودعوها لتناول الشاي والمرطبات معهم في  
مقصف الجامعة فرحبت بذلك . وقضى الجميع وقتاً طيباً سرى عن «سالم»  
أحزانه وهدده آلامه وأحيت معاملة «سالم» «لماريا» في تلك الجلسة بعض  
الآمال التي كاد اليأس أن يعصف بها .

ومرت الأيام وبدأت جراح «سالم» تندمل، وكان لحنو «ماريا» وعطفها  
الفضل الكبير في ذلك .

وتخرج «عاصم» و «قاسم» في كلية الطب فاقام لهما «سالم» حفلة عشاء في أحد فنادق المدينة دعا إليها الدكتور «فوخر» وحرمه و«ماريا» طبعاً وبعض الأصدقاء، وقد تألق جمال «ماريا» في تلك الحفلة بشكل استحوذ على لب المدعوين، وكان «سالم» يشعر بالغيرة كلما اقترب أحد المدعوين من «ماريا» حتى «عاصم» و «قاسم» لم يفلتا من غيرته ولا سيما عندما راقصاها.

وانتهت الحفلة وعاد «سالم» إلى غرفته وقد أيقن أن نذر عاصفة حب جديد ستجتاحه، واسترخى في فراشه يفكر ويفكر حتى غلبه النعاس فراح في سبات عميق.

ودع «سالم» صاحبيه «عاصم» و «قاسم» وقد عادا إلى وطنيهما وخلفا فراغاً كبيراً في حياة «سالم» شعرت به «ماريا» فحاولت جاهدة سده بعطفها وحنانها وملازمتها «لسالم» كلما وجدت سبيلاً إلى ذلك. ولئن تأثر «سالم» لفراق «عاصم» و «قاسم» فقد أراح ذلك عن طريق «ماريا» عدولين كانا يستأثران بأوقات «سالم»، وهكذا خلا الجو لها فطفقت ترسم الخطط للاستيلاء على قلب «سالم» وأول تكتيك وضعته وشرعت في تنفيذه هو إزالة آثار حب «لوسي» من قلب «سالم» نهائياً، وما كادت تبدأ حتى فوجئت بـ «سالم» يكلمها على انفراد قائلاً:

- ماريا..!!

- أجل يا «سالم»..

- سأتوجه إلى لندن..

وأظلمت الدنيا في عيني «ماريا» وكادت تسقط على الأرض من هول المفاجأة، لولا أن «سالم» أحس بذلك فأسندها إلى ساق شجرة كان خلفها، ثم طوقها بزنده ووضع رأسها على كتفه وسألها.. ما بها فأجابته:

- لا شيء.. ربما سفرك المفاجيء سبب ذلك.
- فطبطب «سالم» على وجهها ثم أخذها إلى أحد المقاعد المنتشرة في حديقة الجامعة، فجلسا وابتدراها قائلاً:
- أتخشين عليّ من السفر؟؟
- وهل عندك شك في ذلك؟
- لا، ولكنني أظن أن ما اعتراك هو يقيناً خوفك عليّ من السفر بالإضافة إلى خوف آخر.
- فقاطعته قائلة:
- ما هو؟؟
- لن أقوله لك...
- إذا أنت تخفي عني شيئاً هاماً..
- ربما.. ربما..
- ونفضت من مقعدها وقالت محتدة:
- لم جشمت نفسك بإخباري عن عزمك على السفر إلى لندن ما دمت أنا غير مؤتمنة على أسرارك ونواياك، ثم استدارت محاولة الانصراف فأمسكها وأجلسها بقوة وقال:
- كنت راغباً في إثارتك حتى أرى مبلغ مالي عندك...
- إسمعي يا عزيزتي: أريد التوجه إلى لندن لحضور حفل إكليل «لوسي» فهل عندك مانع؟؟
- وما دخلي في ذلك؟
- أتظنين أنني مغفل حتى أصدق أن ما اعتراك هو بسبب مفاجأتي لك

بعزمي على السفر إلى لندن.. فقط لا غير..؟!!

- إذاً، ما هو سبب ما اعتراني؟؟ قل.. بصراحة..

- كنت تعتقد أن سفري إلى لندن هو لكي أعيد ما انقطع من حب بيني وبين «لوسي».. لقد صارحتك فأجيبني أنت بصراحة: أليس هذا هو السبب الأهم في ما اعتراك من إغماء؟؟

فغضت «ماريا» طرفها خجلاً وقالت:

- أجل.. أجل يا «سالم»..

- إذاً، فمن حقت عليّ أن أسألك: هل عندك مانع في سفري؟...

- لا.. وأرجو لك سفراً سعيداً وعوداً حميداً..

- إذاً، هيا بنا إلى كوبين من عصير التفاح نريح بهما أعصابنا المتوترة..

وتوجه «سالم» إلى لندن وكانت «ماريا» في وداعه، فحضر حفلة إكليل «لوسي» وكان العربي الوحيد بين المدعوين. وقد احتفى به أهل العروسين.. وعاد «سالم» محملاً بالهدايا «لماريا» ولعمها الدكتور «فوخر» وزوجه، وكان الجميع مسرورين بعودته وبهداياهم وانتظموا جميعاً حول مائدة أعدتها «ماريا» في شقتها احتفاءً بعودة «سالم».

وتطورت العلاقة بين «سالم» و «ماريا» وشعر كل منهما أن لا غنى له عن الآخر، ونجح تكتيك «ماريا» في الوصول إلى هذا الهدف، وكانت سعادتها بهذا النجاح لا توصف.

وجاءت أيام الامتحانات النهائية لكل منهما في كلية الطب، وبالطبع انقطعت لقاءاتهما إلا، فيما ندر، ونجح هو كطبيب جراح وهي طبيبة أطفال. وفتح «سالم» «ماريا» في الزواج منها فرحبت به في حال موافقة عمها الدكتور «فوخر» وزوجه على ذلك. فقال لها إنه سيطلب يدها منهما في الحفل الذي

سيقيمه لهما احتفاء بتخرجهما، كما أنه سيكتب إلى والده يطلب موافقته على زواجه منها، فقاطعه «ماريا» قائلة:

- هل أنت واثق من مباركة والدك هذا الزواج؟

- بكل تأكيد يا «ماريا» ولا سيما إذا علم أنك ستشهرين إسلامك.. فهل أنت مستعدة لاعتناق الإسلام؟

- بكل تأكيد وأرجو أن أصارحك بأني حسبت حساب هذا الطلب، فدرست مبادئ الإسلام من بعض الكتب التي ألفها بعض الألمان المسلمين.. والبركة فيك..

وتهلل وجه «سالم» فرحاً وقال لها:

- بورك فيك: بورك فيك.. الآن أصبحت على يقين بأن موافقة والدي مضمونة بإذن الله..

وفي الحفل الذي أقامه عم «ماريا» طلب يدها منه ومن زوجه فرحياً به وباركاه وأذاع الدكتور «فوخر» النبأ بين الحاضرين في الحفل فصفقوا له وانهالت التهاني عليهما منهم..

وكان على «سالم» و «ماريا» أن يبقيا في الجامعة سنة أخرى للتمرين، لأن «سالم» كان راغباً في الاطلاع والتمرن على أحدث ما وصل إليه فن الجراحة في ألمانيا..

## الجحيم

وغزا «هتلر» «بولندا» بعد أن اجتاح ممر «دانزج» وهرع رئيساً بريطانياً وفرنسا إلى الاجتماع «بهتلر» في «ميونيخ» فلم تفلح جهودهما في منع نشوب حرب. ومع أن «سالم» و «ماريا» كانا يشعران بالتوتر الدولي إلا أنهما لم يكونا يتوقعان نشوب الحرب بهذه السرعة المذهلة، وما كاد

الخبر ينتشر حتى سارعت «ماريا» إلى «سالم» وهي تقول والحزن يعتصر كلماتها:

- «سالم» يجب أن تعود إلى بلدك بأول واسطة. أنا ذاهبة الآن لأحجز لك قبل أن تغلق أبواب السفر، واستدارت لتنطلق وإذا به يمسكها ويقول:

- يجب أن تذهبي معي أنت أيضاً.

- مستحيل يا «سالم» أنا ألمانية ووطني في حالة حرب وعليّ أن أضع نفسي تحت تصرف دائرة الحرب. دعني أذهب قبل أن تفوت عليك فرصة السفر.

- لا يا «ماريا» لن أسافر.. سأبقى معك.

- ووالدك.. وأهلك سيكونون في حالة قلق وخوف عليك.

- أنتِ والدي وأنتِ أهلي..

- ولكني لا أستحق منك هذه التضحية.

- ولكنها البرهان العملي على حبي لك.

وارتمت «ماريا» على صدره وانهالت تقبله ودموع الفرح المشبوب بالقلق تغمر محياها.. وفجأة نهضت وهي تقول:

- لا.. لا.. يجب أن تسافر.. أرجوك.. أرجوك..

ولكن «سالم» أجلسها بجانبه وهو يقول:

- لا أستطيع السفر حتى لو أردت ذلك.

- كيف.. كيف..

- أنا سمعت الراديو وهو يذيع منع الألمان وغير الألمان من المقيمين في

ألمانيا من السفر. هيا بنا يا «ماريا» إلى إدارة التجنيد نضع أنفسنا تحت تصرفها:

وذهبا إليها ولسان «سالم» يقول:

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها  
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها  
وارتمت «ماريا» على صدره وقالت والدموع تغالب كلامها: إنك تتكلم يا  
«سالم» بلساني. أنا مضطرة للحاق بسرعة إلى مركز التجنيد قبل إغلاقه، وأنا  
جد حزينة أن أتركك، ولكن المثل العربي كما تعلمت يقول: مصير الحي  
يتلاقى. ثم قبلها وقبلته طويلاً وهي تقول: الله معك.

- وأجاب «سالم»: الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

وأرسلت «ماريا» إلى الجبهة الغربية من القتال «وسالم» إلى الجبهة  
الجنوبية، أما الدكتور «فوخر» فأرسل للعمل في المستشفى ببرلين.

وانقطعت الصلات بين الثلاثة في زحمة السنة الأولى من انتصارات «هتلر»  
الساحقة. وفي السنة الثانية للحرب استطاعت «ماريا» الاتصال بعمها الدكتور  
«فوخر» وعن طريقه عرفت مقر «سالم» فكاتبته وكاتبها. ثم ما لبثت  
الاتصالات أن انقطعت ثانية بسبب تحرك جبهات القتال وتنقلات الجيوش  
الألمانية السريعة، وتبعاً لذلك تغيرت أماكن «سالم» و «ماريا» وزاد الطين بلة  
ذهاب الدكتور «فوخر» مع حملة غزو ألمانيا لروسيا.

وجرت محاولات يائسة من قبل والد «سالم» لإخراج ابنه من جحيم  
الحرب الدائرة، بيد أن محاولاته باءت بالفشل جميعها.. وهكذا عاش والد  
«سالم» وزوجه وابنه «وحيد» في قلق دائم وحزن متواصل.. على «سالم»  
خففت من غلوائه عناية «وحيد» بوالديه ونجاحه في دروسه.



وعندما بدأ المد الألماني في الانحسار بفشل الغزو الهتلري لروسيا وهزيمة الألمان في معركة العلمين، شاءت الظروف أن تجمع بين «سالم» و «ماريا» في جبهة القتال ضد جيوش الحلفاء التي نزلت في «نيورماندي» بشمال فرنسا.

وفي جحيم المعارك الطاحنة، وتحت وابل قنابل الطائرات المنهمرة كان «سالم» و «ماريا» يختلسان بعض الدقائق للتشاكى مما لاقيا والقلق المشوب بالخوف مما سيلاقيان.

واشدد سعيير الحرب وأوراها وتوالت هزائم الجيش الألماني على الحدود الغربية أمام قوات الحلفاء الزاحفة.

وفي إحدى هجمات هذه القوات على مدينة من مدن «الرين» كانت «ماريا» تعمل في المستشفى العسكري الألماني بها دمرت القنابل المستشفى وانهزم الألمان تاركين «ماريا» مغمى عليها تحت أنقاض المستشفى.

ودخلت القوات الحليفة المهاجمة المدينة ونقلت المغمى عليها إلى الخطوط الخلفية للإسعاف، وأرسل سالم للعمل في إحدى مستشفيات الحلفاء الخلفية بعد أن عرفت هويته، أما «ماريا» فأرسلت للعمل مع الألمانيات الأسيرات في غسل ملابس الجنود وكيها وتنظيف المخازن وكس الشوارع وتعبيد الطرقات الجانبية تحت حراسة شديدة من جنود غلاظ عليهن أثناء العمل بالنهار. أما في الليل فالويل لمن لا تذهب مع أحد الجنود أو الضباط. وقد خدم الحظ «ماريا» حين تفشى مرض وبائي بين أطفال القرية التي كانت تعمل فيها مع بعض الألمانيات الأسيرات إذ قامت بمعالجتهم والعناية بهم بشكل لفت نظر الأطباء الموجودين في المستشفى بتلك القرية فأدخلوها في عداد الأطباء والطبيبات هناك وأعطوها غرفة في المستشفى للنوم فيها، وهكذا سلمت من أذى جنود الحلفاء وضباطهم.

وانتهت الحرب العالمية الثانية، ولم يعرف «سالم» أو «ماريا» شيئاً عن مصير الآخر. وأعيد «سالم» إلى وطنه، وكانت فرحة والديه به لا توصف. أما «ماريا» فحظها كان سيئاً إذ أخذها الروس هي وعمها الدكتور «فوخر» في عداد من أخذوا من أصحاب المهن والحرف والصنائع من الألمان إلى بلادهم.

وحاول «سالم» معرفة مصير «ماريا» ولكن محاولاته باءت بالفشل، فشد رحاله إلى ألمانيا بعد أن عاد الاستقرار إليها حيث علم وهو هناك أن «ماريا» موجودة في مكان ما من روسيا، وأنه حتى لو عرف مكانها فالروس لن يمكنوه من الاتصال بها فعاد إلى بلده يجر أذيال الخيبة والفشل. أما «ماريا» فقد خفف من كربها وبلائها وجود عمها الدكتور «فوخر» في المستشفى الذي كانت تعمل فيه.

وشعر والد «سالم» بما يعتمل في قلب ابنه، فأراد أن يخفف عنه بعض ما هو فيه فأقنعه بفتح عيادة طبية في مكة المكرمة، وتردد سالم في أول الأمر ولكن أخاه «وحيد» وقد أصبح من كبار تجار بيع الأراضي والعقارات قام بمحاولات يائسة لإقناع أخيه بفتح عيادة طبية إما في مكة المكرمة وإما في الرياض، وقبل «سالم» وأصبحت له عيادة طبية مجهزة بأحدث وسائل الطب فكانت حديث الناس في البلد الأمين. ولا شك أن عمله الجديد قد ألهاه بعض الشيء عن التفكير في «ماريا» وأزال بعض غياهب الحزن عن محياه، ولكن عندما يأوي إلى فراشه تعاوده أفكاره وأحزانه.

وأحس والد «سالم» وهو يرى مصباح غرفة نوم ابنه مضيقاً أكثر ساعات الليل، بأن ابنه ما يزال يفكر في الفتاة الألمانية التي كتب إليه «سالم» يستأذنه في الزواج منها، وذلك قبل نشوب الحرب العالمية الثانية، فاستشار والده ابنه «وحيد» في ماذا يجب أن يفعل، فأشارت عليه بأن يعرض عليه الزواج فربما

من يتزوج بها قد تنسيه حبه للفتاة الألمانية وعرض والد «سالم» على ابنه موضوع الزواج فأجابه سالم:

- يا أبي، أنا شاكر لك ولوالدة أخي «وحيد» اهتمامكم بأمرى وحرصكم على تأمين راحتى ما وسعكما السبيل إلى ذلك.. ولكن..

- ولكن ماذا يا بني..؟؟

- لقد آليت على نفسي ألا أتزوج حتى أعرف مصير «ماريا»..

- ولكن «ماريا» أسيرة عند الروس كما أخبرتني، والروس شعب أنتزع الله الرحمة من قلوبهم بعدما أصبحوا شيوعيين، ويقيني أن فتاتك قد قتلها الروس بعد أن استنفدوا أغراضهم منها.

- وحشية الشيوعيين الملاحدة أمر مسلم به، ولكنى أريد أن أتأكد من موتها..

- يا بني.. إن لم تكن فتاتك قد هلكت حتى الآن، فإن مصيرها إلى الهلاك عاجلاً أم آجلاً.. ولما رأى «سالم» إصرار والده قال له:

- دعني يا والدي أفكر في عرضك، واسمح لي الآن أن أذهب إلى العيادة، فلدي مرضى بحاجة إلى عناية خاصة..

- مع السلامة يا بني.. وفقك الله..

وأخلى الروس سبيل الدكتور «فوخر» وابنة أخيه «ماريا» وغيرهم من الأسرى الألمان بعد أن استنفدوا الأغراض التي من أجلها أخذوهم إلى روسيا، وعادت «ماريا» مع عمها وكان أول شيء قامت به هو البحث عن «سالم» ومعرفة مصيره وفي الوقت نفسه ذهبت إلى بيتها وبدأت تفتش بين أنقاضه لعلها تعثر على عنوان «سالم» في وطنه، ولما أعيهاها البحث

سارت، إلى مسكن «سالم» فوجدته أيضاً أنقاضاً، وبينما كانت تفتش عثرت على بعض ملابسه فلملمتها وجلست على أحد الأحجار تبكي بحرقة ومرارة.

وحاولت فيما بعد الاتصال ببعض العرب الوافدين من جهات الخليج أو السعودية فلم يشف أحد منهم غليلها، ولم يكن للسعودية آنئذ أي تبادل دبلوماسي مع ألمانيا فاستولى على «ماريا» اليأس وكاد يحطمها لولا أن عمها الدكتور «فوخر» وجد لها عملاً في أحد المستشفيات أنساها بعض ما تعانیه من التفكير في مصير «سالم».

ويئس والد «سالم» ومعه زوجه أم «وحيد» من إقناع «سالم» بالزواج وتركها للزمن حل هذه المعضلة.

وفي يوم ما تزال تذكره «ماريا» ولن تنساه جاءها عمها فرحاً مستبشراً، فلما رآته سألته:

- عماه! أرى السرور يزين محياك فهل لي أن أشارك معك..

- ولم لا يا بنيتي..؟ إن سروري قد يجلب لك السرور أيضاً..

وعرت «ماريا» الدهشة وقالت:

- خيراً يا عماه.. خيراً.. قل لي بربك.

- وفدت إلى «بون» بعثة سعودية تطلب بعض الأطباء للمستشفى العسكري في الرياض وفي الطائف، وقد عرضت اسمي واسمك على المسؤولين في البعثة فعينوا لي ولك موعداً لمقابلتهم بعد يومين، وإنني آسف يا بنيتي على أنني لم آخذ رأيك قبل عرض اسمك معي عليهم.

وصفقت ماريا وقالت والفرحة تشيع في محياها:

- لا موجب للأسف.. لقد أحسنت يا عماء بعرض اسمي مع اسمك، وربما كنت ستأسف حقاً لو لم تعرض اسمي مع اسمك... .

- شكراً لله.. لقد رأيت يا بنيتي أنها فرصة لكي نسأل عن «سالم» فربما وجدناه، ويقيني أننا سنجد من يعرف عنه.. .

- نعم ما فعلت يا عماء.. نعم ما فعلت.. وأدعو الله أن تنجح المقابلة وأن يكتب لنا الحظ لنكون في عداد من سيأخذونهم من الأطباء.. .  
- يا رب.. يا رب..

ونجحت المقابلة وسجل الدكتور «فوخر» والدكتورة «ماريا» في عداد من سيأخذونهم من الأطباء إلى المملكة العربية السعودية وقد عينا في مستشفى الكلية الحربية بالرياض.. .

وحمد الناس في المملكة لوزارة الدفاع السعودية استقدامها لهذا النفر من الأطباء الألمان، ذلك لأن المملكة كانت في تلك الفترة بحاجة إلى أطباء. وتهافت المرضى والمهتمون بصحة أبدانهم على الرياض والطائف، وقد استفاد أكثر المراجعين من مهارة هؤلاء الأطباء وحذقهم في فنهم.

وسمع «سالم» فيمن سمع بقدم هؤلاء الأطباء الألمان، فقرر السفر للرياض للتعرف إليهم فربما علم منهم شيئاً من أخبار «ماريا» أو عمها الدكتور «فوخر» فشد الرحال إلى الرياض.

وفي صباح اليوم التالي لوصوله، وبينما كان يتناول القهوة مع مدير المستشفى العسكري في مكتبه، إذا بالدكتور «فوخر» يدخل وإذا بالدكتور «سالم» وقد رآه، ينهض هاتفاً بفرحة عارمة:

- دكتور «فوخر».. يا لها من مفاجأة سارة!

وإذا بالدكتور «فوخر» يضمه بتوق وشوق قائلاً:

- وشكراً لله على رؤياك بخير يا بني . .

وتعقد الدهشة لسان مدير المستشفى وهو يتطلع إلى الموقف بذهول . .  
يقطعه «سالم» مخاطباً المدير قائلاً:

- الدكتور «فوخر» أستاذي يا أخي المدير . .

ويرد الدكتور «فوخر» قائلاً:

- أجل يا سعادة المدير وكان «سالم» من الطلاب النابهين والحمد لله أني  
عشت فرأيتك، والآن أستاذنكما في الخروج لقضاء عمل هام راجياً من الدكتور  
«سالم» أن ينتظرنني . فلن يطول غيابي ولا سيما لدي حديث طويل معه .

ويذهب ويسرد «سالم» للمدير علاقته بالدكتور «فوخر» وما قاسيا معاً ومع  
ابنة أخيه الدكتورة «ماريا» من مصاب ومتاعب .

ويقطع مدير المستشفى الحديث قائلاً:

- دكتور «سالم» الدكتورة «ماريا» تشتغل بالمستشفى هنا في قسم النساء  
والولادة والأطفال . . ويصرخ الدكتور «سالم» بفرح جنوني قائلاً:

- أحقاً ما تقول يا أخي؟ هل من الممكن أن أراها . .

وما يكاد يكمل عبارته حتى يدخل الدكتور «فوخر» ومعه الدكتورة «ماريا»  
وما إن ترى الدكتور «سالم» حتى تهتف:

- دكتور «سالم» . . عفواً سيدي المدير .

ثم ترمي على إحدى المقاعد وهي تبكي، ويقول الدكتور «فوخر» وهو  
بيتسم:

- إنها دموع الفرح يا سيدي المدير . . .

ويقوم المدير ويغلق باب مكتبه ثم يجلس ويقول:

- أريد أن أشارك معكم في هذه المفاجآت السارة المذهلة، فهلاًّ روّيتم لي

قصتها؟

وتمر الأيام سراعاً وتعتنق «ماريا» الإسلام وتتزوج من الدكتور «سالم» في

حفل خاص وقد تبرع والده بأضعاف ما كان سينفقه في حفل زفاف ابنه على

الجمعيات الخيرية في بلاده حمداً وشكراً لله تعالى . .

## نداء الطبيعة

فجع «خالد» في أول حب له، اذ اختطف يد المنون فتاة أحلامه، فبرم بالحياة، وقد برمت به، وتنكر لها، وقد تنكرت له، فكانت هي حيث لا يكون، وكان هو حيث لا تكون.

وصدمت «هالة» في أول حب لها، وكان حياً عارماً، اذ سرعان ما اكتشفت أن من أحبت كان طامعاً في ثرائها لا في شخصها وما امتازت به من جمال وخصال ومؤهلات.

واستحكمت الصدمة في «هالة» واستبدت بها فأصبحت تحتقر جنس الرجال، وتستريب منهم، وتتجنب الاختلاط بهم أو الجلوس إليهم إلا بقدر ما تتطلبه ضرورات الاتصال اليومي ومقتضيات الحياة.

ونشأ «خالد» نشأة عصامية، فبعد حصوله على «ليسانس الحقوق»، افتتح مكتباً للمحاماة، وخطا خطوات ثابتة، وجال جولات موفقة، فأصبح مرموقاً بين هذه الطبقة من الناس . .

وكان «خالد» وحيداً لأبويه اللذين أبى الدهر الخؤون إلا أن يحرمه منهما ومن عطفهما وحنانهما . . فقد احتسبهما - بعد تخرجه في الجامعة.

وهكذا جابه «خالد» أعباء الحياة وحيداً لا قائد ولا مرشد إلا ما زوده به والده من تربية عالية، وغرس فيه من أخلاق متينة فاضلة.

أما «هالة» فقد ولدت وفي فمها ملعقة ذهب، فوالدها كان من سراة قومه



وأعيانهم، له جاه عريض، ومكان رفيع في مجتمعه وبيئته. . فنشأت - وكانت وحيدة والديها، نشأة «بنات الذوات» وكاد تيار النعمة واليسار يجرفها إلى المصير الذي كثيراً ما يتعرض له أبناء هذه الطبقة المترفة، لولا أن القدر تدخل فغير مجرى حياتها، فقد توفي والدها - في فترات متقاربة - وهي في الثامنة من عمرها، فكفلتها جدتها، وكانت صلبة العود، شديدة المراس، يجري في عروقها دم الشركس، والشركس قوم عرفوا بالبأس والشدة وقوة الشكيمة.

وظفقت الجدة تروض حفيدتها على حياة جديدة غير التي كانت «هالة» قد ألفتها، وقد لاقت في أول الأمر صعوبة في ترويض هذه «الطفلة المدللة» بيد أن سياسة الشدة واللين، والترغيب والترهيب - مع الأيام - قلبت أوضاع هذه الطفلة رأساً على عقب، فاخشوشنت «هالة» ومارست حياتها الجديدة واستمرأتها.

ودخلت «هالة» المدرسة، وانتظمت بين طالباتها فكانت مثلاً عالياً لزميلاتها. . والتحقّت بعدها بالجامعة وحصلت بتفوق على دبلوم التربية والتعليم.

واستقبلت حياتها الجديدة بالتدريس في إحدى مدارس البنات الحكومية، واشتركت في الجمعيات النسائية للبر والاحسان، فكان لها فيها جميعها نشاط محسوس، وخدمات انسانية جليلة، رددتها المجتمعات بالشكر، وتحدثت عنها الصحف بالثناء.

وأول لقاء «خالد» بهالة كان في إحدى حفلات «البازار» الخيري التي أقامتها إحدى الجمعيات التي تنتسب إليها «هالة» فقد رآها وهي تعرض قسماً من مصنوعات هذه الجمعية، فتسمر في مكانه، وطفرت أفكاره إلى الماضي البعيد، فإذا «هالة» صورة حية لفتاة أحلامه، بعثت من مرقدتها لتبعث فيه حياً

مات في مهده، ولكنه كان مسجى في قلبه، يطوف به في غدوه ورواحه،  
وحله وترحاله، في ليله ونهاره، وصباحه ومساءه.

وقف «خالد» يتأملها مشدوها، فتمثلت له الذكريات، حلوها ومرها،  
وصلها وهجرها، وإذا بقلبه يخفق في سرعة زائدة، واذ بالدموع تغشى عينيه.  
وقد لاحظت «هالة» ما اعتراه فسألته:

- ما بك أيها السيد . . أتشكو من شيء . .؟؟

فصحبا - على كلامها - من حلمه الجميل، وأصابه ارتباك، على أنه - أخيراً  
تماسك فابتسم وقال:

- اسمي «خالد» أشكرك يا آنسة . .

وتوقف ليعرف اسمها فأجابته.

- «هالة» . .

فقال على الفور:

- تشرفنا يا آنسة «هالة»: إني أشعر بصدا . .

فأخرجت من درج منضدة العرض حبة اسبرين وأعطته إياها، فابتلعها  
وشكرها، ثم اشترى مما كانت تعرض وانصرف يتابع طوافه «بالبازار»  
ويختلس النظر إلى «هالة» كلما وجد إلى ذلك سبيلاً . .

وجرى «مزداد» على سجادة اثرية نفيسة، تولت «هالة» الاشراف عليه،  
فتنافس المتنافسون، وتبارز الرأسماليون . . وقد كان لجمال «هالة» الفضل  
الأول في هذا الصراع . . وارتفع رقم المزايده، و«خالد» في الطليعة . .  
وأخيراً رست عليه، فصعد إلى المسرح ليتسلم السجادة، فأخرج دفتر  
«الشيكات» وحرر القيمة، ثم تبرع بالسجادة للجمعية، فصفق له الحاضرون،  
وشكرته «هالة» . . ونزل وعيناها تشيعانه . .

وعاد «خالد» إلى بيته، وماضيه يتراءى له، عن يمينه، عن شماله، وقدامه، وخلفه، ولا محيد له عنه.. وحاول أن ينام فلم يستطع إلا عندما شقشق الفجر.

وعادت «هالة» إلى دارها، وقد بدأ نداء الطبيعة يستيقظ فيها بعد طول سباته، كانت أفكارها نهياً لخواطر يزحم بعضها البعض الآخر.. منها ما هو ثائر على مبدأ كره الرجال ومقتهم، ومنها ما هو متزمت شديد التمسك بتلك السياسة.. ومنها ما هو حائر تائه في دوامة تلك الخواطر..

وشقي كل بماضيه، «فخالد» وفاء لحبه الأول حرص على أن لا ينساق لعاطفته الجديدة، و«هالة» استمسكاً بمبادئها الجديدة، وتجنب التعرض لآلام فشل آخر في حب جديد، آثرت وأد العاطفة الوليدة في مهدها.. وهكذا ترك كل منهما مصير عاطفته للزمن..

ومرت أيام وليال عصبية على كليهما، وهما إذ يتظاهران بالجلد والكبت لإخفاء شعورهما لا يستطيعان تعليل لقيائهما في الأماكن التي اعتاد كل منهما ارتيادها، ترى هل يستطيع هذا «الكوموفلاج» كتمان «نداء الطبيعة» الداوي في قلبيهما.

وانتخب «خالد» سكرتيراً عاماً لنقابة المحامين، وشق طريقه للمستقبل، وانتخبت «هالة» رئيسة للحزب النسائي الجديد، وجاهدت عن طريق الصحافة، والمذكرات، ومنابر الخطابة، ووسائل الإعلام أسماع ذوي الشأن مطالبة المرأة بحق الانتخاب.. ووظائف السلك القضائي والدبلوماسي.

وهكذا أصبح كل منهما شخصية مرموقة في حقله ودائرة اختصاصه، ولكن جهاد كل منهما فيما اختطه لنفسه لم يخمد نداء الطبيعة، بل زاده على كر الأيام وتعاقب الليل والنهار قوة وتمكيننا كانت أولى ومضاته وبروقه دفاع المحامي «خالد» عن حقوق المرأة في سلسلة مقالات نشرتها له أمهات

الصحف، فأحدثت ضجة وتأثيراً عميقاً في الرأي العام، واستطاع «خالد» بحججه الدامغة وأسلوبه الرائع المقنع أن يؤلب جيشاً من الانصار المنافحين عن قضية المرأة وعدالتها.

ورأى الاستعمار الأجنبي البغيض الجاثم على صدر ذلك البلد، أن حركة «خالد» و «هالة» نذير انتفاضة ضده وكسر لقيوده وأغلاله، فلفق «لخالد» تهمة بواسطة عملائه، وما أكثرهم، في كل بلد، وهكذا نفي الى بلد وضع فيه تحت الرقابة الشديدة، وحل الحزب النسائي وأقصيت «هالة» وحددت إقامتها. وأثارت الاجراءات التعسفية التي اتخذها المستعمر نائرة الرأي العام في ذلك البلد، وكانت سبباً في توحيد صفوفهم وحل خلافاتهم والمطالبة بالاستقلال..

وجاءت الحرب العالمية الثانية وهزمت جبهة حلفاء ذلك المستعمر ونال ذلك البلد استقلاله. ودخل «خالد» و «هالة» قاعة برلمان العهد الجديد ويده في يدها.

## لولا القدر

تحتضن بلدة «نجوى» سفح جبل شاهق، متشابك الأحراج متشعب المسالك والدروب، تكسوقمته الثلوج في فصل الشتاء، وتزين ذراه وطرقاته الزهور من كل لون في فصل الربيع، وبداية الصيف، وتزخر أدغاله بأنواع الطيور تنتقل من فنن إلى فنن، يطارح كل خليلته أو حليلته، حبّه ووجده، شوقه وبرحه على (تمتمات) زقزقات القبل، واصطفاق الأجنحة، على ترانيم وتغريد متعددة النغمات تنساب حاملةً على المياه المتدفقة من ذوبان الثلوج، وفيضان الينابيع، وأحياناً تتجمع هذه الطيور جماعات.. جماعات.. زرافات.. وأحادا، تمتاز خيرات الارض وتشتار شهد الزهر، تطعم وتسقي منه بنيتها في مناظر خلابة وأشكال تبعث البهجة في النفوس، وتثير الفرحة في القلوب، بل لقد تهتاج كوامن الاشجان، وتباريح الهوى والغرام في أفئدة العاشقين الذين يتخذون من هذه الأحراج متنفسا لما تجيش به صدورهم، وتصطلى به افئدتهم، وكثيراً ما كان هؤلاء يقلدون حركات الطير في شتى اشكالها وصورها وألوانها.

وتزحف بلد «نجوى» إلى أسفل الجبل وتمتد إلى السهل المنبسط الفسيح ومروجه الخضراء تخترق أكوأخها وبيوتها الحديثة أقنية المياه، وطرق مسفلتة وأزقة أدرك التعبيد بعضها، وما يزال البعض الآخر تراباً يتصاعد منه الغبار كلما هبت الريح وخاصة خماسين الصيف وأخرياته.

وأكثر أكوأخ الفلاحين والمزارعين والعمال، مشيدة من اللبن المقوى بطبقة

من الاسمنت لمقاومة المطر وجائحة العواصف، مطلية بالرخام الأبيض حتى لتحسب هذه الأكواخ كتلاً ثلجية متناثرة لا يستطيع وهج الشمس إذابتها، بل على العكس يزيد لها معاناً وتلاؤماً وبريقاً ترتاح إليه القلوب والأبصار.

أما دورها فمبينة على النمط الحديث تطرز هاماتها اهرامات من القمريد الأحمر تقيها غوائل الشتاء وتضفي عليها بهاء المدينة ورداء الحضارة، كما أن طراز دور العبادة يزيد المنظر جلالاً على جلاله وروعة على روعته، وجمالاً على جماله.

وفي البلدة شارع رئيس فسيح واحد اكتظ بحوانيت الباعة لأصناف السلع، وبه داران للسينما تجذب أنوارهما المتلائية الملونة أبصار المشائين، وتستشير لوحات صورها المعروضة أفانين الرغبة في نفوس المتفرجين.

وفي أحد الشوارع المتفرعة من الشارع الرئيسي، شيدت الحكومة مستشفى كبيراً زودته بالأطباء والممرضات، وأحدث الآلات وصنوف الأدوية. وفي مكان آخر من البلدة، بنى أحد الأطباء مستشفى أهلياً خاصاً، وافتتح غيره ثلاث صيدليات وأسست إحدى الجمعيات الخيرية مستوصفاً خيرياً..

وفي البلدة ناديان رياضيان تزاول فيهما وفي ملاعبهما جميع أنواع الرياضة، وفي مقدمتها كرة القدم التي تقام لها مباريات موسمية متعددة يقدم في نهايتها رئيس المجلس البلدي كأس البلدة للفريق الفائز..

وافتتحت وزارة المعارف مدارس ابتدائية وثانوية في بلدة «نجوى» وأقامت إحدى الجمعيات التعاونية مدارس ابتدائية وثانوية ودار حضانة، هذا بخلاف المدارس التبشيرية التي تقيمها عادة الطوائف المسيحية المختلفة، وعلى العموم فقد كانت البلدة نموذجاً لأحدث البلدان في تلك المنطقة.

وانتشرت على جوانب البلدة وأرباضها الأراضي الزراعية تصل ما بينها الطرق الترابية والمسفلتة والجسور ما بين بدائي منها وحديث.. ومن أهم ما

كان يزرع في تلك الأراضي قصب السكر، ولذلك أنشئ في بلدة «نجوى» مصنع سكر لهذه الغاية.

ويحكم «نجوى» مجلس بلدي ينتخب أهلها أعضائه بطريق الانتخاب الحر، وينتخب المجلس نفسه رئيساً له من بين أعضائه، وتوافق الحكومة - عادة - على الرئيس المنتخب إذا كانت ميوله معها، وتعارض إذا كان غير ذلك.. . وكانت لرئيس المجلس صلاحيات واسعة أشبه في مجموعتها بالصلاحيات التي يتمتع بها أي دكتاتور.

وفي الوقت الذي تجري فيه حوادث قصتنا هذه، كان «رشدي» رئيساً للمجلس البلدي والحاكم بأمره في بلدة «نجوى».

كان «رشدي» في الخمسين من عمره، طويل القامة، مستدير الرأس، أصلع الشعر، واسع الجبهة والعينين، منتفخ الأوداج، كبير الأنف والأذنين، مستطيل الوجه، أبيض اللون، متورد الخدين واسع الفم دقيق الشفتين عريض المنكبين والصدر، حليق اللحية، ميلاً إلى السمنة، بارز البطن، جهوري الصوت، ذلق اللسان، سليطه. وكان يفتل شاربيه الكثين كلما فكر في أمر أو هم في تنفيذه.

كان «رشدي» صلب العود شديد المراس، كثير البطش والجبروت، عنيداً بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وكان بالإضافة إلى ما ذكرنا آنفاً كريماً إلى حد الإسراف شجاعاً إلى حدّ الفروسية، واسع الأفق والتفكير بارع الحيل والأساليب في كل ما يعود بالنفع والخير على نفسه وأهل بلده، فأحبه الناس وهابوه وخافوه، وكانت صلته برئيس الدولة وعضويته في الحزب السياسي الحاكم مصدر قوته ونفوذه، مضافاً إلى ما متعه به القانون من صلاحيات، وخلع عليه من حصانات.

كان «رشدي» من كبار الملاك في بلده، ورث عن آبائه وأجداده بعض

أملاكه والبعض الآخر من كده وعرقه، أحب في صباه إبنة عمه حباً عارماً كان حديث الناس في زمانه، فتزوجها واستولدها أبناءه الثلاثة: مجدي، فوزي، وفتحي. ولما ماتت زوجته أقسم ألا يتزوج بعدها وبراً بقسمه. . وقد اكتسب «مجدي» و «فوزي» غلظة أبيهما وفضافته، بل كانا في بعض الأحيان أشد ظلماً وقسوة منه، حتى جأ الفلاحون منهما وترحموا على معاملة أبيهما. أما الابن الأصغر «فتحي» فكان يختلف عنهما كل الاختلاف حتى لتحسبه من طينة غير طينة أخويه ومن أب غير أبيهما.

كان «فتحي» باراً بوالديه، وبأخويه وبالفلاحين وبسكان بلدته جميعاً، لا فرق عنده بين كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، وكان كثيراً ما يدفع أذى أبيه، وغوائل أخويه عنهم، حتى أحبه الجميع إلى درجة العبادة.

وأمعن «فتحي» في نصرة المزارعين والفلاحين، فطلب من والده أن يعينه مديراً لأملاكه الشاسعة فاستجاب لمطلبه، وهكذا جعل «فتحي» من نفسه ستاراً حديدياً يقيه شرور أبيه وأخويه.

وتسبب اختلاط «فتحي» بالفلاحين حبّه لفتاة من هذه الطبقة اسمها «سلمى بنت مصطفى»، ففاتح أباهما في أمرها، فأجابته والدها: انه لشرف ما بعده شرف ان يصاهر أحب الناس إليه وأغلاهم لديه، ولكنه يخشى عليه وعلى نفسه وقومه من بطش أبيه. . بيد أن «فتحي» أصر على الزواج بهذه الفتاة خلسةً وهكذا تم الزواج في سرية تامة.

وأسرى «فتحي». . بزوجه هذه إلى بلد ناء عن بلد أبيه، وأسكنها في قصر مهجور بين أحراج ذلك البلد. . وخلف «فتحي» من زوجته هذه ولداً وبنتاً كانا في منتهى الجمال والصحة والعافية.

ويقول المثل: «كل سر جاوز الاثني شاع» وهكذا علم والد «فتحي» بزواج ابنه، فثارت ثائرتة، وزاد النار اشتعالاً استشارة أخوي «فتحي» لأبيهما،



فاستدعى «رشدي» ابنه وحقق معه فأنكر ذلك طبعاً، ثم اتى بوالد «سلمى» فسأله فأنكر أيضاً ولم تجد سياط «رشدي» وأفانين تعذيبه في فتح فم والد الفتاة المغلق بشمع الصبر الأحمر.. وأخيراً فاجأه «رشدي» صارخاً بصوت رهيب..

- أين ابتك يا كاذب.. قل لي أين هي وإلا قتلتك..

- ويظهر أن «فتحي» و «مصطفى» والد الزوجة كانا قد استعدا من قبل لهذه المفاجأة، فأبرز والدها شهادة وفاة مزورة. فهذأت نائرة «رشدي» قليلاً، غير أنه أقسم ليحرقن الزوجة وولديها إن تبين أن هذه الشهادة مزورة. وأخلى سبيله..

- ومرت العاصفة وانصرف ذهنه عندما استدعي ولده «فتحي» للخدمة العسكرية، ولم تجد توسلات أبيه ولا نفوذه أو جاهه في إعفائه من الخدمة، لأن ظروفًا من القلاقل وتحركات حربية كانت تظهر الفنية بعد الفينة على حدود تلك الدولة النائية.. فودع «فتحي» زوجته وولديه وأوكل إلى صديق من أخلص أصدقائه العناية بهم في غيابه، وسار وعين الله تكلؤه برعايتها.

- وعندما عاد «رشدي» مع ولديه لإدارة أملاكه، عرفوا بطريقة ما حقيقية زواج «فتحي» فصب الأب جام غضبه على «مصطفى» والد الزوجة، ولما لم تفلح سياطه وألوان تعذيبه بأي إقرار منه، لفق له تهماً استطاع «رشدي» بها وبنفوذه أن يودعه السجن الذي تقبله «مصطفى» ولسان حاله يردد «ربي السجن أحب إلي مما يدعونني إليه».

- لم يرض «رشدي» بالهزيمة وقبول الأمر الواقع، بل ظل ييث العيون والأرصاد ويبذل المال بسخاء وإسراف هنا وهناك لا يكمل ولا يمل، وكان كلما عميت عليه الطرق أمعن في عناده وإصراره.

- وفي يوم من الأيام كان صديق «فتحي» - كعادته - يحمل الزاد إلى زوجة

صديقه وولديها، تبعه اتفاقاً وعن بعد، أحد عيون «رشدي» فعرف المكان بالطبع فأسرع بنفسه يزف الخبر إلى «رشدي» الذي سربه سروراً ما بعده سرور، وأغدق على البشير الشيء الكثير، ثم دعا ولديه واثنين من خلص اتباعه واتفقوا جميعاً على أن يقوم «التابعان» بنسف الدار وإشعال النار في الحرج في الوقت الذي يكون الصديق فيه.

- لقد تحجر قلب «رشدي» ونضبت الرحمة فيه، ولم تبق إلا أصوات الانتقام تزار فيه طالبة الموت والهلاك لإنسانة بريئة وطفلين بريئين.

- وهكذا نسفت الدار وأشعلت النار في الحرج.. وكانت الزوجة ترضع ابنتها آنثذ فلم تشعر إلا وهي وطفلتها وسط ألسنة النار وفحمها، فهرعت تحمل ابنتها تتخطى بلا شعور سياج النار وتصرخ بجنون وقد اتت النار على بعض من اجزاء جسمها، وما كادت تخرج من منطقة الخطر وتذكر ابنها حتى ندت منها صرخة فقدت على اثرها رشدها، فجرت عارية والطفلة على كتفها تتسلق الجبال وتهوي إلى الوديان.. حيث رآها بعض (العجبر) (النور) فأمسكوا بها، وأخذوا طفلتها، وسترها عورتها، وشرعوا في تطييبها بعد أن أوثقوا رباطها.

- وكان الصديق وقت النسف يداعب الطفل، واذ بقوة الانفجار ترمي به هو في أتون النار فلم يفقد رشده بل كافح وعاد إلى حيث كان مع الطفل فوجده معلقاً في أحد السقوف فأخذه إليه وفتش عن الأم والطفلة فلم يعثر عليهما فأثر أن ينجو الطفل ثم يعود للتفتيش؛ بيد أن النيران حاصرته من كل جانب، وسدت عليه سبل النجاة، ولكنه ظل يجاهد وينافح حتى خرج بالطفل بعيداً عن منطقة الخطر مثخناً بالحروق الكبيرة في جسده وبكسر في يده، فحاول العودة للتفتيش عن البقية، غير أنه سقط مغشياً عليه ثم صحا على بكاء الطفل ولكنها كانت صحوة الموت فضم الطفل إليه ونام نومته

الأخيرة والطفل نائم على ذراعه.

- وفي صباح اليوم التالي لحادث الحريق، كان جماعة من الفلاحين في طريقهم للمطاحن وإذا بهم يسمعون بكاء طفل، فهرعوا إلى مصدر الصوت فوجدوا طفلاً يبكي بين ذراعي رجل ميت فحملوه ودفنوه، وبعد الدفن جلسوا يتداولون في أمر الطفل وإذا بأحدهم يقول:

- أنا آخذه.. أتبناه.. فامرأتي عاقر.. هل لديكم مانع؟؟

- فشكروه على مروءته وعادوا يتابعون مسيرتهم إلى هدفهم.

- وفرحت زوجة الفلاح بالطفل فأغدقت عليه من حنانها فشب وهو لا يعرف إلا أنها أمه وزوجها أبوه.

- وبلغت أخبار الفاجعة «فتحي» فأصيب بإغماء شديد نقل على أثره إلى المستشفى العسكري وأسعف بالعلاجات اللازمة، وخرج وهو مصمم على الانتقام.. فانضم إلى الجمعيات السرية التي كانت تطالب بالاستقلال والانفصال عن الحكومة المركزية في المقاطعة التي يحكمها والده.

- ونكب والد «فتحي» في ولديه «مجدي» و «فوزي» اذ توفيا في حادث تسمم، وحزن عليهما حزناً شديداً، واعتبره عقاباً من الله سبحانه وتعالى على حرقة زوجة ولده وطفليها، وأيقن أن الله للظالمين بالمرصاد، وأنه يمهل ولا يهمل..

- وتغيرت حال «رشدي» بعد هذه النبكة، وانقلب إلى محب للخير ساع في سبيله، فطاف متنكراً في أنحاء مقاطعته يواسي المنكوبين ويتصدق على المعوزين.. وقاده تطوافه إلى المرور بحي «الغجر» الذي تعيش حفيدته بينهم، فتحلق حوله صبيانهم وبناتهم وبينهم حفيدته يرقصون ويغنون يبتغون إحسانه. وفعلاً نثر حفنة من النقود بينهم فهجموا متدافعين ويتزاحمون لالتقاط

النقود، إلا حفيدته؛ فقد وقفت شامخة رافعة الرأس تتطلع في اشمئزاز ملحوظ إلى ما يفعله زملاؤها، فاسترعى فعلها انتباه «رشدي» فسأل رئيس الغجر عنها فخشي أن يصدقه القول، فادعى أنهم وجدوها مع أمها المجنونة خارج هذه المقاطعة تائهة في البراري والقفار فأشفقوا عليها وأخذوها وضموا الطفلة إليهم وحجزوا أمها المجنونة في غرفة خاصة، فقال لهم:

- هل تبيعونني هذه الطفلة وأمها المجنونة بأي ثمن ترضونه؟؟

- فلم يصدقوا كلامه، فكرر قوله لهم. . فلما رأوا إصراره أجابوه:

- دعنا نتشاور. .

وخلوا إلى بعضهم فوجدوها فرصة ذهبية للتخلص من الطفلة وأمها وما قد يتعرضون له اذا ما ظهر أحد وادعى أنها ابنته، وأنهم خطفوها، فعادوا إلى «رشدي» بالموافقة فدفع لهم المبلغ الذي طلبوه، وأخذ الطفلة وأمها إلى قصره، وحبس المجنونة في غرفة سرية، ووكل بأمرها إلى أحد يخدمه، وبالطبع كانت الطفلة تعلم أن هذه المجنونة هي أمها منذ كانت بين «الغجر».

وتبنى «رشدي» الطفلة وغمرها بحنانه، ولطفه واهتمامه، فأصبحت شغله الشاغل فجلب لها المربيات وأدخلها أحسن المدارس، فتعلمت وثقفت وكانت مثار إعجاب مربياتها ومدرسيها.

ونجح أخوها الذي تبناه الفلاح، وكان متفوقاً في جميع مراحل دراسته الإبتدائية والثانوية مما أهله للابتعات. إلى العاصمة لاستكمال دراسته الجامعية، وهناك خيّر في نوع الاختصاص الذي يريده فأختار الفنون العسكرية، وهكذا انتظم بين طلاب المدرسة الحربية ونجح في سني دراسته بامتياز، فعين مدرساً في تلك المدرسة. .

أما أبوه فانخرط بين العصابات التي تناضل في سبيل الانفصال عن

الحكومة المركزية، وقد أوكل إليه قيادة القسم الرئيسي منها المتمركز في الجبال المحيطة بالمقاطعة التي يحكمها والده . .

وقد أرسلت الحكومة المركزية سرايا من الجيش للقضاء على هذه العصابات، ولكنها فشلت وانهزمت في كل مجابهة لها معها. وخاصة بعد أن تولى «فتحي» ابن «رشدي» رئاستها والذي أصبح اسمه الحركي - فيما بعد - «المنتقم».

وأثار انهزام سرايا الدولة أمام هذه العصابات سخط الرأي العام، فقامت الصحافة وقعدت، وخرجت التظاهرات تندد بضعف الدولة وضرورة سقوط الوزارة. . . وفعلاً سقطت الوزارة، وألف رئيس الدولة وزارة جديدة تولى هو بنفسه رئاستها. . . وكان أول عمل قامت به وزارته تجهيز حملة كبيرة للقضاء على المتمردين أسندت قيادتها إلى الضابط الناشئ «وحيد».

ومن سخرية القدر أن يكون قائد هذه الحملة «وحيد» ابن «المنتقم» رئيس العصابة.

وسارت الحملة العسكرية إلى بلدة «نجوى» فاستقبلها «رشدي» حاكم تلك المقاطعة. . . وأبى «رشدي» إلا أن ينزل قائدها الضابط «وحيد» في ضيافته. . . وأحب «وحيد» «جلنار» ابنة «رشدي» بالتبني، وغرق في حبها إلى شوشته. . . وبادلته ابنة «رشدي» الحب وباركه والدها. . .

وبدأ الضابط أعماله بإرسال دوريات استكشاف حققت أهدافها، فكان كسباً مبدئياً له لدى رئيس الدولة، ومكسباً أعظم في قلب ابنة «رشدي».

وأحس «المنتقم» بخطر الحملة وذكاء قائدها الشاب، فطلب المدد، فسارعت قيادة العصابة العليا بإمداده وأمرته أن يدخل في معركة فاصلة مع هذه الحملة.

وفي الوقت نفسه تداول الضابط «وحيد» مع أركان حربه الرأي فاستقر رأيهم على القيام بحملة مباغته بعد الانتصارات المبدئية التي حصلوا عليها . . وشجعه عليها «رشدي» ووعدته بتزويجه من ابنته بعد عودته مظفراً منتصراً . . ولعل هذا الوعد كان الحافز القوي «لوحيد» على الدخول في معركة حاسمة فاصلة مع هؤلاء المتمردين.

وبدأت المعركة واستدرج «المنتقم» المهاجمين حتى ظنوا أن المتمردين ينهزمون، ولما وصلوا إلى المكان الذي حدده «المنتقم» قام بهجوم مضاد لم تستطع عساكر الدولة الصمود طويلاً أمامه إذا استعر القتال بينهم، وعندها أشار رئيس أركان حرب القائد «وحيد» عليه بالانسحاب خشية الإبادة، ولكنه أصر على الصمود فوقف مع شزيمة من جنوده المخلصين يحارب بشجاعة فائقة لفتت أنظار «المنتقم» الذي كان يراقب سير المعركة من مركز قيادته . . فأوعز إلى رجاله بالألا يقتلوا هذا الضابط الباسل بل يأتوا به أسيراً مهما كلف الثمن.

ووقع القائد «وحيد» في الأسر بعد أن قتل جميع من كانوا معه، وانسحب بقية أفراد الجيش إلى أمكنة أكثر ملاءمة للصمود والدفاع ريثما يأتيهم المدد الذي أرسلوا في طلبه بعد أن وقع قائدهم في الأسر.

وأخذ القائد «وحيد» إلى حيث يقيم «المنتقم» فلما رآه أحس برعشة وشعور غريب، وطلب إلى «وحيد» أن يقترب منه حيث وقف يتفحصه، ويسرح بخياله وهو يفعل ذلك . . وأخيراً رأى سلسلة ذهبية في عنق «وحيد» فطلب من الحراس ان يجردوه من ملابسه الفوقانية ففعلوا، ثم قام «المنتقم» وأدار ظهر «وحيد» إليه فرأى شامة على ظهره فلم يتمالك نفسه أن يصرخ.

- ولدي . . ولدي . . الحمد لله الذي أبقاك حياً بعدما ظننتك في عداد الأموات.

- وذهل الضابط «وحيد» من هول المفاجأة وخاصة عندما رأى «المنتقم» يضمه إليه ويغمره بوابل من قبلاته ودموع الفرح تنهمر من عينيه، ثم أمر حراسه بأن يلبسوه ويفكوا قيوده، وبعد أن فعلوا أجلسه بجانبه، والدهشة ما زالت ترين على محيا «وحيد» ثم طلب لهما طعاماً وشراباً..

وخلال الأكل تجرأ «وحيد» فسأل:

- أحقاً أنت والدي؟؟

- أجل يا ابني.. ثم انهال يغمره بقبلاته..

- ولم تركتني يا أبي عند أحد الفلاحين يربيني حتى ظننته وزوجته والدي..

- هذه قصة طويلة ستنكشف لك غداً بعدما تفعل ما أمرك به من دون تردد.

- وماذا تريدني أن أفعل يا أبي؟

- غداً صباحاً تضع القيد في يدي..

وقاطعه «وحيد» قائلاً:

- أضع القيد في يدك، وكنت أنا بدلاً منك..

- أفعل ما أمرك به.. ولا تسألني لماذا؟؟

- حسناً، وماذا بعد يا أبي؟

- تبعث برسول إلى قائد جنودك المتمركزين قريباً من مواقعنا وتأمره بأن ينسحب بجنوده إلى بلدة «نجوى» ويخبر حاكمها بأن «المنتقم» قد استسلم لك، وأنت ستقوده مخفوراً إلى «نجوى».

- أوامر غريبة.. وعليّ أن أطيعك يا أبي..

وبلغت الأخبار «رشدي» حاكم «نجوى» فتلقأها وابنته بالتبني بسرور، وأمر

بنصب السرادق وإقامة الزينات ابتهاجاً بعودة الضابط الظافر . .

ووصل الضابط المظفر، فاستقبل استقبال الفاتحين، وعندما ترجل وسلم على الحاكم «رشدي» وعلى خطيبة ابنه «رشدي» بالتبني . . ثم قدم «المنتقم» للحاكم الذي عندما رآه صرخ صرخة مدوية، ثم هجم عليه وقبله بحرارة قائلاً:

- ولدي «فتحي» . . سامحني . . سامحني يا ولدي . . إساءتي لا يغفرها أحد غير الله.

وقبل «المنتقم» يدي والده، وجمهور المستقبلين بمن فيهم «وحيد» وخطيبته مدهولون من هذه المفاجأة، ثم أخذ «رشدي» ولده «فتحي» و«وحيد» وابنته ودخلوا القصر والدهشة ما تزال مستحوزة على الحاضرين.

وفي صالون القصر، قدم «وحيد» إلى ابنة «رشدي» التي كانت خطيبته وأصبحت الآن عمته فتفرس «فتحي» ملياً في الفتاة ثم التفت إلى والده وسأله:

- أमत والدا هذه الفتاة حتى تبنيها يا أبي؟؟

- لا أدري من هو أبوها . .

- ثم سرد لهم قصة تبنيه لها بالتفصيل، وأردف قائلاً:

- إن لها أما مجنونة وهي محبوسة في إحدى غرف القصر هنا . .

- هل لي أن أراها يا والدي؟

- بكل سرور . .

- دعوني أحلق ذقني وألبس زي بلدي واسمحوا لي أن أكون أول من

يدخل عليها قبلكم.



- لا بأس يا بني . . لا بأس.

وبعد أن انتهى «فتحي» من لبسه، قام مع والده «رشدي» وتبعه «وحيد» وابنة رشدي بالتبني.

وفتحت حارسته المجنونة الباب . . ودخل «فتحي» فلما رأته المجنونة نهضت وفركت عينيها واقتربت منه وتفرست في وجهه وشمّت خده وصدرة، ثم ندت منها صرخة مدوية ارتمت بعدها على صدر «فتحي» وهي تقول:

- زوجي . . زوجي . . الحمد لله . .

## «أنكل توتو»

### UNCLE TOTO

#### وفتياته الثلاث

و«اونكل توتو» اسم «الدلع» أطلقته فتياته الثلاث عليه، وقد عرف بهذا الاسم أكثر من اسمه الحقيقي في الأيام الأخيرة.

أما الفتيات الثلاث، فكانت الأولى والثانية منهن من بيتين معروفين، أما الثالثة، فمجهولة الأصل مغمورة النسب.

كانت «سوسو» وهي ابنة «انكل توتو» ربعة القامة، أقرب إلى القصر منها إلى الطول، قمحية اللون، أجمل ما فيها عيناها «كما يقولون». وكانت «فوفو» - وهي من صديقات «سوسو» سمراء اللون، فارعة الطول وهو أجمل ما فيها. أما «لوسي» أو الفتاة الثالثة، فليست بالقصيرة ولا بالطويلة لونها أبيض يشوبه اصفرار هو صدى لحياتها الأولى البائسة.

نشأت «سوسو» في كنف والدها الذي استطاع بذكائه وشخصيته الطاغية أن يتدرج في وظائف الحكومة فيصبح بعد مدة الرجل الأول في بلده والحاكم بأمره فيه، وأصبح رئيس الدولة «شراة خرج» في يده يوقع على «بياض» جميع ما يريده العم «توتو».

وأول ما تفتحت عينا «سوسو» للحياة تفتحت على نعيم وارف وعز بازخ، ولما كانت الابنة الوحيدة لوالدها، فقد غمرها برعايته وحنانه.. وأفرط في تدليله لها حتى شبت عن الطوق لا يردّ لها طلب ولا تنزل لها كلمة.. بيد أن تدليل والدها لم يرق لأُمها - والأمهات أفقه بتربية الأولاد من الآباء - فأرادت الأم أن تحدّ من عنفوان ابنتها وتسلطها، فلم تستطع ذلك، لأن والد الفتاة كان يفسد ما تحاول الأم إصلاحه.

وهكذا بدأ الصراع بين البنت وأُمها وكان صراعاً عنيفاً، انتهى - مع الأسف - إلى الوقيعة بين الوالدين، وانتصار الفتاة على أُمها، والإصرار على والدها بهجر أُمها التي اضطرت إلى مغادرة ذلك البلد إلى موطنها الأصلي. وبذلك أصبحت «سوسو» سيدة البيت الأولى، وأصبح والدها تحت رحمتها.

أما «فوفو» فلا نعرف إلا النزر اليسير عن نشأتها الأولى، وجل ما عرفناه عنها - فيما بعد - أن والدها كان تاجراً اشتهر عنه وعن أفراد عائلته اللؤم والبخل وقلة الوفاء. وقد ورثت «فوفو» هذه الصفات عن والدها وعائلتها..

كذلك «لوسي» لاندرى شيئاً عن والديها ولا عن حياتها إلا ما كان يتناقله المنافقون عنها - بعد أن بلغت مركزاً مرموقاً في ذلك البلد - من أنها كانت الابنة الوحيدة لأبوين كريمين يمتّان إلى أصل غير عربي.. و.. إلى ما هنالك من حسب رفيع وأصل كريم..؟!!

ووقعت أحداث وفتن طاحنة متوالية في بلاد «فوفو» و «لوسي» واجتاح الغاصبون أكثر تلك البلاد، فاضطر والد «فوفو» إلى النزوح إلى البلد المجاور، وهاجرت «لوسي» أيضاً إلى نفس البلد نفسه وحيدة لا والد ولا والدة ولا أخوة ولا أقرباء.

في ذلك البلد الطيب الذي آواهما كما آوى الكثيرين والكثيرات، اشتغلت «فوفو» بالتعليم في إحدى مدارس الإناث. أما «لوسي» فتسكعت هنا وهناك، وكان لها من خفة روحها وزلاقة لسانها، سلاح فتاك آخر، غزت به قلوب بعض شباب ذلك البلد، الذين لم يروا المرأة السافرة إلا من ثقبوب الأبواب، وفجوات الشبائيك، أو من تسور الجدران و«الأسطحة». وقد استغلت «لوسي» هذا الاقبال والرواج في ذلك البلد المتزمت، فاخترت أصدقاءها الشباب المرموقين أو الموظفين الذين بيدهم الحول والطول.

وهكذا اشتغلت «لوسي» بالصحافة تنشر فيها مقالات يكتبها لها أحد المعجبين، وليس لها منها إلا التوقيع. وكانت تعالج في تلك المقالات حالة المرأة في ذلك البلد، وأحياناً تكتب في السياسة والأدب، وما أكثر المتطفلين على السياسة والأدب.

وقد لاقت مقالات «لوسي» عن المرأة صدى عميقاً في الأوساط النسائية الحبيسة بين جدران أربعة في ذلك البلد، ففتحت لها البيوت على مصراعها وانهالت عليها الدعوات، فولجت الدور معززة مكرمة، وتخيرت صديقاتها من ربّات تلك القصور اللائي أنست فيهن وسائل لبلوغها أهدافها ومطامعها.

وفي الطليعة كانت «سوسو» و«فوفو». فقد وجدت فيهما ضالتهما المنشودة وأملها الباسم.

أما مقالاتها السياسية والأدبية، فقد صادفت هوى في نفوس الشباب الذين كانوا يرزحون تحت ضغط ولاية قساة غلاظ كعموا أفواه الشباب الداعين إلى الإصلاح وزجّوا ببعضهم في غياهب السجون ونفوا آخرين إلى قرى نائية،

ويقال إن شاباً كان يتمتع بمركز حكومي عال هو الذي كان يدبج لها المقالات السياسية والبحوث العلمية الأدبية.

وفي الوقت الذي كانت فيه «لوسي» في ذلك البلد، كانت الثورة على أشدها في موطنها الأصلي، رأت بعض الدول المستعمرة، التي يهملها أمر الثورة المندلعة في «لوسي» عيناً يقظة يمكن الاستفادة منها في تلقف الأخبار.. فاتخذتها جاسوسة تنقل ما يدور في البيوت وفي الأسواق والمجتمعات والأندية. وما انتهت الثورة، وانتهت مهمة «لوسي» حتى وجدت أن لديها ثروة لا بأس بها تعينها على استكمال ما كان ينقصها من تعليم وثقيف، فالتحقت بإحدى الجامعات الأجنبية خارج ذلك البلد.

و «سوسو» هي التي أشارت على «لوسي» بالانتساب إلى تلك الجامعة لأنها تخرجت هي فيها..

وفي غياب «لوسي» كانت أنوثة «سوسو» قد اكتملت، ومفاهيمها للحياة قد تغيرت، والتف الكثيرون من المعجبين والمعجبات بها وكلهم طامع في زلفى تقربهم من أيها، وندر من كان لأنوثتها سلطان على نفسه، فليس في صلفها وعجرفتها وكبريائها وخيلائها، ما يذكي أوار الغرام. ومن المضحك أن «سوسو» كانت تعتقد في قرارة نفسها أن التفاف هذا النفر من المعجبين والمعجبات، إنما هو تهافت الفراش حول المصباح أو النحل حول الزهر، وكلما زاد عدد المعجبين والمعجبات، أمعنت «سوسو» في عنيتها وزهوها.. وإذا عرفنا أن الفقر والجذب هما شعار ذلك البلد، تجلت لنا أسباب هذا التهافت على «سوسو».

و«فوفو» هي التي مكنت هذه العقدة في نفس «سوسو» إذ كانت كثيراً ما

تمتدح جمالها في وجهها أو في المجتمعات الخاصة والعامة، ورحم الله شوقي حين قال: «والغواني يغرهن الشاء».

وهكذا تأصلت هذه العقدة النفسية في «سوسو». فوجد الغرور فيها وفي كل خلجة من خلجاتها مرتعاً خصباً، ولا عجب اذا ما رأينا «سوسو» لا ترى أجمل منها، ولا أفهم منها، ولا أعلم منها في ذلك البلد، فهي اذن في مرآة نفسها فتاة ذلك البلد الأولى، كما أن والدها رجله الأول، بل لقد بلغ بها الغرور مبلغاً جعلها تعتقد أن عقلها الشاب فيه من الوعي وعمق التفكير ما يعجز عنه عقل والدها الكهل . . .

وشرعت «سوسو» تتدخل في شئون الدولة، فتولي وت عزل، وتقرب، وتبعد، ووالدها ضعيف الإرادة اذا واجهها، قوبها اذا ما ابتعدت عنه . . . ولقد ذهبت «سوسو» إلى أقصى حد في تدخلها، فكانت ترافق أباه في سفراته لحضور المؤتمرات السياسية الدولية، والمفاوضات والمباحثات، وكانت بطبيعة الحال تطلع على كل ما يدور فيها من أسرار . . .

وكانت «فوفو» - في غياب «سوسو» تقوم بمهمة الرقيب على ما يدور من همسات في ذلك البلد، وعندما تعود «سوسو» تقدم لها التقارير اللازمة بما حصلت عليه من معلومات . . . وكم كان في هذه التقارير من مغالطات . . . فتصب «سوسو» جام غضبها على «المعارضين» وتنزل رحمتها على «الموالين» .

ويظهر أن «انكل توتو» بدأ يحس بلغظ الناس وسخطهم من تدخل ابنته في أمور الدولة، فأراد أن يحد من هذا التدخل ففكر ثم فكر فهداه تفكيره إلى تزويج ابنته، لعل الزواج ومستلزمات البيت تصرفها عن زج أنفسها في شئون البلد .

فاختار لها شاباً ثرياً من أعيان البلد يفضل ابنته خلقاً وخلقاً، فقربه منها وجمعها به، وقد أحست «سوسو» لأول مرة، بقلبها يخفق، وبالغريزة الأنثوية تصحو بعد طول سباتها. وكان الشاب ووالدها يعملان جاهدين على ايقاعها في الفخ الذي نصباه لها كل بدوره، وبما يوحيه إليه تفكيره. وكادت «سوسو» تقع في الشباك لولا أن «فوفو» فطنت لهذه المؤامرة وما تنطوي عليه من قضاء مبرم على علاقتها «بسوسو» فكاتبته «لوسي» وقصت عليها القصص. . فاجابتها بأن تعمل ما وسعها - لإحباط هذه المؤامرة وإقصاء هذا الشاب الوقح من الطريق. .

وبدأت «فوفو» في رسم الخطط، ولم يأخذ ذلك من وقتها كثيراً، اذ كانت على علم بمواطن الضعف في شخصية «سوسو» وبدأت أول ما بدأت بمدح ذلك الشاب الثري ما شاء لها أن تمدح ثم قالت:

- يا ليت هذا الشاب، على ما أوتي من ثراء يحمل شهادة جامعية كما تحمليين. . اذن لقطعنا ألسنة الناس الذين يقولون إنك ستتزوجينه طمعاً في ماله.

قنبلة ذرية زلزلت كيان «سوسو» وعصفت بأحلامها، بأطواد أمانيتها، ولم تصح من ذهولها إلا على صوت الغرور، وقد انطلق من أساره يقول لها:

«سوسو» معبودة الشعب. . زهرة المجتمعات - ملاك الرحمة. . نصيرة البؤساء. . أية جريمة أنت مقدمة عليها؟ أية قيود وأصفاد تكبلين نفسك بها، وأنت التي خلقت لتملئي هذا الوجود مرحاً وأنساً وأفراحاً. . ما الحب؟ ما الزواج؟ سلاسل وأغلال، رق، واستعباد، ذل وهوان. . لمن؟ شاب لا يماثلك في أخلاقك وصفاتك، وخصالك، ومروءتك. . اطرحي عنك هذه

الأوهام وتعالى .. تعالى .. تعالى ..

مر كل ذلك بخاطر «سوسو» كلمح البصر، واذ بها تعتدل في جلستها  
تخاطب «فوفو» .

- أختاه! أنت ملاك رحمة، أرسله الله ليكشف عني هذه الغمة، ويزيل عن  
بصري هذه الغشاوة .. لقد كاد الحب يجرفني .. ولولا أنك انقذتني لابتلعتني  
أمواجه، ولظلمت عمري هدفاً لسخرية الناس وتهكمهم، وتسليية لهم في  
مجتمعاتهم ..

واهتبلت «فوفو» الفرصة فأردفت تقول:

- كم كان يحزنني وأنا أراك تنساقين إلى الهاوية، وكلما فكرت في  
انقاذك .. كنت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى خشية أن تصدمني عواطفك العارمة،  
ولكن وقد رأيتك وشيكة الترددي، صارحتك من دون أن أحسب للنتائج حساباً  
يحفزني إلى ذلك إخلاصي ووفائي لك . ويسرني أن أضيف إلى ما قدمت،  
من حديث الناس عن ذلك الشاب - أن أسرته محافظة جداً أو متعصبة إلى  
أبعد حدود التزمت والتعصب الديني .

وما كادت تنتهي «فوفو» من حديثها حتى ابتدرتها «سوسو» قائلة بحزم:

- لا زواج بعد اليوم، سأبعد هذا الشاب عن طريقي، وسأعرف كيف  
أحبط مؤامرة والدي ..

ما أقدر المرأة على التخلص من العقبات .. لقد أبعدت «سوسو» الشاب  
من طريقها، وأحبطت مؤامرة والدها، وكانت صدمة قاسية له، مرض على  
اثرها مرضاً كاد يودي بحياته، ولولا لطف الله به وعناية الأطباء لكان في  
عداد الهالكين .



وعادت «لوسي» تحمل شهادة جامعية، يعلم الله كم أراقت من مالها وجسدها في سبيلها، وانتظم شمل مثل «الثالوث» وبدأ تدخله في شئون الدولة تدخلا منظماً سافراً استهدف جميع مرافق الحياة في ذلك البلد. .

ولما كانت حياة «لوسي» الأولى - كما اسلفنا - حياة بؤس وشقاء، وفقر مدقع، فقد آلت على نفسها أن تمحو تلك الصفحة السوداء من حياتها، فأشارت على «سوسو» و «فوفو» بدور «مستشار الرأي»، و «سوسو» بدور المنفذ، وقد انهالت عليهن الثروة بحساب وغير حساب، حتى أصبحن في عداد المليونيرات. .

وتشاء الظروف مساعدة هذا «الثراء المحرم» فيغرم «انكل توتو» ب «لوسي» غراماً عارماً يذكرنا «برجوع الشيخ إلى صباه» ويصبح هذا الحب حديث الناس في ذلك البلد الطيب، يتندرون به في مجالسهم وأنديتهم.

ومن الغرابة بمكان أن تنمي «سوسو» هذا الحب وتباركه، وكانت تضحك ملء شديقيها عندما ترى والدها الكهل يرقص، و «لوسي» بين ذراعيه، وهي فرحة بهذا التطور الجديد في حياة والدها، فتغمز «فوفو» قائلة:

- والدي أصبح مودرن يا «فوفو» إني بحاجة إلى الحب الذي فقدته بزواجه من والدتي، فقد أذاقته الأمرين بمعاملتها الشاذة وعقلها الرجعي.

- يا للفضاعة! يا للعقوق!

ورأى الشاب الواعي في هذا البلد أن السيل قد بلغ الزبى، وأن الكيل قد طفح، فتوالت اجتماعاتهم بعقلائهم واستقر رأيهم على تبصير رئيس الدولة بما يجري في بلده، وانتظمت اجتماعاتهم واتصالاتهم السرية برئيس الدولة وهم يشجعونه ويضعون أرواحهم وأموالهم في سبيل إنقاذ البلد.

ولما أحس رئيس الدولة بالتفاف المخلصين من أبناء بلده وتأييده له تأييداً مطلقاً، أمر بالقبض على «أنكل توتو» وتشكيل محكمة خاصة لمحاكمته، بيد أن الأجل وافاه قبل موعد المحاكمة.. أما الفتيات الثلاث فقد اختفين وطواهن الظلام.

## رباب

لا يعرف «مروان» . . عن أمه شيئاً، بل لا يذكر صورتها وهيئتها . . فقد ماتت ولما يبلغ الثانية من عمره. فربته امرأة أبيه، وكانت غريبة عن عائلة والديه . .

كانت زوج أبيه هذا امرأة صالححة، عركتها التجارب، وصقلتها الأيام، حدثت على «مروان» وغمرته بواطف من حبها وحنانها، وحب زوجات الآباء، لأولاد أزواجهن أمر نادر إن لم يكن في حكم المستحيل.

وهكذا نشأ «مروان» وهو لا يعرف إلا أنها أمه لفرط ما كان يلاقيه من ضروب الرعاية والعناية والتدليل، وكثيراً ما كانت تخاصم والده من أجله.

ولم ينقص حبها «لمروان» بعد إنجابها أخاً له، بل ازداد قوة وتمكناً، وأنه ليذكر - فيما يذكر من فضائل هذه السيدة المحترمة - انها مرضت مرضاً خطيراً شارفت فيه على الموت، وكان «مروان» يدرس آنئذ في جامعة بعيدة عن وطنه، فكانت وهي تغالب سكرات الموت، تلهج باسمه وحده، وتطلب - بإصرار - أن تراه قبل وفاتها . . فلم يجد والده بدءاً من استدعائه، فلما حضر، فرحت به وضمته إليها، وأشبعت خده ووجهه تقبيلاً وشما، كأنما كانت تشم مسكاً أذفر . . وكان لحضوره أثر كبير على صحتها، فقد أبلت من مرضها بسرعة أدهشت نطس الأطباء الذين كانوا يعالجونها.

وكان والد «مروان» موظفاً بسيطاً في إحدى المصالح الحكومية، لا يكاد

مرتبته يكفي لإعاشته وعائلته عيشة الكفاف، ولولا ما كان يأتيه من وارد محدود من أملاك زوجته، لما استطاع تعليم ولديه. وكان والد «مروان» من النفر القليل من الموظفين الذين يعتبرون كرامتهم فوق كل شيء.. ولذلك كان حظه من الترقيات قليلاً جداً، إذ لم يرق خلال خدمته خمسة عشر عاماً إلا درجتين، بينما وصل كثير من زملائه إلى رتبة وكلاء وزارات أو وزراء.

وحدث في الوقت الذي كان فيه «مروان» وأخوه يدرسان، أن تقلد وكالة الوزارة التي يشتغل فيها والد «مروان» رجل صلف متعجرف، متكبر اسمه «مهران» كان يعامل موظفيه معاملة العبد، بل لا يتورع في فصل أي موظف لأنفه الأسباب.

وفي أحد الأيام دخل والد «مروان» على «مهران» هذا من دون أن يزرر جاكته، ويلبس شعار رأسه بالشكل الذي يريده وكيل الوزارة، فما كان من «مهران» إلا أن سبه وأقذع في شتمه - فعزت على والد «مروان» كرامته، فرد الإهانة بمثلها، وكانت النتيجة - طبعاً - سوجه إلى مجلس تأديبي قرر فصله وحرمانه معاش التقاعد.

وساءت - يقينا - حال والد «مروان» المالية وأصبح لا مورد لديه إلا ما كان يأتيه من أملاك زوجته، وهذا المبلغ لا يكفي لإعاشتهم وتعليم ولديه. فأسودت الدنيا في عينيه، فاليد خالية، والمورد ضحل، والجهد قليل.. ولكن الابتسامة التي كان يلقاها من زوجه هذه، والعطف والحنان اللذين كانت تغمره بهما، خففا من يأسه، وقويا معنوياته.

مشكلة خلقها الظلم المقنع بالأنظمة والقوانين، وعلى والد «مروان» وقد تحدى الظالم - أن يقطع تعليم أحد ولديه لمواجهة الحالة الناجمة عن فصله حتى يفرج الله كربته، ففاتح زوجته في الأمر، فاشارت باستيداع ابنها وإكمال تعليم «مروان» وأعطت ما عندها من حلي لبيعه، ورهنه لهذه الغاية، ثم

شمرت عن ساعدها، فاقتصدت في مصروفات البيت، وعكفت تخييط الملابس ليلاً وتعطي دروساً في اللغة الفرنسية نهاراً، واستمرت هذه الشدة راضية معتبطة في سبيل استكمال مروان دراسته الجامعية.

ونال «مروان» دبلوم الطب، ولا تسل عن فرح زوج ابيه به، ونجح «مروان» في حياته الجديدة فوفر لهما أسباب العيشة الرغيدة الهادئة، وتولى الإنفاق على أخيه من أبيه فأرسله إلى الجامعة لاستكمال دراسته المنقطعة.

ويظهر أن سنى التقشف والكدح والكفاح التي تعرضت لها زوج أبيه، قد أثرت على جسمها الناحل، فعاودها مرضها القديم ولم تجد علاجات «مروان» ولا الأطباء الآخرون في رد القدر.

بكاهها «مروان» وبكاهها.. ولم يتوقف له دمع، ولم تجف له عبرة، حتى خاف أبوه على صحته، فما زال به هو واصدقاؤه يهونون عليه الأمر، ويد الزمان كفيلة بمسح الأحزان مهما عظمت، فعاد «مروان» ينتظم عمله..

وذاعت شهرة «مروان» ولمع اسمه في عيادته، فزاد دره وكسبه، وجاهه وعزه، على أن ذلك لم ينسه زوج أبيه، فكان كلما ذكرها بكى وترحم عليها، وتصدق عنها وغلبت روح الخير فيه روح الشر، فواسى الفقراء والمعوزين، والضعفاء والمساكين، وأصبح رئيساً أو عضو شرف في أكثر من جمعية من جمعيات البر والإحسان.

وبرم الموظفون وتذمروا من سوء معاملة «مهران» وفضاظته، وجأروا بالشكوى، وأحست الحكومة أن «مهران»، على سوء ادارته يرتشى.. فقررت عزله ومحاكمته فأدين بالسجن ثلاث سنوات خرج منه - ربّ كما خلقتني - وابتلاه ربه بداء عضال أكل ما تبقى عليه من ريش وعظام.. وهذا جزاء الظالمين.

وبينما كان «مروان» ذات صباح في عيادته، دخل عليه «التمورجي» وأخبره أن فتاة اسمها «رباب» تريد مقابله، وتقول إنها بنت «مهران» وكيل وزارة

(. .) السابق ولكن ملابسها الرثة لا تؤيد صحة ادعائها.

وقبل أن يجيبه «مروان» بلا أو «نعم» مر بخاطره - في سرعة - فيلم استعراضى عنيف شاهد فيه تجنى والد «رباب» على أبيه وزوجة أبيه، وماقاسته عائلته من ضنك وجهد، وكاد - وقد استبد به الألم والحنق، أن يقول «لا» ولكن روح الخير تغلبت عليه حين ذكر عبارة «التمرجي» الأخيرة، ولكن ثيابها الرثة، فلم يشعر إلا ولسانه يسبق تفكيره فيقول له أدخلها حالاً... .

ودخلت «رباب» في ثوب أسود بسيط، أضفى على فتنها الجسدية، جلال الليل الساجي، وعلى وجهها الأبيض المصنقى جمال القمر الشاحب، فبدت كملاك رحمة في مسوح أسود هو انعكاس ظلام الأيام وغياب الآلام، والعوز والفاقة.. .

فراع «مروان» هذا الجلال والجمال، ووجم وجوم المشدوه المفتون، وهي تخطو إلى مكتبه، وفي خطوها آثار النعم الزائلة.. . وابتسمت كانبلاج الصباح بعد ليلة طاخية، فبددت ابتسامتها المشرقة، ما اعتراه من وجوم وشرود.. . وخف لاستقبالها، ومدت يدها فصافحها، ودعاها للجلوس فجلست.

ومرت دقيقتان - قبل أن تبدأ «رباب» كلامها - كانت بالنسبة لها، أطول من سنتين، وتورد خذاها، وند جيئها عرقا هو التعبير الصامت عما يعتلج في نفسها من قلق وحيرة، وتردد ورهبة.. . و«مروان» جالس قبالتها كالراهب المبتهل أمام تمثال العذراء. أين منطقته وبيانه، أين بديهته، وارتجاله، بل أين جرأته؟ أين.. . لقد عقل الجمال الطاغى لسانه، وران على قلبه خوف مبهم، فاشتد خفقانه، حتى ليشعر كأنما كان يقوم من مقعده، ويجلس من شدة الخفقان.

وأخيراً تكلمت «رباب» بصوت خافت فيه رقة نامية لا تقاوم، فقالت: -

- لعلك تذكر والدي.. .

وتنبه «مروان» وكأنه في حلم، فأجاب:

- نعم... .

- ولعلك تذكر الظروف أو سمعت بالظروف التي أحاقت به.. .

ثم تنهدت وأردفت قائلة:

-... . وخرج من السجن ليستقبل داء عضالاً أعيا نطس الأطباء والتهم ما ادخرناه من مال لليوم الأسود.. .

وهنا غلبها البكاء، فأكملت عباراتها بصوت متحشرج متقطع.. .

- وقد كشر لنا الفقر عن نابه.. . وتنكر لنا الناس، كعادتهم، وقد سمعت عن إحسانك وحبك للخير، ومساعدتك للضعيف والمحتاج، فجئت إليك.. . أرجو أن تتكرم.. . بتعييني ممرضة لديك، فإني أجد فن التمريض، أو تتدبر لي عملاً عند من تأنس فيهم الخلق الطيب والاستقامة، وإني لواقفة أنه لا يرضيك أن يجرفني تيار الحاجة إلى عمل غير شريف.

تأثر «مروان» من كلامها، وتجلى ذلك بأجلى مظاهره حين أجابها:

- «إني ليحزنني ما وصلت إليه حال أبيك، وأنها لغمة أرجو أن يكشفها الله عنكم وأن يمن عليه بالصحة والعافية.. . ثقي يا آنسة «رباب» أني سأفعل المستحيل لإيجاد عمل شريف لائق بك.

ثم نهض إلى مكتبه وحرر لها شيكا وناولها إياه قائلاً.. .

- هذا شيك بمبلغ بسيط من ولد إلى والده ليستعين به الآن، وغداً صباحاً، إن شاء الله تعالى إلي لعلني أكون وجدت عملاً يليق بك.

فشكرته وانصرفت وعيناها تنطقان بعرفان الجميل.

وشغلت «رباب» أفكار «مروان» طيلة ذلك النهار - وعندما عاد إلى البيت

مساءً، أخبر والده بكل شيء.. فربّت على كتفه وقال له:

- لقد عملت ما كان يجب أن يفعله كل رجل شريف وإنني لفخور بما فعلت..

ثم سأله أن يصف له «رباب» فوصفها «مروان» وأطرب في وصفها، فأدرك والده أن «كيوبيد» أصاب ابنه بسهمه، فقاطعه قائلاً:

- ما رأيك يا «مروان» في الزواج منها؟؟

- سيكون من حسن حظي يا أبتاه..

- عندما تأتيك غدا قل لها إنك ستزورها هذا المساء لاطلاع والدها على تفاصيل العمل الجديد..

فقبل يد والده، ولم يصدق متى يطلع النهار..

أما «رباب» فذهبت من عند «مروان» وأطلعت على كل شيء، وإذا بعينه تغرقان في الدموع، فيفجؤها الموقف، ثم لا تلبث أن تثوب إلى رشدها فتسأله:

«لِمَ تَبِكُ؟» فيجيبها؟

- ان «مروان» يا بنيتي يجزي السيئة بالحسنة وهذه صفات النبلاء.. ثم سرد لها تفاصيل إساءته لوالد «مروان» فتأثرت «رباب»، وعظم «مروان» في نظرها أكثر مما تركته زيارتها له اليوم..

وفي الصباح التالي زارت «مروان» وأفهمته أن والدها أطلعها على كل شيء وأنها ترى أنها لا تستحق كل هذا العطف منه، ثم ناولته الشيك قائلة:

- هنالك من هم أحق بعطفك، أما أنا وأبي فلا..

- ما كنت أقصد بعملتي هذا الإساءة إليك، ثم ما ذنبك أنت، لقد أكل



والدك الحصرم وأنت تضرسين . .

فبكت «رباب» حتى كادت تنفطر من البكاء، وهو يحاول تهدئتها بكل وسيلة . . وأخيراً ابتسمت، وقالت:

- ما أعظمك!!

- فأجابها:

- أنت ملاك أرسله الله للتوفيق بين عائلتين حفرت تفاهات الحياة هوة سحيقة بينهما، لقد وجدت عملاً يليق بمكانتك، ومكانة عائلتك، وسأكون ووالدي هذا المساء عندكم لاطلاع أبيك على التفاصيل . .

فابتسمت، وشدت على يديه شاكرة، وانصرفت وهي تقول:

- إلى اللقاء . .

## جميل . . وبشينة

### «حب لا يموت»

(سلسلة من واقع حقيقي . . يمزج الشجاعة بالحب . . ويلتقى فيه الإخلاص بالنبل . . . ولكن في مواجهة الغدر والمؤامرات) . .

عندما قضى «الحجاج بن يوسف» على ثورة عبد الله بن الزبير في الحجاز ووطد حكم الأمويين في هذه المنطقة . . حاول نفر من بقية أتباع ابن الزبير اغتيال الحجاج . واستأجروا من يغتاله وهو يطوف بالكعبة .

وفي أثناء المحاولة والقاتل يمد خنجره إلى ظهر الحجاج، امتدت يد أخرى جريئة وشجاعة لتمسك اليد الآثمة، وتلقي بالخنجر بعيداً ونجا الحجاج بن يوسف .

وبعث في طلب الشاب الذي أنقذه ليتعرف به ويشكره ويكافئ الإنسان الشجاع الذي لولاه لكان في عداد الأموات . . . ومثل الشاب بين يديه فارغ القامة وسيم التقاطيع . .

أحسن من يمسك السيف . . ويلقي بشعر الحب . .

رفض في كبرياء أن يقبل كيس الذهب الذي قدمه له الحجاج .. فالشجاعة طبع فيه .. وإنقاذ الحجاج واجب إنساني .. المكافأة الوحيدة التي يقبلها هي صداقة الحجاج وانصرف الشاعر الشجاع جميل بن معمر .  
والحجاج ينظر إليه في إعجاب وامتنان .. وفي أعماقه يدرك أن له في عنقه دين حياة ..

هل يستطيع أن يوفيه .. ؟

... هكذا نتعرف في المقدمة بجميل بن معمر .. لاسيما تسبقه شجاعته .. ورنين قصائد شعره العاطفي الذي يتحدث عن عذراء رائعة الجمال هي بثينة .. ومن هي بثينة؟

\* \* \*

ونتعرف ببثينة في وادي القرى . إلى جوار بئر تظللها النخيل .. وبثينة مع صديقتها الحميمة سهيلة التي تكبرها عمراً وخبرة حياة . وغالباً ما تحميها وتوجهها أيضاً ..

وفي هذا الصباح نراهما معاً .. وبثينة تمد الحبل إلى البئر .. وترفع الدلو بالماء .. مترنمة بأبيات من شعر سمعته لشاعر لم تعرفه بعد هو جميل ..

والحبل ينقطع .. ويسقط في يد بثينة .. وتحاول صديقتها مساعدتها فلا تستطيع هي الأخرى ..

وإذا بفارس جميل .. يترجل عن جواده .. لقد سمع الصوت يردد أبياتاً جميلة .. من شعره .. فاقرب يستطلع مصدر الصوت .. وها هو يجد نفسه

مشاركاً في مساعدة بثينة وإصلاح الجبل الذي انقطع . . وجذب الماء . . وملاً  
الجرار . .

ويسألها عن مصدر الشعر الذي سمعه منها . . فتقول . . عن شاعر  
مجهول . . سمعت عنه . . ولم تسمع منه . . اسمه جميل . . ويكمل جميل  
القصيدة . . ويقول لها إنه هو أيضاً معجب بشعر جميل . . وتسأله أن يصف  
شكله . . فإذا بجميل يحدثها في خبث عن قبح خلقه، ويبالغ في وصفه عابثاً  
بها . . وحتى يعرف رأيها الحقيقي ومشاعرها تجاهه . . وسهيلة ترقب  
الموقف . . صامته . .

ويقترب عمير . . بجواده . . ويرى جميلاً وهو ينصرف . . فيسأل بثينة في  
حدة .

«فيما كنت تتحدثين مع جميل؟» وتعرف . . بثينة الحقيقة . . ويسرح خيالها  
في الفارس الذي ابتعد . . وترفض إلحاح عمير في فرض عواطفه وتصده  
فيبتعد غاضباً مهدداً . . بعد انصرافه تحكي سهيلة لبثينة عن ذكرى تعرفها  
عندما جاء جميل إلى النبع . . وشاهد لأول مرة بثينة مختبئة وراء النخيل . .  
من يومها أحبها . . ونظم فيها الشعر . .

وتعود بثينة مع صديقتها مشغولة البال . . إنها بنت من بنات القرى . .  
المضيف المتنزه . . الذي تسكنه قبائل بني عذرة المنسوب إليهم «الهوى  
العذري» لتعففهم في وصف الحب العفيف وتجسيدهم لمعاني الشرف  
والعفة . . وبين ظهرانهم نشأت بثينة عذراء . . رشيقة، رائعة التقاطيع، في  
عينها سحر لا يقاوم . . أوقع الشباب صرعى في حبها . . وخاصة عمير  
هذا من رجال العشيرة البارزين من الأغنياء دائب المحاولات للوصول إليها

بجاهه وتقاربه بالحكام .. والذي سبقها إلى بيتها طالباً يدها من أبيها ..  
فترفض وتمتنع في إصرار .. فقلبي مشغول وممتنع .. لقد أحبت جميل ..  
أعجبت بشعره وها هي اليوم تلتقي به .. فتعجب به .. وتحس بالمشاعر  
نفسها تتجاوب في أعماقه .. بالرغم أن جميل نفسه محط أنظار الفتيات ..

وبدأ جميل يلتقي ببثينة إلى جوار البئر وصديقتها سهيلة ترعى حبهما،  
وتحرسه .. ولكن الحب في قلبه أكبر كثيراً من أن يحتفظ به لنفسه سراً،  
وبدأ يقول فيها الشعر وينشده ليتناقله الشبان وتردده الفتيات .. ليتنشر كالعطر  
الساحر .. ويصل إلى عمير فيزداد غضبه .. وقد أدرك أن جميل قد زاد من  
تباعد بثينة عنه .. فقرر أن ينتقم!

والصديقة سهيلة تنصح جميل أن يتحفظ في شعره .. حتى لا يصيبها  
بمكروه أو يصيب نفسه بالأذى .. ولكن العاشق الشاعر قلبه على لسانه ..  
حبه أقوى من الكتمان .. وشعره يحن أن يحلّق .. منطلقاً يحمل اسم بثينة  
إلى كل من يحب .. يتغنى به الركبان .. وينشده المنشدون ..

ولم يكن عمير ليسكت وهو يرى هزيمته .. فيسارع إلى والد بثينة يوغر  
صدره ضد جميل .. ويأتي له بقصيدة يقول فيها جميل:

«ألم تعلمي يا عذبة الريق أنني .. أظل إذا لم أسق ريقك صادياً»

ويوحي للأب الثائر أن لا بد وأن علاقة قد نشأت في الخفاء اتاحت  
لجميل أن يقول هذا المعنى ..

ويتحرك الغضب في قلب والد بثينة .. ويسرع مع ابنه إلى بيت جميل  
شاهراً سيفه ليطيح به .. ولكن جميل يبارزهما في براعة .. ويطيح بالسيف

من يد والدها ويجرد أخاها من خنجره.. إنه لا يريد بهما إيذاء..  
وينصرفان، ولكن النار تآكل قلب الأب ولا زال دم جميل مهدوراً.. ويقنعه  
عمير أن يتجه إلى حاكم وادي القرى ويتهم جميل - في حيثياته - بأنه قد  
أفسد عواطف الفتيات وأغواهن ويتأكد للحاكم الاتهام، عندما يسمع هند ابنته  
تردد أشعار جميل في الحب..

وتنصرف عن خطيبها نفسه تتهمه بالجفاف والجمود!..

في الوقت نفسه يحاول والد جميل.. وهو شيخ عجوز طيب أن يصرفه  
عن حبها.. فلا يستطيع.. فيغضب ويتعد عن ابنه!..

ويحس جميل بوحدة شديدة.. والحاكم يصدر الأمر بالقبض عليه.

.. وهكذا، لقد اجتمعت كل القوى ضد جميل.. وبات في خطر،  
والخبر أول ما وصل إلى سهيلة وتنقله مرتجفة إلى صديقتها بثينة.. وتسعى  
إلى أن تقنع جميل أن يختفي عن الأنظار.. أما بثينة.. فقد أعلن والدها  
غضبه عليها وغضب الحاكم ويأمرها بعدم مغادرة الدار..

ويزداد غرور عمير وقد أحس أن الجو أوشك أن يخلو له مع بثينة باختفاء  
جميل، فيزداد تقرباً من والدها وتردداً على الأسرة.. ولكن بثينة ثابتة على  
عواطفها وتصده.. وفي الوقت نفسه من خلال سهيلة تلتقي بجميل في  
الخفاء..

ويشك عمير في الأمر.. وفي صد بثينة لعواطفه.. ويراقبها خفية.. ولكن  
لا يستطيع الوصول إلى تأكيد شكوكه.. ويخطو خطوة أكثر مكرراً.. يراقب  
سهيلة ويتأكد له أنها هي التي تدبر للعاشقين اللقاء.. ويدبر أمراً..

في اللقاء التالي .. لجميل وبثينة إلى جوار البئر في ظلال النخيل وصديقة مخلصه ترعاها .. يتبادلان الوعود والهمسات .. تقترب امرأة مجهولة .. تبدو حاملاً في شهرها السابع .. تصرخ باكية وهي تمسك بجميل .. كيف يتركها وابنه في أحشائها ويهرب إلى حب امرأة أخرى ..؟!

تكشف عن شخصيتها .. إنها من أسرة بعيدة .. من قبيلة بعيدة زارها جميل منذ أشهر .. أشد فيها شعره .. وأغواها بوسامته .. وهرب ..

وتنهار بثينة .. وتسقط في يد جميل .. ويبدو حبهما ساعتها في عين سهيلة منظراً جميلاً من الأحلام قد تهدم فجأة ..

ولكن لا تقتنع سهيلة بما سمعته .. إنها في ذكاء تجمع المعلومات عن المرأة .. وتسعى لتلتقي بها .. وتقول لها إن الحل وأحسن ما تصنعه أن تشكو جميل إلى الحاكم عقاباً له .. ولكن المرأة في انزعاج تقول لها أنها تخشى على نفسها من غضب الحاكم .. وتهمة الزنى التي قد تقودها إلى حتفها .. وكفاها هذا السفاح في أحشائها .. وهنا تلاحقها سهيلة باقتراح آخر .. ستساعدنا فيه .. وتعتقد المرأة أنها ستعاونها مادياً .. وتتفقان على موعد في بيت سهيلة ..

وتأتي المرأة وسهيلة مع بثينة ..

وتكشف سهيلة للمرأة عن اقتراحها .. إجهاض الجنين .. ولكن بثينة بمشاعرها الرقيقة تنزعج .. وتقول إنها مستعدة أن تبني الجنين! ابن حبيبها من امرأة أخرى مجهولة! .

ولكن سهيلة مصرة .. إنه الحل الوحيد الممكن .. وتقود المرأة المتمنعة

إلى الداخل .. وتسرع بثينة خلفها . فإذا بها تراها ترفع سكيناً مشدوداً إلى بطن عفراء .. وتحاول بثينة أن تمنعها . ولكن .. تنطلق صرخة والسكين تدخل إلى بطن عفراء .. وترفع بثينة يديها إلى وجهها .. ترتعش باكية .. لقد اجهضت المرأة ومات الجنين ..

.. وتخرج سهيلة لفات من القماش تحت ثوب المرأة .. لقد كان الحمل كاذباً والجنين أكلوبة .. تأكدت منها سهيلة بنظرها الثاقب ..

إنه الجنين .. الجنين المفترض .. الأكلوبة التي جاءت بها المرأة المأجورة من بعيد لتقتل حب بثينة وجميل وثقتها به .. ومع اللفة المزيفة كيس لنقود ذهبية دفعها عمير ثمناً للخدعة ..

وتخرج المرأة ترتجف خزيًا وعاراً .. وتتعرف بأنها دفعت إلى تصرفها الحاجة إلى المال .. ورداً لكرامة جريحة .. من صد جميل لحبها ذات يوم ..

وتبكي بثينة على صدر سهيلة .. تبكي ما يشبه الشفاء من ألم عميق .. احتلها أياماً .. كم كانت مخطئة في حق حبيبها ..

ولكن هل يغفر لها شكها فيه؟ .

وعندما تسرع سهيلة إليه .. تنتظرها مفاجأة .. لقد غادر الديار .. ولا أحد يعلم أين هو ..

تبكي بثينة ..

وتعدها سهيلة دامعة أنها ستعرف مكانه .. وتسعى وتعرف من بعض المسافرين أنهم شاهدوه في مصر ..



وتسافر سهيلة سعياً وراء جميل وتدركه عند عمر بن العزيز الذي أحب شعره ..

ويسعد جميل عندما يلتقي بسهيلة ويعرف منها كيف كشفت حقيقة المؤامرة ..  
ولكن عليه الآن مهمة صعبة .. كيف يقنع والد بثينة والحاكم بالعمو عنه ..  
وعمر بن العزيز، يحب جميل ولكنه لا ينصحه باللجوء إلى والده  
المتزمت ..

يسقط في يد جميل .. وتذكره سهيلة بحادث سمعته مرة وتردد في أكثر  
من مكان هو انقاذه للحجاج ..

وقد يستطيع أن يفعل من أجل حبه الكثير ..

لقد أعطى جميل للحجاج حياته .. فلا أقل من أن يرد له الجميل في حبه  
لبثينة ..

وتصحب سهيلة جميل إلى الحجاج ..

وسعادة الحجاج به لا توصف .. وقصة حبه لبثينة .. وصلت شعراً محللاً  
مع المسافرين .. بل إنه ينشد بعضاً من أبياته .. لقد نجا الحجاج من الموت  
بفضل يد جميل .. وهو الآن دوره أن يرد الجميل .. ويسارع بإرسال رسول  
يحمل رسالة منه إلى الحاكم يطلب الصفح عنه ويطلب من والدها أن يزوجه  
ابنته ..

وسهيلة لا تنتظر .. إنها تسرع بنفسها مع الرسول لتكون أول من يحمل  
البشرى السعيدة إلى بثينة!

وغيرت الرسالة الموقف تماماً . .

السعادة تنعم وتعم الأسرة . . الأب وافق . . والأم تبدأ في الإعداد  
للزواج . .

والأخبار السعيدة التي ملأت قلب بثينة سعادة . . تحولت ناراً تأكل  
عمير . . كيف استطاع الحجاج أن يرسل رسوله للخليفة الذي يطلب من  
الوالي العفو عن جميل ويطلب بدوره من والده أن يزوجه بها . . وأيام  
وجميل يأتي من السفر ليزف إليه بثينة . . إلى السعادة والحب . . ويقتلع من  
عمير آخر أماله في الاستحواذ عليها . .

ولم يتردد أن يدبر جريمته . .

وجاء جميل في الطريق . . تحمل الرياح ترانيم قصائده في حب بثينة،  
وعرج في طريقه إلى البئر التي يلتقي بها مع بثينة . . يروي عطشه . . بعد  
رحلته الشاقة . . من ماء البئر التي انقطع بها الحبل ذات يوم . .

وينحني على صفحة الماء . . وإذا بانعكاس وجوه آثمة حوله . . ويلتفت  
شاهراً سيفه . . والمعركة انتحارية في بطولة يقتل ثلاثة من المعتدين . . ويفر  
الرابع . . ويأتي السهم الغادر . . يطعنه في ظهره . . ويسقط إلى جوار البئر  
التي التقى فيها لأول مرة مع بثينة حبيبته . .

تأتي الأنباء الهالعة بثينة . .

تصرخ صرخة واحدة ترددها جنبات الوادي . .

وتسقط على الأرض لا حراك بها . .

وتظل الصرخة تتردد . . مع الرياح . .

وهناك إلى جوار البئر.. امرأة تغني في حزن ومرارة كل صباح والدموع  
في عينيها تنشد أبياتاً من شعر جميل.. بثينة وكأنها لا زالت ترعى  
حبهما... وتنقله للمارة في الطريق الطويل.. تسقيهم من البئر.. تروي  
عطش السفر والطريق والحب.. شعرها أبيض.. وجسدها قد انحنى..  
ولكنها لا تغادر مكانها.. ولا يجف الشعر على لسانها..  
إنها سهيلة.. صديقة حب خالد.. رعته حياً.. وميتاً.. في إخلاص قلب  
امرأة عربية خالصة الوفاء..

## وتضحك الأقدار

كانت «سهام» ذات جمال ملحوظ بين أترابها في حارة «الصيادين»، وكانت منذ لدونة عودها مشهورة بين أترابها بمحافظتها على كرامتها وشرفها بالرغم من أنها كانت تعيش مع والدها الكفيف على واردات دار صغيرة هي كل ما يملكون، وقد تقدم إليها «خطاب» كثيرون ولكنها كانت تعتذر إليهم بمسؤوليتها تجاه والدها الضرير.

وجاءتها ذات صباح جارتها «أم توفيق» فابتدتها «سهام» قائلة:

- أسمعت آخر الأخبار عن «حندوس» يا أم توفيق؟

- لا.. هل من جديد بعد اعتذارك اللبق..؟؟

- البركة فيك يا أم توفيق وفي آرائك النيرة..

- العفو يا سهام.. فأنت تعرفين أنني لا أضمر سوءاً أو أحس بكره «لحندوس»، إنما رأيت أنه ليس الرجل الذي ستسعين معه فهو غليظ الطبع، خشن المعاملة، تزوج أكثر من مرة، وطلق، والرجل الذي يتعود على الطلاق لا يفهم معنى الحياة الزوجية..

- في الحقيقة هذه الناحية هي التي أخافتني منه حين قلتها لي، لأنني ما علمت بها إلا منك.. هذا بالإضافة إلى فارق السن..

- إذًا، فما هي آخر الأخبار عن «هندوس»؟

- بلغني أنه يتهدد ويتوعد لأنه ظن أنني فضلت عليه شخصاً آخر.. .

- فليفعل ما شاء له أن يفعل، فعين الله لا تنام عن الظالمين وعين الشرطة

ترصد المعتدين والمجرمين.. . المهم.. .

- المهمّ ماذا؟

- موضوع عملية والدك؛ فالدكتور قد حدد لها يوم الخميس القادم.. .

ووالدك يجب أن يدخل المستشفى قبل العملية لإجراء الفحوص اللازمة.. .

فهل جهزت ما يلزم له؟

- من حيث ملابس والدي وغياراته كلها جاهزة. ولكن هل تدبرت أجرة

المستشفى والطبيب؟

- لقد تدبرتها والحمد لله.

- ألف شكر.. . ربنا يقدرني على رد الجميل.. . متى تريدين أن نذهب

للكاتب العدل يا أم توفيق؟

- ولم نذهب للكاتب العدل؟

- لرهن الدار مقابل ما ستدفعين للمستشفى وللطبيب الجراح.. .

- لا موجب للرهن يا سهام، فوالدك والدي وما سأدفعه إن شاء الله

ستسددينه في المستقبل، المهم.. . ربنا ينجح العملية ويعيد إلى والدك نور

عينيه.

- جزاك الله عنا كل خير.

- إذن نأخذ الوالد غدًا إلى المستشفى بإذن الله.. .

- بإذن الله . .

- مع السلامة وإلى اللقاء . . .

\* \* \*

وفي أحد المقاهي المنتشرة على شاطئ «الزهور» جلس «حندوس» مع زميل له يحتسيان الشاي . وكان «حندوس» يدخن بصورة عصبية وبنهم استرعى انتباه زميله «سلوم» فسأله :

- ما هذا يا «حندوس»؟ إنك تدخن بشكل جنوني أتريد أن تكون أول إنسان يتحرر من التدخين؟! . . .

- خلاص يا سلوم خلاص؛ لم تعد للحياة قيمة في نظري بعد أن رفضت «سهام» الزواج مني . . .

- «سهام»!! غير معقول . . أكاد لا أصدق ما تقول؟

- ولكن هذه هي الحقيقة المرة يا «سلوم» أقولها وأنا أشك فيما أقول كأنني أروي شيئاً لم أعشه ولم أتذوق مرارته وآلامه وأحزانه . . .

- يلوح لي أن «سهام» حين اتخذت قرارها لم تكن مالكة لرشدها ووعيها . .

- كيف يا سلوم كيف؟

- احتجاج «سهام» بوالدها الأعمى ليس سبباً وجيهاً لامتناعها عن الزواج .

- لعلها تفكر في غيري . . لعل قلبها مشغول بفتى من شباب اليوم . . .

- وهل هنالك فتى في شبابك ورجولتك يا «حندوس» . إن «سهام» ستندم حين لا ينفع الندم . . .

- سلوم.. يهمني حالياً أن أعرف من هو الشخص الذي فضلته «سهام» علي..

- لا أظن أن هنالك مزاحماً لك في الميدان ولكن...

- ولكن ماذا؟

- أعداؤك يا «هندوس».

- أعدائي.. ليس ذلك ببعيد.. أجل سأبحث عنهم وسألقتهم درساً لن ينسوه..

- وأنا سأساعدك في البحث عنهم..

- شكراً.. وأرجو أن تعثر على الفتى الذي فضلته «سهام» علي..

- حسناً.. كن مطمئناً يا «هندوس» فسيأتيك «سلوم» بالخبر اليقين.

ونجحت العملية التي أجريت لوالد «سهام» وارتد بصره إليه، وخرج من المستشفى وكله ألسنة شكر وحمد الله تعالى ثم للطبيب الجراح ولكبير الممرضين «سمير» الذي اعتنى به عناية فائقة تركت أثراً عميقاً في نفس «سهام».

و «سمير» فتى من حارة السَّقايين، جميل الصورة لماع الذكاء افتقد والده في حادث سيارة وهو طفل فكفله خاله ونشأ تنشئةً صالحة وعلمه حتى المرحلة الثانوية وكاد يدخل الجامعة لولا وفاة خاله، إذ اضطر إلى أن يشتغل بالمستشفى. وقد استطاع بكده وجدده وسهره ودمائة أخلاقه أن يصبح كبير الممرضين فيه خلال سنتين من بدء انتسابه.

وغرق «سمير» في حب «سهام» منذ اللحظة الأولى التي جاءت فيها بوالدها إلى المستشفى وأعجبت «سهام» بحسن معاملة «سمير» لأبيها وتفانيه

في خدمته أثناء وجوده بالمستشفى، وتحول هذا الإعجاب إلى بداية حب بعد الزيارات التي كان يقوم بها «سمير» لوالد «سهام» بحجة وضع مراهم على عينيه تارة ووضع قطرات وكمادات تارة أخرى. وكان من نتيجة ذلك أن تقدم «سمير» لخطبة «سهام» فقبل والدها وتم الزفاف في هدوء وبساطة شأن أبناء الطبقة الكادحة.

وجن جنون «حندوس» حين بلغه الخبر فطفق يشد شعره ويضرب كفأً على كف، ويزفر كل زفرة تكاد روحه تصعد معها، وزميله «سلوم» يحاول أن يهدىء من ثأثرته:

- هون عليك.. يا «حندوس». تمالك أعصابك..

- كيف.. أخ.. لقد صدقت هواجسي وظنوني.. أتذكر يوم قلت لك إنني أخشى كبير الممرضين؟

- بلى.. بلى.. فالمثل يقول:

- إن من خشي العفريت لا يلبث أن يراه..

- ولكن «سهام» سوف تندم على فعلتها هذه..

- والله ما أدري يا «حندوس» كيف تقاعست عن محاولة خطبة «سهام» للمرة الثانية بعد أن أبصر والدها حتى جاء هذا الغريب من حارة «السقاين» فاختطفها من بين يديك..

- صدقت يا «سلوم» أنا شخصياً لا أقدر أن أعلل سبب تقاعسي، أعلله المكتوب.. مكتوب عليّ الشقاء.. مكتوب عليّ الحرمان..

- لا تحزن يا «حندوس» فالفتيات «على راس من يشيل».

- ولكن «سهام» ليست ككل الفتيات إنها..



- إنها ماذا؟

- خلقت من طينة غير طينتهن ..

- يا حندوس يا أخي يا حندوس .. قل لأنك تحبها حباً يعميك عن رؤية غيرها .. لم لا تخطب حميدة بنت يعقوب ..

- يظهر أنك كُفنت الذوق ودفنته يا «سلوم».

- كيف يا سيد العارفين؟ ..

- حميدة تضعها في خفة وملاحة «سهام» .. يظهر أنك مركب «نضارة» عشرة على عشرة أو نضارة قديمة ..

- أما من حيث نظري فالحمد لله ستة على ستة ..

- نظر القراءة والكتابة غير نظر المحبة والغرام .. فهمت يا حذق؟ ..

- فهمت ..

- فهمت .. برافو عليك ..

- والعمل يا «حندوس».

- لازم أهاجر من البلد ..

- لماذا؟ لماذا؟

- بأي وجه ألقى الأصحاب والأحباب والفتيات اللائي يرون بطل أحلامهم

«حندوس» قد مرغ كرامته في التراب ولد «مغموص» اسمه سمير.

- لكن الزواج قسمة ونصيب.

- هذه لغة الاتكاليين .. وأنا الآن بين أمرين: إما أن أرتكب جريمة أحافظ

بها على سمعتي أو أرحل من البلد ..

- وأيهما اخترت . . ؟؟

- كلاهما مر يا «سلوم» غير أنني أميل إلى الرحيل لأن ارتكاب الجريمة يعرضني للسجن وعذاب السجن وأنا غير مستعد لتحمل ذلك . .

- لم لا تكلف أحداً من صنائعك بهذه المهمة؟

- مثلاً . . أنت يا «سلوم»!!

- لا يا عم . . يفتح الله . . أنا رجل أقوال لا رجل أعمال . .

- حتى لو كلفت أحد صنائعي بهذه المهمة فلن أخلص من ملاحقة رجال الشرطة وسيكون مصيري غياهب السجن مع الفاعل الحقيقي بتهمة التحريض وهذا ما لا أرضاه . .

- إذن فما الرأي يا حندوس؟

- هذا ما سنتفق عليه قريباً وقريباً جداً . .

وتأتي «أم توفيق» كعادتها لزيارة «سهام» وهي في طريقها إلى عملها اليومي لتترك ولدها «توفيق» لديها فتستقبلها بالبشر والترحيب . وحول فنجان القهوة تقول «أم توفيق»:

- ها . . يا سهام . . طمئيني . . هل أنت مرتاحة في حياتك الجديدة؟

- الحمد لله يا أم توفيق «فسمير» في الحقيقة نعم الزوج العارف بواجبه نحوي ونحو والدي .

- هذا توفيق من الله سبحانه وتعالى .

- إنه جد عطف على والدي يرعاه ويعتني به كما لو كان أباه . . ووالدي أيضاً يحبه ويتفقهه إذا ما تأخر في المجيء من عمله لأن شغله في المستشفى يأخذ أكثر وقته .

- الحياة جهاد يا سهام «واكتساب لقمة العيش ليس أمراً سهلاً.. أنت ترين كم أشقى وأكّد وألّف وأدور من بيت إلى بيت في سبيل لقمة العيش. ولكن..»

- ولكن ماذا يا أم توفيق؟

- أراك بالرغم من الفرحة التي تشيع في وجهك تبدين قلقة وشاردة الذهن.

- لقد حلمت حلماً مزعجاً..

- خيراً إن شاء الله يا سهام...

- إن شاء الله خير...

- ألعلك رأيت «حندوس» في المنام فصحوت متكدرة الخاطر وقد رأيتته...

- «حندوس».. على فكرة يا أم توفيق...

- قللي يا سهام...

- «حندوس» أصبحت أخشاه أكثر من ذي قبل...

- كيف تخشينه يا «سهام» وقد كان أول المهنتيين «السمير» على زواجه منك...

- إنه مثل «حياة التبن» كما يقول المثل... إنه أحنى رأسه للعاصفة لكي يدبر لي ولزوجي مكيدة..

- رد الله كيده في نحره.

- والغريب أن زوجي «سمير» على علاقة طيبة «بحندوس».

- ألم تخبريه بتهديده لك عندما رفضت الزواج منه؟

- لم تكن لديّ الجرأة الكافية لفتح هذا الموضوع مع «سمير». بعدما سمعته يثني على رجولة «حندوس» ومساعدته للبؤساء والمساكين...
- ولكن يجب أن تحذريه من «حندوس» هذا.. وإذا كنت لا تجرئين على زوجك فسأقول له أنا ذلك...
- ليتك تفعلين وسأكون لك من الشاكرين...
- حسناً والآن أستودعك الله فلديّ ارتباطات مع بعض السيدات اللواتي يرغبن في أن أصحبهن إلى المحال التجارية لشراء حاجيات وملابس.
- رافقتك السلامة وحالفك التوفيق وإلى اللقاء..
- شكراً يا سهام وإلى اللقاء...
- مع السلامة.. مع السلامة..
- ويقهقه «حندوس» حين سأله «سلوم» قائلاً:
- ما هي أخبار «سمير» يا «حندوس»...
- لقد صدق المغفل الربح الخيالي.
- إذن فالأمور تسير حسب الخطة المرسومة.
- تقريباً يا «سلوم».
- وماذا عن الدار ورهنها وهو بيت القصيد.
- وعد المغفل بأن يقنع عائلته بالرهن...
- للتاجر المحترم.
- للتاجر المحترم «جمعان» أم أنت يا «حندوس»؟
- أنا يا مغفل أنت أيضاً.. أنا أطلب من «سمير» أن يرهن الدار باسمي..

وهل ترضى «سهام» بالرهن حين تسمع باسمي؟

- يا لك من داهية.. ولكن..

- ولكن ماذا؟

- كيف وجدت التاجر المزعوم «جمعان».

- إنه ممثل بارع وأعتقد أنه لو اشتغل بالتمثيل لنجح...

- أخشى أن ينطلي تمثيل «جمعان» عليك فتصبح الدار ملكاً له إذا ما عجز «سمير» عن التسديد..

- لا تخش يا «سلوم» فقد حسبت لكل شيء حسابه ولديّ أوراق ومستندات على «جمعان» تحبط أية محاولة للغش والخداع من جهته...

- حسناً.. حسناً.. ومتى تنتظر أن يعود المغفل «سمير» بالجواب؟

- لا أدري، ولكنني علمت أنه مهتم كل الاهتمام بالأمر يحلم الأحلام الجميلة، ويبنى قصور الآمال الواسعة العريضة..

- حقاً إنه مغفل.. ومغفل جداً...

- مسكينة «سهام» لقد غشها وغرر بها... وخدعها بمظهره وبأحاديثه المُنمّقة ومجاملاته حتى وقعت في حباله...

- والغواني يغرهن الثناء.

- صدق الشاعر.. على كل حال ستصحو «سهام» قريباً لتجد أحلامها وقد تبخرت وأنها كانت تسعى وراء سراب..

- أراك يا «هندوس» كما يقول المغني: «يا بايعني وأنا شاريك».

- إنه الإخلاص في الحب يا «سلوم»..

- أحقاً تقول إنك تحب «سهام» بعد كل ما جرى . . .

- أجل إني أحبها وسأبقى على حبها حتى الأبد . . .

وعقدت الدهشة لسان «سهام» وران عليها صمت رهيب، وطفربها الخيال إلى أجواء بعيدة المدى فتراءت لها المؤامرة في أبشع صورها، وأحط وسائلها، وأحاط فكرها المثير، وحبها الصادق «لسمير» المأساة. فتوقفت حائرة بين الاستجابة والرفض. لقد أدركت أن «حدوس» وراء ذلك وأنه عازم على قطع مورد هم الوحيد. إنه يريد أن ينفذ وعيده. . . موجات من الانفعالات تتلاطم على شيطان أفكارها وتتكسر ثم لا تلبث أن تزيد بنفس القوة والعنف.

أما «سمير» فكان كالراهب المتبثل أمام تمثال العذراء ينتظر كلمة زوجه الحاسمة. . . وأخيراً نطقت «سهام» قائلة:

- أوافق أنت يا «سمير» من «جمعان»؟!!

فأسرع «سمير» قائلاً:

- بكل تأكيد يا حبيبتى!

فتنهدت «سهام» تنهد المصدور ثم قالت:

- إذن فالدار وصاحبة الدار ملك يديك . . .

وانكفأ «سمير» يقبل يدي زوجته ورأسها بشكل هستيري، و «سهام» لا تمكنه من ذلك حفظاً على كرامته وهيبته ولكن «سمير» انقلب في لمح البصر طفلاً أجابت أمه سؤاله فانها على لثماً وتقبيلاً كيفما اتفق.

ونام «سمير» نوماً هائناً عميقاً يحلم بالشراء المنتظر. . . أما «سهام» فلم

يغمض لها جفن.. إنها تعرف المصير... إنها تفكر في الاستعداد لأيام عجاف وليالٍ طُخْيَاء... وظلت على هذه الحال حتى الهزيع الأخير من الليل ثم انسلت بهدوء من فراشها وذهبت وتوضأت وصلت بخشوع وحرارة وابتهلت إلى الله أن يكفيهم شر «حندوس». وأن يرد كيده في نحره... واستمرت في صلاتها ودعائها حتى آذنت صلاة الصبح فأدتها وعادت إلى فراشها وقد بعث الإيمان في قلبها شيئاً من الطمأنينة والتسليم لقضاء الله وقدره.

ورهنّت الدار «لجمعان» وتسلم ثمنها «سمير» وأعادته إليه ليتاجر به وعاد «سمير» إلى «سهام» ليخبرها أن شريكه «جمعان» قد سافر من أجل هذه الصفقة التجارية الرباحة.. فدفعت «سهام» فضولها فسألته قائلة:

- ما هي هذه الصفقة التجارية التي ذهب شريكك لإنجازها؟

ففكر «سمير» ملياً ثم قال:

- لقد عاهدت «شريكى» على ألا أبوح بها...

وقاطعته زوجه قائلة:

- أهي من الخطورة بمكان حتى تستأهل السرية؟

- نعم يا حبيبتي... إنها...

وحاول أن يبوح بالسر ولكنه لاذ بالكتمان... وأدركت «سهام» ذلك

فقالت بسخرية:

- شمس تطلع.. خبر بيان.. المهم يا زوجي العزيز أن تفكر في إيجاد

مورد ثابت لنا، فالتجارة - كما تعلم - مغامرة.. وكل مغامرة معرضة للربح

أو للخسارة، فقاطعها زوجها محتدماً:

- فال الله ولا فالك يا شيخه . . فكري في النجاح . . . إن «جمعان» أكد لي أن هذه الصفقة رابحة مية في المية . . .

وتنهدت هيفاء وقالت :

- ربنا يجعل العواقب سليمة . . .

وانصرف «سمير» لعمله . . . وانصرفت «سهام» إلى أعمالها . . وفي عصارى ذلك اليوم زارتها جارتها «أم توفيق» فرحبت بها هيفاء وأوسعت لها صدر مجلسها كما يقولون . .

كانت أم توفيق سيدة مسترجلة . . مات عنها زوجها وخلف لها ولدهما (توفيق) ولم يترك لها من حطام الدنيا شيئاً . . وعادها كثير من الخطاب فرفضت وفضلت أن تنكب على تربية ابنها الطفل فكانت تتركه عند جارتها «سهام» وتذهب هي إلى السوق تأخذ «عينات» الأقمشة من التجار وتطوف بها على البيوت في النهار وتأخذ عمولة على ما تبيع وعطفاً ومساعدة من تبيع عليهن من السيدات . . وفي الليل تسهر على «تكتيل» الصمادات (الغتر). وقد درت عليها أعمالها هذه ربحاً طيباً . . اشترت به داراً مؤلفة من طابقين : سكنت واحداً منها وأجرت الثاني . . ثم استخدمت سيدة من أقاربها لمساعدتها على العناية بالطفل والبيت ومؤانستها في وحدتها .

وكانت أم توفيق تحفظ «لسهام» رعايتها لابنها أيام الشدة . فكلما وجدت لديها فراغاً زارت «سهام» أو جاءت «سهام» لتزورها . . وكان الطفل توفيق ينادي «سهام» دائماً بـ «ماما» . . و «سهام» تحبه كما لو كان ابنها بحق وحقيق . .

ولاحظت أم توفيق أثناء هذه الزيارة أن «سهام» ليست كعادتها فسألتهما إن كانت تشكو من شيء . . فأجابتهما بالنفي . . . ولكن عيني «سهام» تفضحانها . . ولم تشأ أم توفيق أن تلح على صديقتها «سهام» كما أن هذه



خشيت على صبرها أن يذوب أمام أسئلة أم توفيق فلجأت إلى تغيير مجرى الحديث وقالت:

- في الحقيقة يا أختي.. أنا أشكو من الفراغ القاتل لا شغل اقطع به فراغي ولا طفل أشغل به نفسي..  
فقاطعتها أم توفيق قائلة:

- أما الطفل فهذا بيد الله وما زلت في مقتبل العمر وربنا كريم... وأما الشغل فموجود إذا ما سعى الإنسان إليه..

- وأين هو الشغل؟!... أريد أن أقوم بعمل أساعد به زوجي...

- حسناً يا «سهام» ما رأيك أن تشركي معي...

- يسرني ذلك... ولكني لا أستطيع أن (أدور) على البيوت كما تفعلين لأن زوجي «يحتاج إلى عنايتي بأكله ومشربه وبيتي يحتاج إلي وليست لدينا إمكانية لاستئجار صبي أو خادمة...

- حسناً.. إذن أنت تقومين (بالتكتيل)... وعلى فكرة أنا أعرف أنه لديك مبادئ خياطة، فقاطعتها «سهام» قائلة:

- أما من جهة (التكتيل) فأنا على أتم الاستعداد.. وأما الخياطة فمع الإمامي بها إلا أن عدم وجود (مكينة) هو حجر العثرة في ذلك...

فضحكت أم توفيق وقالت:

- ولا يهملك يا أختي أنا آخذ المكينة بالتقسيط على اسمي... بس هل أنت مستعدة للمشاركة؟ فابتسمت «سهام» وقالت:

- من الآن يا ست أم توفيق...

- توكلنا على الله..

- توكلنا على الله . .

وصدقت أم توفيق في كلامها . . . وفي ضحى اليوم التالي لزيارتها شوهده  
حمال يدق باب «سهام» ومعه المكيينة . . وبعد وصوله بدقائق جاءت أم توفيق  
وخلفها خادم يحمل «بقشة» كبيرة . . .

ووضعت المكيينة في جانب من الغرفة . . و (فردت) أم توفيق ما في  
(البقشة) فإذا بها (الصمايد) وست قطع من قماش لصنعها ثياباً للأطفال .  
ففرحت «سهام» بذلك ولم تترك كلمة شكر في قاموس معرفتها إلا رددتها وأم  
توفيق تردد:

- العفو يا أختي أنا لا أنسى (جمايك) على ولدي توفيق . . . اتركينا الآن  
من عبارات الشكر . . ودعينا نقرأ الفاتحة وندعو الله أن يبارك عملنا . .

فقرأتا الفاتحة ودعيتا الله . . وسارت أم توفيق لدارها بعد أن زودت «سهام»  
بلوازم الخياطة ومقاييس الثياب . . وودعتها «سهام» وفي كل جانحة من  
جوانحها شكر لأم توفيق . .

وعاد «سمير» في المساء إلى داره فراعته صوت «المكيينة» وفضلات القماش  
متناثرة هنا وهناك فنهضت «سهام» للقاءه فبادرها قائلاً والاستغراب يعلو  
محياه .

- من أين لك هذا؟

- البركة في أم توفيق جارتنا . . . أجلس يا حبيبي وسأطلعك على كل  
شيء . . .

وقصت عليه ما جرى بينها وبين أم توفيق، وبعد أن انتهت ربت «سمير»  
على كتفها وقال والفرحة تشيع في وجهه:

- أصبحت تاجرة يا «سهام» ..

فضحكت وأجابت:

- مفيش حد أحسن من حد .. أليس أنا تاجرة من (منازلهم).

وضمها إليه وهو يضحك ملء شذقيه ثم انفلتت من بين يديه وذهبت لتحضير العشاء وبعد أن تعشيا انصرفت هي لشغلها وعكف هو على قراءة بعض الصحف والمجلات ..

وتلقت «سهام» آخر الأسبوع حصتها من أرباح عملها فغمرتها فرحة طاغية وحمدت الله سبحانه وتعالى على ما أنعم وكررت عميق شكرها وعرفانها بجميل أم توفيق.

وفرح «سمير» بكسب زوجه الكسب الذي سيمنحها بعض الرفاهية والسعادة.

ومرت الأيام ولا أخبار عن «جمعان» وبدأ القلق يساور «سمير» فكانت «سهام» تهون عليه الأمور وتمسح بحنانها ما يعتريه من قلق وحيرة.

ودر شغل «سهام» وأم توفيق» عليهما أرباحاً طيبة .. فتوسعا في عملهما واستخدما بعض البنات للقيام ببعض مستلزمات الخياطة الروتينية .. واستأجرتا غرفتين في منزل جارة لهما لتكونا نواة (مشغل للخياطة).

وبارك الله لهما عملهما لأنه بني على إخلاص وتقوى ومخافة الله. وصارت «سهام» تقتصد من دخلها وتوفر لليوم الأسود كما يقولون.

وجاء هذا اليوم الأسود حين نشرت الصحف المحلية أن دورية من جنود الحدود قبضت على عصابة من المهربين كانت تحاول تهريب كميات كبيرة من البضائع عبر الحدود وأن الدورية تبادلت إطلاق النار مع المهربين فقتل

ثلاثة من أفراد العصابة وقتل جندي من الدورية وجرح أربعة واستسلم بقية المهريين. وقد تبين من التحقيق البدائي أن المدعو «حندوس» يرأس هذه العصابة وأنه مهرب عريق في مهنته هذه وقد أودع مع أفراد عصابته في السجن وختمت وزارة الداخلية دكانه ومنزله بالشمع الأحمر كما قبضت على جميع من لهم علاقة به وبأشرت التحقيق معهم...

ما أسرع ما تنشر أخبار السوء، وما أكثر روايتها وناقليها. لقد طرق باب «سهام» أكثر من واحد وواحدة ليخبرها بأن زوجها «سمير» زج به في السجن. وتفنن الرواة في صياغة الخبر وإسناده وحشوه (ببهارات) جاء بها خيالهم الخصب...

ومع أن «سهام» كانت تدرك منذ البداية أن هذه الصفقة التجارية خاسرة لا محالة إلا أنه لم يخطر ببالها أن تبلغ المأساة إلى حد وضع زوجها في السجن. لقد صعقت المسكينة حين علمت بالنبأ وتمنت لو كان لها من رجولة أم توفيق شيء لأسرعت إلى السجن.. إلى دائرة البوليس.. إلى... إلى... لتخلص زوجها مما هو فيه.

وبينما هي في هذه الحالة السيئة وافتها أم توفيق وكأنها ملاك أرسله الله إلى «سهام» في تلك الساعة الحرجة لإنقاذها فأسرعت إليها تقول والبكاء يخنق عباراتها.

- أدركيني يا أم توفيق ربنا ما يوقعك في كرب...

وتربت «أم توفيق» على كتف «سهام» وتقول وهي تتصنع الابتسام.

- تشجعي يا «سهام» ياما يمر على بنات الناس.. المهم قول لي هل صحيح أن زوجك على علاقة وطيدة بهذا المهرب؟ أنا زي أختك لا تخبني عني شيئاً..

هل تغتر «سهام» بهذه العبارات؟ نعم لقد عملت لها أم توفيق ما تفعله  
أخت لأختها أو أم لابنتها. . .

فهل تبوح؟ كلا إن «سهام» من السيدات اللواتي يعرفن ويقدرن قيمة السر  
وخطورته. . . ولذلك بادرت قائلة بكل شدة وجزم.

- أبداً يا أم توفيق. . .

- ولكن الناس يقولون إن «حندوس» كان يصطفي زوجك على سائر  
أصدقائه ومعارفه. . .

ووجمت «سهام» قليلاً واسترجعت في سرعة علاقة «حندوس» بها ووعيده  
لها. . . على أنها ما لبثت أن قالت في إصرار:

- ربما كان يؤثره لإخلاصه في عمله. . . وما أقل المخلصين في هذه  
الأيام. . .

- ولكنهم. . .

فقاطعتها «سهام» متلهفة:

- ولكنهم ماذا؟

- الناس يقولون إن زوجك شريك له. . . وأنه كان الشخص الوحيد الذي  
شوهده في وداع «حندوس» يوم سفره. . .

فعضت «سهام» على نواجذها وقالت:

- لقد كان «سمير» في وداع أحد معارفه واسمه «جمعان» وتصادف أن كان  
«حندوس» أيضاً مسافراً على الطائرة نفسها فالتقى به اتفاقاً أو من قبيل الصدفة  
كما يقولون.

- صحيح يا أختي. . . ولكن الناس. . . تحاول أن تجعل من كل شيء سبباً

وتتخذ من أنفه الأمور ذريعة للاتهام.. إن أول ما تتجه إليه أفكار الناس في مثل هذه الحوادث هو الناحية السوداء منها..

- إنهم يختلقون ويفبركون، وَيَغَيِّرُونَ الأدلة وبالتالي يصدرون الحكم..

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. والآن يا أختاه كيف السبيل إلى تخليص «سمير» إن المسكين لا يتحمل ظلام السجون وقسوة السجناء..

وتبكي «سهام» بحرقه وصوت مسموع يَسْتَفِزُّ الأفتدة الصم. وقلبت أم توفيق الأمر على جميع وجوهه.

- اسمعي يا «سهام»!..!

- كلّي أذن صاغية يا أختاه..

- سواء كان زوجك على علاقة بهذا المهرب أم لم يكن.. يجب علينا أن نسعى لفكائه وتبرئته مما نسب إليه.

- شكراً لك يا أم توفيق.

- لا شكر على واجب يا أختاه.. دعي الأمر لله واعتمدي عليّ بعده. فسأعمل بكل جهدي وطاقتي لتخليصه من هذه الورطة..

وتهتف «سهام» من أعماق قلبها:

- جزاك الله عنا كل خير..

واستجوب البوليس «سمير» وشدد في التحقيق معه، ولكنه ظل ثابت الجأش وهادئ الأعصاب متزن التفكير فلم يجد البوليس ولا المحققون الآخرون أيّ مُستمسك قانوني ضده ولا قرائن تدل على اشتراكه من بعيد أو قريب في هذه الجريمة، وكان العدل يقضي بإطلاق سراحه، بيد أن المحققين رأوا توقيفه في السجن ريثما ينتهون من أخذ إفادات بقية زملائه.

واستطاعت أم توفيق بعلاقتها الحسنة مع زوجات الموظفين الذين بيدهم الحل والعقد أن تحملهم على التزام جانب الرحمة في قضية «سمير» فتخفف أيام توقيفه من ثلاثة أسابيع إلى أسبوع واحد أفرج عنه بعده وعاد إلى منزله وهو لا يدري بأي وجه يقابل زوجته بل كيف يداري سواته . .

واستقبلته زوجته ومعها جاراتها وعلى رأسهن أم توفيق بالزغاريد والزينة وأقبل جيرانه ومعارفه يهنئونه بالسلامة . . ونحرت «سهام» خروفين تصدقت بلحم واحد منهما على فقراء الحي وأولمت الثاني لمعارف زوجها وأصدقائه . . .

وعادت «سهام» تنتظم في عملها مع أم توفيق وعادت الفرحة ترفرف على أرجاء تلك الدار . . وحدثت «سهام» على زوجها وحتت عليه لتسري عنه آثار الصدمة والنكبة، وتحيي في نفسه أملاً قدمه في أيام محنته قرباناً على مذبح يأسه وقنوطه . .

وحكم على «حندوس» بالسجن خمس عشرة سنة مع الأشغال الشاقة وعلمت «سهام» بالنبأ فودت لو أن الحكم كان مؤبداً أو إعداماً . . . إن شبح انتقامه يطاردها حتى وهو في سجنه .؟

وتضايق «سمير» من قعوده من دون عمل ومن بقاءه عالية على زوجته يقتات من عرق جبينها بينما كان الأحرى بها هي أن تعيش على كده بيمينه وصارت تنتابه بعض حالات عصبية والمسكينة «سهام» تحاول بكل ما لديها من حنان وعواطف أن تخفف عنه هذه النوبات ولكنها لم تفلح، إن «سمير» يريد أن يعمل ولكن لا سبيل إلى ذلك . إن القضاء برأه ولكن الناس لم تبرئه بعد . . إنه حكم لا يرحم . . إنه حكم تتغلب فيه العاطفة على الحقيقة فتواربها في ظلمات سحيقة لا تخرج منها لترى النور أو يرى المجتمع نورها

إلا بمعجزة.. وهل نحن في عصر المعجزات؟

وشكت «سهام» إلى أم توفيق حال «سمير» وكيف أنها لم تترك وسيلة لإسعاده إلا فعلتها، فضحكت أم توفيق وبلغ ضحكها إلى القهقهة فوضعت «سهام» كفها على فم أم توفيق خشية أن يسمع «سمير» ذلك فيستاء وأدركت أم توفيق حرج «سهام» فهمست في أذنها قائلة:

- الدواء بسيط يا عبيطه .

فسألتها «سهام» بلهفة ..

- وأين يباع هذا الدواء؟! .. بربك قولي ..

- فكتمت أم توفيق ضحكها وقالت ..

- دواء زوجك في إيجاد عمل له ..

- وكيف السبيل إلى ذلك .. لقد كلمت زوجات بعض صديقاتي بأن يجدن عملاً لزوجي في متجر أي زوج من أزواجهن فكن يتهربن أو يلفقن بعض الحجج الواهية أو يبدن أسفهن لعدم وجود وظيفة شاغرة ..

وتعتدل أم توفيق في جلستها وتشعل سيجارتها وتفتأ في دخانها المتصاعد ما وصل إليه تفكيرها من حل لهذه المعضلة وتقول:

- هل ادخرت شيئاً من عمالك معي؟

- نعم يا أختاه، خمسة وعشرون جنيهاً ..

- حسناً.. سأتيك غداً صباحاً بمثلها من عندي.. فكلمي زوجك هذه الليلة بأن يذهب غداً - (للبلدية ويستأجر كشكاً) ويضعه على مفترق الشارع الجديد وسأخذ له على اسمي البضائع. وتنكب «سهام» على يدي



أم توفيق تلثمها وتشكرها وهذه تدفعها برفق قائلة :

- «سهام»... لا تشكريني بل اشكري الله.. إني صديقتك وشريكك في السراء والضراء..

- لقد عملت ما لا يفعله والد لولده أو أم لابنتها ولا أدري بأي لسان أشكرك على (جمايك) الموصولة.

- العفو يا «سهام»... استودعك الله.. وإلى اللقاء..

- مع السلامة.. مع السلامة..

وفتح «سمير» الكشك.. وفتح الله به له الرزق.. فسدد ما استدانه من أم توفيق.. ووضع أمله في الله فزاد دره وكسبه، وفي خلال سنتين اشترى قطعة أرض... ولم تمض خمس سنوات حتى أصبح «سمير» من التجار المعروفين، فبنى له «فيلا» أنيقة أصبح تنسيقها وجمالها حديث الناس ومثار إعجابهم، وتناسى الناس والمجتمع حكمه أو (لحس حكمه) وقد أقبلت الدنيا على «سمير» وصار في نظر المجتمع التاجر المثالي في معاملته وشرفه.. يا للتناقضات.. يا للعجائب!!

وتوسع «مشغل الخياطة» وأصبح مدرسة لتعليم الفتيات على الخياطة والتدبير المنزلي وجيء بالمدرسات المتخصصة له وتناوبت سهام.. وأم توفيق الإشراف عليه..

وذات صباح اعتكفت «سهام» في منزلها ولم تستطع الحضور للمدرسة فعلمت أم توفيق بالأمر فهرعت على عجل إلى دار «سهام» فوجدتها في سريرها فسألتها بلهفة عما تشكو فأسرت إليها بما تشكو فإذا أم توفيق تهتف والفرحة تفسر كلامها.

- مبروك... مبروك يا حبيبي... ألف مبروك.

وابتسمت «سهام» وشدت على يد أم توفيق قائلة . .

- الله يبارك فيك يا أم توفيق عقبال أولاد توفيق . .

- شكراً يا حبيبتي عقبال فرحتنا بسلامتك . .

- الله يسلمك . .

وتضع «سهام» مولودتها «نسرين» في ذلك الجو الذي مر معنا . .

وسارت الأمور في مجراها الطبيعي لا يعكره إلا بعض الهواجس التي تقلق بال «سهام» خشية وعيد «حندوس» لقد أصبحت لا تفكر في خطره عليها وإنما على ابنتها بالدرجة الأولى . وكثيراً ما تسيطر عليها هذه الهواجس حتى لتنسى نفسها في زحمتها ولا تصحو منها إلا على صوت ابنتها تناديها بأعذب ما تحب أن تسمعه والدها من ولدها أو حينما يشدها زوجها برفق من كتفها قائلاً:

- صح النوم يا هوه . . نحن هنا يا عباد الله وحد الله وتثوب «سهام» آنئذ إلى رشدتها وتبتسم في تكلف وتعتذر بما يسعفها به فكرها في تلك السويعة . . وتمر الأيام و «نسرين» تكبر والوالدان لا يتركان وسيلة من وسائل العناية بها إلا اتخذه . وكان «توفيق» يلازم «نسرين» كلما وجد فرصة لذلك وعندما بدأت تذهب للمدرسة كان يزاملها في سيارتها فيطمئن على دخولها بوابة المدرسة ويذهب هو إلى مدرسته . وفي أيام العطلة يلازمها كظللها . وكانت «سهام» و «أم توفيق» تباركان هذه الصداقة وتنميان هذا التعاطف بينهما وتنتظران بفارغ الصبر اليوم الذي تزف فيه «نسرين» إلى «توفيق» فإن والدي «نسرين» لا ينسيان فضل «أم توفيق» وأياديهما البيضاء في أيام الشدة والمحن .

ومرضت «أم توفيق» ولعلّ لأيام الإرهاق سبباً في ذلك . وأشرفت «سهام»

على خدمتها بنفسها. وأدخلت «أم توفيق» المستشفى لإجراء عملية جراحية فكانت «سهام» تنام في نفس غرفة المريضة لتعتني بها فوق عناية الممرضات. وعوفيت «أم توفيق» ونصحها الأطباء بالسفر للخارج للاستجمام والراحة وانتهزت «سهام» و«سمير الفرصة فسافرا معها وبالطبع رافقهم «توفيق» و«نسرين».

وقضى الجميع وقتاً طيباً أفادهم صحياً وفكرياً، وقد كانوا في أمس الحاجة إلى مثل هذه الراحة بعد حياة طويلة من الكد والكفاح.

وزحفت السنون وزحف معها حب «توفيق» بقوة وعنف وكبر واستقام عوده، ولكنه مع الأسف كان حباً من جهة واحدة. إن «نسرين» لا تشعر بأي حب أو ميل إلى «توفيق» إلا بمثل ما يشعر به رفيق طريق نحو رفيقه وكانت «سهام» تحس ذلك من ابنتها فتتميز غيظاً، وتكاد تتفطر حسرة وأسى على أنها لا تلبث أن تعلق ذلك بفارق السن بينهما وأن الأيام كفيلة بتنمية هذا الحب في قلب ابنتها وتفتيت حواجز الجفوة والقسوة فيه.

ورأت «أم توفيق» بثاقب بصرها سحب الفشل تتلبد في سماء هذا الحب وآلمها اندفاع ابنها في هذا الظلام الدامس وفي مسيرة لا فائدة منها إنها جمعجة بلا طحين، وقعقة بلا نضال.. فهل تترك هي أيضاً للزمن تبديد هذه السحب كما تركتها صديقتها وشريكها «سهام» نعم... نعم.. من يدري فنحن في عصر المفاجآت.

ولئن ارتضت «أم توفيق» هذا الحل فإنها لم ترتضيه وهي مقتنعة بجدواه إنما كانت مكرهة بأن تلجأ إليه.. إنها لا تريد أن تشذ عن حل أو رأي ركنت إليه صديقة العمر «سهام» وحصل «توفيق» على الشهادة الثانوية وحصلت «نسرين» على الشهادة الابتدائية وأقام والد «نسرين» حفلاً فخماً في

داره لولديه «توفيق» و«نسرین» ابتهاجاً بنجاحهما .

وصممت «أم توفيق»، على إرسال ابنها لاستكمال دراسته الجامعية في الخارج ليعود «مهندساً (قد الدنيا). وكان لها ما أرادت وسافر على بركة الله «توفيق» وتألّمت والدته لفراقه ولكنها كانت تتأسى بعطف صديقتها «سهام» عليها ورعاية والد «نسرین» لها رعاية الأخ لأخته .

وكانت رسائل «توفيق» إلى «نسرین» لا تنقطع وإلى والدته كذلك ولكنها بالطبع لم تكن بمقدار تلك . . وكانت «نسرین» تجيب على بعضها وتتجاهل البعض الآخر فإذا ما عاتبها توفيق في رسائله التالية انتحلت أسباباً واهية لعدم الإجابة .

ومرت السنة الأولى واستطاع «توفيق» بجدّه وذكائه أن يتغلب على أزمة اللغة وأن يدخل الجامعة في كلية الهندسة، وقد فرحت والدته وفرح معها والدا «نسرین» وظاهرتهما «نسرین» الفرحة .

وأحس «توفيق» لأول مرة بأن «نسرین» لا تبادلّه الشعور نفسه، وكانت صدمة قاسية على قلب «توفيق» البكر، ولكنه صمد لها وانصرف بكلّيته إلى دروسه وتناسى أنه كان في يوم من الأيام يحب «نسرین» وكان أول ما فعله أن قلل بالتدرج رسائله إليها وإذا اتفق أن كتب إليها بمناسبة ما ترسّم في عبارته وخاطبها مخاطبة الأخ لأخته أو القريب لقرابه .

وفرحت «نسرین» بهذا التبدل والتحول الذي طرأ على «توفيق» وباركته جداً فلم تعد تجيب حتى على رسائله في المناسبات . . وانصرفت تهدد حبها الجديد «لمدحت» نجل أحد الأثرياء وسليل أحد البيوت العريقة في بلدها .

تعرفت «نسرین» بمدحت بينما كانت تبتاع ملابس لها من أحد المتاجر ففتنها بجماله الساحر وقوامه الممشوق وعينيّه النجلاوين ولباسه الأنيق

فتمسرت في مكانها في ذلك المتجر ولاحظ «مدحت» ذلك وكانت نظرة فابتسامة تركت في قلب «نسرین» جرحاً لا يندمل. . . وإذا عرفنا أن «نسرین» التي كانت آنئذ في سن المراهقة أدركنا مبلغ خطورة هذا الحب عليها. وإذا عرفنا أن «مدحت» كان (دون جوانا) ذكياً بارعاً في مسايسة ومداورة فريسته أدركنا مبلغ اللعبة الخطيرة التي أقدمت عليها «نسرین» وترحمنا على مستقبلها سلفاً، فقد كانت صيداً هيناً بالنسبة لخبرة «نسرین» في هذا المضمار فتبعها عن بعد بسيارته حتى عرف دارها وعرف بالطبع مدرستها ولم يجد صعوبة في تنسيق رسالة غرامية ملتعبة بعث بها مع أخته التي كانت تدرس معها في المدرسة نفسها وغرقت «نسرین» بعد هذه الرسالة إلى (شوشتها) في حبه وصارت تترصده كلما مر من أمام دار أبيها وتظاهر «مدحت» بحبه لها فجنت المسكينة ولو تطلعت في قرارة نفسه لوجدت أنه إنما كان يتلهى بها كما يتلهى الطفل بدمية ويتلاعب لاعب الكورة المفن بكورته.

ومن الغريب جداً ألاّ يؤثر هذا الحب العنيف على دراسة «نسرین» بل أعطاها نوعاً من الجد والمثابرة على دروسها فكان نجاحها مضرب المثل بين زميلاتهما، ولعلّ إخلاصها في حبها هو الذي قوى من عزيمتها على بلوغ النجاح مهما كلف الثمن لتبرهن لحبيبها بذلك أنها أهل لحبه الآن وزوجة له مستقبلاً يفخر بها ويعتز. . . ولعلّ هذا الاجتهاد غطى على الأخبار التي ترامت لأمها عن هذه العلاقة وبددت بعض الشكوك التي ساورتها وأقلقت مضجعها، ومع أن «سهام» لم تسكت حينما بلغتها هذه الأنباء المزعجة بل فاتحت ابنتها بطريقة لبقة بما سمعت بيد أن هذه أنكرت بشدة. ولما طلبت إليها والدتها أن تنقطع عن زيارة أخت «مدحت» استجابت لطلبها فصارت تلتقي به عن طريق الرسائل المتبادلة وأحياناً في بيت قريبة له.

ونالت «نسرین» الشهادة الثانوية بتفوق وحضر «توفيق» خصيصاً للاشتراك

في حفلة التخرج وكانت مفاجأة غير سارة لها، لقد خشيت أن يفتح باب زواجها منه ثانية بعد أن قفلته هي بيدها. . . وصح ما كان يتوقعه فقد راجت شائعات الزواج بين الكواليس، ونقلت «نسرين» الخبر إلى أخت «مدحت» لتبلغه لأخيها وانتظرت أن يتقدم «مدحت» لخطبتها لأنها كانت مطمئنة إلى أن والدها سيقبل بالنظر لمركز والد «مدحت» المرموق رسمياً وشعبياً. .

وخاب ظن «نسرين» في «مدحت» فلم تتلق أي صدى للخبر الذي أسرت به لأخته؛ حتى المكالمات الهاتفية التي كان «مدحت» يجربها معها يومياً وتكلمه هي على أساس أنه (إحدى صديقاتها) انقطعت. وكادت الصدمة تزلزل كيائها ولكنها تجلدت وحاولت أن تستطلع جلية الأمر، فهاتفت أخته ولما قرع الجرس وأجابت عليه أخته وأرادت «نسرين» أن تبدأ حديثها إذ بصوت غير صوت أخته يجيبها إن «ستي الصغيرة غير موجودة».

وترنحت «نسرين» من شدة الصدمة وارتمت على أحد المقاعد وهي فاقدة الوعي وصحت لتجد نفسها على سريرها وحولها والدها وأم توفيق وولدها و(كونصلتو) من الأطباء ويتمنى الجميع لها البرء والعافية.

وعلم «مدحت» بمرضها وعرف أن ذلك بسببه فأرسل أخته تعودها وزودها برسالة حشاها من زخرف القول ومعسول الكلم. . . . وانتهزت أخته خلوة المكان فناولت «نسرين» الرسالة فقرأتها على عجل وكانت علامات الانفعال تظهر على محياها، وبعد أن فرغت منها طوتها ووضعتها في صدرها وابتسمت ابتسامة المطمئن المرتاح. . . . وبادلتها أخت «مدحت» ابتسامة عريضة شفعتها باعتذارات ملفقة ولكنها منسقة تقبلتها المسكينة أو المغفلة «نسرين» قبولاً حسناً. . . . ألم أقل لكم إن «مدحت» حاذق في مهنته. . . .

وأبكت «نسرين» من مرضها وشفيت منه تماماً، وفي ذات يوم كانت «نسرين» تجلس على (مرجيحة) نصبت لها خصيصاً تحت ظلال الأشجار

الوارفة إذا بأم توفيق تدنو منها فتسلم وتنزل «نسرين» من مرجحتها وتقبل يد «أم توفيق» ويجلسان على أحد المقاعد المنتشرة في الحديقة. وتلفت «أم توفيق» هنا وهناك ولما اطمأنت إلى عدم وجود أحد يسمع حديثهما فاجأت «نسرين» بقولها:

- استمعي يا «نسرين» أنا زي والدتك.. وأعلم بالعلاقة التي بينك وبين «مدحت» فلا تحاولي أن تبرئي نفسك منها... أنا... .

وقاطعتها «نسرين» قائلة:

- أنا ماذا... أنا ماذا؟

- اسمعي أنت تعلمين رغبة والديك بأن تكوني لتوفيق... وهذه الرغبة بالطبع ضد إرادتك...

وحاولت «نسرين» الكلام فأسكتتها أم توفيق قائلة:

- لا تقاطعيني... اسمعي.. إنني وتوفيق لا نريد أن نكرهك على زواج (بالعافية) أو (بالنبوت) كما يقولون، وأنه يهمني مصلحتك كما تهمني مصلحة ولدي «توفيق». أنا لا أريد أن يكون هذا الزواج سبباً في تحطيم صداقة وأخوة بينها طوال هذه السنين...

وانفجرت أسارير وجه «نسرين» وهي تتابع بانتباه دقيق حديث «أم توفيق» التي اعتدلت في جلستها وعلا صوتها قليلاً عما كان عليه حين قالت:

- «نسرين» سأحلك من هذا الزواج على شرط...

وفاجأت «نسرين» هذه الصراحة، وكانت مفاجأة سارة بالنسبة لها، غير أن فرحتها شابها بعض القتام بعبارة «على شرط» التي وردت في كلام «أم توفيق». وحفزتها الرغبة لاستجلاء هذا الشرط فأسرعت تقول بلهفة:

- وما هو هذا الشرط يا خالتي؟

- قبل كل شيء أحب أن أطمئنك يا بنيتي أن «توفيق» يبادلك الشعور نفسه الذي تحسّينه.. إنه يعتقد أن الزواج الذي لا يكون أساسه الحب المتبادل والاحترام المتبادل لن يكتب له البقاء.

وأحست «نسرين» بدبيب من الطمأنينة يسري في عروقها فاهتزت وانطلقت (تؤمن) على كلام أم توفيق التي تابعت حديثها قائلة:

- ثانياً أنت تعلمين أن والديك يرغبان أو يسعيان جاهدين لتوطيد ما بيننا من صداقة ومودة برباط من النسب والقربى. وأنه لمن المؤسف جداً ألا تكون الظروف مؤاتية لتحقيق هذه الرغبة..

فقاطعتها «نسرين» قائلة:

- كم حطّم مثل هذا الرباط ما كان بين بعض الناس من صلوات مودة وصداقة.

- صحيح يا بنيتي.. فالرباط الذي يهدف إليه والداك لا شك سيهدم ما بيننا من وفاق ووثام وسيؤدي إلى القطيعة الأبدية لا قدر الله.

ولذلك انتهزت فرصة غياب والديك فسعيت لمقابلتك اليوم على انفراد لتتعاون معاً على تفادي هذا المصير المظلم.

- وكيف يكون ذلك.. إني على أتم الاستعداد للتعاون يا خالتي.. قولي بالله..

- إليك سياق الحديث يا بنيتي... اسمعي: إن سياسة التحدي والمجابهة التي تنتهجينها وإستعلاءك بين زميلاتك وصديقاتك في مناسبة وبغير مناسبة أنك ستفرضين الزواج من ابني «توفيق» مهما كلفك الثمن...

هذه السياسة طبعاً ستقابل من جهتنا بنفس القوة والعنف.. وهذا بالتالي



سيجر إلى القطيعة وهدم صرح الصداقة المكين ما بين عائلتيينا . .  
وحاولت «نسرين» أن تنكر هذا الإعلان ولكن «أم توفيق» قاطعتها بحزم  
قائلة :

- لا تحاولي الاعتذار أو الإنكار فأنت لا تجهلين علاقتي بكثير من والدات  
وأخوات زميلاتك وصديقاتك . . فحرصاً على وشائج المحبة التي تربط ما  
بيننا يجب أن تدعني لشرطي .  
وقاطعتها «نسرين» قائلة :

- إني مستعدة لقبوله قبل سماعه . . .  
- شرطي هو: أن تقلعي عن سياسة التحدي والمجابهة، وتتفادي  
التصريحات التي تسيء إلى ما بيننا من علاقة . . وأن تتخلصي بلباقة في  
المواقف الحرجة .

- أعدك يا خالتي وأقسم على ذلك . . .  
- اسمعي يا بنيتي . . . أنت في سن تقدرين فيه الأمور، وتفهمين أن  
موضوع زواجك من «توفيق» موضوع حساس بالنسبة لوالديك وهو لهما «منية  
العمر» . . . وعلاجه يحتاج إلى دقة وحنكة وإلى مخطط مرسوم . . والتكتيك  
الأول الذي سأستعمله هو تأجيل الزواج وأنا أعرف كيف أصل إلى ذلك  
بطريقي الخاصة . . . .

وقاطعتها «نسرين» قائلة :  
- التأجيل يا خالتي لا يحل المشكلة بل يعلقها وربما تحدث مضاعفات  
تزيد في تعقيد المعضلة .

وضحكت «أم توفيق» وربتت على كتف «نسرين» وقالت :

- إن الحل الفوري يا بنيتي للمعضلة سيجر إلى الكارثة التي نعمل على تجنبها، كما أن عنصر الزمن سيعطيك الفرصة الكافية لتعرفني ما إذا كان «مدحت» يريد أن يضع خاتمة سعيدة لغرامه.. أليس كذلك يا «نسرين»؟.

وأحنت «نسرين» رأسها خجلاً وتصببت عرقاً، وتبدل تفكيرها فلم تدر بماذا تجيب..

وقطعت «أم توفيق» على «نسرين» حيرتها حين قالت بجذ وحزم:

- وأؤكد لك يا بنيتي بأننا لن نقف حجر عثرة في طريق زواجك من «مدحت»..

وارتمت «نسرين» على صدر أم توفيق تدفن فيه خجلها وتقول والكلمات تتعثر على لسانها.

- صحيح يا خالتي.. صحيح..

وأجابت «أم توفيق» وهي تداعب بأصابعها شعر «نسرين» بقولها:

- أقسم لك على ذلك.. غير أنني أود أن أقول..

ونهدت «نسرين» عن صدر «أم توفيق» وقاطعتها قائلة:

- تقولين ماذا يا خالتي؟

- إنه ليس قولاً بل نصيحة تسديها أم إلى ابنتها..

- قولي يا خالتي..

- احذري يا بنيتي شباب اليوم.. لا تغتري بمعسول القول ولا بالرسائل

الملتهبة.. إن شرف البنت كعود الثقاب لا يشتعل إلا مرة واحدة.

- شكراً لك يا خالتي على هذه النصيحة القيمة.. وثقي أنني سأكون عند حسن ظنك بي..

- ربنا يوفقك يا بنيتي ويكفيك شر أولاد الحرام.

وهمت «أم توفيق» بالانصراف وإذا بها تبصر «سهام» ومعها «توفيق» قادمين نحوها فاسترخت في مقعدها.. وجاءت «سهام» مشرقة الوجه باسمه الشجر فسلمت واعتذرت عن تأخرها في زيارة صديقة لها في المستشفى.. فأجابت «أم توفيق» قائلة:

- لا لزوم للاعتذار يا أختي، لقد أتيت من دون سابق ميعاد والبركة في (القمورة) «نسرين» ربنا يحفظها فقد أمتعتني بحديثها حتى إن الوقت مرّ بدون أن نشعر به.

وقال «توفيق»:

- في الحقيقة تأخرت يا ماما وأنت تعرفين أننا مرتبطون بموعد سابق وحاولت الاتصال بدار عمي «سمير» فوجدت التلفون معطلاً فحضرت بنفسي والتقيت بخالتي «سهام» على الباب... هيا بنا يا ماما...

وقالت «سهام»:

- لسه بدري يا جماعة..

ورد «توفيق» قائلاً:

- كان يسعدنا البقاء لو لم نكن مرتبطين بموعد سابق..

وقالت والدته:

- إيه رأيكم نروح بكره على البحر نتغدى هناك ونقضي سحابة النهار، إلا

إذا كنتم مرتبطين بموعد سابق..

وتلثفت «أم توفيق» إلى «نسرين» قائلة:

- إيه رأيك يا حلوة..

فأجابت «نسرين» قائلة:

- أنا بأمركم...

واتفق الجميع على قضاء نهار الغد على ساحل البحر... وعلم «مدحت»  
بأمر هذه الفسحة عندما هاتف «نسرين» كعادته في كل يوم.. فأخبر أخته  
«سلمى» بها فوجمت قليلاً ثم قالت:

- ما رأيك أن نقنع والدتي ونذهب نحن أيضاً إلى المكان نفسه..  
وربما كانت فرصة لإيجاد تعارف بين والدتي ووالدة «نسرين» ووالدة  
«توفيق».

ولم ترق الفكرة كثيراً «لمدحت» إلا أنه رضخ أخيراً لرغبة أخته قائلاً:

- أنا شايفك رايحة توقعيني في حب «نسرين» غصباً عني.. أنت عارفة  
أنني لا أحبها وإنما أستلطفها وأتظاهر لها بالحب شفقة على عواطفها من أن  
تتحطم إذا ما عرفت بالحقيقة..

- ولماذا لا تحبها يا أخي.. إن فيها كل المؤهلات الطيبة.. حلوة..  
جميلة.. غنية مثقفة.. أخلاق عالية.

- صحيح يا «سلمى» ما تقولين.. فهي بالرغم من اندفاعها في حبي  
حريصة على كرامتها وشرفها أنت تعرفين غزواتي ولكن هذه البنات تختلف  
عن كل البنات اللواتي تعرفت بهن..

- طيب.. ولم لا تفكر في الزواج منها.. ما دامت هذه صفاتها  
وأخلاقها..

- لسه بدري يا عبيطه .. خليني أهَيِّص وانبسط قبل أن أدخل في (زنزانة) الزواج ..

- وهل الزواج بالبنت الصالحة الرضية «زنزانة» .. مسكينة «نسرين» لو علمت بذلك لماتت بالسكته القلبية .. حرام عليك .. يا أخي أنت لك أخت وما تخافش انو ربنا يسלט عليها واحد زيك يلعب بعقلها وعواطفها زي الكورة ..

- أنا يا أختي كالنحلة أطيّر من زهرة إلى أخرى ..  
وتقاطعه أخته قائلة:

- ربنا يسלט عليك (دبور) أو دبورة يا شيخ .. اتق الله في بنات الناس واعلم أن الله بالمرصاد.

وقهقه «مدحت» ساخرًا قائلاً:

- الله .. الله .. يا ستنا الشيخة .. نفعنا الله ببركاتك ..

فاحتدت «سلمى» وقالت:

- أضحك .. أضحك .. فسيأتي اليوم الذي تندم فيه ولات ساعة مندم ..

وصرخ «مدحت» في وجه أخته محتدًا قائلاً:

- كفاية نصايح .. خليها لك يا فصيحة .. إنني لست بحاجة إلى من يرشدني أو ينصحني .. ما شاء الله .. أنت كمان صرت ولية أمري .. أنا لا أسمح لك مستقبلاً بالتدخل في شؤوني ..

وكظمت أخته غيظها وقالت:

- أنت حر يا أخي في تصرفاتك .. المهم تحب تروح معنا البحر ..

وأجاب محتدًا:

- لن أذهب . . لن أذهب . . .

كانت «سلمى» من جيل «نسرین» سناً، وكانت محبوبة من والديها لرجاحة عقلها ومعرفتها بواجباتها . . وكانت ذكية مجتهدة، وقد نالت شهادة التوجيهية في السنة التي حصلت عليها «نسرین» ولم يعرف عنها شيئاً غير طبيعي في سلوكها وأخلاقها كما أنها كانت آية في الجمال الذي لم تستغله كما استغله أخوها «مدحت» في إيذاء بنات الناس . وكان والدا «سلمى» يتمنيان لو أوتي «مدحت» مثلما أوتيت أخته من فطنة وذكاء وتفكير متجه إلى الخير لا إلى الشر . .

ولم تجد «سلمى» صعوبة في إقناع والدتها بالذهاب إلى النزهة للبحر . . وسواحل البحر أو هذه الشطآن كم كانت سبيلاً للتعارف بين أناس قد لا يحتمل أن يتعارفوا لو لم يلتقوا على بلاجها . وهكذا تعرفت والدة «سلمى» «بسهم» و «أم توفيق» وتعرفت «سلمى» «بتوفيق» والفضل لبلاج البحر وصدافة «نسرین» و «سلمى» .

وقد قضى الجميع نهراً ممتعاً ما عدا «نسرین» التي استاءت من عدم حضور «مدحت» وقد اعتذرت عنه والدته وأخته . وفي العصر انتقل الجميع إلى (شاليه) والد «مدحت» وكانت مفاجأة لهم أن يجدوا والد «نسرین» ووالد «مدحت» جالسين هناك يلعبان «النرد» الطاولة، وكانت «نسرین» أشدهم سروراً بهذه المفاجأة فقد عقدت عليها آمالاً عريضة . ولم تنقص من سرورها إلا غياب «مدحت» . . .

وانتظم الشمل ولعب «توفيق» مع والد «مدحت» (عشرة طاولة) فغلبه بسهولة وغلب عمه «سمير» أيضاً . . وبعد اللعب انتقل الجميع إلى مائدة الشاي ودار الحديث مع دوران أقداح الشاي وحدثهم «توفيق» وكانت «سلمى» أشدهم افتناناً بتوفيق وحديث توفيق وكمال توفيق وأخلاق توفيق . . ولم يشأ

(كيوييد) أن يعلق «سلمى» بتوفيق وحدها بل علق والدها به فقد أعجب جداً بتوفيق فكنت تسمعه أثناء حديث «توفيق» يردد:

- ما شاء الله... ما شاء الله... ربنا يحرسك يا بني... .

وقد زادت هذه الكلمات حب «سلمى» أواراً واشتعالاً، وشعرت «نسرين» لأول مرة أنها ضيقت كنزاً ثميناً. وأثار عطف والد «مدحت» أحاسيس جديدة في قلب «توفيق». . لقد حرم من حنان الأبوة في طفولته فجدد عطف والد «مدحت» عليه حناناً طوته السنون في تلافيف ضلوعه... وتطلع إلى عيني «سلمى» الحلوتين الهائمتين المتسمرتين على وجهه فأدرك بحاسته السادسة الصادقة ما ينتظره منهما من أحداث.. ونظر إلى والدته فرأى ابتسامة حلوة عريضة تغمر محياها فعرف مبلغ سعادتها به فحمد الله في قرارة نفسه على أن أعاب والدته لم تذهب سدى وأن الله سيعوضها في شخصه ما حرمت من سعادة.

وقض هذا العطف مضاجع والدي «نسرين» ورأيا بثاقب بصرهما خطره على ابنتهما ولو اطلعا على الغيب لاختارا الواقع. وأحبت والدة «مدحت» توفيق وتمنت لو كان لابنهما قليل من فصاحة وكياسة ولباقة توفيق. وعضت إصبعها ندماً أن تنجح المرأة (الدلالة) أم توفيق في تربية وتنشئة هذا الابن المعجزة وأن تفشل ابنة الحسب والنسب فيما أفلحت فيه تلك. حكمتك يا إلهي لقد قدرت وقسمت وعدلت فلا عتاب ولا ملامة.. .

وعاد الجميع كل إلى داره بعد أن استمتعوا بنزهة جميلة، وندم «مدحت» على عدم ذهابه معهم بعد أن أسهبت والدته في وصف جمال تلك الفسحة ولم يغمض «لسلمى» جفن في تلك الليلة.. . لقد أحبت «توفيق» حقاً وكان حباً صادقاً استقر في قلب ناصع البياض لا يعرف الغش ولا الخداع ولا النفاق ولا الرياء... . لقد بدأت «سلمى» تقلب الأمر على وجوهه.. .

وتنهض من سريرها وتتطلع في المرآة لترى هل فيها ما يجذب «توفيق» إليها... فيجيبها غرورها ويتبعها بإجابته وتعود إلى عقلها لتناقشه: هل حقيقة «توفيق» هو الرجل الذي تتمناه؟ أو ترى أنها مقدمة على عملية خطيرة أشبه بعملية «نسرين» حب من جانب واحد... و «توزيعات» فنية عاطفية يوزعها لاعب الكرة الفنان على زملائه... ويشدد فيها سعيه الحب فتشد خصلات شعرها حين ينحاز تفكيرها إلى جادة الفشل... إلى مرارة الحب... إلى قسوته... إلى... إلى وتضرب مخدتها بقبضة يدها وقد ترمي بها إلى نهاية السرير. وظلت على هذه الحال من العواطف في مدها وجزرها حتى لاحت تباشير الفجر فتناولت الوسادة المهجورة وضمتها إليها ونامت ويدها تعانقها.

وبصرت «أم توفيق» بعينيها النفاذتين صوب حب عاصف بين ولدها و «سلمى» وخشيت من العاصفة لأنها تجرف دائماً ما أمامها لا تشفق ولا ترحم، وحسبت حساباً طويلاً لتأثير هذا الحب على دراسة ابنها الجامعية... إنه في السنة النهائية التي يصبح بعدها مهندساً (قد الدنيا) على حد تعبيرها... وغادرت سريرها وفتحت باحتراس الباب، وتطلعت إلى غرفة ابنها... إنها مضيئة والليل قد زحف إلى نصفه الآخر وأقفلت الباب... وعادت واضطجعت في مرقدها وقد أيقنت أن ابنها يعيش في عاصفة... وابتسمت بمرارة من سخرية القدر... واطمأنت نفسها إلى هذا التعليل وتلت ما تيسر من أي الذكر الحكيم وراحت في سبات عميق...

وهوم الليل وخفتت مصابيح دور البلدة إلا مصباح «توفيق» فقد سهر مع صاحبه، ولعله استمر السهر فازداد نوره تألقاً ولمعاناً وتوفيق يضرب أخماساً في أسداس ويرسم زوايا ومثلثات وقصوراً... ثم ينسفها ويقوضها بمعوله ويدكها بقوة صبره وتحمله... ثم لا يلبث أن ينهار جلده فيعود كما بدأ



وهكذا دواليك حتى أدرك تفكيره الصباح فكّن واستراح يحلم بالليالي الملاح . .

واستيقظ «توفيق» على قرع بابه وأمه تناديه :

- قم يا حبيبي . . تلفون علشانك .

وقفز «توفيق» من فراشه وارتدى على عجل روبه وفتح الباب فإذا بأمه تقول له وفي وجهها ابتسامة مآكرة :

- تلفون من بيت والد «سلمى» . .

- والد «سلمى» مين يا ماما . .

- الله . . الله نسيت والد «سلمى» السيد وجيه . . .

- أيوه . . أيوه يا ماما . . يظهر أنني لسّه في حالة نوم . . . وماذا يريد سعاداته؟

- سعاداته يطلب أن تتصل به في مكتبه حالاً لأمر هام وقد أعطاني رقم تلفونه الخاص . . وتناول الرقم الخاص فيهاتف والد «سلمى» وبعد الانتهاء من المكالمة يقول لوالدته :

- سعاداته يأمر أن أذهب إلى داره بعد عصر هذا اليوم . . . إن شاء الله خير . .

- إن شاء الله خير يا بني . .

ويريد أن يذهب للحمام فتمسك به والدته وتقول :

- هنالك مكالمة أخرى يا دون جوان .

وتضحك ملء شديها وتوفيق يقول لها :

- مع مين يا ماما . .

وتمعن والدته في ضحكها وتقول:

- وهو في غيرها . . ربنا يحرسها . . يا الله كلمها . .

- أكلم مين؟ أنت تتكلمين بالألغاز يا ماما . .

- سلمى . . وهو في غيرها . .

ثم تتابع قولها مازحة:

- لقد هاتفتني والدة «سلمى» تسألني عن صحتي الغالية جداً عليها وسألت

عنك أيضاً ثم كلمتني «سلمى» بعدها وبعد المقدمة الموسيقية طلبت أن

تكلمك إن كنت بجانبني ولما أجبتها أنك نائم قالت: خليه يكلمني لما

يفيق . . يا الله كلمها مستني ايه . . .

- حاضر يا ماما . . حاضر . . .

وتنصرف والدته عندما بدأ يدير قرص التليفون . . إنها حماة من الطراز

(القارح) جداً . . من يدري رُبما ستكون قبلة ذرية إذا قدر لتوفيق أن يتزوج

من «سلمى» . .

ويدور حديث مهذب بين «سلمى» و «توفيق» وتعلم منه أنه سيزور والدها

بعد عصر هذا اليوم وتنتهي المكالمة وترمي «سلمى» بالسماعة بعد أن قبلتها

بحرارة . . وتسرع لتخبر أمها والفرحة تشيع في كل لفظة من كلامها . وتلاحظ

والدتها ذلك فتقول:

- ولماذا كل هذا الاهتمام يا سلمى . . أمعجبة أنت أيضاً بتوفيق؟

وتجيب «سلمى» بكل صراحة:

- وأنت يا ماما أأست كذلك؟

- صحيح .. ولكن ليس باللهفة التي تغمر كلامك .

- ماذا تعنين يا ماما؟

وتتباطأ والدتها «مزنة» في كلامها حين تقول:

- أعني .. إني أحس أنك تستلطفين «توفيق» .. .

ثم تبسم وتربت على كتف ابنتها قائلة:

- قولي يا بنتي .. أنا والدتك .. مستودع أسرارك .. صارحيني لا تخبني

عني شيئاً .. فلي من تجاربي ومحبتي لك ما أساعدك به .. .

- صحيح يا ماما .. صحيح يا ماما .. .

- قولي .. لا تخافي .. كوني صريحة وصادقة .. أنا أمك .. .

وأجابت «سلمى» وفي كلامها غمغمة من شدة الخجل:

- سأقول يا ماما .. . سأقول .. .

وقصت «سلمى» على أمها أحاسيسها وانطباعاتها وكانت صريحة معها فلم

تترك شيئاً مما تشعر به نحو «توفيق» إلا شرحته وبينته لوالدتها.

وفرحت «مزنة» لوثوق ابنتها بها واطلاعها على كل ما كان يعتمل بنفسها

من جهة، وخشيت من هذا الحب «الصاروخي» من جهة أخرى. لقد كانت

الأم في موقف دقيق يحتم عليها التصرف بحكمة ولباقة وإلا فقدت ثقة ابنتها

بها وبالتالي قد تفلت «سلمى» من قبضتها .. فبدأت ما بدأت بقبلة طبعتها

على خد «سلمى» قائلة وهي تصطنع ابتسامة دبلوماسية:

- أنا ممنونة من ثقتك بأمك يا بنتي .. ومقدرة في الوقت نفسه شعورك .. .

وتتصورين قديش كبرت في عيني .. وأنا بصفتي والدتك وأعلم منك بتجارب

الحياة ومشاكلها على أن أبصرك بكل شيء فواجبي يقتضيني ذلك . .

وتقاطعها «سلمى» قائلة بلهفة:

- قولي يا ماما . . أنا أقدر نصائحك . . وأحب أن تساعدني على ما أنا

فيه . . .

- ما في شك أن «توفيق» شاب مهذب مثقف فيه مؤهلات الشباب الطيب

ولكن . . .

- ولكن ماذا يا ماما . . ماذا يا ماما . . .

وتربت والدتها على خدها قائلة:

- حيلك يا حبيبتى . . حيلك . . .

ثم تبسم ابتسامة ماكرة وتقول:

- يظهر أنك طبييتي لشوشتك . .

وتحني «سلمى» رأسها خجلاً، وتتابع «مزنة» كلامها:

- يا بنيتي، الحكم على الأشياء من أول وهلة أو أول نظرة حكم غير

سليم . . وأنت كما يظهر حكمت على مثالية توفيق بوازع من قلبك وليس من

عقلك، إنني اتفق معك أن كل شيء في توفيق يحمل على محبته والإعجاب

به، ولكن جلسة واحدة معه لا يمكن أن تعطي الأدلة والبيانات الكافية للحكم

عليه . . والتسرع يا بنيتي في مثل هذه الأمور عواقبه وخيمة . . .

وتقاطعها «سلمى» قائلة:

- إن ما تقولينه يا أماه هو المنطق السليم والطريق القويم . . .

وتنهال على وجه أمها لثماً وتقبيلاً وهي تقول:

- شكراً لك يا ماما أنت فتحت عيني وبصرت تفكيري بأمر هام وهو عدم الحكم على الأشياء بمجرد رؤيتها... .

- أنا دائماً افخر بك وأقول إن قوة تفكيرك تتغلب على قوة عواطفك... .  
شوفي يا بنيتي أبوك وأنا يهمننا سعادتك في هذه الحياة... . يهمننا مستقبلك... .  
يهمننا أن نجد الشخص الكفاء الذي يسعدك وترتاحين معه... . وقد يكون «توفيق» هو ذلك الشخص، لكن يجب أن نسأل عنه وندرس أحواله ونتعرف به أكثر حتى نتبين صلاحيته من عدمها... . ثم هنالك نقطة يجب أن نعرفها قبل كل شيء عن «توفيق»... .

- وما هي يا أماه؟

- العلاقة التي بين أم توفيق وابنها من جهة والسيد «سمير» وعائلته وابنته «نسرين» من جهة أخرى علاقة كما شاهدناها أمس متينة وقوية وكما يتحدث الناس أيضاً إن أم توفيق هي سبب الخير الذي يتمتع به «سمير»... . وليس ببعيد أن تكون نية «سمير» متجهة إلى تزويج بنته «نسرين» من «توفيق» على الأقل وفاء ورداً لجميل والدته... .

وتضحك «سلمى» فتسألها أمها عن سبب ذلك فتجيبها:

- «نسرين» تحب أخي «مدحت» يا ماما... . وتموت في حبه... .

ويفجأ «مزنه» الخبر فتقول:

- وأخوك... . هل يبادلها الحب؟

- أبداً يا ماما إنه يلعب بعقلها (كورة)... . يضحك عليها المسكينة... . وهي تبني القصور والآمال على كلامه المزيف... .

- غريب أول مرة أسمع هذا الكلام... . مسكينة لقد لاحظت عليها أمس أنها

كانت غير مرتاحة بالرغم من أن كل شيء كان يبعث على البهجة والسرور .  
والله إنها بنت حلال وجميلة خسارتها في «مدحت» غضيب الوالدين . .

ثم تنفعل «مزنة» فتستطرد قائلة :

- أنا لازم أنبهها وأحذرها من «مدحت» قبل أن تقع في الهاوية . .

ومر بمخيلة «سلمى» - في سرعة - فيلم استعراض شاهدت فيه أمها وهي تحذر «نسرين» من «مدحت» وألأعييه فتنصاع «نسرين» لتحذيرها وتتخلى عن حب «مدحت» وتنزل على رغبة والديها فتتزوج من «توفيق» يا للهول : يا للكارثة : . . وإذا «سلمى» تقاطع والدتها قائلة :

- وما يدريك يا أماه أن حب «نسرين» قد يقوم اعوجاج أخي ويقوده إلى جادة الصواب سريعاً، وأنا لاحظت مؤخراً أن أخي معجب بحرص «نسرين» على كرامتها وشرفها . . والإعجاب ربما يكون بداية خير وهداية «لمدحت» . .

وأدركت «مزنة» ما تهدف إليه ابنتها وتغلب حب الأثرة في نفسها على حب النصح والإرشاد فإذا بها تقول :

- صحيح . . من يدري . .؟ ربنا يجعلها من نصيبه . . .

وتؤمن «سلمى» من كل قلبها على عبارة أمها . . وتتابع «مزنة» حديثها قائلة :

- لنرجع إلى موضوع توفيق . . .

- قولي يا ماما . . قولي . . .

- يمكن توفيق يحب «نسرين» ووالداها بالطبع سيزوجانها له شاءت أم

أبت . .

- لقد أقسمت «نسرين» أمامي أنها ستنتحر إذا أرغمت على الزواج من «توفيق».

- طيب.. هذه نقطة تسترعي الانتباه جداً يا بنيتي...

- ولماذا يا ماما...

- بالنظر للعلاقة الوطيدة بين عائلتي «نسرين» و «توفيق» لا بد أنها لاحظت في «توفيق» أشياء لم تعجبها فكرهته.. لأنه من غير المعقول أن «توفيق» الذي سحرنا جميعاً أمس لا يستطيع أن يستولي على قلب طفلة صغيرة «كنسرين» لازم هنالك خفايا اطلعت «نسرين» عليها بحكم احتكاكها اليومي بتوفيق فكرهته بسببها..

- كلامك معقول يا ماما...

- علينا ألا نتسرع وأن تضبطي يا بنيتي فرامل عواطفك حتى ينجلي الصبح لذي عينين.

- سأفعل يا أماه... سأفعل..

وأثبت «توفيق» جدارته وكفايته في المهمة التي أنيطت به وتنبأ له أعضاء اللجنة المهندسون بمستقبل باهر في عالم المهندسين.. ورفع هذا التقدير والإطراء مكانته لدى الأستاذ «وجيه» وعظم بالتالي شأنه لدى «مزنه» حماة المستقبل - ودق إسفيناً قوياً في قلب «سلمى». أما من جهة «مدحت» فلم يكن بينه وبينه أي انسجام.. لقد حاول «توفيق» أن يعزز مركزه لديه مراراً ولكنه كان يمني بالفشل الذريع في كل محاولة وأخيراً ترك للأيام حل هذه المشكلة...

واستطاعت «مزنه» أن تدرس «توفيق» عن كثب بل لقد ذهبت إلى أبعد من ذلك حين سأله والد «سلمى» في إحدى جلساتهم العائلية قائلاً:

- ربنا يقدرنا يا ابني على مكافأتك على جهودك المخلصة في أعمالنا .  
فانتهزتها فرصة وعقبت على ذلك بقولها وابتسامه مآكرة تخمر محياها:  
- إن شاء الله نهنيك بحصولك على الدكتوراه في الهندسة . . ونخدمك  
حين زواجك من «نسرين» . . البنت الطيبة الحلوة يا سلام عليها ربنا  
يحرصها . .  
وأدرك «توفيق» بذكائه المتقد ما ترمي إليه «مزنة» فأجاب قائلاً:  
- أشكرك يا سيدي كما أشكرك يا سيدتي على تمنياتكما الطيبة . . أما  
بخصوص زواجي من «نسرين» فهل يجوز زواج أخ من أخته؟  
وأثلج صدر «مزنة» جوابه وكادت تقبله من فرحها وسرورها وشاركها والد  
«سلمى» الفرحة ثم أردف قائلاً:  
- العفو يا ولدي . . . إذا كانت «مزنة» قد أخرجتك بإثارة موضوع  
الزواج . .  
وتابعته «مزنة» قائلة:  
- صدقني يا ولدي لم اقل ذلك إلا بناء على الإشاعات المتواترة . . وما  
كنت أعرف هذه الحقيقة من قبل فمعدرة يا بني . . .  
- العفو يا سيدتي فإنك لم تسيئي إليّ في شيء أبداً . . وما قلته هو ما  
تردده الشائعات وتنشره بين الناس . . .  
وسارت الأمور حسب الخطة التي رسمتها «مزنة» . وتولت «سلمى» في  
حب «توفيق» ولكن أمها كانت تكبح جماح عواطف ابنتها وتوصيها بالضغط  
على أعصابها وشعورها . . وكم كانت المسكينة تتألم بسبب ذلك ولكنها حين



تفيء إلى عقلها ترى أن ما تقوله والدتها هو عين الصواب فترتاح وتهداً وهكذا دواليك . .

وضاقت والدة «نسرين» ذرعاً بجمود أم توفيق وعدم مفاتحتها في موضوع الزواج . . ولعب (الفار) في عيها - كما يقولون - وهداها تفكيرها إلى أن إحجام أم توفيق عن هذه المسألة الحيوية بالنسبة لعائليتهما ناجم عن شيء لاحظته على «نسرين» ذلك لأنها تعلم علم اليقين أن «أم توفيق» من السيدات العالمات بدقائق أسرار البلد بالنظر لطبيعة عملها. وقوي هذا الاتجاه في خاطر «سهام» عدم ظهور أي شيء غير طبيعي في العلاقة بين «نسرين» وتوفيق «إنها علاقة عادية لا شيء فيها يستلفت النظر أو يبعث على التفاؤل . . إنها على العكس أصبحت تبعث على التشاؤم ولا سيما بعد أن ظهر جلياً ركود في ميول «توفيق» نحو «نسرين» بعد ذلك التأجج المريع . . . وحصلت «سهام» إلى نتيجة واحدة فقط هي وقوف أم توفيق وابنها على علاقة «نسرين» بشخص آخر . . .

وشددت «سهام» الرقابة على ابنتها من دون أن تشعرها بذلك . . واهتبلت فرصة غياب «نسرين» ففتشت غرفتها تفتيشاً دقيقاً فعثرت على قسم من الرسائل التي كان يبعثها «مدحت» إلى «نسرين» وتصفحها - في سرعة - فتبين لها أن ابنتها أيضاً كانت تبادل رسائله الغرامية. وكادت تقع «سهام» على الأرض من هول الصدمة ولكنها تماكنت وأرجعت كل شيء إلى قواعده وطبيعته . . . وعادت تجر رجلها جراً إلى غرفة نومها فأغلقتها خلفها وارتمت على سريرها تنشج كالثكالي وتقول كالأيامي:

- يا للفضيحة! يا للعار!

وظلت تلطم على وجهها وتقول:

- أين كنت؟ كيف لم أعرف كل ذلك... يا لتغفيلي.. يا لخيبتي..  
وتمشي في الغرفة جيئةً وذهاباً وهي لا تدري كيف تعالج هذا الأمر..  
وكلما جال بخاطرها أن علاقة ابنتها (بمدحت) ربما وصلت إلى حد الإثم  
طالت اللطمات بشدة على خدها ورأسها... ولا تدري كم مضى من الوقت  
عليها وهي على هذه الحال حين قرع باب غرفتها بشدة.. وكان الطارق  
زوجها «سمير» فتظاهرت بالمرض والإعياء وذهبت لفتح الباب وهلع قلب  
«سمير» حين رآها وأسرع إلى الهاتف ليستدعي الطبيب فأقسمت عليه ألا  
يفعل وقالت:

- إنه عارض بسيط يا «سمير» سيزول بإذن الله..

- تقولين عارضاً بسيطاً.. انظري وجهك في المرآة لتري كيف أنه منتفخ  
ومحمر تتخلله زرقة.. دعيني أرسل في طلب الدكتور..

- أرجوك يا «سمير».. أرجوك يا «سمير»..

وتجلدت وذهبت إلى الحمام واستطاعت بكمادات من الماء... وطبقة من  
المساحيق تخفيف الاحتقان.. وعادات وهي تتصنع الابتسام وتتفكر في  
اختراع أكذوبة بيضاء تهدد بها قلق زوجها عليها فقالت:

- لقد كنت أبكي يا «سمير»..

- ولم تبكين يا حبيبي..

- أبكي لأنني نسيت والذي بعد أن أفاء الله علينا من نعمه الشيء الكثير.  
لقد نسينا التصديق عنه، لقد ألهتنا الدنيا عن تلاوة آي الذكر الحكيم على  
روحه.. لقد ذكرت كل هذه الأشياء وأنا على سريري ولا أدري ماذا فعلت  
بنفسي حتى وجدني على ما أنا عليه..

وانطلقت على «سمير» هذه الكذبة البيضاء وأكد لها أنه سوف لا ينسى واجبه تجاه أبيها وسيداً منذ اليوم في عمل اللازم.

وعادت «نسرین» من زيارتها، وما إن علمت بالخبر حتى هرعت إلى غرفة أمها على عجل وقد أخذ منها الاضطراب مأخذه فارتمت على صدر أمها وهي تقول:

- سلامتك يا حبيبتي يا ماما.. راح الشر.. خير إن شاء الله... ماذا أصابك. لقد غادرت المنزل وأنت تتمتعين بصحة جيدة فما الذي جرى؟ طمني يا ماما طمني... .

وتطلعت إليها وكادت تقول لها: أسألي نفسك أيتها العاشقة الولهانة.. ولكنها ربطت على قلبها وألجمت لسانها واكتفت بتمتمة مبهمة... .

والنفت إليها زوجها «سمير» قائلاً:

- أما تشعرين بتحسن يا «سهام» الآن..؟

وتتظاهر بالعافية فتجيب:

- نعم.. .

ثم تنهض وهي تقول:

- يا لله نتغدى يا «سمير» لقد أخرجناك عن موعد غداك ووقت راحتك.. .

ويرد عليها:

- راحتي وهنائي هو سلامتك يا وش الخير.. .

وتبتسم ابتسامة الرضاء والامتنان.. . وتتدخل «نسرین» في الحديث قائلة:

- وأنا يا بابا نسييني.. .

ويجيئها بحنان الأبوة الدافق:

- لا.. يا نور عيني.. كلك خير وبركة..

وكانت «سهام» أثناء الغداء ساهمة وكأنها منهمكة في تفكير هام... وتطلع إليها «سمير» وقال:

- إيش؟ عدنا للوجوم والسرحان.. إيه اللي شاغلك يا ستنا قولي يمكن نساعدك في حل ما يشغلك..

وترد «نسرين».. قائلة:

- صحيح يا ماما... يمكن بابا يساعدك..

وتضيق «سهام» ذرعاً لكلامها:

- اسكتي أنت... خلوني يا جماعة في حالي..

وخيم صمت رهيب على الجميع.. وبعد الغداء دلفت «سهام» إلى مخدعها.. وجلس «سمير» في الصالون يدخن سيجارته ويتناول قهوته. أما «نسرين» فتبعت والدتها فوجدتها مستلقية على سريرها فجلست بجانبها وبدأت تعبت بشعر أمها، وتداعبها قائلة:

أنا بنتك وقد كبرت الآن.. والمثل يقول: إذا كبر ولدك خاويه...

وتقوم «سهام» وتسد ظهرها على حافة السرير وتساعد «نسرين» على وضع الوسائد خلف ظهرها... وبعد ذلك تلتفت «سهام» إلى ابنتها وتطلع إليها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها وتقول:

- والله كبرت يا «نسرين».. فهل كبر عقلك مع كبر سنك؟

وترد عليها «نسرين» متسائلة:

- والله ما أنا فاهمة حاجة يا ماما... .

- صحيح... لو كنت فاهمة ومقدرة للأمور كنت أدركت خطورة العمل الذي تقومين به... .

وبدأ الشك يساور «نسرين» بأن والدتها ربما عرفت بعلاقتها «بمدحت»، ولكنها تظاهرت بالغباء لتضع النقط على الحروف فقالت:

- كمان مش فاهمة يا ماما... بلاش أغاز... وضحي يا ماما أنا ابتتك... .

- وتصرين على الغباوة... عجيب أمرك يا «نسرين»... أقول:

- قولي يا ماما... قولي... .

واعتدلت في جلستها وظهر الجد والحزم في كلامها وقالت وهي تشد «نسرين» من كتفها:

- قولي يا (مقصوفة) العمر إلى أي حد وصلت علاقتك «بمدحت»... .

وتبعتها المفجأة وتدرك أمها ذلك فتردف قائلة:

- قولي يا سافلة... يا منحطة... كبرتِ وصرتِ تحبين وتبادلين رسائل

الحب... .

وتصنعها بشدة على وجهها وتركلها برجلها فتقع على الأرض... وتنهض

«سهام» وتدوس بقدمها على صدرها قائلة:

- قولي إلى أي حد وصلت علاقتك «بمدحت» قولي قبل أن استدعي

والدك ليطلع على مخازي ابنته التي سودت وجهه... .

وتضغط بقدمها على صدر «نسرين» وتقول:

- قولي... قولي قبل أن أكسر أضلاعك... .

- سأقول يا ماما.. سأقول... سامحيني... سامحيني..

وسردت «نسرين» لأمها علاقتها «بمدحت» من طقطق للسلامو عليكم...  
وهدأت «سهام» قليلاً بعد أن تأكدت من أن شرف ابنتها لم يمس، ولكن  
مراجل غضبها ما زالت في أشد غليانها.. فنهضت ثانية من مقعدها  
فانكمشت «نسرين» في مكانها استعداداً لضربات أخرى بينما دموعها تنهمر في  
صمت على خدودها وهي تقلب موضوع ابنتها على وجوهه، وكلما فكرت  
في حرج موقفها مع أم توفيق إذا ما علمت بهذا الأمر ودت لو مزقت ابنتها  
إرباً إرباً، ولكنها حين تذكرت أن الحق كل الحق عليها بالدرجة الأولى  
لتقصيرها الذي لا يغتفر في تنشئة «نسرين» النشأة الصالحة... وإن عليها أن  
تتحمل وزر تدليلها لابنتها الوحيدة ذلك الدلال الذي تجني مرارة ثمره وربما  
فضائحه مستقبلاً من يدري... حين تذكر كل ذلك تنهال على خديها لطمأً  
وعلى شعرها شداً وبتفناً...

وأثار هذا المنظر «نسرين» فكفت عن البكاء وتسمرت عيناها في والدتها  
وهي تقوم بهذه الأعمال الجنونية.. وأرهق «سهام» هذا المجهود فارتمت  
على أحد المقاعد القريبة من ابنتها وحملت فيها قائلة:

- تعالي... تعالي...

واقتربت منها «نسرين» وهي ترتعد فأمسكت «سهام» بأذنها وشدتها وقالت:  
- هذه آخر مرة أحذرك فيها.. فإن عدت لمثلها ثانية فلن يكون لك عندنا  
جواب إلا الذبح كالخروف..

وأشارت بيدها... فارتمت «نسرين» تقبل قدمي والدتها وتعتذر طالبة  
الصفح والغفران وأمها تقول لها:

- الصفح لن تناليه ما لم تثبتي أنك أهل له بامتناعك نهائياً عن هذا الولد

المايع وقطع علاقتك به إلى الأبد... .

ووعدت «نسرين» وأقسمت على ذلك وابتسمت «سهام» ابتسامة ساخرة  
وقالت:

- سنرى... سنرى... قومي... وانسحبي إلى غرفتك بهدوء.

- أمرك يا ماما... أمرك يا ماما...

وذهبت «نسرين»، وقامت «سهام» واضطجعت على سريرها تحاول النوم  
فلا تستطيعه، وأخيراً تغلب عليها الإجهاد فنامت.

أما «نسرين» فبعد أن غسلت وجهها وغيرت ملابسها استلقت على أحد  
المقاعد وسبحت في بحر من التفكير متلاطم الأمواج، كلما غشيتها لجة  
قذفت بها إلى صخور من اليأس زرعتها أمها القاسية هذا اليوم على شاطئ  
حب ووليد عاشت تهدده طيلة هذه الأيام وترعاه وهي تنتظر أن يكبر وأن  
تجني ثماره، فإذا بأمها تنده في مهده وتخنقه بيد من حديد وقلب لم يتذوق  
طعم الحب، ولم يتجرع كؤوس عذابه، وليالي سهاده... لو كانت أمها  
تزوجت أباه عن حب كالذي تعيشه هي الآن ما عاملتها بهذه القسوة.. بهذه  
الوحشية مستحيل.. مستحيل.. وطفرب «نسرين» الخيال فتراءى لها حبها  
مُسَجَّى أمامها وهي منكفئة على جدته تسقيه شاييب دموعها المحترقة، وتنعيه  
بلواعج عواطفها الملتهبة...

ورأت «نسرين» ألا مفر من النزول على إرادة والدتها... إن المسألة  
أصبحت من الخطورة بحيث إن أي رجوع إليها سيكلفها حياتها... صحيح  
أنها مستعدة للتضحية بحياتها في سبيل مرضاة «مدحت» لو أن «مدحت» اتخذ  
خطوة جدية في مسألة الزواج... إنه عندما يأتي ذكر هذا الموضوع... عرضاً  
في لقاءهما، يحتج بأنه لا يريد أن يقدم على ذلك إلا بعد نيله الدبلوم

وحصوله على عمل يؤمن به حياتهما الزوجية، إنه لا يود أن يعيش حالة على أيه . .

كلام معقول، ومنطق سديد، ولكن متى يحصل «مدحت» على الدبلوم وبالتالي على الشغل؟ إنه حتى الآن لم يحصل على التوجيهية. لقد حصلت هي عليها . . أما هو ففشل حيث هي فازت . .

دوامة من الأفكار والآراء المتباينة تعيشها «نسرین» ولا ترى بصيصاً من الأمل أو بارقة رجاء في الجو . . وبينما هي في هذه الدوامة إذا بفكرة تهبط عليها فجأة فتسكن نفسها إليها وربما جاء معها الأمل المنشود . . يقول المثل: رب ضارة نافعة و «نسرین» بعد نزول هذه الفكرة عليها أصبحت تقول: يجب أن امتنع عن الاتصال «بمدحت» وأعمل المستحيل لوضع أعصابي وعواطفي في ثلاجة . . فإذا كان «مدحت» صادقاً حقاً في حبه لي، فإنه لا شك سيخطو خطوة حاسمة في هذا الأمر ولا شك أن والدي سيرحبان بذلك . . وعاشت «نسرین» تنتظر خطوة ايجابية من قبل «مدحت» .

وجاء «توفيق» إلى أمه ذات مساء . . ولم يجد صعوبة في شرح ما بنفسه لها وأنه فاتح «سلمى» في أمر الخطبة فسكنت والفرحة تكاد تدوي في كل جانحة منها . . . والسكوت بالطبع في مثل هذه المواقف إقرار .

وفرحت أمه بذلك ولكنها سألتها قائلة :

- هل فهمت أن هنالك استجابة من والدي «سلمى» لو تقدمت بطلب يدها . .

- نعم يا ماما . . وهذا أيضاً ما فهمته من «سلمى» عرضاً، ومن أمها «تلميحا». والأمر الآن متروك لموافقتك ورضاك عنه . .

فقبلته والدته وابتسمت :



- وهل لدى كل أم أسعد من يوم زفاف ابنها أو ابنتها؟! مبروك يا ولدي مبروك..

ثم تنهدت تنهيدة عميقة: فسألها توفيق عما بها فأجابت:

- ليت والدك على قيد الحياة إذن لبعثنا به يخطب «سلمى» من أبيها..  
ولولا «نسرين» لطلبت من «سمير» أن يفعل..

فقاطعها «توفيق» قائلاً:

- البركة فيك يا ماما.. كما أن هنالك شخصية مرموقة تعرفت بها أثناء اشتغالي بأعمال السيد والد «مدحت» وأظنك تعرفينها فقد زارتني عدة مرات..

- آه تذكرت الأستاذ «مختار» كبير مهندسي وزارة الأشغال العامة..

- أيوه يا ماما عليك نور!..

- نعم الرجل.. نعم الرجل..

وقاطعها «توفيق» قائلاً:

- إنه صديق حميم لوالد مدحت.. ولو فاتحته في هذا الأمر فلن يتأخر في القيام بهذه المهمة..

- على بركة الله.. على بركة الله..

ويحاول «مدحت» الاتصال «بنسرين» هاتفياً مستعيناً بصديقتها بائعة الهوى، «جمالات» التي كان يطلبها من شقتها موهماً «نسرين» أن «جمالات» هذه خالته.. وكان هاتف بيت «نسرين» يجيب إجابة واحدة أنها غير موجودة.. وفي إحدى المرات أخذت الهاتف أم «نسرين» وانهالت شتماً وتقريعاً على المتكلمة.. وكانت «نسرين» تسمع شتائم والدتها وهي في غرفتها وكأنها

طعنات توجه إلى صدرها. . . إنها تتألم لأنها تعتقد أن «مدحت» سيتألم حين تخبره «خالته»، وما درت المغفلة أن خالته «جماليات» تهانفها وهي في حضن «مدحت» والكأس ثالثهما.

وانقطع الاتصال الهاتفي يومين ثم عاد إلى الرنين في كل يوم وكانت الإجابة هي الإجابة والشتائم هي الشتائم. . .

وقد حطمت هذه المكالمات اليومية أعصاب «نسرين» وألقت في روعها أن «مدحت» مُتدله في حبها، وزاد الطين بلة انقطاعها عن الخروج إلا في حراسة أمها الشديدة. . . ولاحظت أم توفيق التبدل الذي طرأ على معاملة «سهام» لابنتها فأدركت أن في الجو غيماً كثيفاً وقد يكون سحابة صيف لا تلبث أن تنقشع فأثرت ألا تتدخل ولا سيما وأن وقتها مشغول بالاستعداد لخطبة «سلمى» من أبيها. . .

وذهب كبير المهندسين السيد «مختار» لخطبة «سلمى» من أبيها «لتوفيق» وذهبت والدته أيضاً إلى والدتها للغاية نفسها. . . وقد رحب والد «مدحت» وحرمه بهذه المصاهرة وسألا عن «توفيق» قائلين:

- أين هو؟ لِمَ لم يحضر؟

فرد كبير المهندسين:

- لقد استحى يا أخي. . .

وقهقه السيد وجيه وقال:

- ادعه يحضر. . .

- ومعه الشبكة. . .

وأمن سعادته على كلامه قائلاً:

- ومعه الشبكة . .

واستدركت «أم توفيق» قائلة:

- يجب أن تقيم حفلاً فخماً لتقديم الشبكة فقد شرفتمونا بهذه المصاهرة . .

فرد والد «مدحت» قائلاً:

- خلي الأمور تمشي ببساطة حتى الخطبة والزفاف، أريدها أن تكون في منتهى البساطة، فقد آن لنا أن نتخلص من التقاليد البالية والنفقات الباهظة التي جعلت شبابنا يحجمون عن الزواج من بناتنا ويسعون للزواج من الأجنبية تفادياً للمصاريف التي لا يقرها شرع ولا نظام. أريد أن أجعل من زواج ابنتي قدوة لغيري من الآباء.

وحضر «توفيق» ومعه (الشبكة) فألبسها معصم «سلمى» وقبّل يدي والديها ويد والدته وقرأ الجميع الفاتحة وتمنوا لهما التوفيق.

و «مدحت» هل رضي بالهزيمة وهو الذي لم يدخل معركة غرامية إلا كسبها . . هل يرفع الراية البيضاء اليوم . . لا . . لا . . لن يكون ذلك أبداً . . ولن يسجل هذه الهزيمة على نفسه . . لقد تدارس الموضوع مع قرين سوء له وعلى شاكلته واتفقا على وضع خاتمة لهذه المعركة في شقة خالته المزعومة . .

وفي الصباح التالي شوهدت «خاله مدحت» المزعومة تدخل دار «سمير» في الوقت الذي خرجت فيه «سهام» لتعزية إحدى صديقاتها . .

وضغطت «الخاله المزعومة» على الجرس ففتحت الخادمة الباب وسألتها عما تريد . . فأجابت:

- هل الست «سهام» هنا . . أريد أن أحدثها بشأن ابنتي التي تدرس في

مدرستها . . .

وردت الخادم قائلة :

- الست «سهام» غير موجودة . .

- متى ستعود؟

- لا أدري . . .

وأوشكت الخادم أن توصل الباب بوجهها فإذا بالخالة المزعومة تقول  
متظاهرة بالإعياء :

- ألا يمكن أن انتظرها على باب البيت؟ فقد جئت من مكان بعيد وأنا كما  
ترين أكاد أقع من التعب والإعياء . . .

وترامى هذا الصوت وبعض من الحديث إلى سمع «نسرين» . . ولم تصدق  
أذناها ذلك . . إنه صوتها يا ربي . . إنها خالة حبيب العمر . . أحقاً هي . .  
يا لله . . وهرعت «نسرين» إلى الباب فإذا هي أمام «جماليات» خالة حبيبها  
«مدحت» . . التي انتهزت فرصة تطلع الخادم إلى «نسرين» فأشارت إليها بأن  
تجاهلها . . وجاءت «نسرين» وكلمتها الخادم بأمرها فقالت لها «نسرين» .

- دعيها تسترخ قليلاً ريثما تسترد أنفاسها فإنها مجهدة كما يظهر . .

وصدعت الخادم بأمر «نسرين»، ودخلت «الخالة المزعومة» إلى (الأنثريه)  
ورمت بجسمها في تمثيل رائع على أحد المقاعد. وأدركت بالطبع «نسرين»  
أهمية هذه الزيارة فأشارت إلى الخادم بأن تصنع فنجان قهوة تركي للزائرة . .  
وفي أثناء قيام الخادم بهذه المهمة كلمتها «جماليات» عن «مدحت» وأنه  
مريض يشكو السقم من شدة الحب وأنه فاتح والديه في مسألة خطبتها وأنهما  
واقفاً مبدئياً على ذلك وأنه يريد أن يراها لاطلاعها على التفاصيل وعلى بعض  
الأمور الهامة .

وصدقت «نسرين» كل ذلك ثم أردفت قائلة:

- أما لقائي به في شقتك يا «جماليات» فمن رابع المستحيالات، فالرقابة عليّ شديدة.. وابتسمت «جماليات» ابتسامة مازحة:

- لا شيء مستحيلاً تحت الشمس.. إن الحب يذل العقبات ويفتح الأبواب المغلقة...

ولما شاهدت الخادم مقبلة بصينية القهوة قالت مسرعة:

- إنه إنه ينتظرك في شقتي يوم الأحد الساعة العاشرة صباحاً.. سيموت إذا لم يرك...

وحضرت القهوة وشربتها الخالة المزعومة وبعد ذلك قالت:

- يظهر أن الست ستتأخر.. في أمان الله...

وأجابتها «نسرين» وهي في شبه شرود:

- في أمان الله.. في أمان الله...

وأوصدت الخادم الباب خلفها وتلفتت إلى «نسرين» قائلة:

- عرفت يا ستي اسمها...

- أبداً يا أم سعيد.. لأنها كانت تعبانة بالمرة...

وألقت هذه الزيارة على «نسرين» همماً جديداً إلى همومها العديدة.. ومع أنها استبشرت بخبر الخطبة إلا أن عقلها شرد بها إلى التفكير في إيجاد الطريقة السليمة لمقابلة «مدحت» إنه يريد لقاءها لأمر هام.. يجب أن تخترع.. يجب أن تجند طاقات تفكيرها للوصول إلى «مدحت» في شقة خالته «جماليات» وأعيائها التفكير فأغفت وهي تحلم بلقاء «مدحت» ولم تصح إلا على وكزة شديدة من أمها توقظها بها وهي تقول:

- قومي يا خايبة.. قومي يا منيلة على عمرك.. قومي يا وش  
الفضايح... قومي..

واستيقظت «نسرين» وهي ترتجف رعباً وهلعاً وتساءلت:

- عملت حاجة يا ماما.. والله ما عملت أي حاجة... إسألني أم سعيد..

وبصرت بوالدها قادماً فقالت بصوت عال:

- يا رب خذني وريح ماما مني... .

وتجيب أمها:

- يا رب: يا رب:

وصرخ «سمير» قائلاً:

- وتطلبين لها الممات واحنا ما شافتك يا نون حتى شابت العيون... .  
وليش الدعاء هاذا كله ليش لأن «توفيق» (شيك) بنت الأستاذ وجيه.. يتهنوا  
يا ستي.. بنتنا مش رايحه تبور... .

تعالى يا روجي تعالى... .

وخطت «نسرين» في سرعة إلى أبيها فضمها إليه وقال:

- أنت زودتيها كثير يا «سهام» في معاملتك للبننت... أنا شايف صحتها  
تدهور.. حرام عليك نحنا عندنا كم «نسرين» إذا كنت متضايقة منها أنا  
حابعثها لأمريكا لتستكمل دراستها الجامعية.. .

وكادت «سهام» تبوح له بأسباب ثورتها على «نسرين» غير أنها فضلت  
السكوت ورأت في إرسال «نسرين» للخارج حلاً جذرياً للمشكلة بالنسبة  
«لمدحت» وبالنسبة «لتوفيق». فسفر «نسرين» سيقضي على جميع الأقاويل  
وبكم كثير من ألسن السوء والشائعات التي لا ترحم. ولما تبلور هذا الميل

في نفسها بادرت قائلة:

- والله أنا في نفسي إرسالها للخارج منذ حصلت على التوجيهية، وكنت أنت تمنع .. وأنا مسرورة الآن لموافقتك ...

ويجيبها قائلاً:

- خلاص .. توكلنا على الله .. خذي في التحضيرات اللازمة فيما يخصك وسأتولى أنا تحضير ما يخصني ...

ثم يرفع «نسرين» من رقبتها قائلاً:

- وأنت يا روعي موافقة ولا ايش؟

وكادت تقول: لا .. لكن نظرات أمها الحادة أجبرتها على أن تقول:

- أنا موافقة على كل ما تختارونه من أجلي ..

ويقبلها والدها ويقول لها:

- روعي قبلي راس أمك وإيدها واطلبي رضاها ودعاها ...

وأسرعت «نسرين» فأدت المهمة على خير ما يجب والتفت «سمير» إليهما بعد ذلك قائلاً:

- نحن جعنا يا جماعة .. مفيش غدا .. يعني صيام اليوم ...

واصطنعت «سهام» ابتسامة مجاملة وقالت:

- الغداء جاهز .. وحديث «نسرين» هو الذي أخرجنا .. هيا بنا.

وارتاحت «نسرين» في قرارة نفسها للصراع الذي بدأ بين والديها وأدى بالنتيجة إلى تخفيف ضغط أمها عليها، كما ارتاحت جداً لخبر (شبكة) «توفيق» «لسلمى». وتحول الشك الذي كان يخامرها من الكلام الذي نقلته

«الخالة المزعومة» عن لسان «مدحت» إلى يقين. إن «مدحت» سيستعجل أبويه وأنهما لا بد مليان طلبه بعد أخته «سلمى». ولئن أزعجها عزم والديها على إرسالها للخارج من جهة فقد سرها ذلك، ومن جهة أخرى إن هذا السفر سيكون فرصة لها للتخلص من حب «مدحت» إذا لم يصدق في وعوده، كما أن رحلتها ستهيء لها المجال العلمي الواسع والتجارب الكثيرة، والحياة الجديدة...

وكانت أم توفيق وابنها جد مخجولين من «سمير» و«سهام» وكانا يخشيان أن تؤثر هذه المصاهرة على ما بينهم من صداقة ومودة وتعاون في جميع الميادين. ولقد تبدد هذا الخوف بزيارة التهئة المفاجئة التي قام بها «سمير» وزوجه لهما ولوالد «مدحت» وأمه... وكان ظهورهما بهذه الروح الرياضية العالية مثار إعجاب وتقدير من الجميع... ولقد انتهز «سمير» وزوجه زيارتهما لأم توفيق وابنها فأكدتا لهما أن ما حدث لم ولن يؤثر من جهتهما على ما بينهما من حب وود وتعاون... وبالطبع كان جواب أم توفيق وابنها بنفس الروح بل وأشد...

وفي عصارى اليوم السابق للموعد الذي ضربه «مدحت» للقاء «نسرین» كانت هذه مع والدتها تبتاع بعض الحاجيات اللازمة لرحيلها وإذا بها وجهاً لوجه مع «الخالة المزعومة» فارتبكت وكادت تلحظ أمها ما هي فيه إلا أن «نسرین» استعادت رباطة جأشها، وانتهزت انشغال والدتها بالتفرج على الملابس فأسرت إلى «الخالة المزعومة» بأنها ستكون في شقتها في الموعد المحدد. وفي لمح البصر اختفت «جماليات» وأسرعت لتزف إلى «مدحت» البشرية وأية بشرى...

ولاحظت «سلمى» في صباح الموعد المحدد أن أباها مهتم بزيتته وهندامه أكثر من أي يوم آخر، كما أن آثار السرور الممزوج بالتفكير تتجلى في صفيحه



بينما هو يسرح شعره ويتألق في لبس بدلته . . ولم تجرؤ على مفاتحته لأن علاقتهما ما زالت على حالها من القطيعة منذ خصامها الأول، وزادت الحال سوءاً فوق سوتها بعد خطبة «سلمى» «لتوفيق» ابن «الدلالة» كما يقول «مدحت» . . .

ودق جرس التلفون فهرع أخوها للإجابة وأغلق الباب خلفه خشية أن يسمع أحد حديثه . ووضعت «سلمى» أذنهما على ثقب الباب لتسترق السمع واستطاعت أن تلتقط العبارات الآتية من كلام أخيها:

- أنا قادم حالاً . . خلي «جمالات» تحضر كل حاجة . . وأنت خليك في المكان المتفق عليه . .

وكادت تصرخ «سلمى» وقد تراءت لها بشاعة الجريمة، إنها تعرف من قبل علاقة أخيها ببائعة الهوى «جمالات» وتعرف علاقته أيضاً «بنسرين» وسمعت وقع أقدام أخيها وهو يغادر الغرفة فانزوت في أحد الأركان . . وعندما جأر صوت سيارته معلناً مغادرته ساحة الدار، أسرعت إلى الهاتف وطلبت منزل «توفيق» فلم تجده هو ولا أمه، وطلبت دار سهام فلم تجدها أيضاً ولا زوجها فصممت على إبلاغ الأمر إلى أبيها وأمها ولسوء الحظ كان تليفون والدها مشغولاً وأمها كانت في زيارة . .

وتضافرت الظروف لتهيئة جو صالح لهذه الجريمة . . وفي الوقت الذي دخلت فيه «نسرين» شقة «جمالات» كانت «سلمى» بسيارتها تقف أمام المبنى الذي أشادته أم توفيق و«سهام» ليكون ملجأً للأيتام، حيث وجدت «توفيق» وأمها و «سهام» . . وبدون سابق سلام صرخت «سلمى» قائلة:

- الحقوا بنتكم في شقة المومس «جمالات» شارع (٦٩) عمارة (بنيتوي) شقة (١٩) إلحقوها قبل أن يفترسها أخي ومن معه . . .

واستقبلت «الخالة المزعومة» ضيفتها «نسرين» بالأحضان والقبلات وهرع «مدحت» للقاءها فشد على يدها شد الأصحاب، وسلم عليها سلام الأحاب.. واحتوت الثلاثة مقاعد أعدت خصيصاً لهذه المناسبة... .

وقامت «الخالة المزعومة» لصنع القهوة فرجتها «نسرين» ألا تفعل لأنها لا تستطيع الانتظار طويلاً بالنظر لظروفها المعروفة.. . وعندها قالت «جماليات» وابتسامة مأكرة تغير محياها:

- إذن أنا أستأذن وأترك لكم الحرية للتحدث... .

وأجاب «مدحت» هو الآخر مبتسماً:

- شكراً يا خالتي.. . شكراً... .

وذهبت إلى باب الشقة الخارجي ففتحته بهدوء فدخل «قرين السوء» في خفة اللصوص.. . وخرجت «جماليات» وأغلق «قرين السوء» باب الشقة وأحكم رتاجه وانتظر «دقة» ساعة الصفر... .

وبمجرد ذهاب «جماليات» من مجلس «مدحت» و «نسرين» قالت هذه بلهفة وهي تتطلع إلى ساعتها:

- قل وأوجز لماذا دعوتني.. . فوقتي يمر بسرعة والرقابة علي شديدة كما تعلم... .

واعتدل «مدحت» في جلسته وقرب مقعده منها وقال:

- دعوتك يا حبيبتى لنبت في أمر زواجنا... .

وشاعت الفرحة في وجه «نسرين» ولاحظ «مدحت» ذلك فتابع كلامه قائلاً في وضع تمثيلي رائع:

- لقد أصبحت لا أطيق البعد عنك يا حبيبتى.. . ولا يمكنك أن تتصوري

- كم تعذبت وتألّمت من البعاد الذي حكمت به والدتك علينا.. .
- ووضع يده في يدها فلم تمنع وقد بدأ يسحرها بكلامه فقال:
- وقد كلمتُ والدتي وهددتها بالانتحار إن لم أتزوج.. .
- وعلت وجه «نسرین» مسحة من الخجل الممزوج بالفرحة، وأردف «مدحت» قائلاً:
- ولكن والدتي طلبت مني أن أسألك.. .
- وقاطعته «نسرین» قائلة:
- تسألني عن ماذا.. . قل.. .
- أسألك عما إذا كانت والدتك ستقف حجر عثرة في سبيل زواجنا.. .
- فتقنع والدك برفض طلب والديّ حينما يتقدمان لخطبتك.. .
- فغضت «نسرین» طرفها خجلاً وقالت بهمس:
- لا أظن والدتي تقف في سبيل ذلك.. . وخاصة وأنا مطمئنة من جهة والدي.. .
- حسناً يا حبيبتي.. . وأنت ما رأيك.. .؟
- فسكتت.. . فاقترب منها أكثر وقال:
- قوللي يا حبيبتي قوللي.. . موافقة.. . موافقة.. .
- وتمتمت «نسرین» قائلة:
- إسأل قلبك.. .
- واقترب منها «مدحت» أكثر فأكثر فشعرت أنه يحاول تقبيلها فأرادت أن تحبط محاولته فسألته:

- أين خالتك «جماليات»؟؟

- ذهبت للسوق لقضاء بعض الحاجيات .

- ولكنني أسمع حركة في الداخل .

- إنه قريب خالتي وقد تركته ليقوم بخدمتنا .

- حسناً إذن فأنا أستأذن .

- إلى أين يا حبيتي .

ثم أمسك بها وأدركت «نسرين» أنها وقعت في الفخ فقالت :

- دعني أذهب فقد تأخرت .

- وتتركيني . . لا . . لن تذهبي .

وبرز قرين السوء فأيقنت «نسرين» بالخطر ولا سيما عندما اقترب منها هذا

القرين يريد أن يكمم فاها فصرخت :

- آه يا نذل يا سافل . .

وضحك «مدحت» ثم بدأ مع صاحبه يكمان فم «نسرين» وهي تصرخ

وتحاول أن تتخلص منهما .

وفي أثناء ذلك سمعا طرقاتاً شديداً . . على الباب وصوت أمر يقول :

- افتح . . افتح . . أنا البوليس . . افتح وإلا كسرت الباب . . .

وأسقط في يدي المتآمرين وأعطى الصوت قوة للفريسة للمحاولة للإفلات

من الفخ ، واشتد الطرق على الباب وبدأت الجهود لخلعه تشتد . . فقال

«قرين السوء» لـ «مدحت» .

- احكم إغلاق فم «نسرين» بالمخدة وسأتولى أنا «تصريف» البوليس بشوية فلوس . . .

وقال «مدحت»:

- يا لفكرك الجهنمي! . . . اذهب واتركني مع زوجتي . . .

وضربته «نسرين» برجلها ضربة مؤلمة فصرخ متألماً:

- ضرب الحبيب زيب . . . وقعتي يا حلوة . . . وحلّ أكلك . . .

وفتح «قرين السوء» الباب فاندفع «توفيق» وخلفه والدته و «سهام» وفوجيء «قرين السوء» بذلك فسألهم قائلاً:

- من أنتم . . . ماذا تبغون؟ . . . يا الله اخرجوا . . . يا حرامية . . . أنا الذي سينادي البوليس مش أنتم . . . يا الله اخرجوا . . . بره . . . بأي حق دخلتم . . .  
وابتدره «توفيق» قائلاً:

- بالحق الذي سرقتم فيه بنتنا يا مجرمين . . .

ثم أمسك بتلابيبه قائلاً:

- أين «نسرين» قل أين هي وإلا هشمتك . . . يا سافل . . .

- «نسرين» مين يا رجل . . . أنت غلطان . . . اخرج من هنا أحسن لك قبل أن أدعو البوليس . . .

وانتهزت «سهام» حديثهما فجاست الدار تفتيشاً فعثرت على «نسرين» و «مدحت» يكتنم أنفاسها بمخدة ويثقل جسمه عليها . . . فصرخت:

- إلحقوني . . . «نسرين» . . . هنا . . . «نسرين» هنا . . .

ولكم «توفيق» «قرين السوء» بقبضة يده فوقع على الأرض والدم ينزف من

فمه ولحق إلى حيث كانت أمه و «سهام» تضربان «مدحت» بكل ما تصل إليه أيديهن فقال لهما:

- دعوه . . كفى . . يا الله بنا نمشي . . ولتركه لضميره يحاسبه على فعلته . . .

وتصدى له «مدحت» قائلاً بتهكم وقد لعبت الخمرة برأسه:

- ربوا بناتكم يا حضرة . . ولا تتركوهن صيداً هيناً لكل ذئب يا نسبي يا جوز أختي العزيز يا ابن الدلالة . . وأجابه «توفيق» قائلاً:

- هذا شرف لي يا ابن الأكابر . .

وحاول «توفيق» ومن معه الخروج فإذا «بمدحت» يمسكه من «كرافته» قائلاً:

- فين رايح يا صهري العزيز . . رايح قبل ما نصفي الحساب اللي بيننا . .

ولكم «توفيق» بكلتا يديه فسقط هذا على أحد المقاعد والدم ينزف من أنفه وقبل أن يقوم من مكانه هاجمه «قرين السوء» محاولاً ضربه من خلفه فعاجله «توفيق» بضربة من مزهرية على رأسه فشجته فسقط على الأرض مغشياً عليه . . وبركت عليه وهي تصرخ:

- اقطعي يا «سهام» إحدى الستائر وشقيها لربط المجرم بها . .

وتعاونتا على شد وثاق «قرين السوء» بينما انشغل «توفيق» في صراع مرير مع «مدحت» حتى تغلب عليه أخيراً بضربة قاضية . . فقامت «سهام» وأم توفيق بشد وثاقه أيضاً . .

وخرج الثلاثة ومعهم «نسرین» إلى دار أم توفيق حيث تأكدوا من سلامة شرف «نسرین» بواسطة إحدى الحكيمات . . وبعد ذهاب الحكيمة . . أكلت «نسرین» علقمة ما أكلها كلب في جامع كما يقولون . . . وعرف «سمير» بالأمر

وذاقت «نسرين» من غضبه حصة الأسد... .

واتفق الجميع على ضرورة الإسراع في تسفير «نسرين» لأمريكا، قطعاً للشائعات التي ستنتشر مهما حاولوا إخفاء الحادث.. . وبعد أن وصلوا إلى هذه النتيجة استأذنهم «توفيق» في الذهاب إلى والد «مدحت» وإطلاعه على حقيقة الأمر قبل أن يسبقه «مدحت» فيلحق تهماً وأكاذيب عليه ما أنزل الله بها من سلطان، وأقر الجميع رأيه وقبله «سمير» قبله تفيض بالحنان الأبوي والشكر على ما فعل من أجل ابنته، ورجته «سهام» أن يشكر «سلمى» فلو لم يقيضها الله لهم لوقعت الواقعة.

وشرح «توفيق» لوالد «مدحت» بحضور زوجه «مزنة» القصة من أولها إلى نهايتها مستعيناً «بسلمى» في تبيان بعض جوانبها فغضب غضباً شديداً من فعلة ابنه وطلب من «توفيق» أن يأخذه إلى مكان الحادث.. . فتوسل إليه «توفيق» ألا يذهب لأن مشاهدة الناس لشخصية مرموقة مثله تدخل شقة «مومس» ستحدث ضجة وفضيحة كبيرة ستؤثر على مركزه وسمعته وبالتالي على «سمير» وسمعة ابنته في الوقت الذي تحاول فيه التستر على ما جرى وكتمانه في مهده. وأصر والد «مدحت» على الذهاب متنكراً مع «توفيق» وذهبا و«مزنة» مشفقة أن يرتكب زوجها ما يشين سمعته.

وكانت «جماليات» قد عادت إلى شقتها لتطمئن على سير المؤامرة. وكانت صدمة قاسية لها حين وجدت «مدحت» ورفيقه موثوقين ودماؤهما تنزف فحلت وثاقهما وشرعت في إسعافهما.. . وما كادت تنتهي من مهمتها حتى قرع جرس شقتها ففتحت الباب وإذا بها وجهاً لوجه أمام والد «مدحت» و«توفيق» فتراجعت قليلاً ثم تسمرت في مكانها من الخوف.. . وأحكم «توفيق» رتاج الباب خلفه وتطلع إلى «جماليات» شذراً فارتعدت فرائصها وكأنها أصيبت بقشعريرة حمى.. . ثم سألها بصوت أمر قائلاً:

- أين زبوناتك يا فاجرة... قولي وإلا... .

وسحب مسدسه فشهقت وأشارت إلى حيث يوجدون فأمرها أن تمشي أمامهم فصعدت.. وفتحت باب الغرفة التي بها «مدحت» وقرينه ودلفت ومن خلفها هو وتوفيق «فبهت» «مدحت» وهو يرى أباه وانكمش في مكانه.. وحذا حذوه رفيقه.. .

وأشار والد «مدحت» إلى قرين السوء أمراً أياه بالخروج فوراً.. فما صدقت أذناه ما سمع فهرع وتبعه «توفيق» ليوصد الباب خلفه.. . ثم عاد.. . والتفت إلى «جماليات» وإلى ابنه فأمرهما بالجلوس فجلسا وهما يرتجفان ثم وجه الكلام إلى «جماليات» قائلاً:

- اسردي قصة المؤامرة وإياك أن تكذبي فسأخذ صوتك بطلقة واحدة إن حاولت الكذب فأجابت والكلام يرتعد بين شفتيها:

- سأقول الحق بس ارحمني... . ولا تقتلني... .

- لن أقتلك إذا صدقت.. .

وقصّت عليه علاقة «مدحت» بها وعلاقته «بنسرين» وبغير «نسرين» وجاءت إلى ذكر المؤامرة الأخيرة فروتها كما تعرفها.. . وعندما انتهت تطلع إلى ابنه قائلاً:

- ماذا تقول يا مجرم.. . يا سافل... . في قولها.. .؟

فنكس «مدحت» رأسه ولم يحرج جواباً ثم نهض والده وبصق في وجهه قائلاً:

- أنا بريء منك براءة الذئب من ابن يعقوب... . اذهب عليك لعنتي وغضبي أنت مطرود من بيتي.. . ولئن حاولت الدخول قتلتك بمسدسي هذا... .



ثم التفت إلى «جمالات» وقال:

- أما أنتِ يا داعر، فستعرفين مصيرك هذا اليوم...

وبحركة عسكرية أدار ظهره وخرج يتبعه «توفيق».

وعز على «مزنة» والدة «مدحت» أن يطرد ولدها ويتبرأ منه والده وأن يكون ذلك من (تحت راس) «توفيق» صهر المستقبل... إن ابنها لم يحاول ما حاول لو لم تشجعه البنت (القليلة التربية) «نسرین» كانت نظرة «مزنة» إلى فعلة ابنها نظرة أية امرأة في مستوى تعليمها وتفكيرها... إن (جسارة) «نسرین» أو «وقاحتها» بذهابها إلى لقاء ابنها في شقة «مومس»... قد غيرت نظرة الإعجاب التي كانت تحملها «لنسرین» وقلبت موازين تقديرها لها... فقد أصبحت في نظرها لا فرق بينها وبين بائعة الهوى «جمالات» فكلاهما بائع في سوق الهوى... وأيضاً «مدحت» شاب كأي شاب آخر اشترى مما وجد معروضاً في هذه السوق... فهو - في رأيها - غير ملوم بالنسبة للبنت «الفالته» «نسرین»...

وآلمها جداً وحز في نفسها أن يلقى «مدحت» من زوج أخته هذا الضرب المبرح الذي كاد أن يودي به... وفي سبيل من...؟ في سبيل بنت تدخل سوق الدعارة كأي بائعة أو عارضة... واعتورت «مزنة» الوسوس من أن يكون «توفيق» يحب «نسرین» وأنه رأى «زبوناً» ينافس عليها فحاول إخماد أنفاسه... والمعركة التي جرت بين «توفيق» وابنها «مدحت» كانت معركة حياة أو موت... والأنكى من ذلك أن ترى «سلمى» تقف بجانب من أراد أن يقضي على أخيها... هل الحب أعماها كما أعمى «نسرین» حين ذهبت طائعة مختارة إلى لقاء أخيها وهي تعلم أنه ما اجتمع رجل وامرأة على انفراد إلا كان الشيطان ثالثهما؟!...

وخلصت «مزنة» من دوامة تفكيرها إلى قرار حاسم يقضي بأن تفعل المستحيل لإحباط زواج «توفيق» من «سلمى» وشرعت في تنفيذه بطرقها الخاصة وما أقدر الحموات على تدبر (المقالب) واختراع «المنغصات» والمنكرات لأتفه الأسباب .

ولاحظ «توفيق» التغير الطارئ على حماته المنتظرة، ولم يدر بخلده أنه تغير مدبر مفتعل يهدف إلى «تطفيشه» . . . وفزع إلى «سلمى» يسألها تفسير ما يرى . . فاستمهلته الإجابة . . وسرعان ما عرفت، و «فرخ البط عوام» كما يقول المثل، فأعلنت «توفيق» به . . فشكرها ووعدا بأنه سيدمر هذا المخطط وسيرجع المياه إلى مجاريها . . فتنهدت «سلمى» وابتهلت إلى الله التوفيق «لتوفيق» ونقل «توفيق» أبناء «حماته» إلى زميلتها في مدرسة الحموات أمه فابتسمت وقالت :

- شيء طبيعي . . لو كنت مكانها لفعلت ما تفعل . . .

وانفجر «توفيق» ضاحكاً وقال :

- ماما . . ماما . . ايش هادا . . هم الحموات لبعضيها . .

- لا . . ولكن هذه هي الحقيقة المجردة . .

فسألها «توفيق» قائلاً :

- والعمل إليه يا ماما . .

ثم قبلها وقال :

- فين خططك الهائلة يا ست الحموات . . أرسلني من إحدى قواعدك صاروخاً ذرياً ينسف مخططات «حماتي» أو إشعاع ذري فإنها ست كويسه . . والظروف هي التي ألجأتها إلى اتخاذ هذا الهجوم . . . كما تقولين . . .

- صحيح يا بني.. يجب أن تفكر جيداً في حل هذه المشكلة قبل أن يستعصي حلها.. وأنا أريد أن أسألك...

- قولي يا ماما..

- أتعرف أين يسكن «مدحت» بعد أن طرده والده وحلف بالطلاق من أمه إن أرسلت له أي لون من المساعدة...

- لا أدري يا والدتي.. إنما الذي يسأل (مايتوه)...

- إعمل من جهتك وأنا سأعمل من جهتي وعلى الله الاتكال..

- الموضوع يحتاج إلى (شوية) سرعة لأن موعد عودتي للجامعة قد أزف ولا أحب أن أغادر هذا البلد قبل أن تتسوى هذه المسألة بأي شكل من الأشكال.

واستطاعت «أم توفيق» بأساليبها وطرقها الخاصة أن تهتدي إلى المكان الذي يقطنه «مدحت» وكان عبارة عن غرفة في الدور الأرضي (البدروم) من منزل السيد «عصام» مساعد المدير العام لشركة الوقود والتدفئة الوطنية، وأن والد «مدحت» قد وضع رقابة غير منظورة عليه وأنه يعيش في حالة ضنك وبؤس، وأن الناس تجافوه حتى شلة الأ أصحاب التي كانت تنهل من معين (جيبه) انفضوا من حوله وتنكروا له. واسودت الدنيا في عينيه وكاد يلجأ للسؤال لولا بقية عزة في نفسه. ودخلت «أم توفيق» المنزل متخفية وأدخلت من تحت إفريز الباب الخاص بسكن «مدحت» مغلفاً فيه شيء من النقود وصارت توالي هذه العملية الفينة بعد الفينة وفي أوقات غير معينة.. وانفرجت حال «مدحت» بهذا العون غير المنظور أو المنتظر.

أما «توفيق» فصار يتخذ كل فرصة تواتيه لترقيق قلب والد «مدحت» على ابنه.. ومرت الأيام سراعاً و«توفيق» يقتات صبره حتى كاد ينفد، ومقابل «مزنة» تزداد يوماً عن يوم وتتعدد وتتلون، ولولا رصيد الثقة الكبير الذي يحتفظ به فؤاد والد «مدحت» لنجحت خطط «مزنة» في تدمير مشروع زواجه...

و «مدحت» أصبح متلهفاً لمعرفة فاعل الخير.. وكم من مرة حاول أن يترصده ولكنه فشل في كل محاولاته.. وزاده فشله رغبته في المعرفة إلى أن جاء اليوم الذي اكتشف فيه السر.. كانت «أم توفيق» تدخل الظرف من تحت الباب فإذا بإحدى سكان المنزل تصطدم بأم توفيق بينما كانت هذه منحنية لتأدية مهمتها.. وإذا بها من إحدى معارفها الحميمات.. فتعذر لها.. وتصر تلك على أن تشرفها «أم توفيق» بالزيارة وشرب فنجان قهوة على الأقل.. وتحاول هذه الإفلات ويشتد تمسك تلك بها.. ويفتح «مدحت» الباب.. وإذا به وجهاً لوجه مع «أم توفيق» التي ما إن شاهدته حتى سارعت في الذهاب مع الست المعرفة لشرب القهوة فناداها «مدحت» قائلاً:

- يا ست «أم توفيق»!.. يا ست «أم توفيق».. خلي توفيق ينتظرنني في بيتكم الليلة..

وأجابته «أم توفيق» قائلة:

- حاضر يا بني.. أهلاً وسهلاً بك..

- شكراً.. شكراً..

وعادت «أم توفيق» لتخبر ولدها بما جرى فأكبر عملها وغمرها من فرحه بقبالاته.. ووصل «مدحت» في الوقت المحدد واستقبلته «أم توفيق» وابنها

استقبلاً حاراً وانتظراً ما تتمخض عنه هذه الزيارة فإذا به يقول:

- لقد جئت لأشكرك يا والدتي فقد صنت وجهي عن مذلة السؤال بعد أن تنكر لي من كنت أغرقهم بإحساني و (جمائلي) . .

فقاطعته «أم توفيق» قائلة:

- العفو يا بني إنني لم أقم إلا بما يجب أن تفعله والدة نحو ابنها. . .

- لقد فعلت ما لم تفعله والدتي التي تنكرت لي مع المتنكرين. . .

وقاطعه «توفيق» قائلاً:

- لا تقس في الحكم عليها يا «مدحت» فلسوف تعرف أنها ما نسيته قط بل كنت تعيش معها وألزم لها من خيالها. . . ولكن يمين الطلاق الذي أقسمه والدك هو الذي أجبرها على هذا التنكر. . . وقال «مدحت» والدموع تتساقط من عينيه:

- مسكينة ماما. . . مسكينة ماما. . . يا ليتني أستطيع لقاءها لأغمر يديها ورجليها بقبلاتي وأعتذر لها عن قسوة ظنوني بها. . . فما كنت أدري بكل هذا لو لم أسمعها الآن منك.

وربتت «أم توفيق» على كتفه قائلة:

- سترها قريباً يا حبيبي. . . هيا بنا نتعشى فقد أسعدتنا بزيارتك هذه الليلة. .

وانتهزت «أم توفيق» جلوس ابنها مع «مدحت» في الصالون بعد الانتهاء من العشاء وانشغالهما في الحديث فهاتفت بيت والد «مدحت» فردت عليها «سلمى» وبعد كلام المجاملة طلبت منها أن تعطيها والدتها لتكلمها. . وكانت «مزنة» بجوار ابنتها وهي تهاتف «أم توفيق». . . وكادت تتمنع عن المكالمة

لولا أن «سلمى» كانت قد أنبأت سلفاً أم توفيق بوجودها. وأخذت «مزنة» السماعه وابتدأته «أم توفيق» بالسؤالات التقليدية وردت «مزنة» بالطبع بالإجابات التقليدية ثم سألتها «أم توفيق» عن صحة والد «مدحت» وما إذا كان موجوداً الآن في الدار. فأجابت أنه بخير وأنه حالياً غير موجود. فاطمأنت «أم توفيق» واهتبلت الفرصة فقالت:

- لدي صديقة عزيزة عليك يا ست «مزنة» وقد عادت من سفرة طويلة وتريد أن تكلمك . . .

وفجأ «مزنة» ذلك فلم تستطع إلا أن تقول:

- يسعدني أن أكلمها . . فولي لي من هي . . .

وابتسمت في نفسها وقالت:

- ستسمعينيها حالاً . . انتظري من فضلك قليلاً لأدعوها من الصالون لتكلمك . . .

وألقت «أم توفيق» بالسماعة جانباً وهرعت لتدعو «مدحت» ليكلم أمه . . فتردد هذا خشية أن يكون في ذلك ضرر لها . . ولما طمأنته بعدم وجود والده في البيت أسرع إلى الهاتف وقبل أن يتكلم تكلمت «أم توفيق» قائلة:

- حاضرة يا ست «مزنة» . . .

ولما أجابت هذه بنعم ناولت السماعه «لمدحت» الذي قال:

- ماما . . . حبيبتي ماما . . أنا «مدحت» أنا في دار (مامتي) أم توفيق كيف حالك يا ماما . . وكيف أختي «سلمى» وأبي كيف هو طمئيني عنكم . . . أنا بخير . . . أم توفيق فضلها لن أنساه . . .

وكادت تقع «مزنة» مغشياً عليها من الفرحة . . . فانهمرت دموعها

واختلطت بعباراتها وهي تخاطب ابنها وخطفت «سلمى» السماعه من أمها وحدثت أخاها وهي تبكي الأخرى فرحاً وحبوراً ثم ناولت السماعه لوالدتها التي تمالكت وطلبت من ابنها أن يعطيها أم توفيق لشكرها ودار حديث طويل بين «أم توفيق» وأم «مدحت» واشترك في المكالمه أيضاً «توفيق» وقد أزلت هذه المكالمه غياهب الشك التي تلبدت في سماء علاقة العائلتين وختمت «أم توفيق» الحديث قائلة:

- «مدحت» سيسكن مع أخيه «توفيق» حتى تزول الغمة فكوني مطمئنة يا ست «مزنة» سأرعاه كما أروعى ابني وزيادة...

فشكرتها «مزنة» وانتهت المهاتفة وكان ما كان سحابة صيف تقشعت بحكمة «أم توفيق» ودهائها وبعد نظرها...

واجتمعت «أم توفيق» بعد ذلك «بسمير» وزوجه «سهام» التي أبدت قلقاً كبيراً من جراء الشائعات التي ما تزال رائجة وتأتي كل يوم بجديد حتى أصبحت تهدد مستقبل ابنتها ومستقبل زوجها في عالم التجارة والتجار.. فأنتت «أم توفيق» على كلامها وأردفت قائلة:

- طالما «مدحت» موجود في هذا البلد ومطروود من قبل أبيه فلن تنقطع الشائعات.. فلو استطاع أحد أن يعيد العلاقات بين الأب وابنه إلى مجراها الطبيعي عندها يمكن التغلب على هذه الشائعات أو كسر حدتها على الأقل...

وقاطعها «سمير» قائلاً:

- وكيف يمكن التغلب على ذلك..؟

وانتهزت «أم توفيق» الفرصة فقالت على الفور:

- هل أنت على استعداد للتضحية في هذا السبيل؟

وفاجأ «سمير» و«سهام» هذا السؤال . . . وراى عليهما صمت مطبق، قطعته  
«أم توفيق» بقولها:

- ها . . . ماذا تقولان؟

وأجاب «سمير» والتردد يتعثر في إجابته:

- والله ما أدري بماذا أجيب . . .

وأردفت «سهام» قائلة:

- أريد أن أسألك ما هو نوع التضحية التي تطلبينها منا؟

وابتسمت «أم توفيق» بدهاء وقالت:

- في الحقيقة ليست تضحية بالمعنى المفهوم منها . . .

وقاطعها «سمير» قائلاً:

- لقد زدت الأمر غموضاً على غموضه . . كوني صريحة يا أختاه فأنت منا

ونحن منك وما يسوءنا يسوءك وما يفرحنا يفرحك . . . قولي بالله عليك . . .

- ربما علمتم أو لم تعلموا أن كثيرين راجعوا والد «مدحت» ليصفح عن

ابنه، ولكنه لم يستجب لأي رجاء بالرغم من أن بينهم شخصيات لها وزنها

ومقامها . . . غير أنني أعتقد أنه ربما يستجيب أو يستحي إذا . . .

وتوقفت «أم توفيق» عند كلمة «إذا» لترى وقعها على سامعيها فأدركت

«سهام» ما ترمي إليه فقالت على الفور:

- ما عمرنا سمعنا أن أهل القتل يذهبون لاسترضاء القاتل . . .

وعقب «سمير» على كلام زوجته قائلاً:

- صحيح . . . مش معقول . . تطلبين منا هذه التضحية يا «أم توفيق» . . .



واعتمدت «أم توفيق» في جلستها ثم قالت:

- الظروف تحكم.. وعلى الإنسان العاقل أن يحني رأسه أمام العاصفة العاتية...

وقالت «سهام» بحدة:

- بس الناس تقول ايش... أتريدين أن تفتحي باباً جديداً للشائعات لا.. لا.. طلبك فظيع.. فظيع لا يمكن قبوله...

وشرعت «أم توفيق» تداور في كلامها فقالت:

- أنا لا أجبركما على هذه التضحية بل لا أملك ذلك.. وقد قلت من البداية:

هل أنتما مستعدان للتضحية؟.. إن بقاء «مدحت» في هذا البلد معناه بقاء الشائعات وخروجه من البلد تخفيف للشائعات وربما قتل لها.. ولا يمكن الوصول إلى هذه النتيجة إلا بصلح «مدحت» مع أبيه...

ورد «سمير» قائلاً:

- وإذا صفحنا كما صفح غيرنا ولم يستجب لرجائنا ماذا سيكون موقفنا أمام الناس؟ أظن عندها يجب أن ندفن أنفسنا أنا و«سمير» (ونختفي من الوجود).

وأجابت «أم توفيق» بهدوء الحكيم:

- أنت يا أختي تعجلت خاتمة الموضوع قبل البدء فيه...

وقاطعتها «سهام» قائلة:

- كيف...؟؟

وأجابت «أم توفيق» قائلة:

- النقطة المهمة في كلامي هو مبدأ التضحية.. إذا كنتما تقبلان به ندخل في التفاصيل...

وقال «سمير»:

- ولنفرض أننا قبلنا بمبدأ التضحية.. ادخلي في التفاصيل:

- حسناً.. في حالة قبولكما سنجنس النبض.. فإذا تلمسنا ميلاً واستجابة اقدمنا وإلا مكانك تحمدي أو تستريحي..

ورأقت «لسمير» الفكرة فقالت:

- جميل ما تقولين... اتفقنا...

- قريباً وقريباً جداً.

وانتهزت «أم توفيق» وابنها أول لقاء مع والد «مدحت» وزوجه «مزنة» فكلمتهما على انفراد في موضوع «مدحت» فقاطعهما قائلاً:

- أرجو ألا تفتحي يا ست «أم توفيق» هذا الموضوع، فأنا لن أَرْضَى عن «مدحت» أبداً ولا أحب أن تزجي نفسك فيه وأنت تعلمين مبلغ تقديري لك وعطفي...

فقالت «أم توفيق» على الفور:

- وإذا راجعك أهل القتيلة فيه فهل تقبل رجاءهم.. وأنت تعلم أن موضوع «مدحت» - واسمح لي بأن أكون صريحة معك - يهمهم حله بأي شكل وبأي تضحية.. لأن بقاءه بهذه الحال قضاء على سمعة ابنتهم للأبد.. وهذا أمر لا ترضى سعادتك عنه...

وفاجأ والد «مدحت» ذلك.. فوجم قليلاً ثم أردف قائلاً:

- إنني أقدمت على طرد «مدحت» إرضاء «لسمير» وزوجه . . .  
فقاطعته قائلة :

- إن «سمير» وزوجه يقدران بالشكر لك هذه الخطوة الرادعة . . . ولكن  
الأمر أصبح يتطلب القضاء على الإشاعات التي تطالعهم في كل يوم بخبر  
جديد ورواية سخيفة . . .

ويلتفت والد «مدحت» إلى «مزنة» قائلاً :

- وأنت يا «مزنة» مالك ساكتة؟

فاعتدلت في جلستها وأجابت :

- أنت صاحب الشأن في هذا الأمر وببيدك حله وأنا معك في كل خطوة  
تتخذها . . .

وتطلع والد «مدحت» إلى «توفيق» قائلاً :

- وأنت يابا شمههندس . . . هل تسمح عن إساءة «مدحت» لك؟

فوقف «توفيق» وأحنى رأسه ثم جلس وقال :

- العفو يا سيدي العفو . . . إن «مدحت» وأنا كلنا نلتمس عفوكم ورضاك . . .

ثم هجم على يدي والد «مدحت» فقبلها وقبل رأسه وقال :

- أرجوك يا سيدي الصفح والعفو عن «مدحت» فقد كفاه ما لقيه من تأديب

فقبله والد «مدحت» وقال :

- يا ست أم توفيق . . . أرجوك تبليغي السيد «سمير» وحرمه أنني وأم مدحت

سنزورهم غداً نسألهم الصفح والعفو عن «مدحت» . . .

وصرخت «أم توفيق» :

- يا للنبيل! يا للأخلاق الكريمة . .

وعقب «توفيق» قائلاً:

- إنك يا سيدي بعملك هذا تضرب للناس مثلاً رائعاً في سمو الأخلاق،  
وعظمة التواضع . . .

وغمرت الفرحة الجميع . . ثم استأذنت «أم توفيق» وابنها من والد  
«مدحت» لنقل هذا الخبر السار إلى «سمير» وزوجه . .

وعاد «مدحت» إلى بيت أبيه . . وتكسرت فعلاً حدة الإشاعات واستطاع  
«توفيق» بما له من دالة على والد «مدحت» أن يقنعه بإرسال «مدحت» معه  
للخارج لاستكمال دراسته وحالف «التوفيق» «توفيقاً» فنجح وحصل على  
دبلوم الهندسة المعمارية . . . ونجح أيضاً «مدحت» وزفت «سلمى» إلى  
«توفيق» في حفل بسيط متواضع كان مثار إعجاب الطبقة المثقفة الواعية في  
ذلك البلد . . وقد خرجت الصحف المحلية وهي تكيل المديح والثناء للخطوة  
التي حطم بها هذا السيد الجريء تقاليد بالية أكل الدهر عليها وشرب .

وعاد «مدحت» ينتظم في دراسته . . وقد لاحظ والداه تحسناً ملموساً في  
أخلاقه وطباعه وعاداته . . والتمس «توفيق» من والد «مدحت» أن يصحب معه  
«سلمى» ويستكمل دراسته للماجستير والدكتوراه . . وفي الوقت نفسه يشرف  
بطريقة ما على سير «مدحت» الجامعي، فراقت الفكرة لوالد «مدحت» ودعا  
لهم جميعاً بالنجاح والفلاح . . .

وخمدت جذور الإشاعات التي كانت تؤرق والدي «نسرین» وعاودهما  
البشر والصفاء لو لم يعكره خروج «حندوس» من السجن . . بعد إكماله مدة  
عقوبته وفوقها خمس سنوات أخرى بسبب محاولات وجرائم ارتكبها داخل  
السجن .

لم يتعظ ولم يرتدع «حندوس» بعد سجنه هذه المدة الطويلة بل خرج وقد تأصلت فيه غريزة الإجرام وأصبحت له ضرورة كضرورة الهواء لحياة الإنسان. لقد خرج ناقماً على البشرية وعلى الناس.. لقد خرج وهو كافر بكل نعم الله... خرج ولسان حاله يقول: «ويل للناس مني».

وعرف «سمير» بإطلاق سراح «حندوس» من السجن فأصابه كرب شديد.. ولم يشأ أن يعلن زوجته بذلك بل ترك الأمر هذا لظروف أكثر ملاءمة...

وزار «حندوس» «سمير» في مكتبه فرحب به وصارحه باستعداده لمساعدته مادياً ومعنوياً على بدء حياة استقامة جديدة.. فضحك «حندوس» وقال:

- وهل أبقت غياهب السجون بصيصاً من أمل في حياة استقامة جديدة..  
ثم احتد في كلامه قائلاً:

- عشرون سنة يا «سمير» قتلت خلايا الشفقة والرحمة في قلبي.. الويل لمن يقف في طريقي أو لا يلبي طلبي...

وكان «حندوس» بكلامه هذا يهدد ضمناً «سمير» الذي أدرك ذلك فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وابتهل إليه جلت قدرته أن يكفيه شره..

وأخذ «حندوس» مبلغاً من المال وذهب وهو يتسم ابتساماً مآكرة قائلاً:

- إلى اللقاء يا شريكي العزيز... فالجوعى من أمثالي لهم حق مكتسب في أموال المتخمين من أمثالك...

واضطر «سمير» إلى مداراته قائلاً:

- تجدني في خدمتك دائماً يا شريكي العزيز...

وانصرف «حندوس» وهو يقهقه ملء شذقيه.. وجلس «سمير» إلى مكتبه وفيه من الهم ما يغشى عينيه. وعندما عاد إلى منزله كان مربد الوجه، كئيب

المنظر فسألته «سهام»:

- هل تشكو من مرض؟

- يا ريت .. يا ريت ..

واستعادت بالله من إجابته وقالت على الفور:

- وهل ما تشكو منه أعظم شأناً من المرض؟

- نعم إنه .. .

وقاطعته زوجه قائلة:

- استحلفك بالله إلا ما قلته .. .

- إنه «حدوس» .. لقد خرج من سجنه .. .

فصرخت «سهام» بتفجع:

- آه: آه!!

ثم سقطت مغشياً عليها.

وتبين من الفحص الطبي أن «سهام» أصيبت بجلطة دموية وأن حالتها غير ميؤوس منها بعد الإسعافات الأولية التي أجريت لها، وأن عليها التزام الراحة التامة في فراشها حتى يزول الخطر.

ولازمت «أم توفيق» صديقتها «سهام» طيلة مدة مرضها حتى اجتازت مرحلة الخطر وأذن لها الطبيب المداوي بمغادرة السرير .. ولم يستطع «سمير» أن يكتشف سر الصدمة ولو أن هاتفاً من الشك بدأ يراود نفسه غير أنه كان يخشى من نكسة قاضية على زوجه إن هو فاتحها، ولهذا ترك للزمن حل هذا اللغز .. .

وجاء «حندوس» ذات يوم إلى «سمير»، واخبره أنه قرر أن ينصاع إلى رأيه ويعمل بمشورته ويطوي صفحة قاتمة مظلمة ليفتح صفحة جديدة مشرقة، وأنه فعلاً استأجر من السيد «عصام» مساعد مدير شركة الوقود والتدفئة الوطنية دكاناً يتخذ منه مسكناً لبيع الأراضي والعقارات، وبعبارة أوضح مكتب «سمسرة».. فرح «سمير» بما سمع وشجعه وقدم له مبلغاً طيباً يصلح أن يكون بداية ناجحة لعمله.. ولم يدر «سمير» أن «حندوس» سيتخذ من مكتبه هذا تغطية (كومفلاج) لأعماله الإجرامية، فقد علم «حندوس» بطرقه الخاصة أن شركة الوقود والتدفئة الوطنية تقوم بعمليات تهريب واسعة وأن مدير هذه الشركة هو الرأس المفكر والدينامو المولد لكل هذه العمليات..

وقد استطاع «حندوس» بتردده على مكتب «السيد عصام» مساعد المدير أن يتعرف إلى أحد الجنود المجهولين في عمليات التهريب وأن يكتسب ثقته وأن يبرهن له في عدة مواقف أنه أهل للثقة به.. وهكذا تعرف «حندوس» بالمدير وأصبح من الجنود الذين يعتمد عليهم المدير المذكور في عملياته الإجرامية.. حتى قرناه، في هذا الميدان..

وكان «عصام» على عكس مديره شاباً مستقيماً.. نشأ نشأة عصامية توفي والده وهو في سن الطفولة فربته أمه، وحدث عليه وأحسن تربيته وتثقيفه.. والتحق بوظيفة سكرتير في شركة الوقود والتدفئة بعد حصوله على «ليسانس في الآداب» من الجامعة، وتدرج في المناصب حتى وصل إلى رتبة مساعد المدير.. وكان معروفاً لدى زملائه بدمائه أخلاقه، ودقته في معاملته والمحافظة على كرامته.. وبلغ من حرصه على ذلك أنه يثور لأقل هفوة يشعر معها أن كرامته أهينت أو خدشت.. بل لا يتورع عن كيل الصاع بعشرة أمثاله لكل من يحاول مس كرامته حتى ولو كان رئيسه..

وقد حاول المدير أن يتخلص منه ولكن مجلس إدارة الشركة كان يتمسك

به، ويحبط مؤامرات المدير ضده... واستحكم العداء بين المدير ومساعدته، ولم يستطع أي منهما الفتك بخصمه وظل كل منهما يتربص للآخر...

وفاتح المدير جنديه (الخبير) «حندوس» في موضوع التخلص من «عصام» فوعده أن ينفذ ذلك واستطاع «حندوس» بهذا الوعد أن يسيطر على المدير الذي أصبح في يده كالخاتم...

وانهال الثراء على «حندوس» بحساب وبغير حساب... وحن وهو في هذا النعيم إلى من يشاركه التمتع به... وتذكر «سهام»... وجمال «سهام» حبه الأول الخالد الذي لم تستطع الأيام ولا الحوادث محو آثاره ورسومه من قبله وخاطره وخياله... وحاول الاتصال بها بطريقته الدنيئة فكان الفشل نصيبه من جهة، وكان الهزال والسقام نصيب «سهام» من جهة أخرى. فقد أصبحت فريسة نوبات عصبية... واحترار «سمير» في أمرها فلم يترك أحداً من أطباء بلده المشهورين إلا استشاره... وأخيراً نصحه والد «مدحت» بأن يأخذها للمعالجة في أوروبا أو أمريكا فافتنع بذلك وأخذ في أسباب السفر...

وعلم «حندوس» بالأمر فهاله أن يتعد عنه حبه الأول والأخير، وانتابته هو الآخر نوبات عصبية فأدمن على الخمر وموائد الميسر لعلّه يسلوها فلم يستطع الصبر والسلوان، فصمم في إحدى لياليه الحمراء على التخلص من حبه فوضع قنبلة مؤقتة في صندوق سيارتها الخاصة في صباح اليوم الذي كانت مزعجة السفر فيه.

وسبق «سمير» زوجه إلى المطار مع الحقائق، واستقلت «سهام» ومعها «أم توفيق» سيارتها وقبيل وصولها ساحة المطار انفجرت القنبلة فقتلت «أم توفيق» والسائق على الفور ونقلت «سهام» إلى أقرب مستشفى وكانت حالتها خطيرة جداً. وهرع «سمير» إلى المستشفى فوجد زوجه تحتضر، وفي إحدى صحوات الموت اعترفت له بالسر الذي بينها وبين «حندوس» وأنها تتهمه...



وتوسلت إليه بأن يحرص على حياته وحياة ابنته ثم أسلمت روحها إلى خالقها. . .

واهتم الرأي العام بهذا الحادث الخطير وطالب شرطة الأمن بضرورة القبض على الفاعل أو - الفاعلين. . . وقبض على «حندوس» في جملة المشبوهين ولكنه قدر أن ينسل من هذا الموضوع كما تنسل الشعرة من العجينة. . . وكانت صدمة قاسية على «سمير» وفاة زوجته وإطلاق الشرطة سراح «حندوس» فأصبح خائفاً يترقب بالدقيقة والثانية المصير نفسه. . . غير أن انقطاع «حندوس» عن زيارته طمأنه بعض الشيء. . . . ولو إلى حين. . . .

ولاحق المدير «جنديه» «حندوس» يستنجزه وعده فأكد له أنه سيريحه نهائياً منه وطلب منه أن يمهله ريثما تفتت أعصاب البوليس وتهداً، وينسى الناس الجريمة الأولى البشعة. . . .

وظل «حندوس» يفكر بجذ ويتحين الظروف الملائمة إلى أن جاء، ذات مساء زميله الذي ادخله في هذه العمليات ليخبره أن المدير قد قام بعملية تهريب بواسطة زملائهم الآخرين وأنه جنى من ورائها مئات الألوف وأنه يحتفظ بهذه المبالغ في داره. . . فقال «حندوس»:

- إن اعتماد المدير على غيرنا معناه أنه ينوي التخلص منا. . . .

وأمن زميله على كلامه. . . وتابع «حندوس» حديثه قائلاً:

- وما رأيك يا «فرهود» في الأمر؟

- الرأي عندك يا «حندوس». . . .

ففكر «حندوس» قليلاً. . . ثم طرقت إصبعيه بحركة عصبية وقال:

- هل أنت مستعد؟

فقاطعه «فرهود» قائلاً:

- مستعد لماذا؟

- للتخلص من المدير والاستيلاء على المال . . .

فبرقت عينا «فرهود» وهمس قائلاً:

- كيف . . كيف . . قل يا «حندوس».

وتنحج «حندوس» وبلع ريقه وقال:

- لدي مفتاح شقة المدير والباقي مفهوم . . . موافق.

- موافق . . . موافق . . .

وتشابكت يدهما وتعهدا على التنفيذ . . .

ودخلا شقة المدير حسب الخطة المرسومة . . وما كادا يفرغان من فتح الصندوق الحديد حتى فوجئا بالمدير يدخل عليهما شاهراً مسدسه وقبل أن يفتك بهما فتكا به وقتلاه بمسدسه وكان من النوع الذي لا تسمع طلقاته . . . وأفرغا ما بالصندوق بدون أن يتركا آثاراً لبصماتهما ونزلا من سلم الخدم وسترهما الليل . . .

وكانت الخطة التي اتفق عليها «حندوس» وزميله لصرف أنظار رجال الأمن عنهما أن يضع مسدس المدير في دار «عصام» مع شيء من المال وبذلك يوجهان نظر الشرطة إليه بالنظر للعداء المعروف بين المدير و «عصام» . . .

وقبض رجال الأمن على «عصام» وفتشوا داره فوجدوا مسدس المدير وشيئاً من المال . . فأنكر «عصام» التهمة ولكن تهديده للمدير يوم الحادث بالقتل قوى أدلة الاتهام ضده . . فأصدر المدعي العام مذكرة توقيف بحق «عصام» . . . وبدأ التحقيق يأخذ طريقه القانوني . . .

وكان للمدير المقتول زوج لعوب، شغفت «بعصام» وتدلّهت في حبه حتى الجنون... وكانت لا تترك وسيلة من الاتصال به إلا سلكتها، وكان «عصام» يردها رداً جميلاً، ويصدها بلباقة، وينصحها بالإخلاص لزوجها، وكان كلما أمعن في صده كلما زادت هيماً وغراماً، وكان أن زارته في بيته ذات يوم وارتمت على أقدامه تتوسل إليه أن يرحم حبتها وقلبها فرفعها من تحت أقدامه وقال لها:

- أنا الذي يجب أن ارتمي على قدميك أسألك الإبقاء على بقية من عفة أحملها وإيمان يكاد اغراؤك المتواصل يزعزعه... استحلفك بالله إلا ما خلّيتني وشأني... واذهبي فستجدين الملايين من العشاق لهذا الجمال الطاغي...

وغلى بركان الثورة في نفسها وودت لو تنهال عليه صنفاً، ولكنها تماكنت وحملت في وجهه قائلة بسخرية مريرة:

- صحيح... أنك لا تستحق هذه النعمة...

ثم بصقت على الأرض وخرجت وأوصدت الباب خلفها بقوة...

وجلس «عصام» إلى أول مقعد وتمدد واسترخى وكأنه أزاح همماً كبيراً وعبئاً ثقيلاً... لقد كان بوسع «عصام» أن ينتقم من خصمه المدير في وجهه أغلى شيء لديه، ولكنه كان شريفاً في كل شيء حتى في خصومته...

وتحول حب زوج المدير «لعصام» إلى حقد وكره ومقت وحب لا هوادة فيها... ولسنا مغالين إذا قلنا إن العداوة الفظيعة الذي استحكمت بين «عصام» والمدير كان بسبب دسائسها ووشاياتها.

وانتهزت زوج المدير وقوع التهمة على «عصام» فسعت بجمالها ومالها للتأثير على الشهود والمحققين ليوجهوا الشواهد والقرائن ومجرى التحقيق إلى

تجريم «عصام».. ما أشد انتقام المرأة، وما أقسى قلبها وما أشد فتكها.. .  
وما أعظم كيدها!.. .

وبذل «عصام» كل الجهود للدفاع عن نفسه فوكل أقدر المحامين وأشهرهم في بلده للدفاع والمرافعة ولكن الوقت يمضي وحبل المشنقة يضيق شيئاً فشيئاً حول عنقه. وكان «حندوس» ورفيقه يساعدان زوج المدير ويمدانها بالمال وبالمعلومات ويظهريان لها كل إخلاص وعطف على قضية زوجها الراحل وهما يهدفان إلى إبعاد الشبهة عنهما.. ويهدف «حندوس» بالإضافة إلى ذلك إلى كسب قلب هذه الزوجة اللعوب فقد وقع في حبها وغرق فيه حتى (شوشته).

ونالت «نسرين» الدبلوم في العلوم الاجتماعية.. وعادت إلى أبيها لتكون بجانبه بعد أن فقد زوجته.. وود «سمير» أنها لو لم تأت لأنه كان يخشى عليها من «حندوس» تنفيذاً لوصية والدة «سهام».. ولكن لمن يتركها في أمريكا بعد أن أكملت دراستها الجامعية.. .

واشتغلت «نسرين» في وزارة الشؤون الاجتماعية فكانت تنتظم عملها الرسمي في أوقاته وبعده تعود لتشرف على العناية بالدها.. وقد تغيرت «نسرين» في طباعها وعاداتها واقتبست كثيراً من العادات الأمريكية.. . وقد عارض «سمير» - بادئ الأمر - في توظيف ابنته ولكن نزل أخيراً على رأيها بعد أن أقنعتة، ولكنه كان يدعو الله أن يسخر لها (ابن الحلال) ليسترها في حياته.. وفعلاً تقدم كثيرون لخطبتها وبينهم الأكفاء ولكنها كانت ترفض وتعتذر بأن الوقت لم يحن بعد لزواجها.. ويئس والدها من أمر زواجها فصار يرفض هو كل من يتقدم إليه طالباً يدها أو يطلب إليه أن يراجع «نسرين» رأساً.. .

وانصرف الناس عن «نسرين» وعادوا يجترونها حبتها الماضي «لمدحت»

ووصلتها هذه الشائعات فلم تحفل بها.. أما والدها فقد جرى بينه وبينها كلام تعدى حد العتاب إلى الغضب والنرفزة ولكن «نسرين» كانت تجيبه بعبارة واحدة:

- هل أنت الذي ستتزوج أم أنا؟

وعندما يجيبها بأنه والدها وأعرف بصالحها تقول له:

- لم أعد طفلة يا أبتاه.. حتى أحتاج إلى مرشد أو وصي..

أجل تغيرت «نسرين» في تفكيرها وطريقة معاملتها لوالدها الذي هدّه الكبر فلم تصبح لديه القوة على فرض سلطانه.. فلجأ إلى «توفيق» الذي عاد هو الآخر بعد أن حصل على الدكتوراه في الهندسة وتوسل إليه وإلى زوجه «سلمى» بأن يقنعا «نسرين» بالزواج.. فاستجابا لرغبته وفتحها فكان جوابها التقليدي:

- ليس لدي الوقت الآن للتفكير في الزواج وتحمل مسؤولياته..

وخطر ببال «توفيق» وزوجه أنها ما تزال تفكر في «مدحت» بيد أن «مدحت» قد تزوج بزميلة له في الجامعة وبارك والده هذا الزواج واعتبره إيذاناً بنهاية عهد (الولدنة) عند «مدحت».

ومع كل هذا الخاطر فما زال «توفيق» يعتقد جازماً أن «نسرين» تحب «مدحت» وأنها قررت (الترهب) بعد زواج «مدحت».. من يدري.. ربما عدلت عن ذلك في المستقبل..

ونقل «توفيق» وزوجه فشلهما إلى «سمير» الذي تأثر جداً وكاد يُشَلَّ من شدة الصدمة.. ولكن «توفيق» استطاع بلباقته وكياسته أن يهون الأمر على «سمير».. ولكن «سمير» ما زال قلقاً على مصير ابنته إذا فاجأته المنية ولم تتزوج.. ومع أنه بدأ يتظاهر أمام ابنته وأمام الناس بعدم اهتمامه بأمر

زواجها، إلا أنه كان يمضي الليالي الطوال ساهراً يفكر في مصيرها بعد وفاته إلى أن هداه تفكيره إلى حل أودعه في وصيته وختمه بالشمع الأحمر وأودعه أحد البنوك التي يتعامل معها. . .

وانهمكت «نسرين» في عملها الرسمي، وأعدت النشاط إلى ملجأ الأطفال الذي أنشأته والدتها وأم توفيق وشاركت في كثير من الجمعيات النسائية الخيرية حتى أصبح اسمها يتردد بالثناء على كل لسان. . . ووجد والدها في أعمالها الخيرية وثناء الناس على ابنته بعض العزاء. . .

وفجع «مدحت» في والده إثر عملية جراحية خطيرة وقد شيعته الدولة وموظفوه بما يليق من إكبار واحترام. . . وعاد «مدحت» من أوروبا بعد أن طلق الأجنبية وقد تنكر «لتوفيق» واعتدى على حصص والدته وأخته الإريثة ولولا هدوء «توفيق» واتزانه وحكمته لاتسعت شقة الخلاف بين «مدحت» من جهة ووالدته وأخته من جهة أخرى. وبالرغم من فظاظة «مدحت» فقد استطاع «توفيق» أن ينتزع لحماته وزوجه أكثر حصصهما الإريثة. . . من فم الوحش. . . وأدى ذلك إلى القطيعة بينهم. . . وعوض «توفيق» بحنانه وعطفه ما لاقته «مزنه» من عقوق وخسة من ولدها «مدحت» الذي انطلق من «القمقم» وعاد إلى سالف سيرته الأولى وزاد فيها أبواباً من الخمر والميسر والموبيقات على جميع أصنافها وأنواعها ودرجاتها. . . .

ومرض والد «نسرين» مرض الشيخوخة، وأحسن «نسرين» العناية، وأحاطته بكل رعاية ولكن مرض الشيخوخة لا دواء له. . . وهكذا أخذت حال «سمير» تمشي الهوينا من سييء إلى أسوأ. . . وكلما أحس «سمير» بدنو أجله أشفق على مصير ابنته بالرغم مما ترك لها في وصيته، وكان في الأوقات التي يحس فيها بتحسن صحته يلمح من قريب أو بعيد بمسألة الزواج وأنه كم كان يتمنى أن يرى له حفيداً أو حفيدة. . . وكانت «نسرين» تطمئنه

بأنها ستلبي رغبته حالما يقوم من فراش مرضه وهي تعلم أنه فراش الموت . . .

وعندما حضرت «سمير» الوفاة، طلب إلى ابنته «نسرين» أن تدنو منه . فدنّت فقبلها وأسر إليها بالوصية التي تركها باسمها في البنك من دون ذكر محتوياتها ثم تشهد وشهق شهقة خفيفة صعدت معها روحه إلى بارئها . . .

وتضافرت الأدلة ضد «عصام» الذي أنفق كل ما يملك من مال ودار ولكن حبل المشتقة يضيق حول عنقه وغمر «حندوس» ورفيقه سرور ما بعده سرور . . . وبدأ يتردد على الأرملة اللعوب التي أدركت بسابق خبرتها ما يهدف إليه فشرعت تمتص ثروته شيئاً فشيئاً وتظهر له من الحب ما يزكي ما تأخذه منه بينما هي في الحقيقة كانت قد وقعت في حب زميله فعلاً . . . وأنفق «حندوس» على الأرملة كل ما جمعه من وراء زوجها ومن طرقة الخاصة . . . وعندما شعرت الأرملة اللعوب بأن هذا النبع قد نضب ولته ظهرها وتزوجت من زميله . . . فجن جنونه وصمم على الانتقام .

وفتح مدير البنك وصية «سمير» لابنته بحضور محاميها وحضور محامي البنك ومندوب من المحكمة الشرعية وآخر من قبل وزارة المالية والاقتصاد .

وقرئت الوصية فإذا بها تنص على ما يأتي :

«أنا الموقع أدناه «سمير» بن محمود حسني أوصي وأنا بكامل قواي العقلية وعن طواعية مني ورضا لابنتي «نسرين» بنت سمير بن محمود بمبلغ نصف مليون جنيه إذا هي تزوجت خلال ثمانين وأربعين ساعة من فتح هذه الوصية . . . وفي حالة عدم تنفيذها لهذا الشرط أوصي بالمبلغ إلى الجهات الخيرية التي تختارها الجهات الشرعية المسؤولة» .

وتطلع الحاضرون إلى «نسرين» التي تطلعت بدورها إلى محاميها وهي في

حالة دهشة شديدة فإذا بمحاميتها يقول:

- إن موكلتي على استعداد لتنفيذ شرط الموصى قبل نهاية الأجل المحدد في هذه الوصية.

وختمت الوصية وأعيدت إلى مكانها وانصرف الحاضرون. واجتمعت «نسرین» بمحاميتها بعد ذلك مباشرة لتسأله عن تسرّعه في الإجابة فجعلها تحت الأمر الواقع..

فأجاب المحامي:

- ولكنه مبلغ مغرٍ يستأهل التضحية...

فابتسمت وقالت:

- طيب دبرني يا طيبي كما يقول المثل...

- لكل عقدة حل وستعاون معاً لإيجاد الحل...

ودار الزمان دورته وبدد «مدحت» على موائد الخمر والميسر وسوق البورصة كل ما ورثه عن أبيه وما استولى عليه عنوة من حصص أمه وأخته وبدأ الدهر كعادته يكشر له عن نابه فتطلع إلى حل لما هو فيه فإذا جميع الأبواب قد أوصدها بيده وإذا بالخلص من أصدقاء والده وأصدقائه الذين تنكر لهم قد تنكروا له والباديء أظلم... وأخيراً خطرت بباله «نسرین» وكيف أنها حتى الآن لم تتزوج.. لعلها ما زالت تحبه... كيف نسيها في زحمة ثرائه ولياليه الحمراء... فلماذا لا يزورها ربما يجد عندها الحل النهائي لمستقبله..

وفوجئت «نسرین» «بمدحت» يزورها في بيتها في الصباح التالي لفتح الوصية، ولا شك أنها كانت تعرف عن أحواله وحياته المجون التي عاشها بعد



وفاة أبيه وقصته مع أمه وأخته.. لا شك أنها عرفت كل ذلك عن طريق «توفيق» فعلاقتها به ظلت على ما كانت عليه أيام الآباء.. كل ذلك جال بخاطرهما وهي ترى «مدحت» يقف أمامها ذليلاً منكس الرأس يسألها الصبح عما بدر منه مبدياً استعداداً لإصلاح غلطته..

وتفحصته «نسرين» بعينها من رأسه إلى أخمص قدميه، وبدون أن تطلب إليه الجلوس قالت له وهي تند كل خلية أو ذرة من عاطفة في نفسها له:

- لقد ترهبت من أجلك وحرمت على نفسي الزواج بسببك، وأغضبت والدي بسببك وكنت أنتظر الساعة والدقيقة واللحظة التي تتقدم فيها لوالدي بطلب يدي وإصلاح غلطتك كما تقول الآن.. ولكنك لم تفعل وانشغلت عني بلهوك ومجونك وتركتني أجتز مرارة آلامي وخيبتني وأتلقى في صدري سهام الشائعات والشامتين والشامتات.. والآن وبعد أن بددت ثروتك وتنكر لك عشاق مالك من رجال ونساء جئت إلي.. لا.. لا.. لا..

ثم احتد صوتها وعلا وقالت:

- اخرج من هنا.. اخرج قبل أن أدعو الخادم ليخرجك بالقوة..

وبدون أن ينبس «مدحت» ببنت شفة خرج وهو يتعثر بأذيال ندمه وفشله.. وما إن أوصد الباب خلفه حتى ألقت «نسرين» برأسها على مكتبها وراحت تبكي بمرارة وحرقة حتى بللت ما أمامها وكأنها بذلك تغسل بقايا غبار حبها «لمدحت».. ولم تثب إلى حالتها الطبيعية إلا على رنين الهاتف فأخذت السماعه وإذا بالمحامي يقول لها:

- هل وجدت الحل..؟

وكادت تقول له: جاءني الحل إلى مكاني ولكن طردته إلى الأبد.. بيد أنها سرعان ما قالت وهي تصطنع اللهفة:

- لا.. لا.. يا أستاذ.. هل وجدته أنت؟

وأجابها كما قال أرخميدس:

- وجدته.. وجدته.. أنا قادم إليك..

فقاطعته قائلة:

- ما رأيك في أن تتغدى معي اليوم وسيكون لدينا المجال الواسع للتحدث في هذا الموضوع في منزلي أكثر من المكتب.

- حسناً... حسناً... ليكن...

وعلى مائدة الغداء ذكر لها الحل فبهتت وقالت:

- مش معقول.. أتزوج من إنسان سيشنق غداً!.. يمكن أنه لا يقبل هو... ففهمه المحامي وقال:

- يا «نسرين» هذا هو الحل الذي لا ثاني له طالما أن الوقت ملح وأنت ليس لديك أي شخص من قبل... فزواجك من «عصام» الذي سيشنق صباح غد يحل مشكلتك...

وقاطعته قائلة:

- وهل فاتحته في هذا الأمر...؟

فأجاب:

- أنا كنت محاميه وترافعت عنه وما زلت مقتنعاً ببراءته، لكن الأدلة والقرائن كانت محكمة وواضحة مما دعا المحكمة إلى إصدار قرارها بشنقه... المهم أنا فاتحته هذا الصباح.. ووعدته بمبلغ ألفي جنيه ادفعهما له مقابل ذلك...

- وهل قبل الزواج بي؟

- إن «عصام» شاب شهيم عصامي كاسمه . . . لقد أطلعتته على ظروفك فقبل ولمحت له بمبلغ الألفي جنيه فأبى بالرغم من أنه باع كل ما يملك وأنفقه في سبيل الدفاع عن نفسه . . . ولما قلت له إن المبلغ ليس لك وإنما سندفعه إلى أمك المسكينة لتعيش به ريثما يخلق الله ما لا تعلمون وقاطعته «نسرين»  
قائلة :

- وبماذا أجابك . . .

- لقد اغرورقت عيناه بالدموع وقال اترك لك التصرف كما تشاء . . .

وبعد أن جرت مراسم العقد في السجن وانتهى كل شيء تطلع «عصام»  
إلى «نسرين» وقال :

- يا لسخرية الأقدار . . . وجود علي الدهر بمثلك في اليوم الذي أودع فيه هذا الزمان ثم هز رأسه . . . و «نسرين» مشدودة بكل جوارحها إلى كل كلمة يقولها . وقد بدا عليها التأثير والانفعال خاصة حينما قال لها :

- تسمحين لي بتذكارك منك يصاحبني في مثواي الأخير ليذكرني بجنة الدنيا التي لم أتمتع بها إلا ساعة واحدة . . .

وبدون شعور ناولته «نسرين» منديلها فأخذه وقبله وشكرها . . . وهنا جاء العسكري ليعلن انتهاء الزيارة . . . فشد «عصام» على يد «نسرين» وقال :

- اقرئي الفاتحة على روحي كلما خطرت ببالك . . .

وذهبت «نسرين» مع محاميها إلى البنك حيث أبرزت لهم عقد الزواج وعقدت جلسة مستعجلة مع أصحاب الشأن في هذا الموضوع قرروا بعدها السماح «لنسرين» باستلام مبلغ الوصية . . .

وتلقى المدعي العام إشارة تلفونية هامة في مساء ذلك اليوم اتصل على أثرها بوزير العدل الذي وافق على تأجيل تنفيذ حكم الإعدام على «عصام» لإشعار آخر. . وتبين أن «حندوس» أراد أن ينتقم من زميله «فرهود» فأرسل إخبارية مغفلة التوقيع وضع فيها النقط على الحروف، مما حدا بالمدعي العام إلى إصدار أمر بتفتيش منزل زميل «حندوس» وقد وجد البوليس دلائل جديدة يمكن أن تتخذ دليلاً على اشتراكه في الجريمة. . وهكذا أمر أيضاً قاضي التحقيق بالقبض على «فرهود» وزوجته وتأجيل إعدام «عصام» ريثما ينتهي التحقيق وشدد المحققون الخناق على زميل «حندوس» (فانهارت أعصابه وخاصة عندما شهدت ضده زوجته قائلة إنها كانت تسمعه بالليل يقول وهو يحلم:

- اقلته. . المسدس رصاص من النوع الذي لا يسمع له صوت. . .

وهنا بدأ يسرد للمحققين تفاصيل الحادث. . وبينما كان التحقيق معه يأخذ مجراه كانت هنالك مذكرة أخرى تصدر بالقبض على «حندوس». . وبمواجهة الشريكين انهارت أعصاب «حندوس» فاعترف بجرائمه جميعها. . وهكذا تجلت الحقيقة ناصعة فأعيدت محاكمة «عصام» وأطلق سراحه ونفذ حكم الإعدام على «حندوس» وزميله فرهود.

وعلمت «نسرين» بالنبا فجن جنونها واتصلت بمحاميتها الذي كان قد سمع بالخبر وطلبت منه المشورة فأجابها:

- أرى أن ننتظر الخطوة من جانب «عصام». . .

ولم تقتنع «نسرين» بهذا الرأي، وظلت تتنازعها أفكار وتصورات تشدها ذات اليمين وذات الشمال وهي تفكر في مخرج من هذا الزواج الذي جاءت به الأقدار لتسخر منها ويجعل منها حديثاً وحادثاً يتندر به الناس ويلوكونه

على ألسنتهم كأن الله قدر لها في اللوح المحفوظ بأن تكون حياتها حديثاً للناس ومصدراً للشائعات والأقاويل والأراجيف...

أما «عصام» فبعد أن منّ الله عليه بإطلاق سراحه، كان ينتظر من الإنسانية التي كان سبباً في إسعادها وفيما ترفل فيه من بحبوبة ونعم - أن تهاتفه على الأقل تهنته بالسلامة... أما أن تتنكر له بهذا الشكل الذميم فعمل لا يطاق ولا يرضاه «عصام».. إنه يعتبره تحدياً ومجابهة فهل كتب عليه هو أن يقضي بقية عمره مناضلاً يقابل التحدي بمثله والمجابهة بأشد منها... لقد عاش طفولته يصارع اليتيم ويقارع الفقر حتى تغلب عليهما واستطاع أن يتعلم ويتثقف ثقافة جامعية، وعاد ليدخل في نضال مريم مع مدير شركة الوقود والتدفئة الوطنية ذلك الصراع الذي وضع رقبتة على حبل المشنقة وكاد يودي به لولا رحمة الله... والآن وبعد أن ولد من جديد أيعيد سيرته الأولى؟ شلالات من الأسئلة والآراء كانت تنصب في بحيرة خاطره فتولد طاقات وطاقات من الفكر والوسائل والطرق، إن خصمه في هذه المرة يختلف عن خصومه السابقين.. إنه امرأة.. هي زوجه.. هي حبه الأول وقد يكون الأخير... دوامات من القلق والحيرة ترتطم بأسوار عقله وقلبه.. هل يقبل تحدي قلبه لا بل روحه بل وكل شيء عنده اليوم في الوجود؟

ولم يستطع «عصام» أن يصل إلى رأي بشأن ما فعلته «نسرين» وهو ساهد في فراشه حين لاحت تباشير الصباح، ونسماتها الملاح فنام وهو يعلل نفسه بحل لهذا الكفاح...

واستيقظ «عصام» على قرع جرس الباب.. فأسرع يفتحه وإذا الطارق ساعي البريد يسلمه رسالة ففضها فإذا بها من رئيس مجلس شركة الوقود والتدفئة الوطنية يبلغه فيها أن مجلس الإدارة قد قرر بالإجماع تعيينه مديراً للشركة وأن عليه أن يزاوّل عمله في أقرب فرصة ممكنة...

وبسط «عصام» يديه شكراً لله وأسرع يذف البشرى إلى والدته التي قامت إلى سجادتها وصلت ركعتين لله تحمده وتشكره على نعمه وآلائه . . . وارتدى «عصام» ملابسه وقبل يدي والدته وهرع إلى تسلم عمله ولسان أمه يزوده بمعين من الدعوات الصالحات . . .

وقرأت «نسرین» في الجرائد خبر تعيين زوجها مديراً للشركة ففرحت بما سمعت ورأت فيه بصيصاً من أمل قد يساعد على عزوف «عصام» عنها . . بل ربما يلهيه عنها ولعلّه يجد عند غيرها ما يسليه عنها . . . وسألت «نسرین» نفسها أهي حقيقة تكره «عصام» أو أنها تظهر ما لا تبطن؟ إن «عصام» كان سهماً في كل ما فعله من أجلها فلم لا تقبل بما ارتضاه القدر لها؟ إن «عصام» صنوّلها إنه نشأ نشأة عصامية كأبيها، إنه من بيئتها . . إنه من طبقتها . . إن والديها من حارة الصيادين ووالدي «عصام» من حارة «المنجدين» . . . هل تريد زوجاً من الطبقة العليا . . ؟ من يدري أن من يدعون أنهم من الطبقة (الهاي) كانوا من الطبقة الدنيا . . من يدري أن من بين الطبقة الدنيا أناساً عنده من الشرف والكرامة والاستقامة أكثر من كثير من تلك الطبقة . . .

وكادت دوامة هذه الأسئلة تعصف بأعصاب «نسرین» وبالتالي بعقلها . . وبينما هي على هذه الحال إذا بالتلفون يدق فتمسك بالساعة وإذا بسلمى تكلمها أنها و «توفيق» سيزورانها إذا لم يكن لديها مانع . . فرحبت «نسرین» بزيارتها ووجدت فيها «انتراكناً» أو مسكناً لما هي فيه فقامت لتصلح من زينتها وتستعد للقاء صديقين حافظا على ودهما ومحبتهما لها وكانا لها نعم العون في الشدائد والملمات . .

ووصل الدكتور المهندس توفيق وزوجته فاستقبلتهما «نسرین» بحرارة وبشاشة قلبية . . وتسيد الدكتور «توفيق» المجلس كعادته بأحاديثه ونكاته فانفرجت أسارير «نسرین» . . وكان «توفيق» وزوجته يقصدان من الزيارة أن

يعرفا موقف «نسرين» من الوضع الجديد.. إنهما كانا يعرفان الكيفية التي تم بها الزواج لأن «نسرين» اطلعتهما عليها مسبقاً ولذلك كانا مشوقين لمعرفة نواياها... بعد أن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن... بيد أنهما لم يريا منها ما يشجعهما على السؤال فرضيا بغيمة السكوت... وبعد أن مكثا ساعة من الزمن استأذنا في الانصراف لارتباط «توفيق» بموعد آخر... فرجته «نسرين» أن يترك «سلمى» معها ريثما يعود من زيارته...

وخلت «نسرين» ب«سلمى».. وتطلعت كل منها للأخرى ولسانها ما أن يهم بالكلام حتى يلجمه إحساس مبهم، وأخيراً تجرأت «سلمى» فقالت:

- ما الذي تنوين فعله بعد أن سارت الأمور على غير ما رسمت؟

وتنهدت «نسرين» ثم أجابت:

- أنا حائرة يا أختاه.. لا أدري ماذا أفعل... لقد استشرت محامي فأشار علي أن أنتظر الخطوة من جانب «عصام»...

وصممت «سلمى» قليلاً ثم أردفت قائلة:

- «نسرين» أسمحين لي أن أكون صريحة معك فإخلاصي يحتم علي ذلك..

- قولي إنني أقدر أخلاصك وأبادلك الشعور نفسه فكوني صريحة معي فإني أكاد أجن من شدة تفكيري في هذا الأمر...

وقالت «سلمى» بنبرة مخلصنة.

- أنت تحبين «عصام»... لا تحاولي الإنكار.. لقد لاحظت ذلك عليك وأنت تروين لنا مقابلتك «لعصام» في السجن... كما أن الهواجس والأفكار التي تعيشينها بعد براءته وخروجه من السجن تؤيد ذلك... كوني معي صريحة يا أختاه...

وتوقفت «نسرين» قليلاً ثم اندفعت تقول:

- لقد طلبت مني الصراحة وأحب أن أقول لك، إني أحببت «عصام» منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها وكنت ابتهل إلى الله في قرارة نفسي أن يقيض الله له البراءة.. ولكنني بعد أن خرج من السجن رأيت حبي يشوبه الخوف والوجل.. إني لا أعرف شيئاً عن «عصام» عن أخلاقه، عن طباعه عن عاداته... إني أخشى أن أتعذب وأتألم كما تعذبت وتلوعت في حب أخيك.. إني أريد وأحب «عصام» في مهده وقبل أن يرى النور.

وارتاحت «نسرين» بعد أن نفست ما بصدرها من هم، وتبسمت «سلمى» وهي تشعر بالراحة تزين محيا «نسرين» ثم اعتدلت في جلستها وقالت:

- شكراً لك على هذه الصراحة وعلى الثقة التي أوليتني إياها.. واسمحي لي أن أقول:

وقاطعتها «نسرين» بتلهف قائلة:

- قولي بالله... قولي...

- أما عن أخلاق «عصام» فأحب أن أطمئنك إنه على خلق عظيم بشهادة رئيس مجلس إدارة الشركة التي يديرها الآن «عصام» فرئيس المجلس صديق حميم «لتوفيق» وقد أفاض في مدح «عصام» وأثنى عليه كثيراً...

وكانت «نسرين» تتابع بلهفة حديث «سلمى» عن «عصام».. وما كادت تتوقف حتى ابتدرتها «نسرين» قائلة:

- قد يكون ذلك صحيحاً... ولكن... هل «عصام» يحبني لشخصي أو لمالي أو يريد أن يلعب بعقلي وقلبي «كورة» كما لعب غيره من قبل...

وتغيرت لهجة «نسرين» ثم أردفت قائلة:



- أرجو ألا أكون قد أخرجتك بإثارة موضوع أخيك وما فعله بي . . .

وقاطعتها «سلمى» قائلة :

- أنت تعرفين ما فعله «مدحت» بي وبأبي ، كما تعلمين أنني لم أكن راضية عن كل ما فعله والآن لم يبق لي أخ أو أب غير زوجي . . غير أنني حزينة على والدتي التي ما زالت تحب ابنها وتبكي كلما ذكرته خاصة بعد نزوحه نهائياً إلى أوروبا والعودة إلى زوجته الإنكليزية .

- اللجنة تحت أقدام الأمهات . . .

وقاطعتها «سلمى» قائلة :

- لنعد إلى الموضوع . . . ما دمت ترتابين في حب «عصام» وتريدين أن تتأكدي من صدقه في حبه أو عدم صدقه ، فما رأيك أن توغزي لمحاميك بأن يفتاحه في أمر الطلاق أو أقول لتوفيق «يتولى هذه المهمة ، على إنني أرى أن يتولى محاميك ذلك ونحن معك نداول النتائج التي يصل إليها .

- رأي سديد يا أختاه . . بورك فيك .

وضغط «عصام» على كبريائه . . مدفوعاً بحبه الجارف «لنسرين» فهاتفها في مكتبها يطلب منها تحديد موعد له ليزورها . . وفجأت «نسرين» المهاتفة ، غير أنها تمالكت وحددت له موعداً . . وبعد انتهاء المكالمة اتصلت بمحاميتها وأخبرته بما جرى وطلبت منه أن يكون حاضراً حين زيارة «عصام» .

ووصل «عصام» في الوقت المحدد وكانت مفاجأة له أن يجد المحامي في انتظاره معها فسلم على الجميع وأخذ مقعده . . وبعد مقدمات المجاملة هنأته «نسرين» ببراءته فأجابها بصراحته المعهودة . . .

- شكراً يا مدموزيل «نسرين» لقد جاءت تهنئتك متأخرة بعد أن كنت أنتظر

أن يكون صوتك أول صوت أسمع بعد خروجي من السجن . . ولكن قسمتي  
كده . . .

وحاول المحامي أن يداري الموقف بعبارات لولبية . . فهز «عصام»  
رأسه . . وجاء الخادم بالقهوة فاعتذر «عصام» عن شربها ولما سألته «نسرین»  
لماذا؟ أجاب:

- إن وجود صديقي المحامي يا مدموزيل «نسرین» يدل على أنك رميت  
ياحدي قفازيك في وجهي فهل أقبل بعد ذلك شرب قهوة خصم يتحدثاني . . .  
لا يا مدموزيل . . شكراً لك على سماحك لي بالمقابلة . . وثقي أن ساحي  
قد كسرتة أمام سلاحك الفاتك وسأترك لضميرك يحاسبك على ما تفعلين  
معي . . والآن استودعك الله وأدعوه أن يهديك سواء السبيل .

ونفض «عصام» وسار في طريقه بخطى ثابتة متتدة وترك «نسرین» ومحاميها  
يضربان أحماساً في أسداس حول الخطوات التي سيخطوها «عصام» بعد هذه  
الزيارة وقررا أن يفتح المحامي «عصام» في أمر الطلاق . . . وفعلاً قام بهذه  
المهمة ولكن «عصام» سخر من طلبه وأجابه قائلاً:

- أتطلب مني أن أبيعك روحي . . . لقد طلبت يا هذا المستحيل . . . قل  
«نسرین» . . إني أحببتها بكل جوارحي وستظهر الأيام صدق ما أقول . . .

ونقل المحامي ذلك إليها . . . ومع أنها سرت بذلك في قرارة نفسها إلا  
أنها طلبت إليه أن يستمر في محاولاته . . أما «عصام» فقد تدله في حب  
«نسرین» وبالرغم من متانة أعصابه فقد بدأت أعراض الحب تظهر عليه فهزل  
جسمه وحالفه السهاد وخشيت أمه على صحة ابنها التي أخذت تنهار بسرعة  
فتحاملت على نفسها وقصدت دار «نسرین» وشرحت لها ما يقاسيه ابنها  
فردتها «نسرین» رداً جميلاً وقالت لها:

- إنني مستعدة لدفع أي مبلغ يريدُه إذا طلقني . .

فأجابتها أم «عصام» بلهجة تنضح بالإباء وتفيض بالسخرية:

- إذا كان المال يا ست «نسرين» في رأيك هو كل شيء، فلتعلمي أن حب ولدي لا يباع ولا يشتري ومع كل ذلك فسأعمل كل جهدي للتخفيف عما يقاسيه ابني بسببك وسأحاول إقناعه بتلبية طلبك طالما أنت تكرهينه إلى هذا الحد . . .

ونفضت وفي أثناء ذلك قالت «نسرين»

- سأدفع له أي مبلغ يريدُه إذا فعل . . .

فضحكت «أم عصام» ساخرة وقالت:

- ألم أقل لك أن حب ابني لا يباع ولا يشتري، إنه سيستجيب إلى رغبتك بدون مقابل وسينفذها حتى ولو كلفته حياته . . .

وانصرفت «أم عصام» وودعتها «نسرين» حتى الباب الرئيسي . . . وبعد ذهابها عادت «نسرين» إلى غرفتها الخاصة تبكي بكاء مرأً على قسوتها وفظاظتها . . .

ونقلت «أم عصام» إلى ابنها حديث زيارتها «لنسرين» فبكى بكاء مرأً وكلما حاولت أمه تهدئته اندفع في بكائه حتى انتابه صداع شديد اضطرت أمه إلى استدعاء أحد الأطباء الذي قرر إدخاله إلى أقرب مستشفى . . .

وعلمت «نسرين» بذلك وحاولت أن تزوره ولكن عقدة فشلها في حبها الأول منعتها من ذلك . . بيد أنها هي الأخرى ازدادت لواعج حبها الأول وغرامها اشتعالاً فكانت تهدده بصلوات وابتهالات إلى الله بالبرء والعافية «لعصام» والشفاء لها من مرض الحب إذا كان مصير هذا الحب مصير حبها السابق .

وانتظر «عصام» مهاتفة أو زيارة من «نسرين» ولكن هذه لم تفعل فأيقن «عصام» أن كرامته قد أمتهنت إلى حد لم يبق فيه لقوس الصبر منزع . . فتجلد وبدأ يصارع حبه ويقاومه حتى استطاع خلال إقامته في المستشفى أن يكسر شوكته وإن لم يقدر على التخلص منه وخرج من المستشفى وهو مصمم على تطبيق «نسرين» وانتظر بعد خروجه من المستشفى مكالمة من «نسرين» ولكنها لم تفعل فزاد ذلك في تصميمه على الطلاق ولم يشعر إلا بيده تشد إلى سماعة الهاتف وأصابعه تضغط على أرقام هاتف المحامي الذي رد بقوله:

- نعم يا أستاذ «عصام» هل من خدمة أستطيع تأديتها؟

فشكره قائلاً:

- أريد الاجتماع «بنسرين» في مكتبك مساء الغد . . . فرتب ذلك من فضلك وأعلمني . . .

- سأفعل . . سأفعل . . مع السلامة . . .

واتصل المحامي «بنسرين» وأبلغها الخبر وطلب إليها أن تأتي ومعها دفتر الشيكات . . ولم تنم «نسرين» ولا «عصام» تلك الليلة . . . وفي الموعد المحدد وصل «عصام» إلى مكتب المحامي فوجد «نسرين» بانتظاره فحيها وأخذ مكانه وبعد أن احتسى القهوة تطلع إلى المحامي وقال:

- يا حضرة المحامي لا أحب أن آخذ كثيراً من وقتك الثمين . . لقد حضرت لتنفيذ ما طلبته المدموزيل «نسرين» من والدتي . . .

وتطلع المحامي إلى «نسرين» التي أخرجت بيدين مرتجفتين دفتر الشيكات من حقيبتها ووقعت على ورقة منه وأعطته إلى المحامي الذي سلمه بدوره «لعصام» قائلاً:

- أستاذ «عصام» هذا الشيك موقع من موكلتي (على بياض) لتضع فيه بيدك

أي مبلغ تراه ثمناً لتطبيقك موكلتي . . .

فتناول «عصام» الشيك وتطلع فيه وقال وابتسامة باهتة ترين على محياه:

- يا مدموزيل «نسرين» لقد قالت أُمي لك قبل أيام إن حبي لك لا يباع ولا يشتري . . . فأنت عندي أثمن من كل شيء في الدنيا . . .

- ثم مزق الشيك إرباً إرباً والتفت إلى المحامي قائلاً:

- إنني أعلم أن رغبة «نسرين» إرادة لا مفر لي من اطاعتها حتى ولو كلفتني حياتي . . . وما دامت موكلتك ترغب في أن تعيش طليقة على أشلائي فأني على استعداد لتنفيذ طلبها على الفور .

- ثم أخرج صرة من جيبه ودفعتها إلى «نسرين» قائلاً:

- وهذه الألفا جنيهه التي اشتريت بها زواجي أردّها إليك ومعها الدبلة والمنديل والآن يا حضرة المحامي إنني مستعد لتوقيع اجراءات الطلاق . .

وكانت «نسرين» يحمر وجهها ويصفر صدرها يعلو ويهبط وجبينها يتصبب عرقاً وعيناها تحتقنان بالدموع وهي تنصت إلى كلامه . وعندما مد يده ليسلمها الصرة والدبلة والمنديل لم تتمالك نفسها فنهضت وهي ترتجف من رأسها إلى أخمص قدميها وقالت وهي تدفع يد «عصام» وتصرخ والبكاء يخنق صوتها:

- لا . . . لا . . . يا زوجي يا أعز إنسان علي . . . .

ثم ارتمت على صدره . . .

## ذات ليلة

وفي ليلة حالكة السواد، صافية النجم، خافتة النسيم، أحسست فجأة بضيق يكاد يخنقني، وهمم مطبق يوشك أن يعصف بي، ولا أدري سبباً لذلك، بل لا أرى لماذا أنتابني وأنا في ذلك المصيف الجميل في إحدى القرى الهادئة.

واشند ضيقي.. وشعرت بصدري ينتفخ كأنما رثتاي تهمان بالانفجار، فخرجت من فندقتي.. لا ألوي على شيء، ولا أعلم إلى أين أسير.. وكل ما أعلم أنني خرجت لأروح عن نفسي باستنشاق النسيم العليل الطلق.. لعلي أسري عنها ما اعتراها من هم وكرب.

وسرت تقودني خطاي إلى حيث لا أدري.. وقد هوم الليل، ونامت القرية إلا نباح كلابها، وخفتت أنوار بيوتها، إلا أضواء متناثرة هنا وهناك في شوارعها المعبدة.

وبينما أنا أمشي، وقد طاب لي المسير وبدأت أشعر بالارتياح يدب في جسمي، راعني صوت بكاء خافت، ونشيج منقطع حبيس، يقترب كلما هب النسيم، ويتبعد كلما خدرت الريح.. فتوقفت عن مسيري.. أستشرف مصدر الصوت.. وتلفت يمناً ويسرة.. لأرى أين أنا.. وإذا بي في إحدى المقابر.. فعرتني هزة.. وطفرت أفكارني إلى أيام الطفولة.. فتذكرت - في

سرعة - ما كانت تقصه علينا جدتي - يرحمها الله - عن الأصوات التي تنبعث من القبور... ثم أبتُ إلى نفسي.. واستجمعت جلدي وشجاعتي.. وقلت - في يقين - إنه صوت إنسان لا نعيق بوم أو غرابان..

وصممت على أن أتبين مصدر الصوت.. فسرت في حذر وحيطة.. وأنا أتعوذ.. وأبسمل.. وأحوقل.. وأتلو بعض آيات من الذكر الحكيم.. حتى اقتربت.. فلاح لي شبح منحني بجانب قبر.. وازداد الصوت وضوحاً.. فدنوت من الشبح، ويظهر أنه أحس بوطء قدمي، فانتصب واقفاً، وقال:

- صديق...

- أمن سكان هذه الدنيا.. أم من سكان هذه القبور؟

- بل من سكان هذه الدنيا الفانية..

ثم صعد زفرة وأردف قائلاً..:

- يا ليتني كنت من سكان هذه القبور.. أدنُ مني.. لا تخف..

فاقتربت منه، وقد أعددت نفسي لأسوأ الاحتمالات.. ثم سلمت فرداً التحية بأحسن منها.. ومد يده مصافحاً.. فصافحته.. ثم أضاء مصباحاً إلى جانبه.. فرأيت شاباً في ريق الشباب، ونضرة العمر، نحيل الجسم.. ممشوق القوام، مديد القامة، رأسه مستدير تزينه جبهة عريضة، وشعر كستنائي، قمحي اللون.. له عينان كانا نجلاوين، لولا طول البكاء والسهد.. وأنف دقيق، وشفتان رقيقتان، وشارب أشبه في شكله بشارب.. «كلارك جيبيل» النجم السينمائي المعروف، وعلى العموم فهو شاب لا تمل العين منه.

وجلسنا.. وتطلع إلي طويلاً، وكان يستجمع أفكاره.. ثم قال:

- يشرفني أن أعرف اسمك . .
- «فؤاد» . . . هل لي أن أنال شرف معرفة اسمك؟
- فوزي
- ثم أردف قائلاً:
- ما جاء بك هنا؟
- هَمُّ أَلَمِّ بي، فخرجت أستروح فقادتني خطاي إلى حيث أنت . .
- أنت من أهل هذه القرية؟
- بل غريب جاء للمصيف . . وأنت . .؟
- غريب . . هجرت وطني وأهلي وجئت من أجلها هنا . .
- ثم غلبه البكاء وقد التفت نحو قبرها . فقلت . .
- ومن هي التي تبكيها؟ أهى أمك أم أختك؟
- بل أعز من أمي وأختي . .
- فأدركت - فى سرعة - أنه يبكي حبيته . . فقلت على الفور . .
- إذن تبكي فتاة أحلامك . .
- صدقت . . .
- أهذه أول ليلة تمضي على وفاتها، حتى جئت تبكيها؟
- فتنهد كالمصدور وأجاب . .
- هذه هى السنة الثانية تمضي على وفاتها . .



- فقلت ، وقد استغربت وجود إنسان بهذا الوفاء في هذا العصر المادي . . .
- إن عملك هذا يذكرني بالعشاق العذريين . . ولا شك أنت منهم . .  
واستفزني حب الاستطلاع فأردت أن أعرف قصته ، فقلت :
- أستحلفك بالله ألا ما رويت لي قصتها . .
- وفاجأه هذا اليمين ، فحاول أن يتملص من الكلام فقال :
- قصتي طويلة . . وقد آذن الفجر . .
- فزادني تمنعه رغبة - وكل ممنوع مرغوب - فقلت وقد بهأتُ به . . .
- إن في الليل لبقية طيبة . . وقد استحلفتك بالله . .
- فلم ير فوزي بدأ من الإذعان . . فقال . .
- سمعاً وطاعة . .

ثم اعتدل في جلسته ، وتطلع صوب قبرها . . وشرع يروي قصة فتاة أحلامه . . قال :

- «كانت» سوزي طالبة في إحدى الجامعات الأجنبية ، وكنت أنا في عداد طلابها ، ولا أذكر أنني رأيت «سوزي» في السنتين الأوليين من دراستي الجامعية ، ذلك لأنها كانت تسكن في القسم الخاص بالإناث ، وهو قسم تابع للجامعة المذكورة ولكنه بعيد عن القسم الخاص المذكور . .

وأول لقائي بـ «سوزي» كان في إحدى الحفلات الترفيهية الساهرة التي يقيمها طلاب الجامعة بمناسبة أو غير مناسبة . .

وقد حضرت «سوزي» تتأبط ذراع إحدى صديقاتها فراعنتني ملابسها البسيطة المحتشمة ، قوامها المشيق ، قامتها المديدة لونها الأبيض الناصع

المصطفى . . وقد صبغته حمرة العافية . . وشعرها الأشقر المتدلي على كتفيها . . ولا أطيل عليك . . فقد كانت الفتنة الطاغية تشيع في كل حركة من حركاتها . .

جلست «سوزي» مع صديقتها إلى إحدى المناضد المنتشرة في ذلك البهو الفسيح . . فرمقتها الأعين . . وشخصت إليها الأبصار . . وحام حولها فراش من المتطفلين، فكانت «سوزي» تتكلف ابتسامة المجاملة ملتزمة جانب الوقار، والحشمة، فلم تترك لأحدهم فرصة تشجعهم على فتح أحاديث تتطلبها مناسبات كهذه . . وهكذا طار الفراش إلى صيد آخر هين لين . .

وكنت وصديق لي نجلس بالقرب من خوانها وكنت أستجلي - في خشية وحذر - جمال «سوزي» الساحر . . وقد التقت عيناى بعينيها - عرضاً - فكسر الخجل نظراتي وانطويت على نفسي كأنما أتيت أمراً إذًا . .

وبدأ برنامج السهرة، فتنفست من كابوس خجلي، وكان برنامجاً حافلاً بالموسيقى والغناء والتمثيل . . وما إن انتهى البرنامج حتى دوت القاعة بالتصفيق الحاد المتواصل «نريد قصيدة منك يا فوزي» .

واشرأبت الأعناق . . والتفت الحاضرون إلي . . ومنهم «سوزي» . . فنهضت وصعدت إلى منصة الخطابة، وألقيت قصيدة غزلية - والغزل يحلو في مثل هذه المناسبات - كانت تقابل بتصفيق الاستحسان واستعادة المقاطع الشعرية . . وكنت وأنا ألقى شعري، أنظر خلسة إلى «سوزي» لأرى مدى تأثير شعري وإلقائي عليها، فكان تصفيقها خير جواب على ما أبغى، وعدت إلى مكاني بين عاصفة من تصفيق الاستحسان والإعجاب . .

وجاء برنامج الرقص، فانتظم شمل الراقصين والراقصات في أمواج متعاقبة

ومتلاحقة، وحاول غير واحد من المتطفلين مراقصة «سوزي» فكانت تعتذر بجهلها للرقص، أما رفيقتها فانتظمت مع الراقصين.. وبالطبع لم أرقص أنا لأنني كنت مشغولاً بالاستمتاع - عن بعد - بما هو أهم من الرقص..

ولاحت منها التفاتة إلي، فرأيتني وحيداً، وقد ذهب صديقي مع أحد الراقصات وهي وحيدة وقد ذهبت صديقتها مع أحد الراقصين.. فابتسمت وابتسمت وكانت ابتسامتها مشجعاً لي، فلم اشعر إلا وأنا أنهض.. فأخطو في تودة واتزان - صوب منضدتها - فأقدم نفسي إليها.. وتمد يدها مصافحة فأصافحها وقد شعرت لأول مرة بقلبي يخفق ويدي ترتعش.. ودعتني للجلوس فجلست.. وهنأتني على القصيدة التي ألقيتها فشكرتها.. ثم سألتني:

- لِمَ لَمْ ترقص؟

- لأنني لم أجد صديقة تراقصني..

ثم اجترأتُ فسألتها:

- وأنت.. لِمَ لَمْ ترقصي؟

- لأنني لم أجد بين الحاضرين صديقاً أراقصه..

فاهتبلت هذه الفرصة وقلت في شجاعة:

- أيسعدني الحظ فأنال شرف مراقبتك هذه الليلة؟

فابتسمت وقد صادف جوابي هوى في نفسها وقالت:

- يا لك من محدث لبق.. قم بنا..

وسرنا إلى حلبة الرقص فرقصنا.. وفي أثناء ذلك عرفت الشيء الكثير

عنها: عرفتُ أنها من سكان إحدى القرى المنتشرة على الجبال الجميلة المحيطة بالجامعة التي تدرس فيها وأن أباهما في البرازيل . . . وأنها تقيم مع أمها وخالها لا أخ ولا أخت . . . وعلمت فيما علمت . . . أنها أكملت القسم الخاص بالإناث وانتظمت هذه السنة في القسم المختلط للتخصص في كلية الآداب . . . وسألتني عن نفسي فأجبتها بما فيه الكفاية . . . وانتهى الرقص وعدنا إلى منضدتها فعرفتني بصديقتها وكانت من قريتها نفسها . . .

وانفض السامر، وودعتها، ورجعت إلى غرفتي - بعد منتصف الليل - وحاولت أن أنام فلم يغمض لي جفن، فبقيت ساهراً نهب آمال وأحلام، ومخاوف وأوهام تصطرع في نفسي . . .

كان أول فكر جال في خاطري . . . أنها مسيحية وأنا مسلم . . . وإذا بفكر آخر يجيبني: «الحب لا يعرف وطناً ولا ديناً» . . . وتوالت جولات الأفكار والخواطر يساجل بعضها بعضاً . . . ويبارز قسم منها القسم الآخر . . . وما أكثر ما قتل من الأفكار والخواطر في هذا السجال والنضال . . .

ولم أخلص من هذا الصراع العنيف إلا على قرع جرس الجامعة يشعر النائمين بالقيام للإفطار، ومن ثم الانتظام في الدراسة اليومية. فنهضت على عجل. وغسلت بماء بارد. ثم أصلحت هندامي. وأفطرت أيضاً على عجل وأخذت أذرع ساحة الجامعة جيئةً وذهاباً وأرقب الطلبة الآتين . . . منتظراً بفارغ الصبر مجيئها مع القادمين . . . ولكنها لم تأت . . . .

وقرع جرس الدخول للصفوف. فانتظمت مع زملائي الطلبة، وفي فترة الاستراحة الصباحية، طفت بساحات الجامعة فلم أعثر عليها ولم أحاول وقت الغداء لأنها - لا شك - كانت تتغدى في المطعم الخاص بالطالبات . . .

وذهبت بعد الظهر - كعادتي - إلى مكتب الجامعة . فرأيتها مع صديقتها بالأمس تستذكر دروسها فحنت رأسي مسلماً وابتسمت ثم جلستُ على أحد المقاعد القريبة منهما، وشرعت في دراستي ومطالعاتي وقمت أستخرج بعض الكتب والمراجع الدراسية من رفوف المكتبة فلحقت «سوزي» بي ولم أشعر بلحاقها إلا عندما بادرتني بتحيتها المشفوعة بابتسامتها وطلبت مني استخراج بعض كتب المصادر فاستخرجتها لها، وفي أثناء ذلك سألتني :

- كيف قضيت بقية ليلتك البارحة؟

- ما أحلاها ليلة، لقد قضيتها - من فرحي - ساهراً حتى الصباح . . وأنت كيف؟

فأجابت وقد غضت طرفها خجلاً :

- يظهر أن فرحنا كان مشتركاً . .

وعادت إلى قواعدها . وخلّفتني مكاني والدنيا لا تسع أفراحي . وعندما عدت إلى مقعدي لم أجدّها، فعللت خروجها نتيجة خجلها من تصريحها غير المنتظر . . ونمت ليلة حافلة بالأحلام الجميلة . .

وفي الصباح نهضت وكلي نشاط أستقبل يوماً سعيداً كالأمس، فانتظرت مرورها بساحة الجامعة، فأقبلت تتهادى بين سرب من زميلاتّها، وتوقعت تحيتها، ولكنها لم تفعل بل تلهت بالحديث مع زميلاتّها . . فتسمرت في مكاني . . وانتحلت عذراً لنفسي من نفسي . .

وقرع جرس الدخول فانتظمت في دروسي، وفي فترة الاستراحة لم أرّها وكذلك بعد الظهر . .

وخيم الليل فأناخ الهم بَكَلْكَلِهِ علي وليل الهم ليس له صباح . لم أشعر

بحبي الجارف، وغرامي العارم، إلا في تلك الليلة.. يا لها من ليلة ليلاء..  
كنت أحاول النوم فلا أستطيعه وأستجدي النسيان فيمنحني إحسانه.. فلجأت  
للبيكاء.. لعلّ الدموع تفتأ همي وحزني، وبكيت حتى بللت دموعي وسادتي،  
ولكنها كانت بترولاً يصب على نار موقدة..

وفي الصباح التالي رأيتها فتجاهلتني.. وتناستني على مر الأيام أو هكذا  
كان يخيل إلي، كأنما تلك الليلة الساهرة كانت حلماً مرّ في غفوة الزمن..

وكلما زادت إمعاناً في صدها وهجرها، ازدادت شوقاً وهياماً، ونحولاً  
وسقاماً، وتساوى الليل والنهار عندي.. ووجدت الآلام في جسمي الناحل  
مرتعاً خصباً فشعرت في إحدى الليالي بوطأة الحمى فاستدعيت طبيب الجامعة  
وبعد أن فحصني أمر بنقلي حالاً إلى المستشفى.. فنقلت أنا لا أعني من شدة  
الحمى وأسعفت بالعلاجات اللازمة..

أفقت في الصباح، وأنا أشعر بارتياح من آلامي الجسمانية، ولعلّ للنوم  
والعلاج أثرهما، ولكن افكاري ما زالت قلقة على «سوزي».. ماذا سيكون  
تأثير مرضي الفجائي عليها هل تزورني؟ أو نسييني حقاً؟..

سيل من الأسئلة انساب في خاطري وأنا حائر لا أستطيع الإجابة.. وهكذا  
بقيت بين مد وجزر من الخواطر المتضاربة والآراء المتباينة.. أتلقى على  
أحر من الجمر، كلما طرق باب غرفتي خفق قلبي وتطلعت إلى الطارق وأنا  
أتمتم: لعلها هي وما أكثر ما منيت بالفشل في ذلك الصباح.

وحان وقت الظهر ولا جديد عن «سوزي» وعادتنني نوبة الحمى، ولم  
أصح من تأثيرها المضني إلا قبيل الغروب، فتحت عيني وتشهدت ثم أجلت  
نظري في غرفتي فرأيت في أحد أركانها باقة ورد جميلة فضغطت على زر

الجرس فجاءت الممرضة فسألتها:

- من أرسل هذه الباقة؟

- جاءت بها آنسة ولما وجدتك نائماً وضعت الباقة هنا..

- أذهبت الآنسة؟ وما اسمها؟

- لم تذهب بعد ولم تذكر اسمها.. بل بقيت في الصالون تنتظر الدخول فقلت على الفور.

- أرجوك.. أدخلها الآن..

فابتسمت الممرضة ابتسامة لها معناها ومضت لشأنها..

وانتظرت.. وكانت كل دقيقة أطول من سنة.. ودق باب غرفتي.. ودق قلبي معه.. واهتزت كل جانحة من جوانحي.. وفتح الباب.. ودخلت هي.. ولم أتمالك إلا أن أقول..

- سوزي..

- فأسرعت إلي وهي تقول..

فوزي.. لا بأس عليك يا فوزي.

فقلت ويدها في يدي.

- الحمد لله الذي أعادك إلي بعد أن يئست من لقاءك.. وها هو اليأس

يوشك أن يودي بي.

- فأجابت، وقد شاعت في وجهها ابتسامة ماكرة..

لقد كان امتحاناً قاسياً، ولكنك فزت في النتيجة..

فصرخت من فرحتي ..

- أكان هجرك امتحاناً لحبي .. الحمد لله على نجاحي ..

فأجابت وقد غلب عليها الجد والحزم ..

- نعم .. . أفتح قلبي على مصراعيه لدخيل لا أعرف شيئاً عن أخلاقه  
وخصاله ومبلغ حبه ووده ..؟؟ أجادُ في حبه أم هازل؟؟ أم هو من شباب  
اليوم الذين يصطنعون الحب حتى إذا ما وقعت الفريسة تمتعوا بها إلى  
حين .. ثم نبذوها نبذ النواة .. وركضوا وراء صيد آخر .. أجل . لقد درستك  
وأنت لا تراني .. فعرفت الكثير عن أخلاقك وعاداتك وتعمقت في دراستي  
فعرفت القدر الكبير عن أهلك وبلادك وقومك .. فلا تؤاخذني إن قسوت في  
معاملتك لأنني لا أريد أن أضحي بقلبي على مديح حب فاشل ..

فاعتدلت في جلستي - وقد أحسست بنشاط عجيب .. وقلت ..

- والآن وقد انتهيت من دراسة هذا الدخيل ، أتأذنين له بالدخول؟

فضحكت ملء شديها .. وأجابت ..

- نعم .. وبكل سرور ..

فقلت والكلمات تتسابق على لساني :

- ما أشد فرحي وسعادتي! ..

ولم أترك كلمة من كلمات الشكر ومرادفاتها إلا قلتها وهي تبتسم ثم

نهضت وقالت :

- لقد أغرقتني بمدحك وثنائك .. والآن ..

- والآن ماذا؟



- أستودعك الله فقد حان المغيب وقرיתי بعيدة وأخشى ألا أجد مواصلات  
تنقلني إليها.. فإلى اللقاء..

- ثم شدت علي يدي.. فكررت شكري وأنا أقول..

- إلى اللقاء.. إلى اللقاء..

وأبللت من مرضي بسرعة فائقة وعدت أنتظم دراستي بجد وعزم لا يعرف  
الكلل، وكنت أرى «سوزي» يوماً إلا يوم الأحد الذي كانت تقضيه في قريتها  
هذه، ودعتني في أحد أيام الآحاد لزيارتها في قريتها للتعرف على أهلها  
فليت الدعوة ولقيت من أمها وخالها ضروب الكرم واللطف والترحاب، ولا  
عجب فالكرم سجية سكان قرى الجبال..

وجاء الامتحان السنوي، فنجحت ونجحت هي بتفوق واستأذنت «سوزي»  
السفر إلى بلدي ووعدتها بأن أتم بقية فرصة الصيف في قريتها..

وأبثت إلى وطني، ولم أبق فيه وقتاً طويلاً ولكنه كان وقتاً - على قصره -  
مرهقاً ومملاً.. وكنت أكتب «سوزي» وتكاتبني هي، وكل منا يشكو سأمًا  
وضجراً لا حد لهما..

وفي عصارى ذات يوم، دق جرس التليفون فأخذت السماعه، وإذا  
المتكلم هي فقلت من فرحي..

- أتتكلمين من قرينتك.. صوتك واضح جداً..

فأجابت وهي تضحك..

- أنت ذكي ولكنك في هذه المرة - أخلفت ظني فيك..

فقلت، والدهشة تتعثر في كلامي..

- صوتك واضح، ووضوحه يدل إلى انتظام المواصلات الهاتفية بين بلدنا  
وإني أستغرب ذلك..

- ولم يدر في خلدي أنها كانت تتكلم من تليفون لا يبعد بضعة كيلومترات  
عن داري... وازداد ضحك «سوزي» وسمعتها تهمس لشخص بجانبها بأني  
ما زلت أجهل المكان الذي تتكلم منه فقلت وأنا أتردد..

- إنك تتكلمين من مكان قريب..

وعلا ضحكها فقلت على الفور..

- إنك تتكلمين من هنا.. من بلدي..

فقاطعتني وهي تقول:

- جاء ذكاؤك متأخراً.. إني هنا.. في بلدك.. وقد وصلت الآن مع  
خالي.. وأنا أكلمك من مكتب شركة الطيران..

فصرخت من فرحي..

- أهلاً وسهلاً، إني قادم إليك في سيارتي حالاً..

وركبت سيارتي أسبق الريح إليها.. وأخذتهما إلى بيتي وأبيتُ إلا أن  
أستضيفهما بالرغم من إصرارهما على النزول في أحد فنادق المدينة..

وكنت وحيداً لا والد ولا والدة ولا أخ ولا أخت.. ولم يكن في البيت  
إلا مربيتي العجوز وخادمة وخدام وطباخ.. ولا تسل عن فرحي بهذه الزيارة  
المفاجئة..

وقضينا أياماً سعيدة.. فكنت آخذهما يوماً لزيارة المدن الهامة في وطني،  
وأريهما ما فيه من آثار تاريخية عظيمة ومناظر جميلة خلابة.. ولقد أملت

«سوزي» بأحوالي وأطلعت على دخائلي.. وعرفتني.. كما أنا لا كما يقال عني. ومن حسن حظي أنها عرفت أن ما كان يقال عني هو اقل من الحقيقة..

وقبيل انتهاء الصيف، عدنا معاً إلى قريتها وقد بقي على افتتاح الجامعة بضعة أيام فأبت «سوزي» إلا أن تستضيفني في بيتها فقبلت الدعوة، وتوطدت علاقتي «بسوزي» وكان حباً سَما على المادة وترفع عن الصغائر، ووثق أهلها بي واطمأنوا إلى حسن سلوكي فكنت أخرج معها للنزهة من دون رقيب..

وفاتحت «سوزي» في أمر الزواج فرحبت به..

- عليك بإقناع والدتي وخالي وسأمهد لك الطريق إليهما.. أما والدي ففي البرازيل - كما تعلم - وسأكتب إليه. وأرجو أن أوفق لإقناعه..

وفي إحدى الليالي اختليت بأمها وخالها وفاتحتهما في موضوع الزواج فباركا ذلك وعلقا موافقتهما النهائية على موافقة والد «سوزي» وقال لي خالها:

- لو لم نتأكد من أن علاقتك «بسوزي» تستهدف الزواج ما فسحنا لك المجال بيننا. فشكرتهما على حسن ظنهما بي..

وكاتبت «سوزي» والدها في أمر الزواج فجاء رده - بعد أيام قلقة قضيناها في الانتظار - بأنه لا يمانع في زواجها بمن تشاء، ولكنه رأى أن يكون الزواج بعد حصول «سوزي» على الشهادة الجامعية، ووعد بأنه يفعل المستحيل لحضور حفلة الشهادة وحفلة الإكليل.

وفتحت الجامعة أبوابها وبدأنا عامنا الدراسي النهائي فيها بجد واجتهاد متواصل واستأجرت شقة محترمة خارج أسوار الجامعة لا داخلها كعادتي في

السنوات الثلاث المنصرمة .

وقبل الامتحان السنوي النهائي جاءني «سوزي» ذات صباح، وأخبرتني أنّ والدها سيصل بالطائرة مساء يوم الاثنين القادم. . . . وترقبنا ذلك اليوم بفارغ الصبر. . . .

وفي مساء يوم الاثنين المحدد كنت مع «سوزي» وأمها وخالها ننتظر وصول الطائرة التي هبطت أرض المطار بسلام وفتح باب ركابها وأطل والدها وهرعنا لاستقباله بعد خروجه من الدائرة الجمركية. . . . وكان لقاء الوالد بزوجته وابنته وصهره بعد غياب خمس سنوات لقاء يعجز اللسان واليراع عن وصفه، وقدمني خال «سوزي» إليه فقبلني وقبلته .

وكان يرافق والدها رجل جاوز الأربعين، أصلع الرأس أشقر اللون عريض المنكبين ألقى الأنف، ضيق العينين قصير القامة واسع الصدر منتفخ البطن، فقدمه والد «سوزي» إلينا وأخبرنا أنه لبناني الأصل. . . . برازيلي الجنسية، له تجارة وأملاك واسعة في البرازيل، وقد شعرت - لأول مرة في هذه السنة - بانقباض خناق فاستعدت بالله من الشيطان الرجيم. . . .

ووافت أيام الامتحان السنوي وما أصعبها أياماً، كان لقائي فيها «بسوزي» لقاء خاطفاً ولو تفرست في وجهها لتبينت أنها كانت تعاني آلاماً مكبوتة لم تتجرأ على مفاتيحي بها خشية أن تؤثر على نتائج امتحاناتي. . . .

ونجحت بتفوق. . . . ونجحت «سوزي» بأعجوبة. . . . ولولا رصيدها السنوي من الدرجات. . . . لما نجحت. . . . وأسرعت أزف البشرية - بشرى نجاحي من جهة ولأطمئن إلى نجاحها في جهة أخرى .

ولما تلاقينا، بشرتها بنجاحي، فهنأتني وسألته عن نفسها فأخبرتني أنها

نجحت بمعجزة.. ثم انفجرت باكية فخلت.. لأول وهلة - أنها دموع  
الفرح.. بيد أن دموع الفرح لا تخفى.. فسألته عما بها فأخبرتني بما كانت  
تخشى أن تخبرني به في وقت الامتحانات.. قالت:

- كان والدي حين كاتبته في أمر زواجنا يخشى إن هو مانع أن نقدم على  
الزواج في غيابه فبعث بموافقة الصورية.. كسباً للوقت.. والآن..

فقاطعتها قائلاً:

- والآن ماذا؟

- يقاوم والدي بشدة هذا الزواج الذي يعدّه خروجاً على التقاليد ويهدد  
ويتوعد بالحيلولة دونه وأنه إن فشل فسينتحرر..

- وأمك وخالك ما موقفهما؟

- فأجابت:

- موقف المغلوب على أمره، والأُنكى من ذلك أن والدي يرغب في  
تزويجي من «جوزيف» فصعقت وقلت:

- «جوزيف».. يا للفظاعة.. إنه في سن أبيك، يا للقدارة!! الآن أدركت  
مغزى كلام والدك حين عرفنا «بجوزيف» وأطنب في وصف تجارته وثرائه  
وأملاكه.. وأمنت «سوزي» على كلامه بهز رأسها ثم أردفت قائلاً وقد بلغ  
بي الانفعال مبلغه..

- وأنت؟؟ ما موقفك؟ قولي بصراحة..

فأجابت.. والبكاء يخنق كلامها:

- أنا والله حائرة بين والد يهدد ويتوعد ويصمم على الانتحار إن فشل،

وحبيب ما عرف القلب شريكاً له في حبه . . الأمر بيدك يا «فوزي» لا  
بيدي . .

ثم ارتمت على صدري، وأجهشت بالبكاء، فأسندت رأسها إلى كتفي  
ومسحت دموعها بمنديلي - وما زلت أحتفظ بذلك المنديل - وقلت :

- نحن الآن في موقف انفعال شديد يصعب فيه الاستقرار على رأي، وما  
دمت تركت الأمر لي فسأعطيك رأيي غداً وإن غداً لناظره قريب .

وافترقنا، وبدأت أقلب الأمر على وجوهه، بالطبع لم أنم تلك الليلة،  
وحينما لاحت تباشير الفجر، كان رأيي قد استقر على زيارة والد «سوزي»  
ومحاولة إقناعه . . فإن أفلحت فذلك ما ابغي، وإن لم افلح فعلياً أن أفسح  
الطريق لغيري وأن أتحمّل نتائج التضحية . .

وفي الصباح التالي، زرت والد «سوزي» فرحب بزيارتي وفاتحته في  
موضوع زواجي فشرح لي الظروف التي تدعوه إلى مقاومة هذا الزواج: وهي  
ظروف دينية واجتماعية تضطره إلى أن يضحى بحب ابنته على مذبح التقاليد  
والعادات . فلم أجد بداً بعد ذلك من مباركة زواج «سوزي» من «جوزيف»  
على أني رجوته ألا يحرمني مقابلة «سوزي» أثناء بقائها هنا وأن يدعوني إلى  
حفلة زفافها فوعدني بذلك . .

وانصرفت من عنده وقد اسودت الدنيا في عيني وقابلت سوزي فابتدرتني  
قائلة :

- وماذا قررت؟

فأجبت وأنا أتمالك أعصابي المحطمة :

- أرجو أن تصغي إلى قراري وأن تتحملي مثلما أتحمّل . .

فقاطعتني متلهفة:

- ماذا قل بربك . .

فقلت وأنا أتجلد . .

- قابلت والدك هذا الصباح محاولاً إقناعه فأخبرني أن أسباب رفضه هو أنه مدين بمبلغ ضخم لجوزيف وأنه وعده بتسديده من أملاكه في بلده، وعندما عاد معه لاستيفاء دينه وجد أن أملاكه لا تفي بنصف الدين، وكان جوزيف قد رآك فقال لأبيك: زوجني ابنتك بالباقي من الدين. فقلت لأبيك: إنني على استعداد لتسديد الدين الباقي فشكرني وأجاب: هناك ثورة دينية من القساوسة وأهل القرية على هذا الزواج لا يمكنني تحديدها والوقوف في وجهها، ثم ذكر لي أن لجوزيف علاقات قوية ببعض الشخصيات المتنفذة في بلده ولا شك أنه سيثيرها ضدي . . فاقتنعتُ برأي والدك مكرهاً، وقررت ألا أقف حجر عثرة في طريق ارتأى والدك مضطراً أن يسير فيه، وعليّ أن أتحمّل نتيجة هذه التضحية، فهذا ما يفرضه علي إخلاصي وحيي لك . .

فصرخت «سوزي»:

- إذاً، فقد انتهى كل شيء بيننا . .

وشهقت شهقة خلت أن روحها فاقت معها وانخرطنا في البكاء ولا ندري كم من الساعات قضيناها ونحن على هذه الحال إلى أن قرع جرس شقتي فتحاملت على نفسي، وفتحت الباب وإذ بخالها هو الطارق، فرحبت به ودلف إلى الصالون فراعته منظري وملأت عينيه الدموع وبدأ يهون علي الأمر ويؤكد لي أن قضية «سوزي» لو تركت له ولأمها فما فضلاً أحداً علي، ولكن الزواج قسمة ونصيب؛ فشكرت له شعوره الرقيق نحو قضيتي . . ثم سألني

عن «سوزي» فأجبتة أنها هنا . .

ودخلت «سوزي» باكية وارتمت على صدر خالها وهي تقول:

- أرجوك يا خالي، ساعدني في التخلص من هذا الزواج . .

فقلت على الفور . .

- لقد وعدني خالك بأنه سيفعل المستحيل من أجلك . .

وإذا «سوزي» تشبع خدي خالها ووجهه قبلات أشبه بقبلات الأطفال

لوالديهم وقد جاءهم بالهدايا، ثم اندفعت قائلة:

- أحقاً ما يقوله (فوزي) يا خالي . .؟

وهز خالها رأسه بالإيجاب، فشاعت الفرحة في وجه «سوزي» ولو إلى

حين . . وذهبت معه . . وبقيت وحدي نهياً لآلامي وأحزاني . .

ورأيت «سوزي» في اليوم التالي وكانت تتصنع التجلد والتصبر لتخفي

ما يزداد في وجهها من شحوب وهزال، وقد عرفت ولا شك أن وعد

خالها لا يقوم على أساس وإنما ما قاله لم يكن إلا مداراة للموقف، وقد

كانت نظراتها تنطق بذلك وإن لم ينطق لسانها . .

وجاء يوم حفلة الشهادة، فخطت «سوزي» إلى المسرح وهي تجر

رجليها جراً، لتسلم شهادتها وقد تجسم الهزال في وجهها المصفر كأنما

صبغ بمادة «المصفر» وبعد انتهاء الحفلة أسرعت إليها مهنتاً ثم سلمت

على والديها وخالها و «جوزيف» وكان قد حضر الحفلة معهم وبعد ذلك

ودعوني وذهبوا. ويعلم الله كيف قضيت ليلتي إذ لم أنم حتى لاحت

تباشير الصباح . . ويظهر أنني استغرقت في نومي لم أصح إلا على قرع



جرس غرفتي فتطلعت إلى ساعتني فإذا هي العاشرة صباحاً، فأسرعت وفتحت الباب وإذا الطارق «سوزي» فرحبت بها وأجلستها على مقعدها المفضل وراعني ما اعتراها من نحول وهزال، فقلت وقد أخذ كل منا مقعده:

- «سوزي» في نفسك أشياء تحاولين إخفاءها عني وما تعودت منك إخفاء أي شيء عني.. فهل تغيرت حتى تغيرت؟  
فأجابت: وقد فجاءها سؤالي:

- كيف عرفت ذلك؟

- شحوبك الظاهر. فكرك الشارد وأحاديثك غير المركزة..

فقال على الفور:

- هل تنتظر مني أن أقابل هذه النتيجة بمظاهر التهليل والتكبير؟

فقلت أستدرجها:

- لا، ولكنك تبئين أمراً عظيماً؛ قلبي يحدثني بذلك وما كذب ايحاؤه.

وجلست بجوارها في المقعد وعبثت أصابعي بشعرها الأشقر وإذ بها تنتفض كالعصفور بلله القطر، وترتعد كأنما سرى بجسمها مس كهرباء، فضممتها إلي، وقلت:

- «سوزي» حبيبتني ما بك أجيبني..

ورنت إليّ بعينين ذابلتين شعّ من بؤبؤهما شعاع وهاج في يوم ما أقوى ولا أنفذ منه في تلك الساعة، وافتترّ ثغرها عن ابتسامه ترنحت نشوى على شفيتها الضامتين فلم أطق صبراً فأهويت لثماً وتقبيلاً. وتجاوبت عواطفنا فغمرتني

بقبلايتها الحارة ولم تترك في وجهي مكاناً إلا أمطرت قبلايتها منه، ثم استرخت على صدري وقد أحسست بجسمها الرخص وتضوعت أنفاسها الذكية فغلى الدم في عروقي واشتدت نبضات قلبي.. وشعرت «سوزي» بذلك فأدارت وجهها الوردي وقد اختفت صفرتها.. وقالت والإغراء يشيع في كل لفظة من كلامها والفتنة تنطق في كل حركة من حركاتها:

- أنا ملك يديك.. فاعمل بي ما تشاء..

ثم أغمضت عينيها وكدت أستجيب لهذا النداء الصارخ، ولكنني تمالكت وهبطت علي فكرة قدسية علوية هي لا شك من وحي حبي الصادق الأمين.. فتجاهلت ما ترمي إليه عبارتها وقلت:

- لو كنت حقاً ملكاً لي - كما تقولين - لأطلعنتني على ما يعتمل في نفسك من سر رهيب، فنذت عن صدرها زفرة مكبوتة وأجابت:

- عش ليومك.. ولا تفكر في غدك.

فقاطعتها قائلاً..

- إني أفكر في يومي كما أفكر في غدي.. وأنتِ فكر يومي وغدي..

فنهضت عن صدري وعاودها شحوبها وهزالها وقالت:

- ستعرف ذلك عن قريب..

ثم تطلعت إلى ساعتها واستأذنت وانصرفت على عجل.. وخلفتني فريسة أوهامي وقلقي.

وفي اليوم التالي.. تلقيت بطاقة الدعوة لحضور حفلة إكليل «سوزي» على «جوزيف» وخيل إلي في سرعة - أن في هذه البطاقة «السر الرهيب» الذي

كانت تحاول إخفاءه عني . .

وفي أول لقاء بيننا ابترتني «سوزي» قائلة :

- أعرفت ما كنت أخفيه عنك؟

فأجبت :

- نعم . .

وقد سعدتها وكادت روجي تصعد معها . .

وقللت سوزي من زياراتها لي . . وكنت أعلل ذلك باستعدادها لحفلة «الإكليل» ولست في حاجة إلى وصف ما كنت أعاني من عذاب كي استمرىء هذا التغيير واستعد لتحمل الآلام المقبلة . .

وفي عصارى اليوم السابق لحفلة الإكليل ، وافتنني «سوزي» في ملابس زادتها فتنة فوق فتنها الصارخة وجمالاً على جمالها الساحر ، فبدت كملاك جاء إلى هذه الأرض ليملاؤها بهجة وأفراحاً كما ملئت أحزاناً، وأتراحاً فسلمت علي فقلت لها . .

- إنك تبدين اليوم أكثر فتنة وجمالاً وجاذبية منك في أي يوم منذ تعارفنا، ولقد سررت بما تظهريين من روح معنوية قوية تتأهب لتحمل أعظم التبعات والتضحيات، فابتسمت وقالت :

- أحقاً تقول؟ أم إنها عين الرضا؟

فأجبت مؤكداً . .

- هذا هو الواقع وأنت تعرفين أنني لا أجامل أحداً.

فاعتدلت في جلستها وقالت :

- تجملت بأحسن ثيابي وأتيت لتوديعك؛ فغداً مساءً سأكون في بيت  
الزوجية وبعد غد سأبحر إلى البرازيل .

فقلت وأنا أتصنع التعبير :

- أسمحين بأن نتعشى الليلة معاً، ونخرج بعده نستجلي معاني الطبيعة في  
هذه الليلة المقمرة . .

فتطلعت إلي وقالت :

- كأنك تقرأ ما كان يجول بخاطري . . ليكن عشاؤنا الليلة «العشاء السري»  
من يدري؟ أنلتقي ثانية أم أن هذا هو اللقاء الأخير . .؟

لا أدري ماذا أصابني عندما لفظت «سوزي» عباراتها الأخيرة، وكل ما  
أعلم أنني ارتميت على سريرى وقد غرقت في دموعي أنشج نشيج الشكالى  
وأعول عويل الأيامى . . و «سوزي» تحاول بحنانها وقبلاتها تهدئة ما اعتراني  
من دون جدوى . وأخيراً تغلبت العاطفة عليها فانهمرت دموعها مدراراً على  
خدي وصدرى وامتزجت دموعنا وسالت تسطر أروع قصة عرفها تاريخ  
الحب . .

وفعلت دموعها في نفسي ما عجز عنه سحر قبلاتها، وهكذا رأيتني  
أكفكف دموعي وأجفف دموعها وأنهال لثماً وتقبيلاً فلم أترك مكاناً في وجهها  
إلا أشبعته لثماً وتقبيلاً . .

وابتسمت «سوزي» فاهتز كل عضو فيها فتنة وإغراء وضممتني إليها وقد  
استشرت الأنوثة الطاغية فيها ورددت ما قالته أمس :

- أنا ملك يديك فافعل بي ما تشاء .

فأفلت من بين يديها وقلت :

- أنت لي روح ومعنى . . أما جسدك فملك لغيري . .

فأجابت وهي معجبة بموقفي . .

- أنت مثالي في حبك .

فقلت مندفعاً . .

- إن الحب الطاهر ليسمو على المادة . . والجسد متعة مادية سهلة المنال في كل وقت ومكان، الحب للجسد وحده أحط درجات الحب، لقد كنت أطمح أن تكوني لي روحاً وجسداً ولكن . . . «ما كل ما يتمنى المرء يدركه» لا . . لا أريد أن أذنب حبي الطاهر بالمتعة الجسدية . . والله لو تأكدت أنك جادة في إغرائك أمس واليوم لأدركت بدهاءة أنني لست الرجل الأول الذي تستجيبين له ولحقّ لي آنئذ أن أرمي بك عرض الطريق، ولكنني أعلم علم اليقين أنك كنت تقومين بأقصى وأخطر تجربة في حياتك لتتأكدي مبلغ صدقي في حبي . . والله - أقولها وأنا غير حانث - لو أنك أحسست بميل مني للمتعة الجسدية - قبل أن ترتبني برباط الزوجية المقدس - لأسقطتني من برج العالي في نظرك إلى أسفل السافلين .

فاعتدلت في جلستها ونظرت إليّ وقد شاع الفرح في وجهها بعدما كان مربداً عندما بدأت كلامي ثم قالت :

- هذه تجربة ثانية تجتازها وأنت مرفوع الرأس عزيز الجانب ولا أدري أتصمد للتجربة الثالثة أم يجرفك تيار النسيان فتنسى من لم تنسك ولن تنساك . . فقلت معتداً :

- سأصمد للتجارب مهما تكن قسوتها ومرارتها :

فنهضت «سوزي» وأخذت يدي في يدها وقالت :

- سطر أيها التاريخ للأجيال القادمة قصة حبيبين سما حبهما على المادة وترفع عن الصغائر . هيا بنا يا حبيبي نتعشى عشاءنا الأخير . .

ومرت سحابة حزن على محياها وهي تلفظ عبارتها الأخيرة . . فقلت :

- إنه عشاؤنا الأول لا الأخير . .

فأجابت بصوت منخفض :

- أرجو أن يكون ذلك . .

وتعشنا وكانت «سوزي» تأكل بشهية لم أعهد لها فيها من قبل ، وجاريتها في عشاؤها ومرحها وأنا «كالطير يرقص مذبوحاً من الألم» . لقد كنت أحسّ نذر الكارثة وليس بيدي ما أدفع به القدر . .

وامتطيت سيارتي - بعد العشاء - وهي بجانبني وخرجت للنزهة ، وكانت تستوقفني كلما رأت منظراً من مناظر بلدها وتتأمل فيه كأنها تستودعه ثم تنهدت - وما أكثر ما تنهدت - وحاولت أن أعرف ما تنوي عمله في حياتها الجديدة المستقبلية ، ولكنها كانت تملص من الإجابة وترجونني ألا أكرر صفو هذه الليلة .

وتطلعت لساعتها ثم قالت :

- عد بنا ، فقد انتصف الليل وأخشى قلق أهلي من طول غيابي .

وعدنا ، وقبل أن نصل إلى دارها بأمطار قالت :

- قف هنا . . .

فوقفت ورنت إلي ثم قبلتني وقبلتها قبلة طويلة أودعناها ما ندخر من

عاطفة وحب . . وافترقنا وهي تقول :

- إياك أن تتخلف عن حفلة الإكليل . .

فوعدها بالحضور . . ولما اطمأنتُ على دخولها دارها، عدت أدراجي  
وقد غشيت عيناى حزناً . . وكم من مرة كدت أصطدم بسيارة أو عمود أو  
شجرة . .

وسار موكب العرس إلى الكنيسة وكان موكب جناز لا حفل عرس  
و«سوزي» بجانب عريستها صامته مطرقة يعروها اصفرار شديد رهيب . . كأنما  
كانت تساق إلى المقصلة . .

وقد سبقت الموكب إلى باب الكنيسة - لأستقبلها . . وأتزوّد بنظرة منها  
ربما كانت النظرة الأخيرة . . . ووصل الموكب باب الكنيسة وترجلت  
«سوزي» ومشت تتأبط ذراع عريستها، ولما أبصرتني ابتسمت ووضعت  
إصبعين من اصابع يدها في فمها .

ودخلت الكنيسة وتبعتها وحرصت على أن يكون جلوسي أمامها . ولما بدأ  
الكاهن يتلو المراسيم الدينية الخاصة بالزواج، تطلعت «سوزي» هنا وهناك  
ورأتني قبالها فابتسمت أيضاً ثم تغير وجهها وتصببت عرقاً كانت تحاول  
تجفيفه بمنديلها . . ولما وصل الكاهن إلى قوله «ضعي يدك في يده» رنت  
إلي وامتقع وجهها واصفرت كالجرادة وقبل أن تمد يدها للكاهن اهتزت ثم  
ترنحت وسقطت على الأرض .

وساد الكنيسة هرج ومرج فمرقتُ كالسهم وحملتُ «سوزي» وركضت  
بسرعة ووضعتها في أول سيارة وجدتها بباب الكنيسة وقلت للسائق . .

- أسرع إلى أقرب طبيب . .

وانطلقت السيارة كالبرق إلى أول عيادة صادفناها فأنزلتها وحملتها إلى غرفة المعاينة، وبدأ الطبيب في إسعافها وفي أثناء ذلك وصل إلى العيادة والداها وخالها وعريسها والكاهن. . . والتفت الطبيب إلينا وقال:

- إنها حالة تسمم خطيرة ونجاتها منها معجزة. . . يجب نقلها إلى المستشفى الكبير حالاً، ففيه الاستعدادات لمثل هذه الحالة. . .

وحملناها وهي فاقدة الوعي، إلى السيارة انطلقت بنا في سرعة الريح إلى المستشفى الكبير. وبدأ الأطباء في إسعافها وهي في غيبوبة حتى الهزيع الأخير، ونحن نتنظر على أحر من الجمر في الصالون، عندما دخل علينا الطبيب المداوي وقال:

- لقد صحت «سوزي» ولكنها متعبة جداً وقد طلبت - بإصرار استدعاء وكيل النيابة لتسجيل اعترافاً خطيراً بحضور والديها وخالها و «جوزيف» و«فوزي» فتطلعنا في وجوه بعض، وإذا بنخالها يقطع وجومنا فيقول للطبيب:

- أدع من فضلك وكيل النيابة حالاً. . .

وحضر وكيل النيابة ودخلنا معه إلى غرفة «سوزي» فقدم نفسه إليها فتطلعت «سوزي» في الحاضرين ولما أبصرتني بينهم قالت بصوت خافت متقطع الكلمات:

- سجل. . . يا وكيل. . . النيابة. . . أنا التي. . . سممت. . . نفسي. . .  
لأتخلص. . . من. . . زواج. . . أكرهني. . . والدي عليه. . . سجل. . . ظلم. . .  
الآباء. . . للأبناء. . . ثم أشارت إليّ وقالت:

- «فوزي» يا أنبل من عرفت. . . أدنُ مني. . . ضع. . . يدك. . . في. . . يدي. . .  
ولما ترددت خجلاً من عريسها قالت وهي تغالب سكرات الموت:



- «فوزي» .. تعال .. لا تخف أتخشى .. «جوزيف» .. إني .. أكرهه ..  
ألعنه ..

فانسحب «جوزيف» من الغرفة إثر هذه اللعنات .. ودنوت منها ووضعت  
يدها في يدي وقربتها من خدها .. وأنا أغالب دموعي . وأحاول كبت أحزاني  
من الانفجار .. ثم تطلعت سوزي إلي وقالت :

- «فوزي» أنت .. زوجي .. الذي .. ارتضيته .. ولم يرضه .. لي ..  
الإنسان .. الظالم .. «فوزي» هذا .. هو .. السر الرهيب .. الذي .. أخفيه  
عنك .. «فوزي» .. أرجو .. أن .. تص .. مد .. هذه .. التجربة ..  
الثالثة .. وألا .. خيره ..

ثم فاضت روحها إلى خالقها تشكو ظلم الإنسان للإنسان .. ووسدنا  
«سوزي» مثواها هذا - وأشار إلى القبر الذي وجدته عنده - وعدت إلى وطني  
بعدما أدخلت أباه «مستشفى المجانين» فقد جن المسكين من هول الفاجعة  
التي كان هو سببها وصفيت أملاكي وتملكت بدلاً منها في عاصمة بلد  
«سوزي» واستوطنت هذه القرية - قرية «سوزي» وأبت أمها وخالها إلا أن  
أسكن معهما فاستجبت لرغبتهما .

واعتدت في كل ليلة أن أزور هذا القبر (قبر سوزي) عندما تنام القرية  
فأبكي وأبكي حتى مطلع الفجر ..

ثم انحنى نحو قبرها يبكي .. وما يزال ..

## عمل لا تجزىء عنه صدقة

وتدخل «خديجة على زوجها» «منصور» فتراه مهموماً مغموماً فتسأله قائلة :

- ايشبك يا سيدي... وشك مبوز اليوم.. وأنت كأن هموم الدنيا  
راكباك.. قل لي في شيء مزعلك.. أو هامك.

- ايوا يا خديجة.. ايوا...

- ايش هوه.

- الأولاد...

- الأولاد.. ما شاه الله كلهم بخير.. بس ايش اللي سووه حتى زعلوك  
وأغموك وأحزنوك...

- الصلاة يا خديجة.. أشوفهم ما يواظبوا عليها.. وإذا واظبوا واظبوا  
طمعاً في المكافأة التي أعطيها لهم...

- ما في شك مكافأتك عامل كبير من عوامل الترغيب للصغار فيهم.. أما  
الكبار فإذا ما واظبوا على الصلاة فما لهم غير العصا...

- كلامك مضبوط فالله تعالى يقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ  
بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ صدق الله العظيم  
(سورة طه آية ١٣٢)..

- صدق الله العظيم . . فالهداية منه سبحانه وتعالى ، ولكن الصلاة ركن من أركان الإسلام لا يجب إهماله . . .

- صدقت يا أم توفيق . . فإنه ركن لا تجزيء عنه صدقة أو مال ، فالصوم قد تجزيء عنه كفارة إذا لم يستطع الإنسان أداءه . . والحج يجزيء عنه البديل إذا لم يستطع المرء السفر . . .

- والصوم شهر في السنة والحج مرة في العمر أما الصلاة فخمس مرات في اليوم الذي يجزيء عنها . .

- أجل لا شيء يجزيء عنها . . .

- أتدري يا أبا توفيق السبب في عدم مواظبة شباب اليوم على الصلاة؟

- بلى يا أم توفيق بلى . . السبب هو النقص في التربية الدينية التي نحن بحاجة إليها في البيت وفي المدرسة وفي كل مكان . . .

- نسيت يا أبو توفيق . . الأفكار المستوردة وسمومها التي تقدم لشبابنا يوماً عن طريق المنشورات والكتب والصحف والمجلات . . .

- ووسائل الإعلام كالإذاعة والتلفزيون وغيرها . . .

- ولهذا فنحن بحاجة ماسة إلى توعية دينية . . .

- أجل توعية دينية كالتي كان عليها السلف الصالح إذ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . . .

- ولكننا مع الأسف مقصرون في هذه الناحية الهامة أيما تقصير . . .

وكان لمنصور أولاد أكبرهم توفيق وعادل اللذان نراهما يلعبان (النرد)

الطاولة وصوت عادل يقول:

- ما قلت لك إنك غشيم يا خويا . . .
- أنا غشيم يا عادل . . خذ . . شوف دوشيش . . .
- روح يا توفيق روح . . الدوبارة تأكل حجاتك وتقرطهم زي الفاره . .
- استنى بس . . هادا حب الأيك . . ايش تقول فيه يا شاطر . . .
- دوسيه يا خساره . . .
- رايح تاكلو مرس يا حدق . . مرس . .
- لا يا توفيق . . لا . . الدش صلحها . . إيون . . بس . .
- بس . . ايش . . يا غشيم . . .
- لا تقول غشيم . . بس لا تمسك زهر وأنت تشوف الغلب . . كيف . .
- وأنت كمان بلاش غش . .
- طيب وصلنا فين . . .
- واحد . . ثلاثة . .
- شايفك رايح تغلبنى . .
- هنا دماغ محشي . . .
- محشي . . .
- محشي نخاله يا توفيق . . .
- دماغك هو المحشي تبين ونخاله . . هيا وريني شطارتك . . .
- لا تعلّي صوتك لحسن ماما تسمعك . . وبابا وقت مجيئه قرب كمان . .

- لو كبسنا ونحن نلعب .. وشافنا التهينا باللعب عن الصلاة ...

- كان كسر الطاولة على دماغي ...

- يا ريت يا خويا يا ريت ...

- وليش هادا التمني .. أنا عدوك ...

- لا .. بس ...

- بس ايش ...

- كنا ركبنا لك دماغ غير دماغك المبلّم ...

- ليش هيه الحكايه تركيب نص نعل ..

وبينما كانا يضحكان، يسمعان صوت الوالدين فيقول توفيق بفزع:

- خبي الطاولة ... أسمع صوت الوالد والوالدة ... أسرع ... ويدخل

منصور وخديجة فيبتدرهما عادل قائلاً ...

- أشوفك رجعت بدري على البيت يا بابا ..

- ايوا أبغي أرتاح يا ولدي ...

- ليش غداك عند عم صالح نسيتو ...

ويضرب منصور على جبينه ويقول:

ول .. ول .. نسيت والله نسيت .. يا الله يا توفيق روح معايا وخلي عادل

يتغدى مع أمو ...

ويتطلع منصور إلى زوجته ثم يقول:

- حوايجي حاضره يا هوه . . .
- ايوا يا سيدي . . يا لله تعال . . . ألبس . . .
- يا الله وأنت يا توفيق روح فسخ حوايجك وألبس حوايج نظيفة غير هادي . . .
- حاضر يا بابا . .
- وعندما يذهب منصور للبس حوايجه يقول عادل لتوفيق:
- يعني أنا أذكره بالعزومه وأنت تكسب الغدا . . .
- مو أنا سيدك الكبير . . .
- صدقني يا خويا . . أنا أفضل غدا البيت مهما كان على العزايم . .
- الحق معاك . . بس العزايم والقيلات مناسبات طيبة لتمكين الصلات بين الأقارب والأصحاب . . .
- وكمان مكسب معارف جدد . . .
- وبعد ذهاب منصور وابنه توفيق تدخل خديجة على عادل وهي تقول:
- يا الله . . قوم نتغدى نحن كمان حتى تروح تزور ابن عمك بعدين . . .
- أنا تعبان يا ماما . . . وما أقدر أروح . . .
- تعبان من لعب الطاولة . . . أخوك توفيق . . يروح يزورو كل يوم . .
- طيب . . أروح . . معاكي وكوني شفيعي عنده . . .
- والصلاة اللي ما عما تواظب عليها مين سيكون شفيحك فيها عند الله . . .
- الله غفور رحيم . . .

- وشديد العقاب . . يا ولدي شفيحك عند ربك واستحقاقك لعفوه وغفرانه  
- هو بأدائك ومواظبتك عليها . . وعلى قراءة ما تيسر من القرآن الكريم كل  
يوم . . .

- أعدك يا ماما بأني سأفعل ذلك . . .

- إن شاء الله تصدق في وعدك مو تكون مواعيد عرقوب . . .

- رايحه تشوفي . . .

- ربنا يهديك . . هيا روح صلي علبال ما أحضر أنا الغدا . .

- حاضر يا ماما . . حاضر . . .

- وبيننا هو في طريقه لتأدية الصلاة يدق جرس الباب فتقول والدته:

- شوف مين يدق الجرس يا عادل . . .

- سميرة بنت خالي يا ماما . . .

- يا مرحب . . يا مرحب . . قل لها تدخل . . .

- وتدخل سميرة وهي تقول:

- مساء الخير يا عمتي . . .

وتدخل خديجة مسرعة من المطبخ وهي تقول:

- مساء الخير يا روحي . . أهلاً . . يا الله حماتك تحبك . . الغدا حاضر .

- بس أنا ما في عندي حماه لسه . . .

- مين يدري يمكن بكره أكون أنا حماتك . . .

(ويضحكون) وتتابع خديجة كلامها:

- الأكل حاضر.. هيا قبل ما يبرد...
- وأنا خلصت صلاتي يا ماما.
- بسرعة يمكن قلفطتها.. قلفطة...
- إلّا يا ماما.. الفرض والسنة...
- وتقول سميرة:
- عادل يا عمتي متدين...
- شهادتك مجروحة.. مين يشهد لك يا بو الحصين...
- ويضحكون وهم يجلسون أمام مائدة الطعام وسميرة تقول:
- وعمي أبو توفيق.. فين هوه...
- معزوم على الغدا مع توفيق...
- أتذكرت.. كمان أبويا معزوم وهوه قال لي روحي أتغدي عند عمّتك  
أحسن ما تتغدي وحدك...
- يا مرحباً كثر خيرو أخويا.. كلو ذوق...
- شوفي يا عمّتي.. عادل كلو ذوق...
- ويقول عادل.. ضاحكاً:
- طالع لخالي..
- نحن إن شاء الله بعد الغدا نرتاح شوية وبعدها نروح نزور ابن عم  
عادل...
- وبعدين يا ماما...



- وبعدين نروح نشترى (دبش) سميرة . . . .

- (ودبشي) أنا أمتى يا ماما .

- عندما تاخذ الشهادة .

- إذن قليل انتظاري طويل . . .

## وداع واستقبال

وعاد «حامد» إلى داره بعد غيبة امتدت أكثر من شهرين في رحلة تجارية كانت ضرورية لاستمرارية عمله في متجره . واستقبلته زوجته «سامية» وولده «سالم» بترحيب حار ممزوج بدموع هي دموع الفرح كما يقولون . وطمأنهم «حامد» بنجاحه الكبير في سفره هذا فازداد سرورهم وفرحهم كما أخبرهم أنه كان يود أن يطيل سفره لولا أن حلول شهر رمضان كان على الأبواب .

وتبتسم زوجته وهي تقول:

- خيراً فعلت يا أبا سالم فالأيام تمر سراعاً . . . بالأمس ودعنا رمضان واليوم نستقبله كأن ما مر من هذه السنة لم يكن شيئاً في عمر الزمن .

- صدقت يا أم سالم فالحمد لله الذي أحياناً ونبتهل إليه أن يعيننا على صيامه وقيامه .

- ويجزل لنا الأجر والثواب فيه .

- أجل أجل فإنه شهر الخير والبركات فقد سمعت الشيخ حسن يروي هذا الحديث القدسي :

- وما هو يا أبا سالم؟

- كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به وفي لفظ وأنا الذي

أجزي به والصيام جُنَّة... وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم.. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.. للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه (البخاري ج ٣ كتاب الصوم ص ٤٢).

- ما أجمل وأروع ما تقول.

ويدق جرس التليفون ويرد «سالم» وإذا بالمتكلم ابن عمه «فايز» يذكره بأنه ورفاقه بانتظاره على العشاء فيعتذر عن الحضور بسبب عودة والده المفاجئة فيطلب «فايز» منه أن يتكلم مع والده يهنئه بالعودة. ويتنزهها «فايز» فيرجو منه أن يسمح لابنه «سالم» بالعشاء معهم فيسمح له.

وينتظم الأصحاب أو الشلة على «شعبنة» يودعون بها شهر شعبان وبعدها تدار عليهم فناجين الشاي ثم تصدح «كاسيتات» الغناء والموسيقى الراقصة. وبينما هم منغمسون في سمرهم ولهوهم إذا بالباب يطرق فيفتحه «فايز» ليفاجأ بابن خاله «منصور» وكان على رفعة من الخلق وبسطة في العلم والمعرفة فرحب به الجميع فدخل وأخذ مكانه بينهم وتوقف الغناء وسكنت الموسيقى وأحس «منصور» أن دخوله أثقل عليهم فبدأ يعتذر عن حضوره من دون سابق موعد وأنه سمع بالضجيج والموسيقى وهو في الشارع عائداً إلى منزله فظنه حفلاً يقيمه ابن خاله «فايز» فأحب أن يشاركهم ابتهاجهم به ثم تساءل:

- أليس هو حفل وطني في محله؟

- ورد عليه «فايز» قائلاً:

- وحفلكم هذا إذا صدق حدسي يعني أنك يا «فايز» عازم على الصيام لأول مرة هذا العام.

- من قال لك هذا يا بن العم؟

- ويشير جوابه «منصور» فيقول:

- وتقولها يا «فايز» بملء شديك . أما تخشى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟

ثم يلتفت إلى «سالم» قائلاً:

- ولعلك يا «سالم» على شاكلته .

- أجل يا ابن الخال فصحتي لا تساعدني على الصوم وليس على المريض حرج .

ويعلو صوت «منصور» وهو يقول:

- حتى أنت يا «سالم» أنت مريض ومظهرك يدل على أنك في أكمل صحة وعافية فاحمد الله على هذه النعمة التي أسبغها عليك .

- عدنا إلى وعظك وإرشادك يا «منصور» على كل حال سأقطع الصيام بالأسفار .

- قطع الله لسانك .

- لقد أصبحت سليط اللسان وأخشى أنك أصبت بلوثة ورع وتقى . .

وينهض «منصور» وقد اشتد انفعاله وهو يقول:

- تقول إن بعقلي لوثة لأنني دعوتكما إلى أداء ركن من أركان الإسلام! إنني ذاهب ولن تريا وجهي بعد اليوم .

ويودعانه ضاحكين هازئين قائلين:

- مع السلامة نفعنا الله ببركاتك .

ويخرج «منصور» وهو يقول:

- ستعلمان لمن عقبى الدار أيها الفاسقان .

\* \* \*

ويصحو «سالم» في اليوم التالي على صوت والده يوقظه قائلاً:

- قم يا «سالم» فعمك «مصطفى» هاتفني بأنك وابنه «فايز» ستذهبان خارج البلد في مهمة رسمية تستغرق أسبوعاً واحداً فاذهب على عجل إليه ليخبرك بالبرنامج .

ويسرع «سالم» إلى عمه ليجد «فايز» هناك فيطلعهما على المهمة وبرنامجها وأن عليهما أن يعودا قبل حلول شهر الصوم المبارك .

ويشكر «سالم» عمه على هذه البشرية ويتساءل لم حددت المهمة بأسبوع واحد فمن يدري ربما تتطلب أكثر من ذلك .

ويجيبه عمه بأن الذين حددوا ذلك لم يوقتوه إلا وهم على علم بمتطلبات المهمة .

ويودعان عمهما وينصرفان .

ويعود «فايز» إلى داره فتسأله أخته «نادية»:

- أصحيح ما سمعت يا أخي من أنك و«سالم» ستذهبان في مهمة تستغرق أسبوعاً واحداً .

- من أخبرك بهذا؟

- والدة «سالم» .

- ولماذا تسألين بهذه اللفهة؟

- وهل في كلامي شيء من اللفهة؟

- إنني أمزح يا أختي، ولكن حتى لو كانت في نبرات صوتك بعض اللفهة

فإن الحق معك .

- عدنا لمزاحك يا «فايز» ما أفرغ فؤادك يا أخي . .  
- وما أشغل فؤادك يا أختي . . نعم «سالم» وأنا ذاهبان في مهمة أتريدان أن تهاتفيه .  
- وهل لديك مانع من ذلك؟  
لا . . . وبكل سرور خطيبة تسأل عن ابن عمها وخطيبها .  
أتريدان أن أنسحب . .  
- لا . لا . إبق فلا أسرار بيننا .

\* \* \*

ويعود «سالم» و«فايز» من سفرهما ويصلان إلى المطار وكانت المدافع تطلق إيذاناً بثبوت شهر الصوم، ويستقلان سيارة تاكسي، وفي الطريق إلى منزلهما كان السائق يسوق بسرعة وفي أحد المنعطفات انفجرت العجلة الأمامية فانقلبت السيارة وارتطمت بالرصيف وبأحد الأعمدة فمات السائق على الفور ووقع «سالم» و «فايز» على الأرض يتخبطان في دمائهما، وجاءت سيارة النجدة والإسعاف فنقلتهما إلى أقرب مستشفى مغمى عليهما وبوشر في إسعافهما فتبين أنهما أصيبا بجراح وكدمات غير خطيرة في عدة أماكن من جسديهما ووجهيهما وأفاقاً ليجدا عمهما و «منصور» أمامهما وقد حضرا للاطمئنان عليهما فيهنئاهما بالسلامة ويسأل «سالم» عن والديه فيخبره عمه أنهما بخير ولم يستطع إخبارهما إلا بعد أن اطمأنا إلى سلامتكما. ثم يلتفت إلى «منصور» ويقول له:

- هاتف والدي «سالم» وترفق في إخبارهما.

ويفعل «منصور» ويعود ليخبرهما أنهما قادمان ويخرج عمهما تاركاً «منصور» لديهما الذي يتدرهما قائلاً:

- الحمد لله كانت إصابتكما سليمة. لقد جاءكما الفرج كنتما ترغبان في قطع رمضان بالأسفار والآن أنتما مريضان معذورين إذا ما افطرتما ثم قضيتما فيما بعد.

ويقاطعه «سالم» قائلاً:

- سنصوم بمجرد أن يأذن لنا الطيب.

- ويعقب «فايز» على كلام «سالم» قائلاً:

- والله يا «منصور» لو صمنا الدهر ما قمنا بحق شكر نعمة السلامة التي أنعم الله بها علينا.

- إن فرحي بما أسمع لأعظم من فرحي بسلامتكما... الحمد لله..  
الحمد لله..

وتتهلل أساريهم جميعاً وهم يسمعون أحد القراء يتلو من إذاعة المملكة العربية السعودية:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ صدق الله العظيم (البقرة: ١٨٥).

## حكمة فتاة

كان «سليمان» والد «فريدة» فظاً غليظ القلب، حاد المزاج، يغضب لأتفه الأسباب، قاسياً في معاملته لزوجته وابنته لا يتورع عن ضرب ابنته بسبب أو بدون بسبب. وكان إذا دخل البيت ارتجفت أركانها، وارتجفت الزوجة والابنة من صوته الأَجش.

وفي يوم من الأيام دخل الدار ونادى ابنته ويظهر أنها لم تسمع فرفع عقيرته صارخاً:

- فريده.. فريده..

وتدخل فريده وهي ترتجف وتقول:

- نعم يا بابا...

ويتطلع إليها بعينين حمراوين ثم يقول بغلظة:

- تعالي.. يا بنت البومة.. يا وش النحس والشوم.. وشك زي وش أمك يقطع الخميره من البيت.. نشفت رريقي.. وأنا أزهم.. فريده.. فريده.. خذي يا ملعونة..

وينهال عليها ضرباً ولطماً فتركض وهي تبكي وتصرخ:

- ماما.. إلحقيني يا ماما..



وتسرع إليها والدتها «زينب» قائلة:

- مين ضربك يا روعي .. ضربه تكسر يدو.

- بابا يا ماما ...

- وضربك ليش .. سويتي حاجه ...

- لا يا ماما ...

- يعني أبوكي ضربك شطر بطر مو معقول ...

- احلف لك يا ماما إني ما عملت أي ذنب استحق عليه الضرب ...

إلا ...

- إلا ماذا .. قولي يا بنت ...

- إلا أني بتتك ...

وتغضب زينب وتحند وتقول:

- وهوه مستعر منك .. ليش .. أنا جايبك من الحاره وإلا بطريق الاستيراد

من بلاد الواق .. الواق ..

- لا يا ماما .. موزي ما تتصوري .. يمكن بابا زعلان من حاجه قام فش

خلقه في ...

- بس .. أنت قلت إن ذنبك هو لأنك ابنتي ..

- يمكن قلتها من حرّ الغضب وألم الضرب ...

وتضحك والدتها بتهكم ...

- لا .. لا .. أنا أعرف أن والدك يكرهني ولا يستبعد أن يكون سبني

ولعن سنسفيل جدودي.

- بابا يحبك يا ماما . . .
- يخى حبو برص . . .
- هل هذا جزاؤه على حبه لك . . .!؟
- إنك تحاولين التستر على أبوك . . أنت شايفك معاه ضدي . .
- ليش أوقف ضدك أو ضده . . ما أنتما إلا عينان في رأس واحد . . .
- أبوك خاين نيته غير صافية من جهتي . . .
- مسكين بابا يا ماما . . سوء الظن حرام . . .
- يخى حرمت عليه عيشته . . لن أتدخل في أمورك حتى لو شففته يكسر رقتك داهيه عليك وعليه . . .
- حرام عليك بابا نيتو صافيه زي اللبن . . .
- زي الزفت . . أبوكي ناوي يتجوز وحدة ثانيه . . حتى يخلف منها ولد لأنو يكره البنات . .
- أنت تهولي الأمر وتتصوري يا ماما أشياء مستحيلة . . .
- ما في شيء مستحيل عند أبوكي .
- ويأتي صوت «سليمان» مدوياً ثانية وهو يقول:  
فريده، فريده،  
وتلبي النداء مسرعة قائلة:  
- نعم يا بابا . . .
- إنزلي إن شاء الله نزلة صدرية وحمى شوكية . . .

وتسمع لعناته ودعاه «زينب» فتقول لنفسها:

- إن شاء الله حمى مالطيه في دماغه . . .

وتقاطعها فريدة قائلة:

- لماذا الدعاء يا ماما؟

- تقولين لماذا . . . وأبوكي يدعو عليك دعاء يقصف سعف النخل . . .

- يا ماما لا بد وأن باباً يشكو من سوء في حالته المادية حتى ارتفعت  
حرارة مزاجه، وزادت سلاطة لسانه . . .

من يومك يا زيبه وانتي بدي المصيبه . . .

- لازم يا ماما تحني رأسك للعاصفة وتسامحي والدي فهو بحاجة إلى  
حنانك وعطفك . . .

ويغضب «زينب» جوابها فتدفعها بيدها وتقول لها:

- قومي روعي لأبوكي قبل ما ياخذ روك . . .

«فريده» مسرعة فيبتدرها والدها قائلاً بغضب:

- كل مرة أناديكي فيها تتأخري . . . فين كنت . . .

- في الحمام يا بابا . . .

- وأمك فين هيه .

- في المطبخ .

- إن شاء الله بوتاجاز ينفجر في وشها . . .

- مشيئة الله يا بابا للخير وليست للشر . . .

- ربنا يخلصنا من أمك . . .
- وايش سوّت أمي حتى تدعو عليها؟ .
- ويحتد «سليمان» من جوابها فيقول وقد أمسك بخناقها:
- تدافعين عن أمك يا ملعونه . . وتتجرأين على الكلام أمامي . . هادي وقاحه لازم أربيك حتى لا تعودى إلى مثلها . . . خدي . . .
- وينهال عليها ضرباً ولطماً فتبكي وتصرخ فتهرع والدتها إليها وهي تقول:
- ايش سوّت لك البنت . . نازل فيها ضرب ولطم . . ما تخاف من ربك لك يوم يا ظالم أسود من شعر رأسك . . .
- وينفجر غاضباً صارخاً في وجهها:
- برّه . . برّه . . أخرجي من بيتي .
- وتجيبه «زينب» بكل هدوء:
- لن أخرج إلا على أسنة الحراب كما قال «ميرابو» خطيب الثورة الفرنسية . .
- ويضحك «سليمان» متهكماً:
- ما شاء الله . . ما شاء الله . . أمتي طلعت القصر . . .
- أمس العصر . . اسمع . .
- قولي يا وش المصايب . . .
- وتحتد عندئذ «زينب» وتجيبه:
- أنا ما اسمح لك تهينني . . إذا كنت ما تبغاني فالله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُعْنِ اللَّهُ كِلَا مِّنْ سَعْتِهِۦ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٣٠) . .

- أطلقك مستعد... .
- أنفضل.. . طلع الجوهرة من فمك الحلو.. .  
وتصرخ «فريدة»... .
- ماما.. . ماما بالله عليكى.. . روحي لبيت جدي.. . رحمة لي وإشفاقاً  
علي.. .
- حاضر.. . وإكراماً لعينيك يا روحي.. .  
ويقاطعها «سليمان» قائلاً:
- إن شاء الله تطلع روحك.. . برّه.. . يا الله برّه... .  
وتخرج «زينب» وهي تردد:
- لك يوم يا ظالم «وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».. .  
وتذهب «زينب» إلى دار أبيها الشيخ مصطفى حيث تراه في مكتبه وهو  
يتمتم:
- يا أرحم الراحمين ارحمنا وأنت خير الراحمين... .  
- ويقرع جرس تليفونه فيمسك بالسماعة ويقول:
- هلو.. . مين.. . فريده.. . صباح الخير يا بنتي... .
- صباح الخير يا جدي... .
- فين أمك... .  
وتجيبه والدموع تخنق عباراتها... .
- ماما خرجت من البيت... .

- ما لك تبكين .. ماما خرجت .. فين راحت ...
- في طريقها إليك ...
- ولكنها لم تصل حتى الآن ...
- لعلها وصلت ولكنها لم تشأ إزعاجك وأنت في مكتب عملك ...
- خير إن شاء الله .. ليش خرجت ...
- بابا ..
- طردها ولاّ طلقها؟ ...
- طردها يا جدي ...
- ريته طلقها .. هذا جزاء من يزوج بنته من دون أن يتقصى أحوال طالب الزواج وأخلاقه ..
- بابا يا جدي .. كان في ساعة غضب .. والشيطان دخل في النصّ والأمور ستتعدل بحكمتك يا جدي ..
- يا ريت ربنا أنعم على والدك بمثل ما أنعم عليك من عقل وحكمة .. وتقول بلهفة وفزع:
- جدي .. أسمع صرير الباب .. يمكن والدي جا .. مع السلامة ...
- ويدخل والدها والعنف يغلف كلامه حين يقول:
- إسمعي يا بنت .. لا مدرسة بعد اليوم .. فهمتي ...
- ليش يا أبويا .. هل أنا كسلانة ...
- أنا ما عندي بنات يروحوا للمدرسة ...
- وتجييه مستعطفة ومسترحمة ...

- باقي ثلاثة شهور على امتحان التوجيهي . . اسمح لي أدخلو وبعدين سأكون لك وللزوجة التي ستختارها بدلاً من أمي . . .
- لا لزوم للتوجيهي . . تنفك بإيش . . تبغي تكوني موظفة . . .
- لا يا بابا أبغي أكون متعلمة لا جاهلة . . .
- أنا قلت ما في مدرسة يعني ما في مدرسة . . .
- حرام عليك يا بابا حرمتني من أمي وتبغي اليوم تحرمني من دراستي . . ويحتد من جوابها ويقول:
- ما شاء الله لسانك أصبح أطول من لسان أمك بدو قص . . .
- وينهال عليها ضرباً ولطماً كالعادة فتبكي وتقول:
- اضرب يا بابا . . اضربني . . اشف غليلك لعلّ الله يلين قلبك علي . . أنا صابره . . صابره . . راضيه بقضاء الله وقدره .
- صبر حضرمي . . أنا رايح أوضتي . . أنام . .
- نوم العافيه يا بابا . . .
- ويذهب «سليمان» إلى غرفته وفي خلال ذلك يدق جرس التليفون فترد عليه فريده:
- ماما . . روحي يا ماما .
- حبييتي روحي . . كيف حالك . . .
- وتكتّم فريده عبراتها وهي تقول:
- بخير يا ماما . . بخير . . وأنتي .

- بخير جدك شايلني على أكف الراحة .. بس فكري وأحاسيسي محبوسة  
عندك ...

- كوني مطمئنة يا ماما .. ماما ..

وتقاطعها والدتها قائلة :

- بابا .. بو ينفخ كرشه .. اش بو ..

- ليش تقولي كذا يا ماما .. الحق على جدي لازم ينمي فيك فضيلة الصبر  
واحتمال المكاره ...

- صبرت كثير على أبوكي فكان جزائي الطرد ... من يدري يمكن أرسل  
ورقة طلاقي ..

- دوام الحال من المحال .. وكل شيء يتعدل ...

- إلا والدك فهو كما يقول الشاعر: وهل يستقيم الظل والعود أعوج ..

- هدئي أعصابك يا ماما .. ضعيتها في ثلاجة فالأبوة مهما قست في  
ظاهرها ففي الحنايا من شغاف أفئدتها حنين يبكتها على قسوتها .. وسيأتي  
اليوم الذي يتغلب فيه الحنان على القسوة والرحمة على الشدة ..

- والمدرسة .. ألا يزال أبوكي مصراً على منعك منها ..

- أجل يا ماما ...

- أبوكي يبغاكى تطلعي جاهله زي أمه وأخته ...

- ماما .. هوني عليك .. هي زوبعة في فنجان .. بابا .. إنسان عاقل  
واسع الاطلاع والمعرفة .. إنه يعلم علم اليقين أن عجلة الزمن لا تدور إلى  
الوراء .



- ما دمت مرتاحة يا بنتي فهذا كل ما أتمناه.. ربنا يهدي والدك..  
ويدخل والدها سليمان فجأة فتضطرب فريدة وتقول وهي ترتجف:  
- بابا... .

ويربت «سليمان» على كتف فريدة ويقول:

- سمعت كل شيء.. لا ترتجفي.. لا تخافي.. ففي شغاف قلبي حنان  
مبرح لك وندم شديد على ما فعلته مع أمك.. هات السماعة...  
- خذ.. .

- ثم تقول:

- ماما... .

- نعم يا بنتي.. جرى لك حاجة.. هل ضربك ابوكي... .

- لا.. يا ماما.. خدي.. أتكلمي مع بابا... .

- سامحيني يا زينب.. أنا ندمت على كل شيء.. وإني قادم إليك ومعني  
فريده.. الشفيح الذي لا ترد شفاعته... .

صوت صادر من مكان بعيد:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا  
لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾  
صدق الله العظيم (الروم: ٢١).

## النظرية الموسيقية عند العرب القدماء

ما هي الحقائق المختصة بنظرية الموسيقى العربية؟

تقول الأنسة (Schlesinger) إن علم الموسيقى الذي تطور على أيدي كتّاب العرب تطوراً عظيماً - يُعزى اقتباسه من الفرس الذين غلبهم العرب إلى أمر النبي، وإذا أردنا زيادة في التدقيق قلنا إنه أخذ من اليونان<sup>(١)</sup>.

ولتسمح لي الأنسة أن أقول بصراحة إنه لا مبرر للرأي القائل إن النبي أمر بشيء كهذا. والحقيقة - كما يعرفها المستشرقون - هي أن الغناء في الإسلام كان ولا يزال معدوداً من الملاهي المحرمة، وأن كل فرقة من المذاهب الأربعة قررت حرمة السماع، أو على الأقل جعلته غير لائق دينياً، وقد كتبت مئات من الرسائل في أحاديث النبي عن تحريم الغناء<sup>(٢)</sup>.

لم تنشأ الثقافة العربية ولا الحضارة البدوية مع البدو الرحل أو الإسلام - كما افترضت الأنسة Schelesinger وإنما تجد منذ أوائل العصر الألفي الثاني قبل الميلاد أخباراً عن مملكة عرب الجنوب، حيث نتلمس حضارة زاهية تضاهي ثقافة البابليين والآشوريين، وفي الحقيقة أن اليونان مدينون ثقافة

Arabian Musical Influence p. 48. (١)

Arabian Musical Influence p. 48. (٢)

للعرب، ويعتقد «همّل» وآخرون أن من المرجح أن يكون اليونان قد أخذوا عن عرب الجنوب لا «أبولو» «وليتو Lets» و «ديونيسوس Dianoyos» «وهرمس Hermes» فحسب، بل «الفاء» و «السين» من حروف الهجاء<sup>(١)</sup> أيضاً.

وقبل الإسلام بزمان طويل نقرأ في ثنايا الكتب عن الكفاية الموسيقية عند العرب القدماء، ومن الإجحاف أن ندعي أنه لم تكن عندهم نظرية موسيقية إذا واجهنا أو قابلنا بين ما نعرفه من الثقافة العامة عند الكلدان والمعنيين والسبئيين والنبطيين والتدمريين، وبين من جاء بعدهم من اللخمييين والغساسنة.

وتتبع الآنسة (Schelsinger) المدرّسة القديمة القائلة - قبل قرن أو أكثر - إن العرب لم تكن عندهم نظرية موسيقية غير ما اقتبسوه من الفرس أو اليونان، وتسترسل في القول إن كلا الشعبين (اليونان والفرس) كانت لهما نظم موسيقية خاصة بهما، ولم يكن عند العرب حتى هذا الوقت نظام يستطيعون أن يجعلوه نظرية. ولدينا عبارة مماثلة لهذا القول في كتابها «رسل أسرة الكمنجة» (ص ٣٩٧ - ٣٩٨) إذ تقول: «افتتح العرب فارس في القرن السادس، ومن سجلاتهم نقرأ أنهم وجدوا نظام الفرس الموسيقي أرقى بكثير من نظامهم، فاقتبسوه ودرسوه درساً عميقاً على أساتذة وطنيين»<sup>(٢)</sup>.

أما الحقيقة فهي أن العرب افتتحوا فارس في القرن السابع، وكان لهم نظام صيروه نظرية قبيل فتح فارس.

ونجد المغنين العرب من حين إلى آخر يفاخرون بالتقاليد الموسيقية التي

(١) Encyclopadia of Islam I. P, 380.

(٢) Arab. Mus. Inf. P. 50.

تحدرت إليهم من عصور الجاهلية مثل المغنية الجاهلية «رائقة» معلمة «عزة الميلاء»<sup>(١)</sup>. وكان العرب في هذه الحقبة التي ظن فيها حدوث هذه العارية الأجنبية حذرين من أي تعد على ذلك الشيء المقدس وهو القومية العربية. وهل يتساهل العرب في دخول الطرق والعادات الأجنبية بهذا القدر وكل كلمة من عمر تدعو إلى الجامعة العربية<sup>(٢)</sup>؟

ولئن قلنا إن العرب لم يكن عندهم نظام موسيقي في هذا الوقت (أي وقت فتح فارس) لبينوا عليه نظرية لا تتفق مع الحقيقة، فلدينا شواهد كثيرة على وجود موسيقى وغناء في عصور الجاهلية، ويكاد يكون مستحيلاً أن نتصور هؤلاء القوم الذين كانت الموسيقى لهم من الحاجات الضرورية، والذين استطاعوا تهذيب أشعارهم كما نراها في المعلقات والحماسة والمفضليات، غير قادرين على تنظيم غنائهم<sup>(٣)</sup>.

ومن حسن الحظ أن حفظ لنا الفارابي مطولات عن نظام جاهلي في سلم الطنبور البغدادي كان يتوصل إليه بتقسيم طول الوتر إلى أربعين قسماً؛ ويرجح أن عرب الجزيرة ورثوا هذا السلم (Scale) عن الكلدان الذين ورثوه عن الآشوريين والبابليين، وحينما حل محله النغم الفيثاغوري في الشرق الأدنى المثقف وفارس كما حل بين عرب سوريا والحيرة، عاش هذا الطنبور في أرجاء الحجاز واليمن القاصية ووجد له عشاقاً حتى القرن العاشر بعد الميلاد.

كانت الحيرة في أيام الجاهلية المركز الأعظم للأدب العربية، ومنها انتشر الشعر في أنحاء شبه الجزيرة. وبما أننا نعلم الصلة الشديدة بين الشعر

(١) أغاني ج ١٦ ص ١٣.

(٢) جرجي زيدان التمدن ج ٤ ص ٣٢.

(٣) Arab.Mus. Inf. P. 51.

والموسيقى، فمن الممكن أن نتصور أن الموسيقى نفقت سوقها كالشعر، وفي الحقيقة يجب أن تكون الحيرة على ثقافة موسيقية عالية متى علمنا أن ملك الفرس العظيم بهرام غور (٤٣٠ - ٤٣٨ م) أرسل إلى بلاط اللخمييين العرب في تلك المدينة ليتثقف، وهناك تعلم الموسيقى بين الآداب العربية الأخرى<sup>(١)</sup>. وكان هذا قبل أن يتغلب العرب على الفرس. ولربما سأل سائل: ما الذي اضطر يزيدجرد الأول والفرس إلى إرسال الأمير الصغير إلى شعب ليس له أسلوب خاص فني فيطلعه عليه (كما تقول الأنسة (Schelesinger)) ومن المستغرب أيضاً أن فارس وهي النبع المشهور للنظام الموسيقي العربي تفتقر تحت حكم بهرام غور إلى مغنين محترفين يُرسلون إليها من الخارج<sup>(٢)</sup>.

ويضع الطبري بين سقطات النعمان الثالث (٥٨٠ - ٦٠٢ م) آخر ملوك اللخمييين ميله للغناء. ومن الحيرة اقتبس العرب حوالى آخر القرن السادس الميلادي ذلك الغناء الذي حل محله «النصب» والعود والمزهر<sup>(٣)</sup>.

أما أن العرب كان لهم نظام موسيقي محلي، فيثبت جلياً بحجج عديدة. وأما أن يكون هذا النظام قد تأثر بنظريات الفرس والبيزنطيين وفي ما بعد بالأصول اليونانية القديمة فرأي يسهل قبوله؛ كذلك لا ينكر أن الفرس والبيزنطيين تأثروا جميعاً بالنظرية الموسيقية العربية (ولو كانت التسمية مرشداً لقلنا إن النظرية الفارسية مبنية بالكلية على الأصول العربية)<sup>(٤)</sup>.

كان التأثير الأجنبي على الموسيقى العربية سطحياً ولم يكن له في البدء أثر على النظرية. قرأنا عن المغنين المتقدمين أمثال طويس وسائب خائر اللذين

(١) الطبري ج ١ ص ١٨٥.

(٢) Arab. Mus. Inf. p. 52.

(٣) المسعودي ج ٨ ص ٩٤.

(٤) أغاني ج ١ ص ١٥١.

قلدا أسلوب الفرس في الغناء وفي الوقت نفسه وجدنا مغنياً فارسياً كنشيط يدرس أسلوب العرب في الغناء. ليس هنالك تعقيد نظري وجل ما هناك هو اقتباس شعب من آخر شكلاً خاصاً أو أسلوباً غنائياً.

على أن تبعة الظن بوجود صبغة موسيقية أجنبية تلقى على ابن خلدون الذي يقول في مقدمته: إن اتصال المغنين من الفرس والروم بالحجاز ولعبهم على العود والطنبور والبربط والمعزف والمزمار قاد العرب إلى اقتباس ألحان الفرس والروم في أشعارهم<sup>(١)</sup>.

هذا القول لا يتفق مع أقوال المؤرخين الأول كابن عبد ربه والأصفهاني والمسعودي أولاً: لأن هذه الرواية تضلل الناس وتجعلهم يعززون بغير حق الفخر للفرس والبيزنطيين بإدخال هذه الآلات المذكورة إلى البلاد العربية. وفي الواقع أنها كانت عند العرب من قبل<sup>(٢)</sup>. ثانياً: لم يذكر كتاب الأغاني وهو أعظم مصدر لأخبار الغناء عند العرب مغنياً رومياً واحداً. وإذا استثنينا نشيطاً فمن المرجح أن كل من يدعون بالمغنين الفرس ولدوا بالجزيرة أو تثقفوا فيها.

والحقيقة أن المغنين البارزين الذين أتوا من غير الحجاز في هذا الزمن أربعة: نشيط الفارسي، وأبو كامل الغزيرل الدمشقي، وابن الطنبورة اليميني، وحنين الحيري؛ ولهذا نرى أن أي تأثير خارجي في الموسيقى العربية حتى بالطريقة العرضية التي ألمعنا إليها أتى على أيد عربية.

لم يقرر المؤرخون نهائياً ولا في موضع ما ما اقتبس العرب من الفرس والبيزنطيين في قضية النظرية. دعونا قبل كل شيء نحرر أذهاننا من الظن بأن

(١) ابن خلدون ج ٢ ص ٣٦٠.

(٢) مسعودي ج ٨ ص ٨٩... الحماسة ج ١ ص ٥٠٢، الطبري ج ١ ص ٣٠٧، الأغاني ج ٢ ص ١٧٢.

العرب أقروا بأن الفرس كان لهم نظام موسيقي أرقى بكثير من نظامهم. ثم في ما يتعلق بالرسائل، فإن أقدم كتاب فارسي في الغناء مؤلف في القرن الثاني عشر الميلادي. ولكن عندنا رسائل في الموسيقى العربية يرجع تاريخها إلى القرن التاسع (الكندي توفي سنة ٨٧٤م): ولدينا دليل على تأليف مصنفة في القرن الثامن (يونس الكاتب توفي سنة ٧٦٠م والخليل بن أحمد توفي سنة ٧٩١)<sup>(١)</sup>.

وفي الحقيقة أن كل ما نعرفه عن الموسيقى الفارسية الأولى أتى من مصادر عربية، والمرجع الوحيد الذي يعالج هذه القضية بتوسع هو المسعودي (توفي سنة ٩٥٦م) فهو يقول - مستشهداً بقول ابن خرداذبة (القرن التاسع) وهو كاتب متقدم - «اخترع الفرس النغم والتوقيعات والمقاطع (Soesusae) والطرق الملوكية (Royal melodies)<sup>(٢)</sup> ولكي نقدر تماماً قيمة هذه الفقرة، علينا أن نتذكر أن الغناء كان محرماً عند المسلمين وأن المؤرخين لم يكونوا مهتمين بالتماس عذر لمن يتجاوز مصدراً محلياً لشيء «منكر» كالغناء كما يطلق عليه المتشرعون من المسلمين<sup>(٣)</sup>».

ويجب ألا ننسى أن عصر الأمويين عصر ساد فيه الشعور القومي فعُظمت فيه المثل الوثنية العربية وهذبت أكثر التأثيرات الأجنبية في الموسيقى العربية، وقد أشار إليها «لاند (Land) بقوله: «ما استورده العرب من الفرس والرومان لم يحل محل الموسيقى الوطنية بل طعم على جذر عربي وبقي له شكله الخاص»<sup>(٤)</sup>.

(١) Arab. Mus. Inf. P. 55.

(٢) مسعودي ج ٨ ص ٩٠.

(٣) Arab. Mus. Inf. P. 55.

(٤) Arab. Mus. Inf. P. 57.

ما أخذ العرب من الفرس لا يمكن التأكد منه بالضبط، وجل ما نعرفه أن الفائدة التي نشأت من الاحتكاك الفارسي هي من جهة الآلات الموسيقية. فمثلاً كلمة «دستان Fret» فارسية استعملها العرب لمواضع الإصبع على لوحة رأس العود الخشبية أو الطنبور<sup>(١)</sup>. ومن المؤكد أن العرب لم يأخذوا السلم الفارسي. لأننا نجد أنهم انتقدوا لاستعمالهم الأنغام الفارسية التي كانت متمثلة في سلم الطنبور الخراساني<sup>(٢)</sup>، فأدخل «زلزل» أحد المغنين في عصر العباسيين، شكلاً جديداً من العود حل محل العود الفارسي وسمي هذا العود بعود «الشبّوط Perfect Lute»<sup>(٣)</sup>.

أما الخطة التي سار عليها البيزنطيون في قضية النظرية الموسيقية، فليس لنا بها علم، فمنذ القرن الرابع حتى القرن الحادي عشر الميلادي - وهو يشمل القسم الأكبر من عهد البيزنطيين - لم تصلنا مؤلفات بيزنطية. ومن المرجح أنه لم يكتب شيء بالنظر إلى الحالات الثقافية التي نعرفها، ومن المؤكد أن اللاتينيين «امدوا Cop ella» و (mertianus) و (Bottius) و (Cassio dorus) في القرنين الخامس والسادس، ولكنهم لم يدونوا نظرية معاصريهم، كلا ولا خبرة اللاتين، لأن تأليفهم عبارة عن مجموعات للمشتغلين بالأمر النظرية من اليونان القدماء. أما الشيء القليل الذي نعرفه في هذه الحقبة عن نظرية البيزنطيين ومزاوتهم للموسيقى، فقد أتى إلينا من مصادر عربية وسريانية.

ليس لدينا رسائل بيزنطية أو فارسية تثبت وجود الموسيقى حتى القرنين الحادي عشر والثاني عشر تقريباً. ولكن حق للعرب أن يفاخروا بعشرات من الرسائل القديمة. ويجب علينا قبل كل شيء أن نكون حذرين في قبول

(١) Hist. Of Arab. Music p. 7.

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ١٩٠.

(٣) Hist of Arab. Music p. 108.



الروايات المختصة بما اقتبس العرب من الفرس والبيزنطيين. أما أن يتسرب شيء من التأثير من هذين المصدرين فمن الممكن تجويزه<sup>(١)</sup>.

وأول خبر لدينا عن تأثير فارسي وبيزنطي محدود في الموسيقى العربية، هو ما ذكره الأغاني عند كلامه على ابن مسجح الذي يعزى إليه إدخال الأنغام الموسيقية الأجنبية على الفن المحلي.

يقول صاحب الأغاني: «وفي سورية تعلم ابن مسجح الألحان الرومية وتلقى إرشادات الباربطية (Barbition playus) والأسطوخسية. وبعد ذلك انقلب إلى فارس فأخذ بها غناء كثيراً وتعلم الضرب (accompaniment) ثم رجع إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم وحذف منها ما استقبحه من النبرات والنغم والتي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب<sup>(٢)</sup>.

فما اقتبسه العرب في ما بعد من البيزنطيين والفرس، لا يمكننا إثباته بالتحقيق، ومن المحتمل أن النظامين المعروفين «بالمجربين Two Courses» كانا من أصل بيزنطي أو لعلهما عرفا بين تعاليم الساميين<sup>(٣)</sup> أما الأصول العامة للأسطوخسية البيزنطية فلم يأخذها العرب، وإذا كان هنالك شيء فهو قليل لأن مخطوطة الكندي التي ألمعنا إليها قبلاً تقول إن مبادئ الأسطوخسية الرومية تختلف عن المبادئ العربية<sup>(٤)</sup>.

أما مسألة الإيقاع والقيم القياسية، فنحن نعلم أن العرب كان لهم نظام منذ

(١) Arab. Music. Inf. P. 56 - 57.

(٢) الأغاني ج ٣ . ٨٤.

(٣) Hist of Arab Music p. 71.

(٤) Berlin MS 5530 fol. 30.

أوائل القرن السابع الميلادي<sup>(١)</sup> فقد كتب الخليل ابن أحمد «كتاب الإيقاع» في القرن الثامن<sup>(٢)</sup>. ونجد في القرن التاسع نظاماً يصفه الكندي جيداً بقوله «وهنا لدينا قسم موحد من الموسيقى العربية، نظامه - كما يظهر - تطور وفقاً لنظام محلي»<sup>(٣)</sup> وقد اقتبس الفرس توقيعاتهم وقوافيهم من العرب<sup>(٤)</sup>.

ولقد غير إسحاق الموصلي (٧٦٧ - ٨٥٠) شكل النظرية العربية القديمة في وقت ترجمت فيه النظريات اليونانية القديمة إلى العربية، ولكن هذا التغيير حدث بدون الاستعانة بكتاب اليونان. يقول صاحب الأغاني: «كان إسحاق أول من ضبط الألحان والتوقيعات وقسمها بطريقة لم تعرف من قبل، وكان العالم المتقدم يونس الكاتب المتوفى سنة ٧٦٠ قد أشار إليها. ويقال إن إسحاق توصل في عمله إلى نتائج أقليدس والأوائل الذين كتبوا عن علم الموسيقى، ولكنه توصل إلى هذه النتائج بتجاربه الخاصة المنفردة بدون معرفة كتاب واحد من كتب الأوائل»<sup>(٥)</sup> أما أن إسحاق لم يعرف شيئاً عن المشتغلين بالنظريات من اليونان القدماء، فمثبت في فقرة أخرى<sup>(٦)</sup>. وكان نظام إسحاق شائعاً في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الميلادي. وقد وضح هذه العبارة بجلاء تام صاحب الأغاني<sup>(٧)</sup> ويحيى بن علي الذي ميز هذا النظام من نظام اليونان<sup>(٨)</sup>.

(١) أغاني ج ٢ ص ١٧٠، ج ١٦ ص ١٣.

(٢) الفهرست ص ٤٣.

(٣) Arab. Mus. Inf. P. 58.

(٤) Browne, Litt. Hist. Of presia p. 12.

(٥) أغاني ٥ ص ٥٢ . ٥٣.

(٦) أغاني ج ٥ ص ٥٣.

(٧) أغاني ج ١ ص ٢.

(٨) Arab. Music. Inf. P. 59.

فاستنادنا إلى ما فصله الكندي وغيره من الكتاب كصاحب الأغاني في تعريفه النظام العربي القديم قبيل زمن الشراح (Scholiasts) اليونان كافٍ لأن يثبت لنا أن هذا النظام كان يختلف عن نظام فارس والروم واليونان.

أما في تاريخ الأنغام (modes)، ففي استطاعتنا معرفة ما اقتبسه العرب من فارس وبيزنطة.

كان لدى الهنود - على رأي «راميانا - Ramyana» سبعة (Jtis) وهي أشبه بالرقص (Rgrs)<sup>(١)</sup>. ويقول أمين «كان للفارس سبعة أنغام إلا أنها في أيام خسرو إبرويز (٥٩٠ - ٦٢٨) أصبحت اثني عشر نغماً»<sup>(٢)</sup>. ويسجل «بار هبروس السرياني» هذه الاثني عشر لحناً للفارس. ومع أن بعضاً منها قلده العرب على أصله أو بتحريف قليل في ما بعد، نتذكر أيضاً أن العرب استعملوا أنغامهم الوطنية زمناً طويلاً قبل هذا التقليد.

ففي القرن الثامن الميلادي ألف يونس الكاتب (توفي سنة ٧٦٠م) والخليل بن أحمد (توفي سنة ٧٩١م) كتاب النغم. ونقرأ في كتاب الأغاني (كتب في القرن العاشر) عن ثمانين نغمات لم توضع لها أسماء خيالية كما هي في الفارسية واليونانية، وإنما هي أسماء بعد أصابع. وكان للسريان أيضاً «آحادهم Ikhadias» ومثلهم اليهود، ولكنها (أي الأنغام) لم تكن كالأنغام اليونانية، وهي حالة يجب أن ننعم النظر فيها. أما النغمات العربية والفارسية والبيزنطية في القرن التاسع فكانت مختلفة، كما ثبت في الرسالة المنسوبة للكندي<sup>(٣)</sup> التي أشرت إليها قبلاً. ويظهر جلياً أن للنظام الأساسي لكل من هذه الشعوب

(١) Popley (Music of India), p. 10.

(٢) Jones, Sir W., (Music of Hindustan), p. 63.

(٣) Arab. Music. Inf p. 60.

مزية هامة<sup>(١)</sup>. يقول إخوان الصفا: «... إذا تأملت فلكل أمة من الناس ألحان ونغمات يستلذونها ويفرحون بها ولا يستلذها غيرهم ولا يفرح بها سواهم مثل غناء الديلم والأترک والعرب والأكراد والأرمن والزنج والفرس والروم وغيرهم من الأمم المختلفة الألسن والطباع والعادات»<sup>(٢)</sup>.

وقد نجد في تأثير النظام العربي القديم على أوروبا الغربية ما يدعم قولي ويزيده إيضاحاً. على أني لم أهيبء العدة تماماً للإعراب عن هذا التأثير. فإني أجتزئء باليسير من آراء كتاب غربيين عن هذا التأثير:

«مما لا ريب فيه أن أوروبا الغربية شعرت على العموم بتيار الثقافة العربية من جراء الاحتكاك السياسي Political Contact وأرى أن الموسيقى الأوروبية تأثرت في هذه الناحية بتجوال المطرب العربي أو المغربي.

كان أكثر ما اقتبسه الغرب من الشرق في هذه الناحية هو الآلات، قال «كارانجل Car Ingal»: «لما أتى العرب أوروبا في ابتداء القرن الثامن كانوا أكثر تقدماً من الشعوب الأوروبية في الثقافة الموسيقية، أو على الأقل في تركيب الآلات الموسيقية. وهكذا لا يسعنا إلا تقدير تأثيرهم الموسيقي الرائع»<sup>(٣)</sup>.

وهم كما يقول «فارمر Farmer» أول من أتحنفونا بوصف علمي حقيقي للآلات الموسيقية... «وما كان لدينا من نظم في تعليم الآلات في العصور الوسطى فمقتبس من العربية». وتسلم الآنسة (Schelesinger) أن للعرب فضلاً على أوروبا في العصور الوسطى في مسألة الآلات الموسيقية، ولكنها تنكر أن

(١) أغاني ج ٥ ص ٥٧.

(٢) إخوان الصفا ١ ص ٩٢ . ٩٣.

(٣) Early Hist of the Vialin Family p 79.

أوروبا - أخذت أي نظرية منهم، وهذا القول يتجاهل تأثير نقطتي الاحتكاك الثقافي العربي وهما:

(١) الاحتكاك السياسي الذي ابتداءً في القرن الثامن وانتشر في الخارج خصوصاً على أيدي العازفين.

(٢) الاحتكاك الفكري الأدبي الذي ابتدأه العقليون Intellectuals<sup>(١)</sup>.

إذاً يمكنني أن أستنتج - استناداً على ما أدليت من الحجج - أن العرب كان لهم نظام موسيقي قديم يختلف عن نظام الفرس والروم واليونان القدماء، وأن القائلين بنسبة هذا النظام الموسيقي العربي إلى فارس وغيرها، جديرون بالعدول عن أقوالهم أمام هذه البراهين؟

## المؤتمر الثاني للدول غير المنحازة وهل يحقق السلام العالمي؟

كتب جان جاك روسو في كتابه عن التعليم المسمى «إميل» يقول: أن خير طريقة تعلم بها «إميل» ألا يتدلى من النافذة هي أن تدعه يسقط منها. لكن عيب هذه الطريقة للأسف هو أن «إميل» قد لا يعمر حتى يستفيد من تجاربه».

ولقد سلك العالم في ممارسته العلاقات الدولية، طوال عصور التاريخ قديمة وحديثة، طريقاً أشبه بعملية السقوط من النافذة فكانت الإصابات شديدة وبالغة ولكنها - ربما لحسن الحظ - لم تكن مميتة أو قاتلة. وأخشى ما يخشاه المراقبون حدوث سقطة جديدة تكون فيها نهاية العالم. ولذلك فهم يهيئون بالدول المحبة للسلام أن تستضيء بما مر من تجارب في رسم سياسة سلام دائم.

ومما يشجع دعاة هذه السياسة ويبعث على تفاؤلهم ظروف وعبر تعلموا منها أن القضايا والمسائل التي بدت، خلال سنوات طويلة، بعيدة المنال مستصعبة الحل أسلست قيادها أخيراً بفضل الجهود المخلصة والصبر والمثابرة.

إن شبح القنبلة الهيدروجينية وأسلحة الفناء، والتدمير التي تطالعا بها أجهزة أعلام صانعيها قد خلفت في نفوس الناس وعياً وإدراكاً سليماً لمعنى المصير المحتوم أو فناء الخلق (جميعاً).

فهل للمؤتمرين في الخامس من شهر أكتوبر أن يبنوا من هذا الوعي الشامل صرحاً للسلام العالمي ثابت الدعائم مشمخر البنيان؟

### عصر المفاجآت :

لعلّ أبرز ما يتميز به عصرنا الحاضر هو المفاجآت في كل شيء تقريباً، فمن ضروب هذه المفاجآت استرجال المرأة ومنافستها للرجل حتى في البطولة العضلية. لقد شاهدت في جولتي الأخيرة بأوروبا هذه الناحية بأجلى مظاهرها فترحمت على شاعرنا الذي قال :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذبول  
وقلت في نفسي لو كان الشاعر إياه حياً ورأى شباب (الخنافس)  
يتمشكحون في شوارع برلين ولندن وتهافت الناس على رؤيتهم لقال : كتب  
علينا جر الذبول ولبس الأساور ووضع القلائد التي تنتهي بقلب ذهبي على  
أعناقنا وقص شعرنا بشكل مثير أو وضع باروكة (شعر مستعار) إذا كان شعرنا  
من النوع الذي لا يتناسب مع موضحة شعر الخنافس بالإضافة إلى نتف  
الحواجب ووضع روج خفيف غير ظاهر تماماً على الشفاه.

ولعلّ أقبح ما رأيت من استرجال المرأة إدمانها على التدخين بشكل  
فظيع. إن موضحة التدخين منتشرة بين صغار الفتيات أكثر من كبارهن. لقد  
رأيت في لندن فتاة لما تتجاوز الثانية عشرة من العمر شعرها مصفوف أو  
مصفوف على موضحة الخنافس ووجهها ما ترك نوعاً من المساحيق إلاّ  
استعمله، وسيجارة تلتصق بين إصبعيها وحذاء بكعب عالٍ يضم رجليها،  
وهي تتمخطر تستعرض ما على واجهات المخازن في (البيكادلي) وسحابة من

الدخان تظللها فتطلعت وزوجي إليها وقلنا لا حول ولا قوة إلا بالله .

### المرأة بين الصبا والشيخوخة :

اللغة البرتغالية لغة لا نزال هنا نعرف النزر اليسير عن آدابها . وفي الصورة الأدبية التالية ما يدل على أن هذه اللغة قادرة على تكييف العواطف بشكل فيه دقة الوصف وصدق التعبير . وقد اخترت (تابلوها) حياً عن «المرأة بين الصبا والشيخوخة» .

المرأة: في السنة العاشرة من عمرها شرنقة تنتظر نور الحب لتتحول إلى فراشة جميلة .

المرأة: في الثالثة عشرة قصيدة شعرية لم تكتمل قوافيها بعد .

المرأة: في الرابعة عشرة لحن قيثاره لم تنظم أوتارها .

المرأة: في السادسة عشرة تمثال السيدة يطلب قلباً يقيم له فيه مذبحاً .

المرأة: في السابعة عشرة صندوق مففل على جواهر ثمينة .

المرأة: في الثامنة عشرة ليلة من ليالي الخريف تنيرها النجوم المشعشة .

المرأة: في التاسعة عشرة مساء تفوح فيه الروائح الذكية فتعطر القلوب .

المرأة: في العشرين قصيدة من أرق الأشعار .

المرأة: في الحادية والعشرين كوكب الزهرة يبكي عند شرفة جوليت .

المرأة: في الثانية والعشرين دمعة تبلل ضريح البكارة .

المرأة: في الثالثة والعشرين أشعة مغضضة .

المرأة: في الرابعة والعشرين رقاص متدلي بين الريبة والأمل .

المرأة: في الخامسة والعشرين غناء مطرب في الليالي المقمرة ولكن قل

من يصغي إليه .



- المرأة: في السادسة والعشرين آخر طبعة من رواية كان لها شهرة عظيمة.
- المرأة: في السابعة والعشرين منديل لا يزال عليه أثر من الروائح العطرية.
- المرأة: في الثامنة والعشرين نجمة الصبح يكاد يطفىء نورها بزوغ الفجر.
- المرأة: في التاسعة والعشرين شمس تغطيها غمامة رقيقة.
- المرأة: في الثلاثين العصر يلبس ثوب المساء.
- المرأة: في الحادية والثلاثين مساء يدخل في الليل.
- المرأة: في الثانية والثلاثين رباية بدأت أوتارها تتقطع.
- المرأة: في الرابعة والثلاثين سرير الأطفال.
- المرأة: في الخامسة والثلاثين باقة من الزهور الطبيعية مضى عليها ثلاثة أيام.
- المرأة: في الحادية والأربعين عقرب يدل على كل شيء.
- المرأة: في الثانية والأربعين عش تركته العصافير.
- المرأة: في الثالثة والأربعين الثقالة بكل معناها.
- المرأة: في الرابعة والأربعين علامة تعجب لكل ما يقع تحت نظرها.
- المرأة: في الخامسة والأربعين نواصة لم يعد فيها زيت.
- المرأة: في السادسة والأربعين نخلة آيلة للسقوط.
- المرأة: في السابعة والأربعين تابوت وضعت فيه المسرات.
- المرأة: في الثامنة والأربعين خيال يمثل الماضي.
- المرأة: في التاسعة والأربعين خيال يمثل الماضي.
- المرأة: في الخمسين قبر دفنت فيه الآمال.

## بعد المعركة : للشاعر الفرنسي فيكتور هيجو :

كان أبي ذلك البطل الحلو الابتسام .

يرود على جواده، مساء موقعه، الميدان وقد غطته جثث القتلى وخيم عليه اللّيل . وكان يتبعه جندي واحد محبوب إليه بين سائر الجند لعظيم بسالته وطول قامته .

خيل لأبي في الغسق أنه يسمع أنة ضعيفة .

ذلك أن إسبانياني الجيش المنهزم .

كان يزحف على حافة الطريق .

مكفهر الوجه، منسحق الأعضاء .

يتدفق الدم من جراحه، والنزع آخذ منه حتى كاد يلفظ النفس الأخير .

وهو يقول : اسقوني ! اسقوني !

فتأثر أبي وناول جنديه الأمين .

زمزمية ماء كانت مدلاة إلى سرج حصانه،

وقال له : خذ واسق هذا الجريح المسكين .

وفيما الجندي منحن ينعطف على الرجل الظاهر أنه إسباني،

وإذا بهذا قبض على طبنجة كانت لا تزال في يده،

وسددها إلى جبين أبي صارخاً : مت .

كاد الطلق يصيب المرمى،

فأطار قبعته وأجفل الجواد إلى الورااء .

وإذا بأبي يقول : أسقه، أسقه أيضاً .

والله أعلم :

## لماذا توضع الأزرار على أطراف أكمام ثياب الرجل؟

لأن فردريك الكبير ملك بروسيا كان مولعاً بالزينة وحسن البزة. فرأى جنوده يمسحون وجوههم بأكمامهم فكره منهم تلك العادة وأمر أن توضع أزرار على الجهة العليا من الأكمام حتى لا يستطيع الجندي أن يمسح وجهه بكم ثوبه. ثم تلاشت العادة القديمة رويداً ونقلت الأزرار إلى القسم الأسفل حتى لا تبقى ظاهرة.

## لماذا يدور الكلب مراراً قبل أن يضطجع على الأرض؟

لأن الكلب لما كان في حالته الوحشية الأولى كان يعيش في الغابات والأدغال كالذئب والثعلب فكان يدور مراراً ليمهد الأوراق والنبات ويبعدها عن جسمه حتى يستطيع أن ينام في مكان منبسط ولا تزال هذه العادة غريزية فيه حتى الآن.

## لماذا يصفح أحدنا الآخر باليد اليمنى؟

لأن العداوة في الزمن القديم كانت عامة فكان على كل إنسان أن يحمل سلاحه، وكانوا يعلقون سيوفهم أو خناجرهم على الجانب الأيسر، من تجريدها حالاً باليد اليمنى ساعة الخطر. فمتى أراد أحدهم ولاءه وصدافته مد إلى مصافحه يمناه. فإذا كان الآخر صافحه باليمنى أيضاً وذلك دليل على السلام بينهما لأن يد الواحد اليمنى في يد الآخر اليمنى فلا يمكنهما تجريد السيوف.

## للترفيه:

كان غني يعظ شحاذاً فقال له:

- ألا تعلم أن السعادة تطرق باب كل إنسان يا عزيزي؟

- نعم، وقد طرقت بابي حين كنت غائباً فاغتازت وصارت تبعث إلي  
بابتها كل يوم..

- ابنتها؟ من تعني؟

- أعني التعاسة.

الأب: هل تعلم ماذا يحل بالأولاد الكذابين يا بني؟

الابن: نعم. متى كبروا تستخدمهم المحلات التجارية لإقناع الزبائن بجودة  
البضاعة.

عاد رجل إلى منزله وأنبأ زوجته أنه راهن في السباق على فرس تدعى «  
الفاتنة» فريح.

وفي اليوم التالي عنَّ له أن يعود إلى السباق ولكنه نسي اسم الفرس،  
فسأل زوجته إن كانت تتذكر الاسم الذي قاله. فابتسمت وقالت:

- انظر إلي فلا بد أن تتذكر.

فنظر وفكر ولكن دون جدوى وأخيراً ضاق ذرعه وقال:

- تباً له من اسم قبيح.

## زيارات وتقارير جمهورية مالا جاسي<sup>(١)</sup> (مدغشقر)

### أولاً - لمحة جغرافية تاريخية :

تبلغ مساحة جزيرة مدغشقر (٢٢٨,٠٠٠) مئتين وثمانية وعشرين ألف ميل مربع وعدد سكانها سبعة ملايين. وعاصمتها تناناريف وعملتها الفرنك الملاجاسي والدولار المريكبي الواحد يساوي (٧,٢٢٧) مئتين وسبعة وعشرين وسبعة من عشرة من الفرنك الملاجاسي. وتقع جزيرة مالا جاسي على الساحل الجنوبي الشرقي من إفريقية ويفصلها عنها مضيق موزمبيق البالغ عرضه (٢٤٠) مئتان وأربعون ميلاً. وحلول الجزيرة (٩٨٠) تسعمائة وثمانون ميلاً وعرضها (٣٦٠) ثلاثمائة وستون ميلاً.

وقد دخلت مالا جاسي تحت الحماية الفرنسية في عام ١٨٨٥ وأصبحت مستعمرة فرنسية في عام ١٨٩٦ وظلت كذلك حتى نالت استقلالها في ٢٦ يونيو ١٦٦٠ وأصبحت عضواً في هيئة الأمم المتحدة وفي الكومنولث الفرنسي.

ويشتغل ٩٠٪ من أهالي مالا جاسي في الزراعة ومن أهم حاصلاتها الزراعية

(١) تمت الزيارة عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

«الفانيليا» إذ تنتج منها نصف محصول العالم والأرز والذرة والحبوب والقهوة والتبغ وقصب السكر والكاكاو وأهم المعادن فيها الأحجار الكريمة واليورانيوم والفوسفات والذهب. وهي غنية بثروتها من الماشية ففيها حوالى عشر ملايين رأس من الماشية.

### ثانياً - المسلمون في مالاجاسي (مدغشقر):

يذكر المؤرخ الفرنسي غابريال فوان عضو الجمعية الآسيوية في باريس وأحد معتمدي الوزير المقيم من قبل فرنسا في مدغشقر في كتابه «المسلمون في مدغشقر وجزائر القمر». إن الإسلام دخل إلى السواحل الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية من مدغشقر بواسطة العرب أو المسلمين الذين كانوا يتكلمون العربية ويستدل على ذلك من الكلمات العربية الكثيرة التي يجدها الإنسان في لغة سكان مدغشقر.

ومضى العالم الفرنسي فران فيقول: لا شك أن العرب الذين كانوا في الساحل الشرقي من افريقية منذ القرن السابع للميلاد ونشروا دعوة الإسلام فيه قد نزلوا في بلدة ماجونقا وماتيتا نانا من مدغشقر.

ويرى المرحوم الأمير شكيب أرسلان أن العرب نزلوا بجزيرة مدغشقر منذ القرن الثاني والثالث للهجرة وأن تلك الحكايات التي يروونها دائماً من أن مسلمي مدغشقر أصلهم من مكة هي من جملة الافتخار بالأصل العربي. ولم يكفهم أن يكونوا عرباً حتى جعلوا أنفسهم قرشيين بل من آل البيت. على أنه - كما يقول الأمير شكيب - لا يوجد مانع من أن يكون أناس من القرشيين أو من الطالبين قد وصلوا إلى هناك هرباً من سيوف الأمويين والعباسيين.

وقد اتفق المؤرخون على أن مدينة (ماتيتا نانا) هي البلدة الأولى التي نزلتها الجالية العربية والتي صارت عاصمة للقبائل المدغشقرية التي دخلت في

الإسلام وما تزال إلى يومنا هذا المركز السياسي والأدبي للمسلمين المدغشقريين في الساحل الشرقي من الجزيرة وإنزال أعدادهم عربية وأيام الأسبوع عندهم عربية بتبديل بسيط في بعض صور التلفظ كانوا يجعلون الباء زايًا والثاء تاءً.

ويختتم الأمير شكيب أرسلان كلامه قائلاً: فأما بقاء المسلمين في مدغشقر على ما هم عليه من الجهل لا يمتازون عن سائر أبناء وطنهم إلا قليلاً فله سببان: أحدهما شدة تمسك أهالي مدغشقر بعقائدهم القديمة بحيث أنه لا الإسلام ولا النصرانية أمكنهما قلع تلك العقائد من رؤوسهم تماماً، والسبب الثاني قصور المسلمين في مدغشقر كما في سائر الأقطار من جهة الأجهزة اللازمة للدعاية. ولو كانت لهم هناك مدارس ومكاتب وطرق منتشرة لكان الإسلام أرسخ وأنقى مما هو الآن في مدغشقر بدون شبهة.

وفي سنة ١٨٢٠م وصلت إلى مدغشقر الإرساليات التبشيرية من لندن ومن الجزويت وراهبات مار يوسف وراهبات التبشير بالإنجيل والمبشرون النير ويجيبون والأميرليون والعازبون الفرنسيون وأخيراً مبشرو البروتستانت الفرنسيون.

وبالرغم من هذه الحملات النصرانية التبشيرية فلم يدخل في الدين المسيحي إلا مليون ونصف مليون من أصل السكان البالغ عددهم سبعة ملايين وذلك حسب الإحصاء الرسمي الذي نشرته حكومة مدغشقر حيث ذكرت عدد المسيحيين كما قلت وذكرت أن بقية السكان هم من المحمديين و (السرسن) أي المسلمين كما يطلق عليهم الغربيون وغيرهم ممن لا دين لهم وهو لا شك اعتراف ضمني من حكومة مدغشقر بأن أكثرية السكان هي من المسلمين. والذين لا دين لهم أضعوا دينهم لأن صلاتهم بالمسلمين في

جوارهم قد انقطعت فلم يأتيهم أحد من الدعاة ولا من المبلغين أو المرشدين حتى تظل شعلة الإسلام مضيئة في قلوبهم. على أن المسلمين الذين وفدوا من الهند الصينية كجنود للمستعمرين الإفرنسيين وكذلك العرب المسلمون الذين وفدوا من اليمن ومن جزائر القمر كان لهم الفضل في انتعاش الروح الإسلامية من جديد في مدغشقر ولا سيما في الجهات الشرقية والشمالية منها.

ويبلغ عدد الشيعة الأثنا عشرية في مدغشقر (٦٠٠٠) ستة آلاف والإسماعيلية ثلاثة آلاف والبهرة خمسة آلاف، أما بقية المسلمين فهم سنيون وهم لا شك الأكثرية التي يجب أن تعتنى بهم حتى لا تتسرب إليهم البدع والخرافات والتيارات الضالة.

### ثالثاً - المساجد والمدارس في مدغشقر :

ومع القادمين كجنود للمستعمرين ومع القادمين في طلب الرزق من الآسيويين (الهنود والباكستانيون) والعرب واليمنيين، والقوميين من جزائر القمر أنشئت جوامع ومدارس في الجهات الشمالية والشرقية وفي الوسط من جزيرة مدغشقر. وبعض هذه الجوامع فخم وضخم ولا سيما مساجد الشيعة والبهرة والإسماعيلية والقوميين.

وقد زرت بعض المساجد في الجهة الشمالية والوسطى من جزيرة مدغشقر فوجدتها عامرة والحمد لله بالمصلين في جميع أوقات الصلاة ولا سيما أيام الجمعة.

أما المدارس فأكثرها من نوع الكتاتيب والطلبة الذين يدرسون بها لا يفهمون ما يقرأون من القرآن حتى السور القصار منه. والمشكلة هي نفس المشكلة التي ذكرتها من قبل عدم وجود مدرسين يتقنون اللغة العربية بالإضافة



إلى اللغة الفرنسية التي هي لغة التخاطب، فالأهلون هناك لا يعرفون لغة أجنبية غير الفرنسية والإنجليزية لا تجد من يتكلمها إلا نادراً حتى بين الهنود والباكستانيين.

والجيل الصاعد من أبناء المسلمين الوافدين إلى هذه الجزيرة مهددون بضياح عقيدتهم كما شاعت عقيدة أسلافهم من قبلهم ولذلك فإن المسؤولية الملقاة على الدول الإسلامية وفي طليعتهم المملكة العربية السعودية خطيرة ومن الأهمية بمكان. فيجب تجنيد الدعاة وإرسال المدرسين من الذين يجيدون اللغة الفرنسية كما يجب إعطاء المنح الدراسية بسخاء وإنني لأعتقد جازماً أننا إن فعلنا ذلك وبسرعة فسوف نحافظ على الإسلام في هذه الجزيرة من جهة ونعيد بإذن الله الضائعين من المسلمين إلى حظيرة الإسلام من جهة أخرى فما أسرع ما يتهلل وجه الملاجاسيين (المدغشقرى) فرحاً عندما تقول له أن أجدادك من المسلمين أو أن اسمك هذا أصله عربي أو إسلامي فقد جربت ذلك مع كثيرين في زيارتي هذه ورأيت الفرحة تشيع في الوجوه.

وفي رأيي أن فتح سفارة للمملكة العربية السعودية في مدغشقر سيعود إلى الإسلام في هذه الجزيرة وإلى الإسلام في جزائر القمر. وبنين ومويشس سابق مجده وعزته ورفعته.

وفي اجتماعي مع المسيو هنري. جي. رازا الإسلام فيندراتوفو (Hanri J. Fazafindrato) المستشار الدبلوماسي لرئيس وزراء مالاجاسي (وهو الحاكم الفعلي للجزيرة الآن بعد حوادث الطلاب فيها لمست منه رغبته في فتح اتصالات اقتصادية وثقافية مع المملكة العربية السعودية ثم ذكر كيف أنهم فعلاً بدؤوا في اتصالات مع العالم العربي بإرسال وزير خارجيتهم إلى مؤتمر تحرير إفريقية الذي عقد في الرباط فشجعتة على ذلك وقلت له يجب أن تخرجوا من هذه العزلة التي تعيشونها وتتصلوا بالعالم الإسلامي وإنني أؤكد

لك أنكم ستجدون منهم الصدور الرحمة والتعاون المخلص الذي لا مطمح من ورائه . وقد وعدني بنقل ذلك إلى رئيس الوزراء ، ثم سألني عن موعد عودتي فأخبرته به فأبدى أسفه ألا يكون في وداعي لأنه في ذلك التاريخ سيكون مع رئيس الوزراء في إحدى جولاته في مدغشقر . ومع ذلك فسيأمر بفتح صالون كبار الزوار بالمطار وسيوعز لمدير مطار تاناناريف ليكون في وداعي فشكرته . . وقد كان . .

## كينيا (١)

### أولاً - لمحة جغرافية تاريخية :

تبلغ مساحة كينيا (٢٢٤,٩٦٠) مئتين وأربعة وعشرين ألف وتسعمائة وستين ميل مربع. وسكانها بحسب إحصاء عام ١٩٦٨م (١٠,٢٠٩,٠٠٠) عشرة ملايين ومئتين وتسعة آلاف نسمة، وعاصمتها «نيروبي» وعملتها الشلن الكيني. وكل (٢,١٤٢) سبعة شلن ومائة وثلاثة وأربعين من الشلن تساوي دولاراً أمريكياً واحداً.

ويحدها من الجهة الشرقية الشمالية المحيط الهندي ومن الشمال الصومال وأثيوبيا، ومن الغرب يوغندا، ومن الجنوب تانزانيا (تانجنيقا سابقاً).

وكانت كينيا مستعمرة بريطانية ثم استقلت في عام ١٩٦٣م بعد حركة الماوماو التحررية التي بدأت في عام ١٩٥٣م وكان من نتائجها إعلان استقلال كينيا في ١٢ ديسمبر ١٩٦٣م وكان من نتائجها إعلان استقلال كينيا في ١٢ ديسمبر ١٩٦٣م وأصبحت عضواً في هيئة الأمم المتحدة في ١٦ ديسمبر وأنتخب جوموكمياتا زعيم حركة الماوماو أول رئيس لجمهورية كينيا في ١٢ ديسمبر ١٩٦٤م.

وأهم حاصلاتها البن والشاي والحبوب والجلود وتعتبر كينيا أكبر منتج

للشاي في إفريقية. كما تعد نيروبي عاصمة كينيا المركز الرئيسي للمواصلات الجوية في شرقي إفريقية.

## ثانياً - المسلمون في كينيا :

ليس هنالك إحصاء رسمي عن عدد المسلمين في كينيا ولكن المتواتر عليه بين الناس هناك أن نسبة المسلمين تبلغ ٤٥٪ من مجموع السكان البالغ عددهم عشرة ملايين ومئتان وتسعة آلاف نسمة. والنسبة عالية وهي كثرة ولكنها كغشاء السيل ذلك لأن المسلمين منقسمون على أنفسهم في كينيا. ويمكن حصر هذا الخلاف في المرين التاليين :

١ - الخلاف بين الأفارقة الكينيين وبين الآسيويين والعرب.

٢ - الخلاف بين الآسيويين بعضهم مع بعض.

وقد انتهز أعداء الإسلام، وفي مقدمتهم الصهاينة والقاديانية الذين لهم نفوذ كبير في حكومة كينيا، هذا الخلاف فأججوا ناره ووسعوا رقعته. والمسلمون مع الأسف لاهون عن ذلك بمعاركهم الجانبية مع بعضهم البعض.

ويلاحظ الزائر لكينيا هذا الخلاف ظاهراً وواضحاً فعدد الجمعيات والهيئات والمنظمات الإسلامية في كينيا يربو على الأربعمئة جمعية وهيئة ومنظمة. وأكثرها غير عامل وإنما هو تاجر وانتهازي ولم أتلمس منظمة أو جمعية عاملة في كينيا سوى جمعية مسجد المكونة من الآسيويين والعرب ومركزها في نيروبي فهذه الجمعية لها نشاط كبير في الدعوة الإسلامية وفي رعاية أكثر من (٢٥) مدرسة وعشرات المساجد. وهذه تتعاون مع المدرسين الذين ابتعثتهم دائرة الإفتاء إلى كينيا وعددهم فيها تسعة وهم في الحقيقة عاملون نشيطون يخدمون الدين ولغته ويخدمون الدعوة الإسلامية ويتركز نشاط جمعية المسجد في :

١ - معهد مشاكوس للدراسات الإسلامية: وابتعد أربعين كيلومتراً عن مدينة نيروبي وقد قمت بزيارته وجمعية مسجد هي التي تنفق عليه. وبالمعهد قسم داخلي فيه طلبة من تانزانيا ومالاجاسي ومن الأماكن النائبة من كينيا. والتدريس بالمعهد في الصباح وفي المساء. والتدريس فيه للبنين والبنات ويقوم بذلك مدرسون سبعة من دار الإفتاء ومدرسون آخرون تدفع رواتبهم جمعية المسجد. وللمعهد نشاط كبير في الدعوة الإسلامية فقد دخل كثير من سكان بلدة مشاكوس في الإسلام على يد أساتذة هذا المعهد وكان في البلدة مسجد صغير لا يكاد يمتلىء بالمصلين حتى في أيام الجمعة فإذا به بعد تأسيس المعهد المذكورة يزدحم بالمصلين وتضطر جمعية المسجد إلى توسعته.

ويقوم مدرسو دار الإفتاء بالتدريس في مدارس أخرى في نيروبي وفي ممباسا. والمسلمون يرجون من دائرة الإفتاء أن تزيد عدد المدرسين حتى تعم الفائدة.

٢ - ملجأ حرستا: كان الصهاينة والصليبيون قد افتعلوا الحرب التي وقعت بين الصومال وكينيا والتي راح ضحيتها عدد من المسلمين لأن القسم الشمالي من كينيا أكبر سكانه من المسلمين، وكان من نتائج تلك الحرب حصيلة كبيرة من اليتامى من أبناء المسلمين الذين استشهدوا وقد تلقفتهم الصليبية فأنشأت ملجأ لهم هناك وظهرت صور هؤلاء اليتامى والصليب معلق في صدورهم. فأثار ذلك ثائرة المسلمين في كينيا فقامت جمعية المسجد وطلبت من حكومة كينيا أن تعطيهم قطعة أرض في حرستا أي في المكان الذي أقام فيه الصليبيون ملجأهم فأعطتهم وشرعوا في بناء الملجأ وأشترك في العمل وفي البناء أعضاء الجمعية وأساتذة دار الإفتاء كما يتضح في الصور المرفقة في الصفحات التالية من هذا التقرير. وقد صمم الملجأ ليتسع لألف يتيم كما

ينتظر أن يفرقوا من إنشائه في أوائل شهر أكتوبر القادم ١٩٧٢م بإذن الله. وقد علمت منهم أنهم سيوجهون الدعوة إلى المملكة العربية السعودية لإرسال وفد لافتتاحه .

### ثالثاً - الجمعيات الإسلامية الأخرى :

وعدها كما قلت في مقدمة التقرير كبير ونشاطها محدود. وفيما يلي بعض هذه الجمعيات :

#### أ - الجمعية الإسلامية :

ومؤسسها الأستاذ أحمد وهو موظف في وزارة الصحة في ممباسا وهو كيني ومن الأفارقة المعتدلين الذين يعملون على سد ثغرة الخلاف القائم بين الأفارقة الكينيين والآسيويين والعرب. وللجمعية المذكورة مدرسة للبنين والبنات اسمها (فيتا) بها حوالي (٧٦٩) طالباً وطالبة من أبناء المسلمين عدا غير المسلمين. وكان لهذه الجمعية مدارس أخرى أقفلتها لضعف إمكانياتها المادية. ولدار الإفتاء مدرسان هناك أحدهما هندي والآخر باكستاني ولكن لا يستفاد منهما لأنهما يجهلان اللغة السواحلية وهي اللغة السائدة في ممباسا وما حولها.

#### ب - جمعية اتحاد المسلمين :

ويرأسها السيد عبد الرحمن تشيكا وهو رئيس الغرفة التجارية في مدينة ممباسا ومن الشباب الإفريقي الكيني النشيط. وقد زار المملكة مع الوفد الكيني الذي قدم إلى المملكة برئاسة الشيخ سالم بالأعلى الوزير المساعد لوزير المالية الكينية. والسيد عبد الرحمن أيضاً من الكينيين المعتدلين المحبين للتقارب بين الآسيويين والعرب من جهة والأفارقة الكينيين من جهة أخرى.

وقد ذهبت معه فزرنا مدارس الأفارقة في جنوبي كينيا وبينها مدارس ثانوية

كان المسيحيون قد بنوها بقصد التبشير المسيحي فهرب المسيحيون وتركوا المدارس فاستولى عليها الأهلون وأخذوا منها مدارس لأبنائهم وبهذه المدارس أماكن للطلبة الداخلين.

وأهل الجنوب وهم من قبيلة (الديجو) المسلمون وعددهم يربو على الخمسين ألف وهم نشيطون جداً ويكادون يكونون مستقلين في كل شيء، فالحاكم منهم والقائد منهم وللسيد عبد الرحمن تشيكا منزلة خاصة في قلوبهم ويسكنون في منطقة طولها خمسون كيلومتراً وقد قطعناها جميعها وتعرضنا لبعض المخاطر من الأمطار والأوحال. وقد أراني السيد عبد الرحمن وحاكم المنطقة وقائدها المكان الذي يريدون أن ينشئوا به كلية ومسجداً ومستشفى وقد شاهدت فعلاً أنهم بدأوا في العمل وهم بحاجة إلى العون المادي وسأتكلم عن ذلك في آخر تقرير.

### ج - منظمة الشباب المسلم:

وهي منظمة يرأسها السيد (جازي محمد) نائب وزير الصحة وهو من الشباب الإفريقي الكيني ومنظمته تضم بعض الآسيويين. وهو على خلاف كبير مع السيد سالم بالأعلى الذي يمثل العرب في كينيا، والوزير المساعد لوزير المالية الكينية. وقد زرت هذه المنظمة فوجدتها مرتبة ومنسقة وبها عدد لا بأس به من الشباب الإفريقي والآسيوي.

### د - الجمعيات العربية الإسلامية:

وهي كثيرة ويتركز نشاطها في مدينة ممباسا التي هي قطعة من بلاد العرب لأن جلّ سكانها من العرب والمسلمين الذين قدموا من جنوب الجزيرة العربية من حضرموت واليمن وعمّان.

ولهذه الجمعيات مساجد أهمها مسجد الأزهر ومدرسة الفلاح التي يديرها

الشيخ سعيد القمري الواعظ المعين من قبل رابطة العالم الإسلامي. ونشاط هذه المدارس محدود بالنسبة للدعوة الإسلامية غير أن بقاءها فيه حفظ لشعلة الإسلام مضيئة في قلوب الجيل الصاعد من أبناء المسلمين في ممباسا.

#### هـ - جمعية المرأة المسلمة:

وأعضاؤها خليط من النساء العربيات والأمسيات والأفريقيات ولهن مدارس وجهودهن في سبيل الدعوة الإسلامية بين النشء الجديد من البنات واسع ومشكور وهن بحاجة إلى الدعم. وقد تقدمن إلي بمشروع شراء أرض لتشييد مدرسة فيها فطلبت إليهن أن يرسلن طلبهن إلى الرابطة بمكة المكرمة. وقد وصل الطلب فعلاً وما يزال قيد الدرس..

#### رابعاً - المحاولة لتوحيد الصف الإسلامي في كينيا:

وانتهزت فرصة بقائي في كينيا للقيام بمحاولة لتقريب وجهات النظر بين الجمعيات الإسلامية المختلفة بغية إزالة الخلاف وتذليل العقبات وبالتالي توحيد الصف الإسلامي. فبدأت محاولتي في الموعظة الدينية التي ألقيتها على المجتمعين في مسجد جمعية المسجد قبل أن أصلي بهم صلاة الجمعة ثم تكررت محاولاتي في زياراتي للمساجد والمدارس والمراكز والجمعيات الإسلامية الأخرى وفي اللقاءات الخاصة حتى أصبح توحيد الصف الإسلامي هو حديث الساعة بين مسلمي كينيا وانهالت على الأسئلة عن كيفية تحقيق ذلك فكنت أجيبهم بأن المفتاح في أيديكم فكانوا يجيبون بأنه ليس بيننا من يجروء على الدعوة إلى عقد مؤتمر لرؤوساء الجمعيات الإسلامية في كينيا من أجل النظر في تكوين مجلس أعلى للمسلمين فيها، وأغرق بعضهم في التشاؤم فقال إن أي محاولة من الداخل ستبوء بالفشل فقلت لهم ما هو الرأي؟ فكان الجواب هو أن يأتي وفد من قبل المملكة العربية السعودية أو



رابطة العالم الإسلامي ويدعو رؤساء الجمعيات الإسلامية في كينيا إلى اجتماع عام. وفي هذا الاجتماع تطرح مسألة تكوين مجلس أعلى لمسلمي كينيا فسألتهم هل تضمنون موافقة الجهات الحكومية المعنية على عقد هذا الاجتماع فأجابوا عندما أعلنونا بموافقتكم على هذا الرأي ستتقدم إلى السلطات المعنية بطلب الترخيص وسنبقى إليكم فور الحصول على الترخيص فقلت لهم سوف أنقل طلبكم إلى المسؤولين في المملكة..

### خامساً - مقابلة تلفزيونية :

ودعيت إلى مقابلة تلفزيونية دار الحديث فيها عن المملكة العربية السعودية وجهود عاهلها العظيم في سبيل تطويرها ونهضتها فشرحت لهم الجهود الخيرة وبينت لهم معالم التطور والنهضة والازدهار في جميع الميادين ثم سئلت عن رابطة العالم الإسلامي فذكرت تأسيسها وأهدافها ومنجزاتها. وكانت الأسئلة باللغة الإنجليزية وجوابي عليها بنفس اللغة ولعلّه لأول مرة يرى المشاهد الكيني المسلم وغير المسلم ويستمتع إلى حديث عن بلد إسلامي وجمعية إسلامية من محطة تلفزيونية تلفزيون كينيا.

### سادساً - القاديانية في كينيا :

وللقاديانية في كينيا نشاط كبير في الدوائر الحكومية وفي المحافل التجارية كما أنهم يلعبون دوراً بارزاً في توسيع شقة الخلاف بين المسلمين بما ينفثونه من سموم ودعاياتهم والمسلمون لا يستطيعون محاربة هذه الدعاية بل يقفون منها موقف المتفرج أو موقف المخدوع المغفل ولكن الله سبحانه وتعالى للقاديانية وأعداء هذا الدين بالمرصاد فحكومة الرئيس جومو كينياتا تطرد بين الآونة والأخرى عدداً منهم مع جملة من تطرد من غيرهم من الآسيويين .

## سابعاً - الصهيونية في كينيا :

وللصهيونية دور بارز في كينيا فهي متغلغلة في مجال الصناعات برؤوس أموالها وفي مجال الزراعة بخبرائها وفي الدوائر الحكومية أيضاً بخبرائها فلها في الجيش وفي البوليس وفي دوائر الأمن ومصلحة الجوازات خبراء. ولقد تلمست ذلك بنفسي حين تقدمت طالباً تأشيرة لدخول يوغندا وتانزانيا بواسطة مصلحة الجوازات الكينية فعقدوا الأمر وأجابوا بأن علي أن أنتظر عشرة أيام حتى يأتي الجواب من يوغندا وتانزانيا. وتدخل وجوه المسلمين وفي مقدمتهم معالي الشيخ سالم بالأعلى الوزير المساعد لوزير المالية فلم ينجح واكتفى بالقول بأن القائم على المصلحة صهيوني وأخيراً اتصلنا تلفونياً بمعالي السيد أبو بكر ماينجا وزير العمل في الحكومة اليوغندية فهياً لنا التأشيرة في المطار. أما التأشيرة إلى تانزانيا فقد أخذناها فيما بعد من السفارة التانزانية في الكونغو كنشاسا (زائر).

ويتجلى عداة الصهاينة للمسلمين في إقامتهم للعمارات السكنية في الأحياء الإسلامية ليظهروا للزائرين بيوت المسلمين المتلهله المتداعية من جهة وقوة الصهيونية الاقتصادية من جهة أخرى.

ولكن الله جلت قدرته للمعتدين والمتجبرين بالمرصاد فقد علمت أن الرئيس جوموكينيا قد منع استملاك الصهاينة للأراضي وفي ذلك بالطبع حد لنشاطهم واستغلالهم.

## ثامناً - إعانة مسلمي كينيا :

يتخذ مؤسسو الجمعيات والمدارس الإسلامية في كينيا وفي غيرها من البلدان التي يكون بها المسلمون أقلية من هذه الجمعيات والمدارس تجارة ومصدراً لكسب الرزق والعيش فيتصلون بالدول الإسلامية وبالمحسنين في العالم الإسلامي طالبين المساعدة مؤيدين طلباتهم بخرائط لبناء مسجد أو

مدرسة ومضابط موقعة وغير ذلك من الوسائل المقنعة. وتصل الإعانات إلى مؤسسي هذه الجمعيات فيتقاسم المؤسسون الغنيمة وإن كان في قلوبهم بقية من إيمان أنفقوا عشر هذه الإعانات على إصلاح المسجد أو المدرسة وبعض هؤلاء الذين يطالبون بالإعانات بل ربما أكثرهم غير مسجل لدى الدوائر الرسمية في بلادهم بل ربما لا يكون لبعض هذه الجمعيات وجود. وهكذا تضيع هذه الأموال الطائلة في غير السبيل التي أرادها لها متبرعوها أو مرسلوها، وهذا هو السبب في كثرة ما نسمع عن ظهور جمعيات ومؤسسات ومدارس إسلامية لأنها تجارة رابحة.

والسبب في هذه الفوضى يرجع إلى عدم وجود مجلس أعلى للمسلمين في الأماكن التي يكونون فيها أقلية.. مجلس يرعى شؤونهم ويشرف على نشاطاتهم ويتولى جمع الإعانات من الداخل أو الخارج باسمهم.. مجلس يكون مسؤولاً أمام الدول المتبرعة أو الشخصيات المحسنة يقدم لهم بياناً بالمصروفات وبالأعمال التي تمت من وراء هذه التبرعات.

وإنني أرى تفادياً لهذه الفوضى ومنعاً للاستغلال أن تتوقف الحكومات الإسلامية عن دفع أية إعانات للجمعيات والمدارس الإسلامية إلا عن طريق مجلس إسلامي أعلى أو اتحاد عام للجمعيات في ذلك البلد. وعلى ضوء هذه الاعتبارات فإنني أرى ألا تصرف أية إعانة للمسلمين في كينيا أو في غيرها من البلدان التي لا يوجد بها مجلس أعلى إسلامي مسجل رسمي ومسؤول أمام المتبرعين.

## جمهورية<sup>(١)</sup> الكونغو الديمقراطية

### (الكونغو البلجيكية سابقاً وزائير حالياً)

#### أولاً - لمحة جغرافية تاريخية :

وتبلغ مساحة زائير تقريباً (٩٠٥٥٦٣) تسعمائة وخمسة آلاف وخمسمائة وثلاثة وستين ميل مربع. وعدد سكانها بحسب إحصاء عام ١٩٦٨ م (١٦,٧٣٠,٠٠٠) ستة عشر مليون وسبعمائة وثلاثين ألفاً نسمة. وعملتها تسمى (زائير) وكل دولار أمريكي واحد يساوي نصف زائير.

ويحدها شمالاً جمهورية السودان وجمهورية إفريقيا الوسطى وغرباً جمهورية الكونغو برازفيل والمحيط الهادي وجنوباً انجولا وزامبيا وشرقاً يوغندا وتانزانيا وقد أصبحت مستعمرة بلجيكية منذ عام ١٩٠٨ م حتى نالت استقلالها في ٣٠ يونيو ١٩٦٠ م وعقب هذا الاستقلال حصلت حروب داخلية ونزاع على السلطة وتدخل من جانب هيئة الأمم ومن الدول الإفريقية المجاورة حتى استقرت الأمور في عام ١٩٦٩ م على يد الرئيس الحالي الجنرال موبوتوسي سي سيكو.

وزائير غنية بثرواتها الطبيعية والمعدنية مثل النحاس والألماس والكوبالت

(١) تمت الزيارة عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

والذهب والفضة والحديد والزنك والقصدير واليورانيوم والراديو. وفيها الغابات المليئة بأنواع الحيوانات وبالأخشاب وتكثر فيها زراعة البن والمطاط والقطن. وتعتبر زائير من أغنى بلاد العالم.

### ثانياً - المسلمون في الكونغو كينشاسا (زائير حالياً) :

تلقت رابطة العالم الإسلامي رسالة من الشيخ عمران جمعه كابولو رئيس الرابطة الإسلامية بجمهورية (زائير) (الكونغو كينشاسا) مع أحد القادمين من هناك يذكر فيها أن حكومة زائير أصدرت قانوناً يدعو مختلف الهيئات الدينية غير الكاثوليك والبروتستانت بطلب الشخصية المدنية الرسمية وعلى كل هيئة مقابل هذا الاعتراف الرسمي بشخصيتها المدنية أن يكون له رصيد في البنك المركزي لا يقل عن مئتين ألف دولار أمريكي وأن المسلمين عاجزون عن دفع هذا المبلغ ويطلبون العون والمدد. وقد أوردف القادم هذا أن اثنين من الوزراء المسيحيين يتزعمان حركة عدم الاعتراف بالإسلام كدين من الأديان السماوية الأخرى المعترف بها وأن المسلمين في كرب شديد لأن هنالك محاولات للاعتداء على المساجد والمدارس واغتصابها.

وقد تلقت الرابطة هذا الخبر بتحفظ شديد وأبلغت القادم أن يخبر الشيخ عمران جمعة بأنها تتألم للبلاء الذي حل بالمسلمين هناك وأنها ستوفد مدير رابطة العالم الإسلامي لزيارة الكونغو وهو في طريقه إلى جزيرة موريشس كما طلبت إليه أن يبلغ الشيخ عمران جمعة أن يقوم بمحاولة أخرى لإفهام المسؤولين هناك بأن الدين الإسلامي اقدم من كل الأديان الأخرى في جمهورية زائير وأن المسلمين قاوموا الغزاة المستعمرين من البلجيك وأن كثيرين استشهدوا في سبيل الدفاع عن حرية زائير. وحين وصلت يوغندا اتصلت بالشيخ عمران جمعة في الكونغو كينشاسا فأعلمني أن وضع المسلمين في جمهورية زائير قد تحسن فلما انتهت زيارتي ليوغندا أسرع إلى كينشاسا

ولما قابلت الشيخ عمران جمعة أخذني بالأحضان وقال لي إني أهنتك بأن الله سبحانه وتعالى قد جعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.. وإني أبشرك أن فخامة الجنرال موبوتوسي سي سيكو رئيس جمهورية زائير قد منح الشخصية المدنية للرابطة الخيرية المسماة بالرابطة الإسلامية بجمهورية زائير وبعمران جمعة كممثل لجميع المسلمين في زائير من دون دفع دولار واحد فقبلته وقلت له بشرك الله بالخير ولكن قلني كيف حدث ذلك فأجاب.

عندما وردت تعليمات الرابطة عاودنا الكرة مع أعضاء الحكومة طبقاً لإرشاداتكم فابتدأ الوضع يتحسن وأصاخ الأعضاء إلى كلامنا وفي خلال هذه المحاولة يشاء الله إلا أن يعز دينه ويعلي كلمته فيشترك الوزيران المسيحيان اللذان كانا يتزعمان المعارضة في مؤامرة عند رئيس الجمهورية فيقبض على أحدهما ويزج به في السجن ويفر الآخر ويلتجأ إلى زعيم الكاثوليك في روما وإذا بالجنرال موبوتو يصدر أمره كما قلت لك من قبل ولم يكف بذلك بل إنه حين اجتماع حزبه أشاد بموقف المسلمين في محاربة الغزاة المستعمرين. وكادت الدنيا لا تسع سروري وفرحتي بما سمعت وإذا بي اطلب من الشيخ عمران جمعة أن يرتب لي مؤتمراً صحفياً وبمقابلة تلفزيونية وقد استطاع الشيخ عمران بمساعدة أحد أعضاء رابطته وهو موظف كبير في وزارة الإعلام أن يرتب كل شيء وعقد المؤتمر الصحفي بساحة مسجد سوزوكي حضره ممثلو الصحف في كينشاسا ومندوبو إذاعة كينشاسا وتلفزيونها والمصورون وبدأ السؤال الأول عن أهداف الزيارة فأجبتهم بما يلي: لقد جئت إلى كينشاسا لتقديم واجب الشكر والتقدير إلى صاحب الفخامة الجنرال موبوتوسي سي سيكو رئيس جمهورية زائير على اعترافه بالدين الإسلامي كأحد الأديان السماوية الأصيلة في جمهورية زائير وعلى أن الرابطة الإسلامية ورئيسها الشيخ عمران جمعة هو الممثل - الشرعي لجميع مسلمي زائير ثم أردفت

قائلاً وأنه لعمري قرار عادل ذلك لأن الدين الإسلامي هو أقدم الديانات السماوية بجمهورية زائير لأن المسلمين في الكونغو بقيادة زعيمهم حامد الملقب عند الغربيين بـ (تيب تيب) قاوموا الغزو البلجيكي مدة (٢٥) سنة حتى سقط زعيمهم شهيداً في ساحة الشرف والكرامة.

ثم ناشدت جميع المسلمين في جمهورية زائير بأن يتعاونوا مع إخوانهم المواطنين في جمهورية زائير ويعملوا جميعاً على رفعة زائير وازدهارها.

وبعد ذلك سألت عن المملكة والرابطة فأجبت بما يجب علي أن أجيب وأنفض الاجتماع وقد أذيع الحديث بالخمس اللغات التي يذيع بها تلفزيون زائير.

ولو كان العصر عصر معجزات لقلت إن اعتراف حكومة زائير بالدين الإسلامي وبتوحيد المسلمين في جميع أنحاء هذه الجمهورية تحت لواء الرابطة الإسلامية ورئيسها الشيخ عمران جمعة هي معجزة من معجزات هذا العصر.

وفي اليوم التالي للمؤتمر الصحفي قمت بزيارة المساجد والمدارس التابعة للرابطة الإسلامية في كنشاسا وهي عبارة عن كتاتيب إلا مدرسة ثانوية واحدة لم يكمل بناؤها لضعف إمكانيات المسلمين المادية وأن جميع المساجد والمدارس بحاجة إلى التعمير والتأثيث وقد علمت أن المسلمين في جمهورية زائير يبلغ عددهم حوالي المليون وأنهم يتركزون في ستانلي فيل وفي سنجوني ولم استطع الوصول إلى هذين البلدين لأن ذلك كان يقتضين البقاء على الأقل أسبوعين لهذه الغاية وإني أرى ما يلي:

١ - أن ترفع الرابطة التماساً إلى المقام السامي بالتبرع لمسلمي جمهورية زائير بخمسين ألف ريال سعودي سنوي.

٢ - أن ترسل الرابطة خمسة أساتذة على الأقل ممن يتقون اللغة الفرنسية

بالإضافة إلى اللغة العربية وعلوم الدين ليتعلم أبناء المسلمين هناك لأنها اللغة الوحيدة التي يتكلمونها.

٣ - أن يعين الشيخ عمران جمعة عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

### ثالثاً - نشاط الفرق المنحرفة في جمهورية زائير :

يبلغ عدد الإسماعيليين في كينشاسا حوالي (٩٠٠) شخص ولكن ليس لهم أي مجهود ضد المسلمين السنين كذلك القاديانية فعددهم لا يتجاوز الألفين وليس لهم نشاط يذكر ضد المسلمين مثل نشاطهم في كينيا.

وفي كينشاسا ظاهرة غريبة وهي وجود تعاون بين المسلمين السنين والشيعية الأثنا عشرية والبهرة والإسماعيلية فعندما قام المسلمون السنيون ببناء مسجد في كينشاسا حضر أصحاب هذه الفرق حفل وضع الحجر الأساسي لهذا المسجد كما علمت أنهم تبرعوا من أجل بنائه.

### رابعاً - الصهيونية في جمهورية زائير :

وللصهاينة نشاط كبير في جمهورية زائير فالمصانع الكبيرة فيها بأيديهم وخبرائهم في الزراعة والجمعيات التعاونية منتشرون في عرض البلاد وطولها. والبلجيكيون وإن أعطوا لجمهورية زائير استقلالها وخرجت جيوشهم منها إلا أنهم عادوا إليها فاستعمروها اقتصادياً بمساندة رؤوس الأموال الصهيونية وسفراء الدول العربية والإسلامية في جمهورية زائير يقيمون بنشاط ملموس في الحد من التغلغل الصهيوني في جمهورية زائير.



## «جزيرة موريشس»<sup>(١)</sup>

أولاً - لمحة جغرافية تاريخية :

تقع جزيرة موريشس في المحيط الهندي وعلى بعد (٥٥٠) ميلاً إلى الشرق من جمهورية مالاغاسي (مدغشقر): وتبلغ مساحتها (٧٢٠) ميلاً مربعاً وعدد سكانها (٧٨٧,٠٠٠) سبعمائة وسبعة وثمانون ألف نسمة حسب الإحصاء الحكومي لعام ٦٩ وعملتها الرسمية هي الروبية. والدولار الأمريكي يساوي خمس روبيات وربع الروبية تقريباً وتتألف الجزيرة من خمس مدن هي: بورت لويس العاصمة ثم روز هل. وكيوبيب، وكاترين وفاكوا. وقد نالت الجزيرة استقلالها في ١٢ مارس ١٩٦٨ بعد أن رزحت (١٥٨) سنة تحت النير البريطاني.

وتشير الدلائل إلى أن العرب هم أول من زار هذه الجزيرة في القرن السادس عشر ميلادي بقيادة «الربان دينار» ولكن الجزيرة، كما يظهر، لم تعجب الزائرين فلم يستقروا بها، بل غادروها ولعلهم خافوا من براكينها التي لا تزال فوهة أحدها بارزة للعيان. وظلت هذه الجزيرة غير مسكونة حتى عام ١٦٣٨م حين رست سفن الهولنديين بشواطئها فاستوطنوها وأطلقوا عليها اسم (موريشس) تخليداً لحاكمهم الأمير موريس ناسان. واستمر الهولنديون بهذه

(١) تمت الزيارة عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

الجزيرة حوالي قرن واحد تقريباً حين خلفهم الفرنسيون فيها عام ١٧٢١. وقد عقدوا العزم على الاستيطان بهذه الجزيرة التي سموها «جزيرة فرنسا» ثم شرعوا في استغلال مصادر الثروة الزراعية فيها فأدخلوا زراعة قصب السكر واستوردوا العبيد من إفريقية والصناع والبهرة من الهند الصينية الفرنسية ومن مستعمراتهم الأخرى في آسيا لهذه الغاية. وقد استطاعت الإرساليات التبشيرية الفرنسية إدخال القادمين في الدين المسيحي فكانوا نواة الكنيسة الكاثوليكية في جزيرة موريشس.

وخلال الحروب النابليونية في عام (١٨١٠) استولى البريطانيون على الجزيرة. وقد نص في اتفاقية التسليم الكاثوليكية على أن تتعهد بريطانيا بالمحافظة على اللغة والقوانين والثقافة الفرنسية والكنيسة الكاثوليكية في الجزيرة. وفي أوائل عام ١٩٣٠ ألغيت تجارة الرقيق واضطر أصحاب الأملاك الزراعية الكبيرة إلى التفتيش على الأيدي العاملة الرخيصة. وقد وجد البريطانيون ضالتهم بين الهندوس والمسلمين في الهند ففتحوا باب الهجرة بنسبة تسعة من الهندوس لكل مسلم واحد. وكانت أكثرية القادمين من الهندوس والمسلمين هي من المهاريين والبنغاليين وهذا يفسر كيف أن اللهجة البهارية - البوجورية قد أصبحت اللغة الشائعة بين السكان الذين ينتمون إلى اصل هندي، وكيف أنها أصبحت اللغة الشائعة الاستعمال بعد لغة الكريول (والكريول هو الجيل الذي تحدر من تزاوج الأوروبيين والإفريقيين والبيض). وتعتبر جزيرة موريشس من أكثر بلاد العالم تعقيداً ففيها خليط عجيب من القوميات والديانات والسياسات. كما أنها تعد من أكثر بقاع الدنيا كثافة في السكان فسكانها يتألفون من فئات أربع: الهندوس وعددهم يربو على (٤٠٨) آلاف نسمة، و (٢٢٤) ألف نسمة من أصل أوروبي وإفريقي، ومن البيض و(١٣٠) ألف مسلم و (٢٥) ألف صيني. ومع أن اللغة الإنجليزية هي اللغة

الرسمية إلا أن هنالك الكثيرون ممن يتكلمون الفرنسية ولغة الكريول (الفرنسية المكسرة) والصينية واللغات الهندية المختلفة.

ويوجد أيضاً مسلمون آخرون قدموا من منطقة بومباي بالهند سعياً وراء الرزق وكانوا من فئات ثلاث: «الكونكنيز» وقد اشتغلوا بالسفن و «السرتية» واشتغلوا بتجارة الأقمشة والنسيج وتجمعوا في حي سموه بسوق «السرتية»، و «الميمن» واشتغلوا بتجارة الحبوب وقطنوا في حي سموه سوق «الميمن». وكان هذا التقسيم الطائفي مبدئياً على أساس تجاري إلا أنه لعب فيما بعد دوراً خطيراً في حياة المسلمين في جزيرة موريشس بالرغم من أن عدد السرتية لا يتجاوز (١٥٠٠) شخص. وعدد كل من الميمن والكونكنيز لا يتجاوز الألف وهم أقل من الأقلية بالنسبة للمسلمين الآخرين من البهاريين والكلكتاويين.

ويرأس حكومة موريشس السير «سيوساجوروام غلام».

وهو من الهندوس الذين يمثلون أغلبية السكان. ويعتمد اقتصاد جزيرة موريشس على السكر ففيها (٢١) مصنعاً للسكر. وقد ظهرت في السنوات الأخيرة زراعة الشاي. وفي الجزيرة سبعة مصانع للشاي.

### ثانياً - الإسلام في جزيرة موريشس :

ومع العمال المسلمين الذين جلبهم الإنجليز من جنوب الهند دخل الإسلام إلى جزيرة موريشس ولعلّه دخل قبل ذلك مع الصناع والبهرة الذين جاء بهم الفرنسيون عندما احتلوا الجزيرة وقرروا الاستيطان بها. والإسلام يطالعك أينما تجولت في أرجاء الجزيرة في المساجد التي انتشرت بها والتي يربو عددها على الخمسة والثمانين مسجداً وجامعاً ومثلها من المدارس للبنين والبنات. والجمعيات والمنظمات الإسلامية المسجلة التي يبلغ عددها (١١٠) جمعية ومنظمة ما عدا خمسين جمعية ومنظمة غير مسجلة.

ونسبة المتعلمين والمثقفين بين المسلمين أعلى من أية نسبة مماثلة بين الفئات الأخرى من سكان الجزيرة. كما أن نسبة الخلافات والانقسامات بين المسلمين مع الأسف هي أعلى من أية نسبة مماثلة بين السكان الآخرين. والخلاف بين المسلمين على أساس مذهبي ظاهرة شائعة بينهم في كل مكان ولكن الخلاف بين المسلمين والموريشسيين يتميز بأنه خلاف قبلي إقليمي فجميعهم سنون وعدد الشيعة بينهم لا يتجاوز الأربعة آلاف ومع ذلك فالخلاف بينهم على أشده. وقد استغل أعداء الإسلام هذا الخلاف فأذكوا ناره ووسعوا شقته وتبع ذلك أن أصبح المسلمون في الجزيرة وهم أقل وأضعف الفئات من السكان فيها بالرغم من تراثهم في الكفايات والقدرات المالية والثقافية.

ولقد تلمست هذه الانقسامات منذ وصولي فرأيت من واجبي أن أسعى لتقريب وجهات النظر بغية إزالة هذه الخلافات فكلفت مدير معهد رابطة العالم الإسلامي أن يدعو وجوه المسلمين وقادة الرأي منهم في موريشس إلى حفل تعارف يقيمه في قاعة الملك فيصل بالمعهد. وحضر حوالي الخمسين وكلمتهم عن المملكة العربية السعودية وجهود خادم الحرمين الشريفين عاهل المملكة في سبيل الدعوة الإسلامية والتضامن الإسلامي وتبرعاته السخية للمسلمين في شتى أنحاء العالم، ثم أوجزت لهم أهداف رابطة العالم الإسلامي التي هي غرس من أغراس جلالته وبعد ذلك جرى حوار مفتوح في مواضيع شتى تتعلق بالعالم الإسلامي بصورة عامة وبالمسلمين في جزيرة موريشس بصورة خاصة ودام الاجتماع حوالي ساعتين وحرصت بعد ذلك في زيارتي للمساجد والمدارس والمراكز والجمعيات وفي الدعوات الخاصة حتى في حديثي من تلفزيون موريشس على أن يكون منصباً على الاتحاد والتضامن وعلى جهود عاهل المملكة العربية السعودية في سبيل وحدة المسلمين ونبذ الخلافات والانقسامات. وقد أثر ذلك في جماعات المسلمين فانتشرت الدعوة إلى توحيد الصف وبدأ المسلمون في الجزيرة شعائرهم الدينية وحضره أكثر

من سبعمائة شخص رأيت أن الفرصة مواتية لأن أرمي بأخر سهم في الكنانة، فبعد الموعظة الدينية توجهت إلى الحاضرين فذكرت لهم عن اليقظة الإسلامية التي ظهرت بين المسلمين في البلدان التي زرتها من شرقي إفريقيا والتي تجسدت في تأسيس مجالس إسلامية عليا تتولى رعاية شؤون المسلمين في تلك البلدان وتدافع عن حقوقهم وتكون مسؤولة أمام الجهات الرسمية الحاكمة وأمام الدول الإسلامية في الخارج ثم اردفت قائلاً: وأنتم أيها المسلمون في جزيرة موريشس لماذا لا تستردوا خطى إخوانكم المسلمين وفيكم من المواهب الثقافية والطاقات العلمية الهائلة ما لم أر له مثيلاً في جميع البلدان التي بها أقليات إسلامية.. لماذا لا توحيدون صفوفكم وتشكلون مجلساً أعلى من بينكم وتتخذون من معهد رابطة العالم الإسلامي مكاناً لاجتماعاتكم وندواتكم ولقاءاتكم وأنها لعمري فرصة ذهبية أتاحتها لكم صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم فلماذا لا تستغلونها لخيركم وفائدتكم ثم أعلنت استعداد الرابطة لدعم هذا المجلس المرتقب وأنهيت خطابي بين هذه التساؤلات. وفي اللقاءات الجانبية التي تلت هذه المحاضرة كان موضوع الدعوة إلى تكوين مجلس أعلى للمسلمين في جزيرة موريشس هو حديث الساعة وفي آخر اجتماع لي بقيادة المسلمين ورؤسائهم اتفقنا على أن يقوم مدير معهد رابطة العالم الإسلامي مع قادة المسلمين في الجزيرة بالدعوة إلى اجتماع عام يعتقد في مقر الرابطة بمدينة بورت لويس في صباح يوم الأحد الموافق ٣٠ يوليو ١٩٧٢م لدراسة موضوع تشكيل مجلس أعلى لمسلمي موريشس. وقد تلقيت بتاريخ ١/٨/١٩٧٢م برقية من مدير معهد رابطة العالم الإسلامي ينبئني فيها أن الاجتماع قد تم في الموعد المحدد وأن المجتمعين انتخبوا لجنة المجلس الأعلى وتركوا للمؤتمر العام الذي سيعقد بقاعة الملك فيصل يوم ١٣ أغسطس ١٩٧٢م التصديق على اللجنة المنتخبة. وقد أبرقت لهم مهئناً مبتهلاً إلى الله تعالى أن يكلل مساعيهم الخيرة بالتوفيق والنجاح.

وقد تلقيت برقية من مدير معهد رابطة العالم الإسلامي بموريشس يخبرني فيها بأن المؤتمر العام الذي عقد بتاريخ ١٣ أغسطس ١٩٧٢م قد وافق على اللجنة المنتخبة ثم جاءتني برقية أخرى من مدير المجلس الإسلامي الأعلى المنتخب تفيد بتشكيل المجلس وتطلب تأييد الرابطة.

وقد أجابت الرابطة على البرقيتين بالتهنئة وبالتأييد وبالتمني للمجلس الأعلى الإسلامي بالتوفيق لما فيه الخير للإسلام والمسلمين.

### ثالثاً - مظاهر النشاط الإسلامي في جزيرة موريشس :

ويتجلى لنا ذلك في المساجد والمدارس والجمعيات والنوادي وفي المناسبات التي يقيمها المسلمون هناك أيام الفطر وعيد الضحى وفيما يلي صور من مظاهر هذا النشاط :

#### أ - مدرسة الدراسات الإسلامية :

وهي مدرسة ثانوية كاملة تتبع نظام الحكومة وعدد طلابها (٨٥٠) طالباً وقد زرتها صباح يوم ٣٠ جمادى الأولى ١٣٩٢هـ الموافق ١١/٧/١٩٧٢م فوجدتها نظيفة ومرتبّة، ولكن بناء المدرسة من الطراز القديم إذ ليس به ساحة يستروح بها الطلبة بين الحصص الدراسية، كما أن الدين لا يدرس بها، والمشكلة هي نفس المشكلة عدم وجود مدرسين يتقنون اللغة العربية بالإضافة إلى الإنجليزية أو الفرنسية، ومع ذلك فقد أخبرني مديرها أنهم يدرسون السيرة النبوية وسير الصحابة بشكل مقتضب وحسب معرفتهم المحدودة.

#### ب - مدرسة مدد الإسلام الثانوية :

وتقع في العاصمة (يورت لويس) وعلى مقربة من معهد رابطة العالم الإسلامي. وقد زرتها في ٣٠ جمادى الأولى ١٣٩٢هـ الموافق ١١/٧/١٩٧٢م فوجدتها مدرسة نظيفة مرتبة على الطراز العصري الحديث، وعدد طلبتها

(٥٨٠) طالبة ولا يدرسون الدين ولا لغة القرآن بها لأنهم بحاجة إلى مدرسات يتقن اللغة العربية والدين بالإضافة إلى الفرنسية والإنجليزية، وإمكانات القائمين عليها المادية لا تساعد على ذلك. وكانت المدرسة قد تلقت إعانة من حكومة الكويت أساء المشرفون على المدرسة استعمالها فذب الخلاف بينهم ولجأوا إلى المحكمة ووضعت الحكومة يدها على الأمر، وقد تركتهم وهم عازمون على انتخاب مجلس جديد لإدارة المدرسة.

### ج - المدرسة الثانوية العلمية للبنات:

وهي مدرسة ثانوية غير كاملة أنشأتها الجمعية السرية السنية. والمدرسة مؤلفة من ثلاثة أدوار، وقد قمت بزيارتها في غرة جمادى الثانية ١٣٩٢هـ الموافق ١٢/٧/١٩٧٢م فوجدت بها (٤٥٠) طالبة و (١٦) مدرسة. والمدرسة نظيفة ومرتبة وعلى الطراز العصري الحديث. وتدرّس الدين بها ضعيف ولما سألتهم عن ذلك أجابوا إنهم يفتقرون إلى مدرسات ملّمت باللغة العربية والدين والفرنسية أو الإنجليزية وأن إمكاناتهم المادية لا تساعدهم على ذلك. كما أنهم بحاجة إلى توسعة بناء المدرسة حتى يكملوا الصفوف ويستطيعوا قبول الطالبات التي ترد إليهم ممن يودون الالتحاق. وقد أروني قطعة أرض ملاصقة للمدرسة يرغبون في شرائها ويكلفهم الشراء مع البناء حوالي (٢٠٠) ألف روبية موريشسية أي حوالي (١٦) ألف جنيه استرليني، كما أن مكتبة المدرسة بحاجة إلى كتب مطالعة باللغة الفرنسية والإنجليزية.

### د - جمعية فاكو الإسلامية:

وذهبنا بتاريخ ٢ جمادى الثانية ١٣٩٢ الموافق ١٣/٧/١٩٧٢ إلى بلدة (فاكو) وهي المدينة الخامسة في جزيرة موريشس، وتبعد (٢٧) ميلاً عن العاصمة بورت لويس وزرنا جمعية نور الإسلام واستقبلنا رئيسها وأعضاؤها وهم من خريجي الجامعات وطلبة الجامعات والمدارس الثانوية وللجمعية

نادي يضم هؤلاء الشباب ومدرستان للبنين والبنات عدد طلاب كل منهما حوالي (١٥٠) طالباً وطالبة والمدرستان مستأجرتان من قبل الجمعية وهما أيلتان للسقوط، وحالة الجمعية المادية سيئة جداً ولكن معنوياتهم مع كل ذلك قوية. وعدد المسلمين في مدينة (فاكوا) يربو على الخمسة آلاف. والبلدة تغص بالكنائس ومعابد الهندوس. وإني أرى أن هذه الجمعية بحاجة إلى مساعدة عاجلة في حدود العشرة آلاف دولار أمريكي لمرة واحدة حتى تبقى شعلة الإسلام مضيئة في قلوب هؤلاء الشباب.

#### و - المدرسة الثانوية العالية للبنين والبنات:

وتقع في العاصمة «بورت لويس» وقد قمت بزيارتها في ٤ جمادى الثانية ١٣٩٢هـ الموافق ١٥/٧/١٩٧٢م فوجدت التعليم بها مختلطاً وعدد الطلاب وال طالبات حوالي (٥٠٠) والمدرسون بها جميعهم من الرجال ما عدا مدرسة واحدة. وبناء المدرسة قديم متداع، وقد نصحتهم بالتفريق بين البنات والبنين وخاصة في المرحلة الثانوية فأجابوا بأنهم يتبعون نظاماً دقيقاً ورقابة صارمة، فقلت لهم مهما فعلتم فوجود الكبريت بجانب النار يسبب الاحتراق، وقد وعدوا القيام بذلك حين تمكنهم مواردهم المالية التي يتلمس الزائر مظهرها الواضح عند زيارته للمدرسة. وتدرّس الدين بهذه المدرسة موجود ولكن أستاذاً واحداً لا يستطيع أن يقوم بتدريس خمسمائة طالب وطالبة. وإني أرى مساعدتهم بمبلغ عشرين ألف ريال لمرة واحدة سوف تمكن هذه المدرسة من السير قدماً في تأدية رسالتها الإسلامية.

#### ز - جمعية القلق المركزية الإسلامية:

وفي يوم ٤ جمادى الثانية ١٣٩٢هـ الموافق ١٥/٧/١٩٧٢م ذهبنا إلى جمعية القلق المركزية الإسلامية التي تبعد ستين كيلومتراً عن العاصمة «بورت لويس» وزرنا مدرستها المكوّنة من أربعة صفوف ابتدائية للبنين والبنات الذين



لا يتجاوز عددهم المائة وعدد المسلمين في هذه المنطقة لا يتجاوز الألف شخص. وقد أخبرني أنهم بحاجة إلى زيادة صفوف المدرسة وشراء أرض لهذه الغاية وأروني أرضاً ملاصقة للمدرسة تقع على الشارع العام فقلت لهم إنها لا تصلح لأن الطلبة سيتعرضون لخطر السيارات حين انصرافهم من المدرسة. وفي أثناء ذهابنا إلى دار مدير المدرسة لتناول القهوة رأيت أرضاً ملاصقة للمدرسة تقع على شارع جانبي واسع بعيد عن حركة السيارات فسألتهم عن أصحاب الأرض وإذا أحدهم مدير المدرسة والآخر أحد الأساتذة بها فاقترحت عليهم أن يتبرعوا بها للمدرسة ويكتبوا للرابطة لتنظر في مساعدتهم في البناء وتركتهم يفكرون في الأمر.

#### ح - جمعية شأن الإسلام:

وفي فجر يوم ٥ جمادى الثانية ١٣٩٢هـ الموافق ١٦/٧/١٩٧٢م صليت الصبح بمسجد جمعية شأن الإسلام وبعد الصلاة زرت دار الأيتام التي ترعاها الجمعية وهي ملاصقة للمسجد فوجدت بها (٣٢) بنتاً وطفلة و (٣٧) ولداً. والجمعية تعلم هؤلاء الأيتام في مدرستها الملاصقة للمسجد أيضاً، ثم بعد ذلك تعلمهم في المدارس الحكومية وتكون مسؤولة عن البنت حتى تتزوج أو تجد عملاً. وتعلم الولد في مدرستها وبعد ذلك في المدارس الحكومية وتكون مسؤولة عنه حتى يجد عملاً. والجمعية تراعى في تعليم البنت شؤون تدبير المنزل والنسخ والمحاسبة. وفي تعليم الولد الحرف والمهن.

والجمعية بحاجة إلى العون في عملها الإنساني النبيل وأرى أن تخصص لها إعانة سنوية في حدود عشرين ألف ريال.

#### هـ - جمعية اتفاق المسلمين:

وفي يوم الجمعة ٣ جمادى الثانية ١٣٩٢هـ الموافق ١٤/٧/١٩٧٢م زرت جمعية اتفاق المسلمين في مقرها بقرية (كانجاب) التي تبعد حوالي (٣٠)

كيلومتراً عن «بورت لويس» العاصمة وزرنا مدرستها الابتدائية وحن موعد صلاة الجمعة فصليت بالمسلمين وبعد الصلاة عدت إلى بيوت لويس. والجمعية بحاجة إلى مساعدة لإصلاح المسجد والمدرسة وأرى أن إعانة في حدود العشرة آلاف ريال لمرة واحدة سوف تدعم الجمعية وتمكن مركزها ولا سيما وهي محاطة بالكنائس ومعابد الهندوس.

#### ط - جمعية نور الإسلام:

وتدير هذه الجمعية أكثر من (١١) مسجداً ومدرسة ويُعد مسجد نور الإسلام من أروع وأجمل المساجد في بورت لويس العاصمة. والجمعية بحاجة إلى العون والمساعدة ولا سيما بالكتب المدرسية وبالمدرسين. فقد تلمست ذلك في زيارتي لها يوم جمادى الثانية ١٣٩٢هـ الموافق ١٧/٧/١٩٧٢م.

وإني أرى أن تصرف لها إعانة في حدود عشرة آلاف ريال لمرة واحدة.

#### ي - نادي الأخوة الإسلامية:

ويقع في مدينة بورت لويس العاصمة. وهو نادي أعضاؤه من الشبيبة من البنين والبنات. ولكل من الفريقين نشاطه. وقد تلمست أثناء زيارتي لهذا النادي حاجتهم إلى كتب ومنح دراسية ورغبتهم الملحة في تعلم اللغة العربية حتى يستطيعوا تفهم ما يقرأون في صلاتهم وما يسمعون من الخطباء في أيام الجمعة. وإني أرى أن ترسل لهم الرابطة كتباً ومنشورات دينية باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية.

#### رابعاً - الدائرة الإسلامية:

وقبل أن أختتم تقريرتي عن جزيرة موريشس أود أن أتحدث عن الدائرة الإسلامية ورئيسها المدعو حسن دهاال الذي يتردد على المملكة بين الفينة

والأخرى. لقد رأيت من واجبي أن أزور هذه الدائرة الإسلامية أسوة بغيرها من الجمعيات الإسلامية وفعلاً قمت بزيارة هذه الدائرة في صباح يوم ٣٠ جمادى الأولى ١٣٩٢هـ الموافق ١١/٧/١٩٧٢م فصعدت إلى شقة تقع على أحد الشوارع العامة وكانت عبارة عن مكتب سياحة، وقد استقبلني أخ السيد حسن دهال وهو نائب في البرلمان فسألته عن أخيه فأخبرني أنه سافر في اليوم الذي وصلت فيه إلى موريشس - فسألته عن الدائرة الإسلامية فأخذني إلى شقة مجاورة فوجدت أربعة من الرجال بينهم طالب موريشس اسمه برواز كريمان يدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. والشقة عبارة عن مخزن انتشرت فيه الأقمشة والبسط. وجلسنا قليلاً نستمع لأحاديثهم الملفقة عن نشاطاتهم في خدمة الإسلام - فسألتهم هل الدائرة مسجلة رسمياً فأجابوا بالنفي فكتفت بهذا السؤال وانصرفت. وقد علمت فيما بعد أن حسن دهال أو دجال كما يدعوه أهالي موريشس ليس له عمل إلا السعي بالفساد والتفرقة بين المسلمين وأنه لا نشاط إسلامي له البتة. وإني أوصي بأن يمنع من دخول المملكة العربية السعودية جزاءً له على أعماله السيئة.

#### خامساً - زيارة رئيس وزراء موريشس :

وقد قمت بزيارة السير «سيوساجور رام غلام» رئيس وزراء موريشس وهو رئيس الدولة لأن موريشس لم تعلن بعد النظام الجمهوري فيها وقد فهمت من حديثي مع بعض الوزراء أن موريشس عازمة على إعلان ذلك في السنة القادمة.

وفي الحديث الذي دار بيني وبين دولة رئيس الوزراء تلمست إعجابه وتقديره الكبير لعاهل المملكة العربية السعودية وللنهضة الواسعة التي تخطوها المملكة في ظل قيادته الرشيد، وأبدى فخامته رغبته في إيجاد تعاون اقتصادي بين المملكة وموريشس وأنه بدافع من هذه الرغبة ابتعث السيد غازي عبد

الكريم وكيل وزارة الخارجية الموريشسية لشؤون السياحة لهذه الغاية فشكرت فخامته وقلت له لا شك أن حكومة المملكة العربية السعودية ترحب بهذا التعاون وأن وجود معهد رابطة العالم الإسلامي هدية عاهل المملكة لأهالي موريشس والمنح الدراسية التي تقدمها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. هي بوادر طيبة لتعاون ثقافي وقد دامت المقابلة عشرين دقيقة.

### سادساً - زيارة البرلمان الموريشسي :

وقمت في يوم ٣٠ جمادى الأولى ١٣٩٢هـ الموافق ١١/٧/١٩٧٢م بزيارة البرلمان الموريشس أثناء انعقاد جلسته في دورته العادية وكان يصحبني مدير معهد رابطة العالم الإسلامي. وقد تعرفت بعدد من النواب والوزراء وبينهم معالي الوزير المسلم السيد عبد الرزاق محمد وزير الإسكان وتخطيط المدن والذي يقوم برئاسة مجلس الوزراء أثناء غياب رئيس الوزراء. ومعالي السيد عبد الرزاق شخصية إسلامية مرموقة محبوبة من جميع المسلمين وغير المسلمين. وفي مقابلي له بدأ حديثه بإعجابه بحضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وبالأزدهار والتقدم الذي تنعم به المملكة بحسن قيادته الحكيمة كما كلفني أن أقدم إلى عاهل المملكة تحياته القلبية المخلصة واحترامه العظيم ودار الحديث في شتى النواحي الإسلامية وتطرق هو إلى ذكر دعوة السفير الإسرائيلي له لزيارة إسرائيل واعتذاره وتكرار محاولات السفير المذكور ورفضه هو ثم قال لي إنه سيزور القاهرة قريباً بناء على دعوة وجهت إليه من وزير الأوقاف ويرجو أن يوفقه الله لزيارة المملكة وأداء مناسك العمرة حين عودته من القاهرة. وقد رجوت معاليه أن يشمل معهد رابطة العالم الإسلامي برعايته وعنايته فأجاب إنه هو دائماً يعطف على المعهد ومديره ويرتقب اليوم الذي يكمل فيه بناء المعهد وافتتاحه رسمياً.

### سابعاً - مقابلة تلفزيونية :

ودعيت إلى مقابلة تلفزيونية كان الحديث فيها عن المملكة العربية السعودية وعن عاهلها العظيم وعن الحركة العمرانية والإنشائية وسياسة التطوير في جميع المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ثم تطرقا إلى النهضة الثقافية وإلى الجامعات والمعاهد الدينية فتكلمنا فيما تكلمنا أيضاً عن رابطة العالم الإسلامي وعن معهدها الموجود حالياً في بورت لويس عاصمة موريشس. وقد دامت المقابلة سبع دقائق.

### ثامناً - زيارة جامعة موريشس :

ودعيت إلى زيارة جامعة موريشس وقابلت عميدها ومساعديه ثم طاف بنا أحد الأساتذة على أقسامها. وأهمها: المدرسة الزراعية والمدرسة المهنية ومدرسة صناعة السكر، والمدرسة الإدارية وجامعة موريشس ليس بها كليات للعلوم والآداب والتجارة أو الهندسة أو الطب ولكنها تأمل أن تستكمل ذلك في السنوات القادمة.

وأثناء تطوافي بمكتبة الجامعة. أخبرني المسؤول عنهما بأنهم بحاجة إلى كتب إسلامية وأنهم لا يملكون من هذه الكتب إلا ما يزودهم به القاديانية فأفهمته أن كتب القاديانية لا تمثل الإسلام وأن ما بها بعيد عن الإسلام بل هو مدسوس عليه وقلت له إن رابطة العالم الإسلامي ستزوده بالكتب الإسلامية المعتمدة وفي مقدمتها ترجمة معاني القرآن الكريم باللغتين الإنجليزية والفرنسية وإنني أرجو أن تعد الرابطة قائمة بهذه الكتب وترسلها هدية للجامعة المذكورة.

### تاسعاً - القاديانية في موريشس :

ويبلغ عدد القاديانيين في موريشس حوالي الألفين ولهم نشاط كبير في ميادين التعليم والصناعة. فنشراهم وترجمتهم للقرآن الكريم توزع في كل

مكان. وقد رأيت أثناء زيارتي لمكتبة جامعة موريشس عشرات الكتب المهداة من القاديانية للجامعة كما أن أكثر ترجمات القرآن الكريم الموجودة في الأسواق والمعاهد ودوائر الحكومة والسجون هي الترجمة القاديانية وأرى: أن تبعث رابطة العالم الإسلامي عشر نسخ من ترجمة معاني القرآن الكريم لعبد الله يوسف علي هدية منها إلى جامعة موريشس بالإضافة إلى عدد من الكتب الدينية الهامة مثل: فتاوى الإمام ابن تيمية، ظلال القرآن لسيد قطب، دين الإسلام لعلوش، وفتح الباري وأمثال هذه الكتب كما ترسل كمية لا تقل عن (٥٠) نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم لعبد الله يوسف علي إلى مدير معهد رابطة العالم الإسلامي في موريشس لتوزيعها على الدوائر والمعاهد.

### عاشراً - النشاط الصهيوني في جزيرة موريشس :

بدأ نشاط إسرائيل في جزيرة موريشس بعد تعيين سفيرهم في مدغشقر (مالاجاسي) سفيراً غير مقيم في موريشس. وكانت بوادر هذا النشاط تأسيس جمعية الصداقة الإسرائيلية الوريشسية التي اتخذت من مدينة (روز هل) مقراً لها. وبدأت الإرساليات الإسرائيلية الزراعية تفد إلى جزيرة موريشس وشرع السفير الإسرائيلي يقدم الدعوات للوزراء وكبار رجال الأعمال لزيارة إسرائيل. وفعلاً زار رئيس وزراء جزيرة موريشس الحالي إسرائيل وغيره من الوزراء ورجال الصناعة والأعمال. ولإسرائيل خبيران في موريشس أحدهما يعمل في وزارة الصحة والآخر في الكلية التعاونية الزراعية بجامعة موريشس وقد رأيتَهُ وهو يحاضر في هذه الكلية في اليوم الذي وجهت إلى الدعوة لزيارة جامعة موريشس.

## المسلمون في يوغندا<sup>(١)</sup>

### أولاً - لمحة جغرافية تاريخية :

تبلغ مساحة يوغندا (٤٩١١٣) واحد وتسعين ألف ومائة وأربعة وثلاثين ميل مربع. وعدد سكانها (٨,١٣٣,٠٠٠) ثمانية ملايين ومائة وثلاثة وثلاثين ألف نسمة وعاصمتها كمبالا وعملتها الشلن اليوغندي وكل دولار أمريكي يساوي (٧,١٤٣) سبعة شلنات ومائة وثلاثة وأربعين من الشلن.

وتحدها شرقاً كينيا، وجنوباً بحيرة فيكتوريا وتانزانيا وغرباً بحيرة ألبرت، وبحيرة إدوارد وجمهورية الكونغو الديمقراطية (زائير حالياً). وشمالاً جمهورية السودان.

وفي عام ١٩٦٦م - ١٩٦٧م اكتشفت في المناطق الغربية غير المأهولة من يوغندا ذبابة (التسي تسي) (Tsetse) التي تحمل مرض النوم وبواسطة القروض التي قدمتها الولايات المتحدة أمكن القضاء على هذه الذبابة وتحويل هذه الأماكن إلى مناطق لتربية المواشي.

وأهم حاصلات يوغندا البن، والقطن، والشاي، والذرة، والتبغ، والسكر والنحاس، والقصدير.

ومن (أون فلز Owen Falls) على بحيرة فيكتوريا التي تبلغ مساحتها

(١) تمت الزيارة عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

(٢٦,٨٢٨) ستة وعشرين وثمانمائة وعشرين ميل مربع يبتدىء مجرى نهر النيل وقد شيدت على شلالات هذه البحيرة أكبر محطة في شرق إفريقيا لتوليد الكهرباء حيث تمون يوغندا وكينيا بها.

وقد حصلت يوغندا على استقلالها في ٩ أكتوبر ١٩٦٢م وفي أكتوبر ١٩٦٣م أصبحت عضواً في هيئة الأمم المتحدة.

### ثانياً - المسلمون في يوغندا:

يذكر الإحصاء الذي قامت به هيئة الأمم المتحدة في عام ١٩٦٨م أن عدد المسيحيين في يوغندا يقرب من نصف سكانها البالغ عددهم ثمانية ملايين ومائة وثلاثة وثلاثين ألف نسمة وإن جل هؤلاء المسيحيين هم من أتباع الكنيسة الكاثوليكية. وإذا قلنا إن في يوغندا نسبة غير محدودة من السكان الوثنيين أمكننا القول بأن ما هو متواتر بين المسلمين من أن عددهم يربو على ثلث مجموع السكان لا يبعد عن الحقيقة.

ولقد تعرض المسلمون في عهد الرئيس المسيحي السابق ميلتون أوبوتو إلى اضطهاد وتعذيب وتشريد وحرقت مساجد ومدارس ومكتبات وقد شاء الله تعالى أن يخلصهم من ذلك العذاب بقيام حكومة الرئيس الحالي فخامة الجنرال (عيدي أمين دادا) الذي رفع من شأنهم وكون لهم مجلساً إسلامياً أعلى يرعى شؤونهم ومصالحهم فجمع به كلمتهم ووجد صفوفهم وألف بين قلوبهم بعد أن كانوا شيعاً وأحزاباً.

وليس في يوغندا جمعيات أو منظمات إسلامية مسجلة رسمياً مثل الجمعيات - والمنظمات الإسلامية المسجلة في كينيا أو في جزيرة موريشس بل إن هنالك مدارس أكثرها ابتدائي غير كاملة وثانوي غير كامل أسسها بعض المتنورين من المسلمين اليوغنديين لتكون مصدراً لكسبهم ومعيشتهم وليس في يوغندا إلا جمعية واحدة مسجلة رسمية هي جمعية السنين المسلمين



وأعضاؤها من الهنود الذي قدموا إلى يوغندا عندما كانت تحت الاستعمار البريطاني.

والمساجد والمدارس الإسلامية منتشرة في طول يوغندا وعرضها وتلعب دوراً كبيراً في نشر الدعوة الإسلامية ولا سيما في الأماكن التي لا توجد بها مدارس مسيحية. والداعية الإسلامي المثقف الواعي لا يجد صعوبة في تبليغ رسالة الإسلام فما أسرع تقبل اليوغندي الوثني للإسلام حتى اليوغندي المسيحي بالرغم من وسائل الكنيسة الكاثوليكية ومغرياتها.

ولدار الإفتاء خمسة مدرسين في يوغندا يقومون بجهود طيبة مشكورة في سبيل تعليم أبناء اليوغنديين وبناتهم ونشر الدعوة الإسلامية في يوغندا. فأربعة من هؤلاء المدرسين في كمبالا العاصمة وواحد في بلدة جنجا عند منبع النيل والتي تبعد خمسين كيلومتراً عن كمبالا العاصمة.

واللغة العربية منتشرة بين أهالي يوغندا ولا سيما بين المتقدمين في السن من اليوغنديين ولكن اللغات السواحلية واليوغندية والإنجليزية هي اللغات الواسعة الانتشار.

### ثالثاً - المؤتمر الصحفي :

وقد رتب لي المجلس الإسلامي الأعلى مؤتمراً صحفياً حضره مدير الشؤون الدينية وهو مسيحي وقاضي القضاة ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى وعدد من وجوه المسلمين في كمبالا كما حضره بالطبع مندوبوا الصحف اليوغندية ووكالات الأنباء العالمية والإذاعة اليوغندية. وكانت الأسئلة حول أهداف الزيارة وعن المملكة وعاهلها العظيم وعن الرابطة وأهدافها ومنجزاتها وقد أذيعت وقائع هذا المؤتمر من إذاعة يوغندا باللغات الإنجليزية والفرنسية والسواحلية.

## رابعاً - حفل فخامة الرئيس اليوغندي :

وفي اليوم الثالث لوصولي أقام فخامة الجنرال عيدي أمين دادا - رئيس جمهورية يوغندا حفل غداء في قصره تكريماً لي حضره أصحاب المعالي الوزراء وسفراء الدول - الإسلامية وقاضي قضاة يوغندا ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى ورؤساء الطوائف المسيحية. وقد شكرت فخامة الرئيس على تكريمه لي وأشارت بموقفه البطولي الرائع بتطهير بلاده من اليهود الآثمين ثم ألمعت إلى الحركة الدينية المباركة التي كان من نتائجها تكوين المجلس الإسلامي الأعلى لمسلمي يوغندا.

وقد تكرم فخامته بالرد على خطابي فذكر إعجابه وتقديره لجلالته الملك فيصل المعظم وللمملكة وأشار إلى أنه سوف يعين سفيراً لبلاده في المملكة ثم أشار إلى يوم تحرير إفريقية الذي عقد مؤتمره في كمبالا وفي نهاية الخطاب وجه إلى فخامته الدعوة لحضور الاحتفال بتنصيب قاضي قضاة يوغندا والذي سيحضره ممثلون عن مصر، والسودان، وليبيا، وباكستان والعراق فليبت الدعوة شاكراً ثم وجه فخامته كلامه إلى قاضي القضاة قائلاً لقد أمرت بوضع طائرة هليكوبتر تحت تصرف المدير العام للرابطة للتجول فيها ومشاهدة معالم يوغندا ومدنها ومساجدها ومدارسها فشكرت فخامته على هذه المنة العظيمة.

## خامساً - مقابلة تلفزيونية :

ودعيت إلى مقابلة تلفزيونية اشترك مدير الشؤون الدينية واثان من المذيعين في توجيه الأسئلة إلى التي تركزت حول أهداف الزيارة وانطباعاتي الأولية عن يوغندا ثم تطرقت الأسئلة إلى النهضة الواسعة التي تعيشها المملكة بقيادة جلالة الفيصل الرشيدة وأخيراً جاء السؤال عن الرابطة وأعمالها ومنجزاتها واختتمت المقابلة التي دامت عشرين دقيقة بالسؤال عن البلدان التي سآزورها

بعد يوغندا. وكانت المقابلة والله الحمد موفقة بدليل إنها أذيعت عدة مرات وخاصة ليلة الاحتفال بتنصيب قاضي قضاة يوغندا.

### سادساً - مظاهر النشاط الإسلامي في يوغندا:

ويتجلى ذلك في المساجد والمدارس المنتشرة في طول يوغندا وعرضها وعلى ذكر النشاط الإسلامي أجد من واجبي أن أنوه بالجهود الطيبة التي قام ويقوم بها السيد أحمد مشهور الحداد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية وبصورة خاصة في مساكنا وكابيجي من منطقة (بدو) فأكثر المساجد والمدارس فيها هي من ثمار جهوده. والسيد المذكور يوقره فخامة الرئيس عيدي أمين دادا وجميع الوزراء ورجال الدين هناك ويأخذون بتوجيهاته ونصائحه الدينية وإنني اقترح أن تعينه رابطة العالم الإسلامي واعظاً لها في يوغندا وفي ذلك دعم للتضامن الإسلامي الذي يدعو إليه خادم الحرمين جلالة الملك فيصل المعظم وتنشيط للدعوة الإسلامية في تلك الجهات. وفيما يلي صور من مظاهر النشاط الإسلامي في يوغندا.

### أ - جمعية السنين المسلمين:

وتكاد تكون الجمعية الإسلامية الوحيدة في يوغندا وهي مسجلة رسمياً والمشرفون عليها من الهنود الآسيويين الذين جاؤوا مع الاستعمار البريطاني حين احتل يوغندا وأكثر مساجد كمبالا العاصمة من بناء هذه الجمعية ما عدا مسجد كيولي الذي بناه الأمير بدرو نوح ومسجد (ونديقيا) الذي عمره موسى كسولي. وللجمعية مدرسة للإناث ابتدائية وثانوية من ارقى المدارس التي شاهدت في شرق إفريقية ويدرس الدين واللغة العربية بها مدرس من دار الإفتاء هو الأستاذ محمد يوسف كاظم وهو باكستاني.

وللجمعية أيضاً مدارس ابتدائية ومساجد في قرية جنجا حيث ينبع نهر النيل والتي تبعد (٤٠) ميلاً عن كمبالا العاصمة ويدرس الدين ولغة القرآن في هذه

المدارس مدرس من دار الإفتاء. والسيد ابو الفاروق كما أنه يقوم بتدريس الدين للمسلمين في الكلية التابعة للحكومة.

#### ب - مدرسة بلال :

وهي مدرسة ثانوية غير كاملة فيها الابتدائي والإعدادي والثانوي وعدد طلبتها (٢٢٠) طالباً بينهم (١٢٠) طالب داخلي. وقد أسس المدرسة قاضي قضاة يوغندا الحالي وللمدرسة نشاط كبير في الدعوة الإسلامية إذ أن المتخرجين فيها يذهبون للقري للتدريس ونشر الإسلام وبالمدرسة مدرس من قبل الأزهر وبالطبع بها مدرس من دار الإفتاء السعودية والمدرسة بحاجة إلى الكتب الدراسية للمراحل الثلاث.

#### ج - المعهد الإسلامي :

ويقع على ربوة جميلة من روابي كمبالا العاصمة وكان أهل هذه المنطقة قد بدؤوا في بناء مدرسة وفوقها جامع ولكنهم عجزوا عن إكمال البناء لأسباب مالية فجاء مدرسة دار الإفتاء السيدان محمد يوسف كاظم وأبو الفاروق وجمعاً من الآسيويين واليوغنديين مالا أكملوا به بناء المدرسة وبدؤوا التدريس بها وحين زرتها وجدت بها (٢٦٠) طالباً. وهو مجهود يشكر عليه مدرسا دار الإفتاء.

#### د - مدرسة التقوى :

وتقع في منطقة مسাকা وهي من المدارس التي شجع على تأسيسها السيد أحمد مشهور الحداد. والمدرسة ثانوية غير كاملة بسبب العجز المالي وبها خمسون سريراً للطلبة الداخليين. وتقع المدرسة في مكان محاط بالكنائس المسيحية ومع ذلك فهي صامدة كالطود. وإني أرى مساعدتها بمبلغ ثلاثين ألف ريال لمرة واحدة تشجيعاً لها على الاستمرار في أداء رسالتها الإسلامية.

### هـ - معهد الدراسات الإسلامية:

ويقع في بلدة كابيجي من مقاطعة (بدو) وهو أيضاً ثمرة من جهود السيد أحمد مشهور والحداد. والمعهد به خمسة صفوف للدراسات الإسلامية و (٤) صفوف لتدريس العلوم العصرية وقد تأسس منذ سبع سنوات وهو بحاجة للدعم. وإني أرى أن يساعد هذا المعهد بعشرين ألف ريال لمرة واحدة.

### و - مدرسة كيتوسي:

للبنين والبنات وبها حالياً (٦٠) طالبة والمنتظر أن يبلغ عدد الطالبات (٤٠٠) طالبة بعد أن يتم بناء المدرسة التي وضعت قواعدها. وهذه المدرسة يقوم بالتدريس فيها مدرس وزوجته ومدرستان أخريتان والمدرس وزوجته يجيدان اللغة العربية وعلوم الدين والمدرسة ابتدائية غير كاملة لعدم وجود أماكن للطلبة والمنطقة التي تقع بها المدرسة محاطة بالكنائس والمعاهد المسيحية والخطر يتهدد بنات المسلمين في تلك المنطقة بصورة خاصة وأعتقد أن إعانة في حدود الخمسة ولعشرين ألف ريال لمرة واحدة كافية لبناء المدرسة وبهذا - المبلغ نحافظ على المئات من أبناء وبنات المسلمين من الوقوع فريسة التبشير المسيحي الكاثوليكي وهو ابشع أنواع التبشير.

### ز - المساجد والمدارس في بلدة (امبرارا):

وتقع بلدة امبرارا إلى الجهة الشرقية من يوغندا وبها مساجد ومدارس كثيرة تلعب دوراً كبيراً في مقاومة التبشير. وبامبرارا جالية آسيوية وجالية حضرية كبيرة تسيطر على التجارة فيها ومساجد امبرارا بعضها بحاجة إلى التعمير وبعضها بحاجة إلى التأييث وأكبر مسجد فيها بناه الآسيويون هو مسجد (نامي تانقا) ومدرسة تابعة له وهي بنفس الاسم وقد تأسست في عام ١٩٣٣م وعدد طلابها (٣٢٠) طالباً بينهم (٢٤٠) مسلماً وينقص المدرسة مدرس يتقن اللغة العربية ليُدرس الدين ولغة القرآن. والغريب في الأمران الجالية الآسيوية أو

كاليوغنديين بل هي منصرفه بكليتها للتجارة وكأن الإسلام لا يعينها في كثير أو قليل. وأرى أن يرسل لهم مدرس من الإفتاء أو على حساب الرابطة.

#### ج - مسجد بكنجي في موايا :

وهو المسجد الذي طلب مني فخامة الرئيس عيدي أمين دادا أن أزور هذا المسجد الآن الذي اسمه كان من الرجال الصالحين الذين ساهموا في نشر الإسلام في تلك المنطقة وقد وافاه الأجل قبل أن يكمله وطلب قبل وفاته من الرئيس عيدي أمين دادا إكماله. والمنطقة التي يقع فيها هذا المسجد قريبة جداً من حدود جمهورية الكونغو (زائير) وبها مدارس ابتدائية للبنين والبنات وهي بحاجة إلى الدعم المادي. وفي رأي أن مبلغ ثلاثين ألف ريال سوف يكمل بناء المسجد ويعين على استمرار المدارس هناك في تأدية رسالتها الإسلامية.

#### ط - مدرسة التربية والتهذيب :

وتقع في منطقة كتوم على بعد (٧٠) كيلومتراً من كمبالا العاصمة ومؤسسها الشيخ شعيب إسحق وهو من السنين وكان يبلغ الـ (١٠٠) سنة من العمر حين زرنه في مدرسته وللشيخ شعيب وللمدرسته دور كبير في نشر الدعوة الإسلامية في منطقتة. وقد تعذب هذا الشيخ في العهد البائد وأحرقت مكتبته ومدرسته ولكنه عاد فبناها بما حصل عليه من إعانة من المملكة العربية السعودية. وقد كان يتحدث عن فضل عاهل المملكة المفدى أمام وفود مصر وليبيا وباكستان والسودان حين كنا جميعاً في زيارته في مدرسته.

#### ي - مدرسة الآباء للبنين والبنات :

وهي مدرسة ثانوية من أحسن المدارس التي رأيت في يوغندا وبها مدرسون ومدرسات وعدد طلبتها يربو على الخمسمائة. والمدرسة بحاجة إلى العون المادي. كما صرح بذلك مديرها وهو يخطب مرحباً بنا حين زرنه. وإني أرى أنها بحاجة إلى مساعدة مالية بمبلغ أربعين ألف ريال لمرة واحدة.

### ك - مدرسة بومبا للبنين والبنات :

وهي مدرسة ثانوية غير كاملة وعدد طلابها يربو على الخمسمائة وهي أيضاً من أحسن المدارس الثانوية في يوغندا وفي مدينة كمبالا العاصمة بالذات والمدرسة بحاجة ماسة إلى العون كما حدثنا بذلك مديرها حين زرناه. وفي رأبي أن مساعدة في حدود اربعين ألف ريال لمرة واحدة ستعينها على الاستمرار في تأدية رسالتها الثقافية الإسلامية.

### سابعاً - الاحتفال بتنصيب قاضي قضاة يوغندا :

وفي حفل مهيب جرى الاحتفال بتنصيب الحاج عبد الرزاق متوع قاضياً للقضاة في يوغندا. وقد حضر الاحتفال وفود من جميع أنحاء يوغندا ووفود من مصر والسودان وليبيا والباكستان والعراق ورابطة العالم الإسلامي وبعد كلمات مناسبة من الوفود انتهى الحفل بخطاب جامع شامل من فخامة الرئيس عيدي أمين دادا ومن ثم ذهب الجميع إلى حفل العشاء الذي أقامه فخامته تكريماً للوفود وفي نهاية حفل العشاء ألقى نيابة عن الوفود كلمة تضمنت الشكر والدعاء لفخامته بالتوفيق في خدمة الإسلام والمسلمين ورفعته يوغندا وازدهارها.

### ثامناً - كلية تدريب المعلمين الإسلامية في كيبولي :

وقد بناها المسلمون منذ عشرين سنة لتدريب الشبان المسلمين والشابات المسلمات مهنة التدريس. وبها قسم داخلي. وبالكلية مسجد يؤدي فيه الطلاب صلواتهم. وقد تعرضت هذه الكلية في عهد الحكم المسيحي لاجراءات تعسفية وإهمال في مختلف المجالات الثقافية، وشجعت الحكومة المسيحية الظالمة الشبان المسيحيين والشابات لمسيحيات على الالتحاق بهذه الكلية حتى أصبحوا أغلبية بقصد إطفاء مشعل الإسلام فيه. وفي عهد فخامة الرئيس الجنرال عيدي أمين عين عميد مسلم للكلية. وفي زيارتي لهذه الكلية

ولقاءاتي الجانبية بهذا العميد أخبرني أنه وبعض زملائه في الكلية سيحاولون إعادة الكلية إلى صيغتها الإسلامية السابقة ولبلوغ هذا الهدف فهم بحاجة إلى عون مادي لشراء أتوبيس لنقل الطلبة والطالبات، وبناء «منامة» للطالبات المسلمات وإلى أساتذة لتدريس الدين واللغة العربية وإني أرى مساعدتهم في حدود خمسين ألف ريال سعودي لمرة واحدة.



## (١) الجالية الإسلامية بلوس انجلوس<sup>(١)</sup>

في مستهل عام ١٩٥١ قرر المسلمون الذين هاجروا إلى الساحل الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية إنشاء مركز إسلامي يلتقون فيه ويحتفلون فيه بمواسمهم الدينية ويعلمون أطفالهم «مبادئ الدين الإسلامي الحنيف وقد نجحوا في تسجيل هذا المركز الناشئ حسب قوانين ولوائح ولاية كاليفورنيا وجعلوا مقر هذا المركز مدينة لوس انجلوس التي تعتبر أكبر وأهم مدن الساحل الغربي للولايات المتحدة حيث تتمركز فيها الغالبية العظمى من المسلمين المهاجرين وغيرهم ممن اعتنقوا الإسلام كما تعتبر لوس انجلوس (تل أبيب) الثانية من حيث مركز التجارة والرأسمالية الصهيونية فيها. وقد أطلق المسلمون على هذا المركز اسم «الاتحاد الإسلامي بأمريكا» وقد نجحوا فيما بينهم في جمع بعض التبرعات اشتروا بحصيلتها بناية متواضعة في حي من الأحياء المكسيكية الفقيرة يقع في شرق مدينة لوس انجلوس ويجتمعون في هذا المكان مرة كل أسبوع على الأقل.

وأبان هذه الفترة تفاوتت عضوية المركز الإسلامي بين المد والجزر والارتفاع والانخفاض غير أنه في أوائل الستينات بدأت عضوية المركز الإسلامي في الانكماش التدريجي وكان مرجع ذلك انعدام وجود قيادة دينية

(١) تمت الزيارة عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

متفرغة تشرف على المركز وتدفع بعجلته إلى الأمام. غير أن الزيادة المطردة في أعداد المهاجرين إلى ولاية كاليفورنيا جعلت من الضروري إعادة تنظيم هذا المركز الهام وكانت أول خطوة في هذا الاتجاه هي تغيير اسم المنظمة إلى «المؤسسة الإسلامية بجنوب كاليفورنيا» ولكن تغيير الاسم وحده لم يكن كافياً لإعادة الحياة أو بث الروح في المركز ويرجع ذلك أساساً إلى عنصرين هامين هما:

#### أ - موقع المركز السيء.

ب - انعدام القيادة الدينية الواعية والمتفرغة للإشراف عليه، غير أن نكبة عام ١٩٦٧م أبرزت أمام أنظار المسلمين هناك حقيقة هامة وهي أهمية المراكز الدينية والثقافية في تنوير الرأي العام الأمريكي وتعريفه بحقائق الأوضاع القائمة في الشرق الأوسط دفاعاً عن حق العرب والمسلمين ورغبة في كسب عطف الشعب الأمريكي الذي وقع ضحية الكذب وتضليل الصهيونية العالمية - والمتعصبين من رجال الدين المسيحي.

لذلك جد المشرفون على هذا المركز في البحث عن شخصية دينية قيادية تتوافر فيها شروط خاصة للقيام بتنظيم هذه الجالية والإشراف على هذا المركز. وقد وقع اختيارهم على الدكتور البروفسور محسن المدرس بإحدى جامعات لوس انجلوس ليكون مديراً للمركز الإسلامي في لوس انجلوس وتكوين مجلس تنفيذي قوامه أحد عشر شخصاً من خيرة الشباب المسلم المثقف هناك لمساعدة المدير المذكور على النهوض بأعباء المركز.

وقد استطاع هذا التكوين الجديد أن يحصل في عام ١٩٦٨م على تبرع من ليبيا بمبلغ (٤٥) ألف دولار أمريكي ومن الكويت بمبلغ تسعة آلاف دولار. وبهذه التبرعات تم شراء مبنى جديد في ضاحية (ويلشابر) وهي من أنظف

وأهم أحياء مدينة لوس انجلوس أصبح مقر المركز الإسلامي الحالي. وبهذه الخطوة أمكن:

١ - التغلب على أكبر عقبة حالت دون اشتراك كثير من المسلمين في نشاط المركز نظراً لعزوفهم عن المقر الأول - للمركز لرداءة موقعه.

٢ - قفزت عضوية المركز إلى أكثر من ثلاثة آلاف أسرة مسلمة عام ١٩٧٠م.

٣ - أنشئت في المبنى الجديد مدرسة لتعليم أطفال المسلمين مبادئ الإسلام وتضم الآن ثلاثة فصول وقاعة للمحاضرات.

٤ - تم طبع دليل جديد يضم أسماء المسلمين بجنوب كاليفورنيا.

٥ - يقوم المركز بإصدار نشرة دورية شهرية تثقيفية وإعلامية وهدفها الأساسي توثيق الروابط بين المسلمين في جميع أنحاء الولايات المتحدة.

٦ - اعتنق الإسلام عن طريق المركز (١٩٨١) أمريكياً في خلال السنوات الثلاثة الماضية.

٧ - تم في شهر يوليو ١٩٧١م شراء قطعة أرض مساحتها أربعة فدادين ونصف الفدان لإقامة المركز الإسلامي الدائم عليها وقد قمت بمشاهدتها مع سيادة السيد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. ويطمع المشرفون على هذا المركز أن يبدووا بوضع حجر الأساس في أوائل عام ١٩٧٢م إن شاء الله تعالى.

## التوصيات

تسير المؤسسة الإسلامية لجنوب كاليفورنيا في أعمالها بطريقة تنظيمية رائعة ذلك لأن المشرفين عليها جلهم من الشباب المسلم المثقف وتبشر رسالتها الإسلامية بلياقة وحكمة في معقل من معاقل الرأسمالية الصهيونية وفي بلد

يزخر بالجامعات التابعة لإرساليات تبشيرية مسيحية متعددة ولا أدل على سياسة هذه المؤسسة الحكيمة من أن المؤتمر السنوي العشرون عقد ولم يحدث فيه ما يعكّر مسيرة أو صفوة بالرغم من أنه عقد في بلد يسمى تل أبيب الثانية ولا أدل على هذه السياسة المتزنة من أن الحفلة الختامية حضرها كثير من رجال الكنائس المسيحية وأساتذة المعاهد والجامعات ومديري الشركات والبيوت التجارية في لوس انجلوس وهذا أيضاً يدل على أن هنالك حياداً إن لم تعاطفاً من غير المسلمين في ذلك البلد تجاه وجهة النظر الإسلامية ومبادئ الإسلام السامية.

وإني أوصي بما يلي:

- ١ - مساعدة هذه المؤسسة مادياً لتستطيع القيام ببناء المسجد والمركز والمدرسة في الأرض التي اشترتها بمبلغ (٧٥) ألف دولار أمريكي.
- ٢ - تزويد المؤسسة بالكتب الموسوعية والمدرسية.
- ٣ - قبولهم أعضاء في المنظمات الإسلامية العالمية حينما يتقدمون بذلك.

## المسلمون في أمريكا الجنوبية

وبعد انتهاء اجتماعات المؤتمر السنوي العشرين لاتحاد المسلمين في الولايات المتحدة وكندا غادرت لوس انجلوس في صباح يوم الخميس الموافق ١٩٧١/٧/٨م في جولة في أمريكا الجنوبية لدراسة أحوال المسلمين فيها، وقد زرت البلدان الآتية:

بنما، بوغرتا (عاصمة كولومبيا) سانتياجو (عاصمة تشيلي) بيونس إيريس (عاصمة الأرجنتين) وريو دي جانيرو وساوبولو في البرازيل.

وقبل الكلام على المسلمين في هذه المدن أود أن أزجي بخالص الشكر والامتنان إلى أصحاب السعادة سفراء الدول العربية في أمريكا الجنوبية ومديري مكاتب الجامعة العربية فيها على حسن استقبالهم وترحيبهم وحفاوتهم وتكريمهم ومساعدتهم لي في مهمتي الإسلامية..

## المسلمون<sup>(١)</sup> في بنما

المسلمون في بنما قليلون لا يتجاوز عددهم الثلاثمائة جلهم من الهنود والباكستانيين وحوالي اثنين وعشرين منهم من الفلسطينيين. ويشغل الهنود والباكستانيون بالتجارة موفقون فيها، أما الفلسطينيون فهم عمال وحالتهم رقيقة جداً.

ووافق اليوم التالي لوصولي يوم الجمعة فصليت بالمسلمين هناك صلاة الجمعة في غرفة تتسع لخمسين مصلياً استأجرها المسلمون هناك في حي من أحياء بنما الوطنية.

والمسلمون في بنما نشاطهم في الدعوة محدود لقلّة عددهم ولانشغالهم بأموارهم التجارية ولغتهم مدرسة يعلمون فيها أبناءهم وبناتهم الدين لكي يحافظوا على العقيدة. وهو عمل شكرتهم عليه وطلبت إليهم ألا يغفلوا عن الدعوة للإسلام كلما سنحت لهم الفرصة ولا سيما وللهنود المسلمين والباكستانيين جهود محمودة وباع طويلة في سبيل الدعوة الإسلامية.

---

(١) تمت الزيارة عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

## المسلمون في بوغوتا

### عاصمة كولومبيا

المسلمون في «بوغوتا» وفي مدن كولومبيا الأخرى قليلون أيضاً لا يتجاوز عددهم الخمسمائة شخص أكثرهم من العرب الفلسطينيين الذين هاجروا إلى هذه البلاد بعد نكبة الخامس من حزيران ١٩٦٧م، أما العرب من غير المسلمين فكثيرون.

وبمجرد وصولي «بوغوتا» تسقطت أخبار المسلمين بالرغم من البرد الشديد والمطر المنهمر فاتصلت بأحدهم وعرفته بنفسه فكاد يجن فرحاً ثم هرع إلي ومعه عدد من إخوانه وعرفني بهم وكانوا من أماكن متفرقة من فلسطين. من نابلس وحيفا، وشفا عمرو وخان يونس، والقدس ويافا، وسألتهم عن أحوالهم فعلمت أن حالتهم التجارية متوسطة وأن لهم نادياً يجتمعون فيه للسمر ولعب الورق والنرد وإنه ليس لهم أي نشاط إسلامي. فقلت لهم. لم لا تتخذون من النادي مصلى في أوقات العبادة ومدرسة في غير ذلك. وكانت مفاجأة لهم أهتبلتها بأن طلبت منهم أن أزور النادي الذي يجتمعون فيه. وقد رحبوا بذلك.

وفي المساء اجتمعنا في النادي وكان مؤلفاً من قاعة واسعة تتسع لسبعين شخصاً في الدور الأرضي وبجانبتها غرفة أو كراج بالمعنى الأصح وفي الطابق العلوي أربع غرف وصالة ضيوف. وبعد تبادل الكلمات المناسبة قلت لهم

هذه القاعة والكراج الملاصق لها تتسع لمائة من المصلين وفي أيام الصيف يمكنكم استعمال حديقة النادي - للصلاة ولا سيما في الاحتفال بالعيدين حتى في الشتاء يمكنكم استعمال الحديقة بعد تغطيتها كما يفعل المسلمون في لندن حين يصلون في المركز الإسلامي بها. أما الغرف الواقعة في الطابق العلوي فيمكن استعمالها مدرسة لتعليم أبنائكم وبناتكم الدين ولغة القرآن والحديقة ملعباً لهم وبذلك تحافظون على دينهم ولغتهم وتنالون من الله تعالى الجزاء الأوفى. وقد وعدوني بأن يفصلوا ذلك فعسى أن يكونوا قد بروا بوعدهم.

وبمجرد عودتي أرسلت الأمانة العامة للرابطة لهم كتباً مدرسية للصفوف الابتدائية مع مجلة الرابطة وجريدتها الأسبوعية.



## (١) المسلمون في سانتياجو

### (عاصمة جمهورية تشيلي)

يبلغ عدد المسلمين في سانتياجو وبقية المدن الأخرى من جمهورية تشيلي كما أحصتهم جمعية الاتحاد الإسلامي هناك، ما يقارب من ثلاثين ألف مسلم تقطن الأكثرية منهم في مدينة (سانتياجو) عاصمة تشيلي وهم خليط من العرب الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين وبعض الهنود والملايويين والتشيليين الذين اعتنقوا الإسلام.

وللمسلمين هناك جمعية تسمى جمعية الاتحاد الإسلامي تأسست بمدينة سانتياجو في ٢٥ أيلول ١٩٢٦ - ومُعترف بها رسمياً. ومنذ قيام هذه الجمعية وهي تعمل على توحيد كلمة المسلمين في جمهورية تشيلي وبث روح الآخر والتآلف بينهم وتقديم المساعدات إلى المعوزين منهم ومن أهل البلاد الأصليين.

وتستأجر الجمعية شقة بسيطة تتخذ منها مكتباً لضمان استمرار الاعتراف بشرعيتها ولم تستطع الجمعية - بالرغم من محاولاتها المتكررة - شراء وتشيد مركز لها تتخذ منه مصلى ومدرسة لتعليم الدين ولغة القرآن الكريم ويرجع

(١) تمت الزيارة عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

فشل الجمعية إلى عجزها المادي ذلك لأن معظم المسلمين في تشيلي من ذوي الدخل المتوسط أو الدخل المحدود، والأغنياء منهم يعدون على الأصابع. والدخل المحدود ظاهرة ملموسة بين المسلمين من سكان أمريكا الجنوبية. وجل ما استطاعت أن تفعله هذه الجمعية هو بناء مقبرة إسلامية لدفن موتاهم بعد أن كانوا يدفنون في مقابر المسيحيين من دون أن يصلى عليهم.

وبالنظر لعدم استطاعة المسلمين هناك بناء أو شراء مركز يجمعهم بالرغم من كتاباتهم للدول والمؤسسات والهيئات الإسلامية باسطين لهم ما هم فيه من أخطار تهدد عقيدتهم ووجودهم كمسلمين في هذا الجزء النائي من العالم فقد ساورهم اليأس والألم المرير والخيبة. وكانت الإرساليات التبشيرية تراقب عن كثب، فلما علمت بخيبتهم ويأسهم جاءتهم بعروضها السخية ومغرياتها البراقة فارتد والعياذ بالله بعض من المسلمين وقد تحدثت إلى بعض هؤلاء المرتدين الذين ما يزالون يحملون أسماء إسلامية كالحسن والحسين وعلي وكانت إجاباتهم واحدة: تركتمونا وأهملمتنا وسدت النصرانية سبل العيش في جوهنا من جهة ومدت لنا معطياتها ومغرياتها من جهة أخرى فتلفتنا هنا وهناك لعلنا نجد من قادة المسلمين وزعمائهم من يدفع عنا هذا الخطر الداهم فلم نجد أحداً مع الأسف. وهكذا وقعنا والحبل على الجرار ثم ودعوني بابتسامة صفراء تطفح بالسخرية والازدراء فأنكفأت راجعاً وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وتبلغ مأساة المسلمين ذروتها حين تسمع عن تزواج بين بنات المسلمين وشباب المسيحيين والمشركين التشيليين ولقد حدثني أكثر من أخ مسلم هناك أن لدى أحدهم بنتين بلغتا سن الزواج وأن والدهما خشية تزوجهما من مسيحيين يقيم الولائم والحفلات في داره ويدعو شباب المسلمين إليها لعلهم يرون بناته فيتزوجون بهما.

ولقد قال لي أحد المسلمين أنه حين رزق بابنة راودته نفسه أن يئدها كما كانت تفعل بعض القبائل العربية في الجاهلية ولم يخلص من هذا النوع إلا بعد أن أرسل ابنته إلى بعض أقاربه في سوريا.

### كيف نعالج هذه المعضلة

اجتمعت أثناء وجودي في سانتياجو بزعماء المسلمين فيها مرات ومرات وتداولنا في الأمر وناقشناه وقلبناه على وجوهه فلم نجد حلاً لهذه المعضلة سوى إيجاد مركز يتلاقى فيه المسلمون ويتخذون منه مصلى ومدرسة ومن ساحته ميداناً لمزاولة بعض النشاطات الرياضية والتسلية البريئة، وقد سألتهم عن تكاليف شراء أي بناء لهذه الغاية فأجاب رئيس للجمعية السيد محمد توفيق روميه بما يلي :

قبل أن تستولي العناصر الشيوعية على السلطة في التمثيل كان أي بناء يمكن تحويله إلى مركز إسلامي ويحتوي على حديقة واسعة يكلف ما يزيد على مائتي ألف دولار أمريكي. أما اليوم وبعد أن بدأ النظام الشيوعي في تشيلي بمصادرة الأموال والمصالح الأجنبية وأملاك الرأسماليين بغية تطبيق المبادئ الماركسية اللينينية فقد بدأ الكثير من المغتربين ومن أبناء البلاد بالهجرة وهم يبيعون بيوتهم وممتلكاتهم بأقل من ربع ثمنها الحقيقي لهذا السبب يمكن اليوم شراء دور كانت تكلف سابقاً مائتي ألف دولار بـ ٣٠ ألف دولار. وبما أن الجالية الإسلامية ليست لديها المقدرة على جمع هذا المبلغ فإننا نلتمس من حضرة صاحب الجلالة خادم الحرمين الشريفين وإمام المسلمين جلالة الملك فيصل أن يتفضل علينا بهذا المبلغ الذي سنستطيع به تحقيق هذه الأمنية الغالية كما نرجو في حالة تكرم جلالته بهذا التبرع أن يأمر بتحويله على ممثليه جلالته في فنزويلا وأن يأمرها بتشكيل لجنة من أعضاء السفارة فيها وبعض قادة جمعية الاتحاد ليتم بواسطتهم شراء المركز الذي نرجوه.

ثم أردف قائلاً: وإني أؤكد لك أن الجالية الإسلامية سوف تتكفل بتأثيث المركز والمسجد والمدرسة وبنفقات إدارته وصيانتته وما عليكم إلا أن تزودونا بالكتب الدينية والمدرسية والمجلات والصحف.

فوعدتهم بنقل ملتمسهم هذا إلى الأمانة العامة للرابطة لترفعه إلى المقام السامي. وقد تلقت الأمانة العامة قبل أيام خطاباً من رئيس جمعية الاتحاد الإسلامي هناك مؤرخاً ١٩٧١/٨/٢٨ وفيه تعزيز للمحادثة التي جرت بيننا.

## المسلمون في «بيونس إيريس»<sup>(١)</sup>

### (عاصمة الأرجنتين)

وعدد المسلمين في بيونس إيريس كما أخبرني السيد علي باكير رئيس المركز الإسلامي فيها يربو على الأربعمئة ألف. ولو فرضنا أن الرقم مبالغ فيه إلا أننا مهما أنقصناه فسيظل عدد المسلمين في الأرجنتين كبيراً إذا ما قيس بعدد المسلمين في بقية بلدان أمريكا الجنوبية بما فيها البرازيل.

وتتألف الجالية الإسلامية في الأرجنتين من المهاجرين السوريين وهم الغالبة يليهم اللبنانيون ثم الفلسطينيون والمسلمون من غير البلاد العربية. وقد جلب هؤلاء المهاجرون فيما جلبوا معهم نعاتهم الإقليمية والطائفية. وهكذا حينما تتجول في شوارع بيونس إيريس التي يبلغ سكانها في النهار تسعة ملايين تستلفت نظرك اللافتات المختلفة: الجمعية الحمصية الجمعية الحموية. الجمعية العلوية، نادي يبرود، الطائفة الدرزية. الجمعية النبطية وغير ذلك من الأندية والجمعيات.

والمسلمون في الأرجنتين أحسن حالاً من الناحية المالية عن غيرهم من المسلمين في بقية بلدان أمريكا الجنوبية فلهم مركز إسلامي كبير لعلّه أفخم

(١) تمت الزيارة عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

مركز إسلامي في أمريكا الجنوبية والشمالية بل وفي المملكة المتحدة ويقع المركز الإسلامي في شارع من الشوارع الرئيسية في بيونس إيريس وبه قاعة كبيرة تتسع لـ (٢٥٠) مصلى وبه صالونات وغرف فسيحة ومستودعات. ويتألف من أربعة طوابق وخلف المركز أرض تبلغ مساحتها حوالي ثلاثة دونمات وقد خصصت إحدى غرف هذا المركز لمكتبة الإمام محمد عبده أهدتها وزارة الأوقاف المصرية للمسلمين في بيونس إيريس أثناء زيارة السيد نائب الوزير توفيق عويضة. وقد عهد المركز إلى أحد أعضائه من الشبان المثقفين بتنظيم المكتبة وترتيبها وجعلها في متناول القراء. وسيقام احتفال بيوم افتتاحها.

والمسلمون في بيونس إيريس تنقصهم القيادة الدينية الواعية والمرشدون المثقفون تثقيفاً دينياً عالياً وتثقيفاً عصرياً عالياً مع معرفة تامة باللغة الإسبانية ذلك لأن الجيل الصاعد من الشباب المسلم في الأرجنتين مؤهل جداً ويحتل مراكز ضخمة في الإدارات والمصالح الحكومية وهو بحاجة إلى توجيه ديني سليم وقيادة تتجاوب مع أهدافه ومراميه وتتفاعل مع ما يخترن من طاقات علمية هائلة.

واتفق يوم وصولي إلى بيونس إيريس إن كان اجتماع مسبق لرؤساء الجمعيات الإسلامية فذهبت من المطار إلى المركز الإسلامي وحضر رؤساء الجمعيات وكانوا يمثلون ثماني جمعيات وتبادلنا الكلمات الترحيبية وتناقشنا في أحوال المسلمين ببلاد الأرجنتين وتكلم رئيس المركز الإسلامي السيد علي باكير عن رحلته إلى البلاد العربية وعن الوعود التي أعطيت له بشأن مساعدة المركز على بناء مسجد ومدرسة على الأرض الواقعة خلفه بعد شراء الدارين الملاصقين للمركز لهذه الغاية. ولما سألته عن مقدار المساعدة التي طلبها من البلدان التي زارها أجاب بأنها مليون دولار أمريكي فقط لا غير.

فابتسمت فتساءل فقلت إن المبلغ كبير جداً أو بالأحرى خيالي ولا يمكن أن تجد بين الدول العربية التي زرتها من تستطيع أن تقدمه لك حتى لو اجتمعوا كلهم ثم: قال: ثم ماذا؟ قلت إن الجالية الإسلامية بالأرجنتين غنية والله الحمد كما سمعت منك ومن السادة رؤساء الجمعيات المحترمين وعدد أفرادها كبير. فلو جمعت دولاراً من كل فرد منهم في السنة لأمكنك تنفيذ مشروعك هذا خلال سنتين وبدون الاستعانة بأي بلد عربي وأيد رأيي بعض الحاضرين من رؤساء الجمعيات وقالوا يجب أن نعتمد على الله ثم على أنفسنا وإذا بدأنا في البناء واحتجنا فما أظن أن رؤساء الدول العربية وفي مقدمتهم عاهل المملكة العربية السعودية يبخلون علينا بالمساعدة. أما أن نطلب المساعدة قبل المباشرة الفعلية في البناء وظهور معالمه فلا أعتقد أن أحداً سوف يساعدنا ثم ضرب مثلاً على ذلك بالمدرسة التي شرعوا في بنائها والتي هي على وشك الانتهاء وقال: لقد صممنا على البناء فاستعنا بالله وجمعنا من الجالية فقام البناء والحمد لله فشكرته على آرائه القيمة السديدة وقلت يجب أن تكون جمعيتكم قدوة لبقية الجمعيات الأخرى في الأرجنتين. وبعد ذلك اتفقنا على أن يقوم المركز الإسلامي بحملة تبرعات واسعة بينما يجري في الوقت نفسه عمل الخرائط والتصميمات للمسجد والمدرسة.

وانفض الاجتماع وذهبت مع رئيس المركز الإسلامي وسكرتيه للعشاء وفي أثناء ذلك شكوا إلي من أن الشباب لا يقبلون على المركز بحجة أنهم لا يجدون في المركز إلا محاضرات دينية. إنهم يريدون نشاطات أخرى بالإضافة إلى النشاط الديني كما تفعل الجمعيات المسيحية وكما تفعل الجمعيات الصهيونية، فأجبت: لأن تفعل كما تفعل الجمعيات المسيحية والصهيونية فهذا ما لا أوافقك عليه لأن فيما تفعله هذه الجمعيات كثير من المعصيات والأمور التي تتنافى تعاليم الإسلام. فقال بماذا تنصح فقلت أنصح بالآتي:

- ١ - دروس دينية مرتان في الأسبوع بالإضافة إلى يوم صلاة الجمعة.
  - ٢ - محاضرات تثقيفية مقتبسة من التاريخ الإسلامي ومن أفعال السلف الصالح.
  - ٣ - تمثيلات مقتبسة أيضاً من التاريخ الإسلامي.
  - ٤ - رحلات كشفية.
  - ٥ - إنشاء ملاعب للتنس وكرة السلة والكرة الطائرة في الساحة الملاصقة للمركز.
  - ٦ - تخصيص غرفتين في الدور السفلى من المركز لمزاولة طاولة التنس ولأنواع التسلية البريئة.
  - كما يمكنك أن تبدأ محاضراتك التثقيفية وتمثيلياتك الإسلامية بموعظة دينية.
  - ٧ - أن تشرك الشباب المثقف في إدارة المركز فتجعلهم يشعرون بوجودهم وبالمسؤولية الملقاة على عاتقهم.
- فشكرني ووعد بأن يعرض هذه النصيحة على مجلس إدارة المركز وهو موقن أنهم سيقبلونها ويعملون بها. وقبيل سفري أكد لي رئيس المركز وغيره من أعضاء مجلس إدارة المركز بأنهم سيقومون بحملة واسعة لجمع التبرعات للمسجد والمدرسة والعمل بما نصحتهم به.

## الرأي

- ١ - المجال واسع لتنشيط الدعوة الإسلامية وتبليغ رسالة الإسلام واسترداد الشباب المسلم التائه في بيدااء التيارات الفكرية الضالة والقضاء على المؤتمرات الصليبية التي تتربص بهم لتتخطفهم كما تخطفت إخوانهم من



المسلمين في جمهورية التشيلي. ولذلك فإن إرسال الدعاة المثقفين ضرورة ملحة شرط أن يكونوا ملمين باللغة الإسبانية بالدرجة الأولى.

٢ - استغلال الشباب المسلم الذي يشغل مناصب بارزة في جهاز الدولة في سبيل الدعاية لقضايا المسلمين المصيرية.

٣ - الحكومة الأرجنتينية تهتم بالأديان وهناك دائرة يرأسها موظف برتبة وكيل وزارة مهمته العناية بالشؤون والطوائف الدينية في الأرجنتين وقد علمت فيما علمت أن هذا الموظف يظهر عطفاً كبيراً على المسلمين هناك وأنه في لقاءات زعماء المسلمين به كان ينصحهم بوجوب إصلاح وتقوية قيادتهم الدينية. كما أن الحكومة العسكرية الحالية في الأرجنتين اتجاهاً ضد إسرائيل واضح والصهيونية تبذل مساعي كبيرة لاجتذابهم بإرسالها الوفود وعرض الخبرات العلمية والفنية ولكن آذان الحاكمين للأرجنتين غير مستعدة للإصغاء في الوقت الحاضر وأخشى ما أخشى أن تثمر جهودهم إذا لم تقم الدول الإسلامية والعربية بمجهود مماثل «فكثرة الدوي يعلم السحر كما يقول المثل» ولعلّ فتح الأسواق العربية لمنتجات جمهورية الأرجنتين ضماناً لالتزامها سياستها الحالية.

## المسلمون في جمهورية البرازيل<sup>(١)</sup>

وغادرت بيونس إيريس في طريقي إلى ريو دي جانيرو عاصمة البرازيل السابقة. والمسلمون فيها لا يتجاوز عددهم الألفين ولهم جمعية تسمى الجمعية العلوية لها مركز تتخذ منه مصلى لأيام الجمعة والعيدين وهم بحاجة إلى مرشد من أهلهم لأنهم شيعة من أهل التشيع الحسن يحتفون بأي مسلم يصل إلى ريو دي جانيرو، لا يهتمهم مذهبه ولا لونه ولا جنسه وأكثرهم من الطبقة الكادحة وبينهم من الشبان الذين يشغلون مراكز طيبة في البنوك والشركات وهم على علاقة طيبة وتعاون ملحوظ مع بقية الجمعيات الإسلامية في مدن البرازيل الأخرى.

ومركزهم ملتقى لسفراء الدول العربية والإسلامية هناك أيام الجمعة والعيدين وفي المآتم والأفراح - وشعورهم بالقضايا المصيرية ملحوظ وملموس وعندهم صندوق تبرع للعمل الفدائي كما أنهم يتبرعون عندما يدعون إليه.

وريو دي جانيرو من أجمل بلاد العالم ومجال الدعوة الإسلامية فيها واسع ولا سيما بين الملونين من أهلها الذين يسكنون في أماكن منظرها جمال تلك المدينة الرائع. وقد علمت أن حكومة البرازيل آخذة في بناء مساكن شعبية لهم

(١) تمت الزيارة عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

على الطراز الحديث، ومع أن التمييز العنصري في البرازيل يكاد يكون معدوماً إلا أن الملونين يشعرون في قرارة أنفسهم بأنهم ليسوا في مستوى غير الملونين شيء. وهذا الإحساس يمكن استغلاله لصالح الدعوة الإسلامية. والكنيسة لها نشاطات ضخمة متعددة النواحي والاتجاهات ورجال الكنيسة مركّزون جهودهم على هؤلاء الملونين ونجاحهم بينهم ملحوظ ولكني مع كل ذلك أرى أنه لو كان للدعوة الإسلامية مبلغون هناك لنجحوا أكثر من رجال الكنيسة.

وغادرت ريو دي جانيرو إلى ساو باولو أكبر مدن البرازيل والمركز التجاري الرئيسي الذي يمون الخزانة البرازيلية بثلاثي وارداتها.

### في «ساو باولو»

يبلغ عدد المسلمين في البرازيل حوالى ستين ألف يقطن خمسهم في (ساو باولو) وولايتها وينتشر الباقون في ولايات البرازيل الأخرى حتى الأمازون. غير أنهم يتركّزون في المناطق الآتية:

ساو باولو، ريو دي جانيرو، كورتيبا، بارتوس وبرايليا. وأغلبهم من المهاجرين السوريين ثم اللبنانيين وغيرهم من المسلمين من غير العرب.

واللغة السائدة في البرازيل هي اللغة البورتغالية خلافاً لبقية بلدان أمريكا الجنوبية اللغة السائدة هي الإسبانية (الكاستلو). وفي ساو باولو مسجد فخم يكاد يكون المسجد الوحيد في كل أمريكا الجنوبية والنية الآن متجهة إلى إشادة مسجد آخر في مدينة (كورتيبا) وفعلاً وضعت أساسات هذا المسجد فعسى أن يوفق الله القائمين على إكمال تعميره. وبساوبا ولو مدرسة واحدة تسمى المدرسة الإسلامية البرازيلية تدرّس بها العلوم الدينية واللغة العربية بجوار المنهج الوطني البرازيلي وقد افتتحت في عام ١٩٦٦ وبها الآن (٣٢٠)

تلميذاً وتلميذة وقد زرت المدرسة فأعجبت بترتيبها ونظافتها، فقد بنيت على أحدث طراز وبالمدرسة مكان يؤدي فيه الطلبة الصلاة ومكان للوضوء ومنافع مستوفية جميعها للشروط الصحية. وللمدرسة ساحة يزاول فيها الطلبة نشاطاتهم الرياضية.

والمؤسسات الموجودة بالبرازيل تبلغ (١٤) مؤسسة وللمسلمين صحيفة تسمى (العروبة) وتصدر في ساو باولو باللغتين العربية والبرتغالية وتعتبر لسان حال المسلمين حيث أنها تخدم النشاط الإسلامي وتعرف بالإسلام عبادة وحضارة وكان صدورها في عام ١٩٥٨ عقب وصول فضيلة الشيخ عبد الله عبد الشكور كامل الداعية الإسلامي الكبير الذي انتدبته وزارة الأوقاف المصرية لتبليغ رسالة الإسلام في هذا الجزء من العالم.

وفضيلة الشيخ عبد الله عبد الشكور عالم جليل، تقي ورع، كتلة من النشاط والحركة يتنقل من بلد إلى آخر في البرازيل في سبيل الدعوة إلى الله ويتكلم اللغة البرتغالية كأحد أبنائها والفضل لله تعالى ثم له في ظهور الحركة الإسلامية ونشاط الدعوة الإسلامية وتوحيد الصف الإسلامي في البرازيل، فالمسجد استكمل بناؤه في أيامه والمدرسة الإسلامية البرازيلية بنيت بجهوده المتواصلة في حضان المسلمين وأصحاب البر على التبرع لها حتى أصبحت على ما هي عليه. وهو الذي أصدر جريدة العروبة ومجلة أخرى تسمى «إسلامنا» وتعنى بنشر الثقافة الإسلامية بالبرتغالية والعربية وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر إسلامي لأول مرة في أمريكا الجنوبية حضره ممثلون عن المسلمين في أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية كما حضره الشيخ محمد العبودي مندوباً عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ومهما قلت عن الشيخ عبد الله عبد الشكور فلن أفيه حقه من الجهود والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله في ذلك الجزء النائي من العالم، فجزاه الله عن عمله خير الجزاء.

قلت فيما سبق أن بالبرازيل (١٤) مؤسسة إسلامية. وفي مقدمة هذه المؤسسات «الجمعية الإسلامية» في (سانت امارو) بساو باولو. وأعضاء هذه الجمعية نخبة من الشباب العربي المسلم المثقف وقد اشتروا أرضاً تبلغ (٨٥٠٠) متر بخمسين ألف دولار فدفعوا منها (٢٠) ألف والباقي يدفعونه بالتقسيط كل شهر ألف وثلاثمائة دولار. وهدفهم من شراء هذه الأرض تعمير مسجد صغير وناد يحتوي نشاط الشباب والشابات ويحول بينهم وبين أن يذوبوا في نواد أجنبية تؤثر على عقيدتهم وأخلاقهم وتقاليدهم. وبهذه الأرض بقايا فيلا وما تبقى مليء بأشجار الفاكهة والزينة. وقد زرتهم في مقرهم الجديد وتبادلنا الأحاديث فوجدتهم متحمسين لخدمة دينهم والحفاظ على تراثهم وتقاليدهم الإسلامية وتآلمهم لما يجري في البلدان العربية والإسلامية واستعدادهم للتضحية بالنفس والنفيس في سبيل توحيد القلوب ورأب الصدع ولم الشمل.

أما من ناحية الشباب فقد بدأت «ندوة الشبيبة الإسلامية نشاطها منذ ثلاث سنوات بساو باولو وجعلت من رسالتها تكوين مجموعة من الدعاة المحليين من الشباب يعملون في تنشيط المؤسسات الإسلامية، ويقومون بزيارات لمراكز تجمعات المسلمين داخل ولايات البرازيل مع الاهتمام الكبير بتثقيف أنفسهم دينياً وعلمياً.

ولقد تمكنت الندوة من أن تمثل في مجلس إدارة (١٢) مؤسسة بالبرازيل إما كأعضاء عاملين وإما أعضاء شرف كمستشارين موجّهين للشباب.

وفي الاجتماع الذي عقد في صالة المدرسة الإسلامية البرازيلية وحضره رؤساء المؤسسات الإسلامية تبادلنا الأحاديث بشأن تنشيط الدعوة الإسلامية وترسيخ قواعد الإسلام في نفوس الشبيبة الإسلامية ولا سيما الجيل الصاعد منهم واستعرضنا الجهود التي تبذل لتحقيق هذه الأهداف السامية. فشكرتهم

على جهودهم الجبارة في تمكين صرح العقيدة الإسلامية بهذا القسم من العالم وقلت إن سان باولو تعتبر بحق مركز الثقل في أمريكا الجنوبية من ناحية قوة وتنظيم العمل الإسلامي. ونصحت بأن تنظر المؤسسات الإسلامية في توحيد نشاطاتها وتركيز أعمالها وتعمل على الانضمام إلى المنظمات الإسلامية العالمية بمكة المكرمة، وقد تلقيت ساعة تسطير هذا التقرير رسالة من فضيلة الشيخ عبد الله عبد الشكور يقول فيها.

«أخي: بإذن الله تعالى تجتمع المؤسسات الإسلامية في البرازيل في مؤتمر إقليمي عقب شهر رمضان المبارك وسيعرض عليها موضوع المجلس الإسلامي بالبرازيل وسيناقش قانونه، هذا المجلس الذي سيتولى التخطيط والتوجيه للحركة الإسلامية بالبرازيل والذي سيكون واسطة لربط النشاط الإسلامي هنا بالمنظمات الإسلامية العالمية بمكة المكرمة إن شاء الله تعالى».

## ما هو واجبنا تجاه المسلمين في البرازيل؟

المجهود الجبار الذي تقوم به المؤسسات الإسلامية في البرازيل في سبيل الحفاظ على العقيدة الإسلامية وتبليغ رسالتها عمل يعوزه التأييد المادي والمعنوي من الجهات الإسلامية وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية فأمال المسلمين فيها كبيرة وعريضة وقد يمثل جزء من هذا التأييد فيما يأتي:

١ - إهداء سيارة أوتوبيس للمدرسة الإسلامية البرازيلية يكتب عليها أنها هدية من المملكة العربية السعودية وذلك لإحضار أطفال المسلمين إلى المدرسة (علماً بأنه لا تستوفي رسوم جمارك على هذه السيارة نظراً لورودها إلى مركز ديني وهو المسجد والمدرسة) ولقد لاحظت أثناء زيارتي لهذه المدرسة واطلاعي على سجل أسماء تلامذتها أن عدداً غير قليل لا تستوفي إدارة المدرسة منهم رسوماً لفقر ذويهم.

وكما أسلفت في هذا التقرير فالمسلمون في أمريكا الجنوبية أكثرهم متوسطو الدخل. وما أكثر فقراء المسلمين الذين تقف إمكانياتهم المادية عاجزة عن دفع نفقات الانتقال لأبنائهم نظراً لكثرة عدد أبناء الأسرة الواحدة وهكذا ينصرف الطفل عن المدرسة وبهذا يبعد تماماً عن الإسلام بعد أن عز عليه أن يتعلمه أو يتعرف على عباداته وشعائره وأخلاقه فيضيع مسلم الغد وينحسر الإسلام رويداً رويداً فتكون هناك أندلس جديدة نرجو من الله أن لا تكون.

٢ - معاونة الجمعية الإسلامية في سانتا امارو على إنشاء مدرسة تمكنها من الحفاظ على إسلام الذرية والناشئة الإسلامية.

إن لفظة من لفتات عاهل هذه المملكة المفدى ستضاعف هذا الجهد، والمسعى والعمل وهو ما يأمله الأخوة المسلمون هناك من خادم الحرمين الشريفين. أعز الله به الإسلام والمسلمين.

## العودة إلى الولايات المتحدة<sup>(١)</sup>

### ١ - المركز الإسلامي في واشنطن :

وحزمت حقائبي وغادرت ساو باولو إلى ريو دي جانيرو ومنها إلى واشنطن. وبعد استراحة من طيران دام (١٢) ساعة قمت بزيارة ممثليه جلالة الملك المعظم هناك ومنها توجهت إلى المركز الإسلامي حيث اجتمعت بمديره الدكتور محمد عبد الرؤوف وهو مصري وبمساعده السيد محمود صيني وهو سعودي. وكنت تعرفت بالدكتور محمد عبد الرؤوف أثناء انعقاد المؤتمر السنوي العشرين لاتحاد الجمعيات الإسلامية في أمريكا وكندا وهو من العلماء الأفاضل والدعاة المهتمين بشؤون الدعوة وله مكانته بين المسلمين في الولايات المتحدة.

وكان المركز الإسلامي أو المسجد الإسلامي في واشنطن مكتظاً بالزائرين وكانت فرصة لي للتعرف على بعض الأساتذة العراقيين الذين يدرسون في الجامعات الأمريكية كما تعرفت إلى أحد إخواننا المسلمين من فولتا العليا بإفريقية. والمركز يؤمه كثير من السياح الأجانب لمشاهدة المسجد وبعضهم لأخذ المعلومات عن المسلمين في الولايات المتحدة. وكنت من هؤلاء وكان مدير المركز بي حفيماً فاستجاب لي حين طلبت منه ترتيب لقاء لي بالمسلمين

(١) تمت الزيارة عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.



في واشنطن في المركز هنا أو تزويدي بالعناوين حتى أذهب إليهم. فأخبرني أن في واشنطن جمعيتين إسلاميتين ووعدني بأن يهييء لي اجتماعاً مع رؤسائهما في أقرب وقت ممكن فشكرته.

ونشاط المركز الإسلامي في واشنطن غير مقتصر على المسلمين في واشنطن بل يمتد إلى سائر المسلمين في الولايات المتحدة ويتركز نشاط المركز في الأمور التالية:

١ - إقامة صلوات الجمعة والعيدين وفتح المسجد في أوقات صلوات الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء.

٢ - الاحتفال بالعيدين وتبليغ المسلمين في الولايات المتحدة بحلول هذين العيدين.

٣ - الاحتفال بالعيدين وتبليغ المسلمين في الولايات المتحدة بحلول هذين العيدين.

٣ - إصدار تقويم وإساقية رمضان.

٤ - تنظيم برنامج أسبوعي لتعليم الإسلام واللغة العربية للمسلمين الذين يدخلون حديثاً في الإسلام.

٥ - صفوف مسائية لتدريس اللغة العربية.

٦ - مدرسة أسبوعية لأطفال المسلمين.

٧ - إلقاء محاضرات عن الإسلام في الكنائس والجامعات المختلفة والمدارس الأخرى وفي المنظمات داخل واشنطن وخارجها.

٨ - هناك أدلاء معينون من قبل المركز لإلقاء محاضرات عن الإسلام للسياح الذين يزورون المسجد ومكتبته.

٩ - تنظيم محاضرات تلقى من قبل العلماء المسلمين الذين يزورون واشنطن.

١٠ - القيام باتصالات بالمنظمات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا بقصد تنسيق العمل بينها وبين المركز الإسلامي.

١١ - مصدر للمعلومات عن الإسلام والثقافة الإسلامية والمنظمات الإسلامية للمسلمين وغير المسلمين في الأمريكيتين.

١٢ - بالمركز الإسلامي مكتبة مرجعية عامرة بالكتب والمجلات باللغات العربية والإنجليزية والإيرانية والأردو والتركية وكلها تعالج نواحي متعددة عن الدين الإسلامي.

١٣ - الرد على الطعون التي ترد في بعض المجلات الأمريكية.

١٤ - طبع بعض الكتيبات عن الإسلام وتوزيعها مجاناً.

١٥ - القيام بعقود الزواج.

١٦ - أرض لدفن موتى المسلمين مجاناً.

١٧ - زيارة المساجين وإعطائهم دروساً عن الإسلام.

١٨ - إصدار شهادات لمعتنقي الإسلام.

١٩ - تدريب المسلمين الذين دخلوا حديثاً في الإسلام على كيفية أداء العبادات.

## ٢ - جمعية مسجد الأمة :

وهيأ مدير المركز الإسلامي الموعد مشكوراً واجتمعت بالأخ يوسف مظفر الدين حامد رئيس مسجد الأمة ومعه الأخ - سليمان شاهد وهو المسؤول عن الإعلام في الجمعية والمحرر للنشرة التي تصدرها بالإنجليزية جمعية مسجد الأمة واسمها «الأمة».

ورئيس جمعية مسجد الأمة من المسلمين السود وكذلك أعضاؤها وقد درس رئيسها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ولكنه لم يكمل دراسته. وفي الحديث الذي دار بيننا علمت أن عدد أعضاء جمعيته يربو على الثلاثة آلاف وإن نشاط دعوته يتركز بين السود في السجون والطلبة الملونين في الجامعات وأنهم يجدون تجاوباً محموداً لدعوة الإسلام في كلا الجانبين.

وقد طلب مني تزويدهم بنشرات وكتب باللغة بالإنجليزية فوعده بتلبية طلبه بمجرد عودتي إلى السعودية بإذن الله. وفعلاً هيأت الأمانة العامة للرابطة ما لديها من نشرات وكتيبات باللغة الإنجليزية هي في طريقها إليه. وقد زرت مركز جمعية مسجد الأمة وهو عبارة عن شقة تقع في حي الأمريكان السود بها غرفة كبيرة تتسع لثلاثين مصلى وملحق بها ثلاث غرف أخرى تتخذ مدرسة لتعليم أبناء المسلمين السود الدين واللغة العربية. وهم بحاجة إلى عون مادي لاستمرارهم في دعوتهم بين الأمريكان السود الذين أعتقد أن دخولهم في الإسلام كسب كبير لقضايا المسلمين في أمريكا.

### ٣ - الجمعية الخيرية الإسلامية :

ويرأسها الدكتور المهندس أحمد عبد الرزاق وهو شاب فلسطيني من جهات قضاء القدس ويدرس في إحدى الجامعات الأمريكية. وأعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية من المهاجرين العرب الذين يشتغلون في واشنطن في أعمال حرة أو التدريس في جامعات أمريكية.

ويبلغ عدد أعضاء هذه الجمعية (١٥٠) وليس لهم مركز يجتمعون فيه إنما يتخذون من المركز الإسلامي في واشنطن مكاناً لاجتماعاتهم إذا اقتضى الأمر. وأعضاء هذه الجمعية يمثلون الشباب العربي المثقف في واشنطن ويمكن الاستفادة منهم لو تهيأ لهم المال والمكان. وقد تأسست هذه الجمعية حديثاً ولذلك فنشاطها ما يزال ضيقاً وضمن دائرة محدودة كما أفضى إلى

رئيسها بذلك. ويأملون مستقبلاً أن يزداد عدد الأعضاء فيزداد المورد وتكثر الأيدي العاملة. وفي رأيي أن أي معونة رمزية من الرابطة سيكون لها الأثر الفعّال في دفع عجلة هذه الجمعية إلى الأمام.

وتصدر هذه الجمعية نشرة باللغة الإنجليزية اسمها «نيوزلتر» وتعنى بشؤون المسلمين في واشنطن وأخبار المركز الإسلامي فيها.

## المسلمون في نيويورك<sup>(١)</sup>

### ١ - المركز الإسلامي :

واتفقت مع مدير المركز الإسلامي في واشنطن على أن تتلاقى في نيويورك وكان في طريقه إليها لاستقبال الدكتور - سليمان دنيا المدير الجديد للمركز الإسلامي في نيويورك.

وفي صباح اليوم التالي لوصولي نيويورك قمت بزيارة للقنصلية السعودية فيها. والقنصل السعودي السيد عبد الحميد قاري من خيرة الشباب السعودي خلقاً وعلماً ودراية وله سمعة عليه بين جميع من عرفوه.

ومن القنصلية السعودية ذهبت إلى المركز الإسلامي حيث التقيت بالدكتور محمد رؤوف مدير المركز الإسلامي في واشنطن والدكتور سليمان دنيا الذي عين مجدداً مديراً للمركز الإسلامي في نيويورك وهو من خريجي الأزهر وجامعة السوربون بفرنسا.

وكانت زيارتي للمركز الإسلامي بنيويورك يوم الجمعة فصلت بالناس وبعد الصلاة تناولنا الغداء في المركز ثم ذهبت مع الدكتور محمد رؤوف لمشاهدة الأرض التي اشترتها الدول العربية لتعمير مسجد ومركز إسلامي عليها ولكن ثمنها لم يستكمل بعد والأرض تقع واجهتها الغربية على شارع رئيسي. أما

(١) تمت الزيارة عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

واجهتها الشرقية فتحجبها بعض الدور الملاصقة وأخشى ما أخشى أن تقدم الصهيونية على شراء الدور الملاصقة ومن ثم تقييم بناء من ناطحات السحاب يطمس منظر المسجد والمركز الإسلامي المزمع بناؤه. ولذلك فإنني أرى الاتصال بالدول الإسلامية ذات - العلاقة واطلاعها على هذه المخاوف هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذه الدور إذا ما اشترت فمنظر المسجد والمركز لا يمكن حجبها أبداً فسيكون مفتوحاً من جميع الجهات.

والمسلمون في نيويورك يربو عددهم على الـ (١٢٠) ألف ولكن نشاطهم مع الأسف قليل أو ضئيل إذا ما قورن بنشاط الأقليات الأخرى من المهاجرين وبالارتباط بزعماء المسلمين هناك فهتم أنهم يريدون أن تكون اللجنة المشرفة على إدارة المركز الإسلامي في نيويورك منهم وليس من ممثلي الدول الإسلامية ذلك لأن ممثلي هذه الدول - كما يقولون - مشغولون بمهامهم السياسية والمركز الإسلامي يريد لجنة متفرقة للأمور الدينية لا تشغلها عنه أية مشاغل أخرى. وزعماء المسلمين هناك يحسبون حساباً للصهيونية المسيطرة على كل شيء في نيويورك ويخشون أن تقدم على شراء الدور الملاصقة للأرض التي اشترتها الدول الإسلامية كما فعلت حين اشترت الدار الملاصقة للمركز الإسلامي في نيويورك وصارت تقوم بتشويش وضجيج أيام الجمعة والعيدين. ثم إن المركز الإسلامي في نيويورك - في رأيي - يحتاج إلى أكثر من مدير واحد. إنه بحاجة إلى مدير ومساعدين ثلاثة على الأقل ويكونون من الشباب المسلم الواعي المثقف تثقيفاً دينياً وعصرياً وملماً باللغة الإنجليزية. فالمسلمون في نيويورك بحاجة إلى تنظيم واستقطاب لطاقتهم المبعثرة وتوحيدها وتوجيهها في سبيل الدعوة الإسلامية وللدفاع عن قضايا المسلمين في بلد تبرز فيه سيطرة الصهيونية بشكل مخيف.

## ٢ - مسجد ياسين :

وهي جمعية من المسلمين السود وأبرز جمعية لهم في نيويورك وقد قمت بزيارة لهذه الجمعية في مركزها ببروكلن حيث استقبلني رئيس الجمعية الأخ يحيى عبد الكريم.

والمركز مؤلف من طابقين: العلوي منه متخذ مصلى ويتسع لخمسين شخصاً وبه حاجز للمسلمات حين الصلاة ورئيس للجمعية هذه شخصية جذابة وقوية وله سلطان على أتباعه بشكل ملحوظ. وبالتحدث إليه علمت أن الجمعية ابتدأت بـ (٢٥٠) شخصاً قبل سنتين وأن أعضاءها اليوم يبلغون الثلاثة آلاف وهو مطمئن إلى أن أعداد كبيرة من السود ستدخل في الإسلام والترجمة المعتمدة عندهم لتغيير معاني القرآن الكريم هي ترجمة عبد الله يوسف علي. وهم بحاجة إلى كتب باللغة الإنجليزية ترسل إليهم عن طريق القنصلية السعودية في نيويورك. ورئيس جمعية مسجد ياسين متحمس للدعوة بشكل يبعث على السرور والأمل وقد قال لي إن أمنيته أن يقوم بترجمة (الجامع الفريد) إلى اللغة الإنجليزية وأنه سيفعل إن شاء الله متى تمكن هو من اللغة العربية ووجد من يساعده على عمله هذا.

وفي المدرسة بعض الصفوف لتعليم الدين واللغة العربية لأن رئيس الجمعية يتكلم العربية بسهولة وكثير من أعضاء هذه الجمعية يتكلمونها. والشيء الذي يلفت النظر أن أعضاء هذه الجمعية منظمون تنظيمًا رائعاً ولهم مخطط مرسوم يمشون عليه وأرى:

١ - أن تساعد هذه الجمعية بالمال.

٢ - أن تخصص منح دراسية لبعض أفرادها.

٣ - أن يزودوا دائماً بالكتب والنشرات الإسلامية باللغة الإنجليزية.

وفي نيويورك أيضاً جمعية للمسلمين السود تسمى جمعية أنصار الإسلام

ونشاطها أيضاً لا يقل عن نشاط جمعية مسجد ياسين. وهناك جمعيتان أخريتان في نيويورك أعضاءهما من المهاجرين المسلمين واسم الأولى جمعية المسلمين المثقفين. والأخرى الجمعية الإسلامية الدولية. ولم يتوفر لي الوقت لزيارتها.

وأرفق بهذا القسم من تقريرني عن المسلمين في الولايات المتحدة وكندا والبحر الكاريبي قائمة بأسماء الجمعيات والمنظمات الإسلامية فيها مع عناوينها للفائدة.



## اتحاد الطلبة المسلمين<sup>(١)</sup>

### (في المملكة المتحدة وأيرلندا)

المسلمون في المملكة المتحدة يربو عددهم على النصف مليون وهم موزعون في أنحاء متعددة من المملكة المتحدة وعددهم في منطقة لندن كبير. وفي المملكة المتحدة عدد كبير من الجمعيات أكثرها نشاطها محدود لقلّة الإمكانات المادية ولضعف القيادة الدينية فيها كما أن بعضها استغلالي مع الأسف.

وفي رأيي أن الجماعة الوحيدة التي تعمل بحماس وتنظيم ونشاط ملحوظ ملموس في المملكة المتحدة هي: اتحاد الطلبة المسلمين في المملكة المتحدة وأيرلندا.

### نشأة الاتحاد:

كثير من الطلبة المسلمين الوافدين إلى بريطانيا من جميع أنحاء العالم تتكفل بهم حكوماتهم أو أولياؤهم أو منظمات معينة وعددهم في تزايد مستمر. وقد حرص المسؤولون عنهم على تأمين حاجاتهم وعمل الترتيبات

(١) تمت الزيارة عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

اللازمة لمقامهم ولكنهم مع الأسف لم يحسبوا حساب أن هؤلاء الطلبة مسلمون وأنهم سيعيشون في خضم مسيحي له عاداته وتقاليده وحسناته ومساوئه ومغرياته. وإن الطلبة المسلمين الموفدين في سن لا يستطيعون فيه ضبط عواطفهم ولا التحكم في أنفسهم وهكذا نسمع عن ارتكابهم لأعمال تنافي تعاليم وأخلاق الإسلام. وهكذا ضاع الكثير منهم في متاهات اللهو والمجون، وعاد من عاد منهم إلى بلاده وهو يحمل أسوء ما في الغرب من عادات وأخلاق.

إن هذه الحالة المحزنة والمآسي المتكررة حفزت عدداً من الطلبة الذين هداهم الله إلى أن يفكروا في إنقاذ إخوانهم الطلبة في بريطانيا وإنقاذ كثير من البريطانيين الذين دخلوا الإسلام وتأمين الجو الملائم لهم. وهكذا تكون اتحاد الطلبة المسلمين من أعضاء من كليات وجامعات في بريطانيا لمعالجة هذه المشكلة ووضع الحلول الجذرية لها.

وفي المؤتمر السنوي الذي عقده الاتحاد بمانشستر عام ١٩٦٥م تقرر تشييد (بيت) لتسهيل سكن للطلبة من جهة وإقامة النشاطات الإسلامية من جهة أخرى. فبدىء في الاكتتاب وجمع التبرعات. ولكن سير المشروع كان بطيئاً حتى جاء تبرع مشكور بمبلغ عشرين ألف جنيه استرليني من حضرة صاحب الجلالة خادم الحرمين الشريفين الملك فيصل المعظم بنى بها الاتحاد مركزه الحالي في (٣٨ طريق مايري - لندن).

وقد اصبح المركز مصلى وملتقى للطلبة المسلمين وللشخصيات الإسلامية التي تزور لندن كما خصصت بعض غرفه لسكن بعض الطلاب المسلمين الفقراء. ويصدر المركز مجلة اسمها المسلم وبعض النشرات الأخرى كما يقوم باتصالات دائمة بالطلبة الوافدين لتيسير سكنهم وإرشادهم للجامعات والكليات.

ولاتحاد الطلبة نشاط كبير في القضايا الإسلامية وما نحن ببعيد عن يوم المسجد الأقصى الذي استأجر له قاعة ألبرت التذكارية لمدة ساعتين بـ (٩٠٠) جنيه إسترليني وذلك لإلقاء المحاضرات والخطب في ذلك اليوم التاريخي.

ولاتحاد الطلبة جهود في محاربة القاديانية وإحباط جميع محاولاتها في التغلغل بين صفوف الطلبة كما أن اتحاد الطلبة بالتعاون مع أصحاب مجلة (امباكت) لسان حال المسلمين في بريطانيا قد استطاع تطهير جامع (ووكنج) من رجس القاديانية ووضعه في يد أمينة من المسلمين.

ومركز اتحاد الطلبة بحاجة إلى تدفئة عامة وإلى توسيع مصلاه وزيادة بعض فصول تدريس الدين واللغة العربية فيه وأرى وقد تلمست نشاط هذا الاتحاد في زيارتي لبريطانيا أن تقوم الأمانة العامة بعرض ذلك على مقام صاحب الجلالة الملك المعظم الذي كان له الفضل في إيجاد هذا المركز لئتم إحسانه بالتبرع بمبلغ مماثل كالأول - شأن جلالته في تشجيع ورعاية الأعمال الإسلامية الجليلة حفظه الله وأعز به الإسلام والمسلمين.

### الائتمان التعليمي الإسلامي

ويتكون من جماعة من المسلمين نذروا أنفسهم لتعليم الدين الإسلامي في المدارس والجامعات البريطانية التي يوجد بها أعداد وفيرة من الطلاب المسلمين. ويرأس هذه الجماعة عالم فاضل باكستاني اسمه أفضل الرحمن. وكان نشاط هذه الجامعة في بادئ الأمر محدوداً ذلك لأن تعليم الدين الإسلامي في المدارس والجامعات يحتاج إلى مدرسين. والمدرسون يحتاجون إلى رواتب وليس لدي هذه الجماعة المحدودة المدد المالي الكافي للتمويل إلا ما يقومون به أنفسهم متبرعين للتعليم.

فكاتبوا الأمانة العامة للرابطة التي تقصت عنهم بوسائلها وبعد أن تأكد لديها صدق مساعيهم ونبل غايتهم عرضت الأمر على حضرة صاحب الجلالة

الملك المعظم أيده الله فأمر حفظه الله بتخصيص إعانة سنوياً قدرها (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة جنيه إسترليني. وبهذا المبلغ امتد نشاط هذه الجماعة خلال عام ١٩٧٠ - ١٩٧١ إلى سبعة وثلاثين مدرسة، كما بلغ عدد الطلاب الذين كانوا يتلقون الدروس الدينية (١٧٦٠) ألف وسبعمائة وستون طالباً وعدد المدرسين ستة عشر مدرساً وهذا ما عرفته عندما اتصلت بهم أثناء زيارتي للمملكة المتحدة. وقبول المدارس والجامعات البريطانية الأهلية لمعلمين مسلمين يدرسون الطلبة المسلمين الدين الإسلامي في الحصص التي يدرس فيها الدين المسيحي يدل على براعة هذه الجماعة وقوة إقناعهم وتأثيرهم. وقد علمت منهم أن المدارس الحكومية سوف تسمح لهم بإرسال معلمين لتدريس الدين الإسلامي في أوقات تدريس الدين المسيحي. وهي بادرة تبشر بنجاح هذه الجماعة.

وللاهتمام التعليمي الإسلامي نشرة دينية تثقيفية، ولهم نشرات صغيرة عن أركان الإسلام يعني المواضيع الإسلامية الضرورية للطلاب أن يتعلمها. وأولياء هؤلاء الطلبة يباركون هذه الحركة ويتسابقون في الاشتراك في النشرة الدينية وفي الإقبال على شراء الكتيبات الدينية، كما أن لهذه الجماعة تقويماً يبين فيه أوقات الصلاة في بريطانيا وأيرلندا وهو تقويم مفيد ولا سيما في شهر رمضان المبارك.

وهذه الجماعة بحاجة إلى دعم مادي ومعنوي وقد قام خادم الحرمين الشريفين بواجبه فهل لإخوانه من ملوك ورؤساء الدول الإسلامية أن يحذوا حذوه؟

وقد طلبت من هذه الجماعة أن ترسل للإمامة العامة للرابطة تقريراً عن نشاطها وعدد المدارس التي تدرس فيها وأماكنها وعدد الطلاب في كل مدرسة حتى يطلع الناس على جهودهم في سبيل إعلاء كلمة الله.

## «واجب الشباب المسلم»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها السادة والسيدات: أبنائي الطلبة وبناتي..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

فباسم الله وعلى بركة الله نفتح المؤتمر العاشر لاتحاد الطلبة المسلمين في بريطانيا وأيرلندا، سائلين من الله التوفيق، والعون والرشاد وباسم وفد رابطة العالم الإسلامي أتقدم بالشكر لاتحاد الطلبة على دعوتكم الكريمة متمنين للمؤتمر كل نجاح في خدمة الإسلام والمسلمين.

### أبنائي وبناتي الطلبة:

ينعقد مؤتمركم في وقت يتعرض فيه عالمنا الإسلامي لموجات عاتية من الشرك والإلحاد والإباحية والفساد. وتيارات جارفة ضالة من المذاهب الهدامة تستهدف تفتيت الأخوة الإسلامية التي أرسى قواعدها الدين الحنيف وتشكيك الجيل الصاعد من أبنائنا وبناتنا في عقيدتهم بشتى المغريات والأساليب والأيدولوجيات ومن المؤسف أننا اقتبسنا هذه المذاهب إما تقليد أو غباء أو رغبة في التقدم المزعوم أو إخفاء عيوب التخلف والتأخر. وهكذا ابتعدنا عن تلك المثل والقيم الإنسانية التي أرادها الله سبحانه وتعالى لمجتمعنا حتى بلغ

بنا الابتعاد إلى أننا نسينا الله وأنغمسنا في شهواتنا وملاهيها ودخلنا في معارك جانبية أهرقت فيها دماء ذكية على مذابح الخلف والانقسام. ولذلك عاقبنا الله عليها بالكوارث والمجدة التي حلت بنا في مقدساتنا وأراضينا وبهزيمة لم يسجل تاريخ الحروب لها مثيلاً تلك الهزيمة التي تركت في كل بيت حزناً ومأتماً وفي كل وجه خزيًا وعاراً فالله يقول في كتابه العزيز: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ . لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (الحشر ١٨ - ٢٠).

أجل أيها المسلمون، يجب أن نعتقد مع ذلك إنَّ ما حل بالمسلمين من محن ومصائب إنما هو ابتلاء من الله ليتمحن به عباده ويميز به الخبيث من الطيب لكي يخرجوا بعد ذلك وهم أشد نقاءً وأصفى جوهرًا وأقوى تمسكًا بكتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ.

وإنه لمن نعم الله علينا أن نشهد في مثل هذه الملتقيات المباركة التي ينظمها شبابنا المسلم ما يدل بجلاء على أنهم قد قدروا المسؤولية الملقاة على عاتقهم حق قدرها وتنبهوا للذسائس والمؤامرات التي يديرها لهم أعداء هذا الدين فالله جلت قدرته حين يريد صلاح أمته يهيء لها شباباً مؤمنين مخلصين عاملين مكافحين يؤدون واجبهم ويتحملون أعباءه في عزم المؤمن وشجاعته فالشباب عماد الأمة والأساس الذي تبنى عليه حضارتها وجميع مقومات حياتها وازدهارها..

### أيها السادة والسيدات :

لقد اهتم الإسلام منذ فجره بالشباب اهتماماً ندر أن نجده في أية ديانة سماوية أخرى: فالرسول الأعظم ﷺ يقول: «سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله»: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق

بالمساجد، ورجلان تحاببا في الله، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال: «إني أخاف الله»، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه.

والتاريخ الإسلامي يحدثنا في أنصع صفحاته عن البطولة الرائعة والتضحية الخالدة التي سجلها الشاب المؤمن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ليلة أمر الرسول العظيم عليه أفضل الصلاة والتسليم بالهجرة وقد أحاط المشركون بداره ينتظرون خروجه ليضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل فلا يستطيع بنو هاشم أن يأخذوا بثأره في تلك الليلة التاريخية أيقظ الرسول ﷺ علي بن أبي طالب وقال له: «هل لك في أن تنام في مكاني وتتشح ببردي الأخضر وأنا أضمن لك الجنة». فأجاب علي في عزم وثبات وإيمان وحب لله ورسوله: «فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله». ونام في مكان الرسول رابط الجأش قرير العين والأعداء محيطون بالمنزل إحاطة سوار بالمعصم فكان أول من شرى نفسه في سبيل الله وفيه نزلت الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (سورة البقرة آية ٢٠٧).

وعلى أكتاف الرعيل الأول من شباب المسلمين بني صرح الإسلام وعلت راية التوحيد خفاقة في الأمصار فبلغت أسوار الصين شرقاً وبحر الظلمات غرباً ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

والتاريخ الإسلامي زاخر بأسماء الشباب الذين أسند إليهم النبي ﷺ قيادة الجيوش بالرغم من وجود العديد من الصحابة كانوا أكثر تجربة وسناً وتمرساً على فنون الحرب والقتال، ولكنه ﷺ رأى بالإضافة إلى تعميق روح الإسلام في قلوب الشباب أن ينشئهم تنشئة حربية وأن يدرّبهم على القيادة لأنه يعلم أن الشباب عصب الدولة، وأمل المستقبل وبناء حضارة الأمة ورفعته

وخلودها.. ولست في حاجة إلى ذكر أسماء الشباب الذين لعبوا دوراً كبيراً في انتصارات الإسلام منذ ظهوره: أمثال علي بن أبي طالب ومصعب بن عمير، وسعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد وخالد بن الوليد وغيرهم وقد حفل تاريخ الإسلام بمواكب من البطولات والأمجاد في سبيل إعلاء كلمة الله سجلها الشباب على صفحاته الخالدة بأحرف من نور..

### أبنائي وبناتي :

لقد أثبت التاريخ أن دعوات الإصلاح وثورات التحرر قامت على أيدي الشباب وقصة إبراهيم عليه السلام وثورته على انحراف قومه وضلالهم بعبادتهم الأصنام أكبر شاهد على ذلك فعليكم أيها الشباب والشابات مسؤولية ضخمة وعبء كبير يستوجب القيام به مضاعفة الجهد والمزيد من العمل المنتج والبذل من النصيحة في سبيل نشر مبادئ الإسلام وتعاليمه الخالدة وأن يكون لكم من السابقين الأولين من شباب الإسلام القدوة الصالحة والأسوة الحسنة كي تحققوا أمل الأمة الإسلامية والوطن الإسلامي الكبير فيكم.

وإذا كنت قد ألمعت في خطابي هذا إلى دور الشباب والشابات فعلينا نحن، سيداتي وسادتي، أن نمد هذه البراعم النضرة بالمقومات الروحية والمادية وبالرصيد الكبير من تجاربنا.

وإن في ظهور المجلس الأعلى الأوروبي الإسلامي إلى حيز الوجود لبادرة خير وبركة ومنطلقاً يستطيع الشباب والشابات في المملكة المتحدة وأيرلندا أن يتزودوا من معين خبرة وتجارب القائمين عليه بما يضيء لهم الطريق إن غم عليهم ويرشدهم إلى جادة الصواب.

وبهذه المناسبة يسعدني أن أنقل إليكم أن رابطة العالم الإسلامي بمكة



المكرمة قد تبرعت بمعونة سنوية لهذا المجلس قدرها خمسة آلاف جنيه  
إسترليني وبتزويد مكتبة مقره لجميع أنواع الكتب والنشرات الموجودة لديها.  
وأخيراً وليس آخراً أتمنى لمؤتمركم كل توفيق ونجاح في تحقيق ما اجتمع  
من أجله والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل والحمد لله رب العالمين  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## المسلمون في جزر الهند الغربية

تقع هذه الجزر بين أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، وتؤلف أرخبيلاً طوله أكثر من ألف ميل. وتسمى هذه الجزر أحياناً جزر الأنتيل. وهي تمتد في شكل هلال من شبه جزيرة فلوريدا في الولايات المتحدة الأمريكية إلى جمهورية فنزويلا في أمريكا الجنوبية. ويضم خليج مكسيكو والبحر الكاريبي هذه الجزر التي تكاد تكون حداً طبيعياً فاصلاً ما بينهما وبين المحيط الأطلسي.

وتبلغ مساحة هذه الجزر أكثر من (٩١,٠٠٠) ميل مربع. تستعمر بريطانيا منه ما تعادل مساحته (١٢,١٠٠) ميل مربع.

وإذا استثنينا جزر (البهاما) فإن هذه الجزر تنقسم إلى قسمين: الأول يسمى جزر الأنتيل الكبرى ويتألف من الجزر الكبيرة وهي: كوبا، جامايكا، هايتي والدومنيك وبورتوريكو، والثاني ويسمى جزر الأنتيل الصغرى ويضم الجزر الصغيرة: أرخبيل نندوارد وأرخبيل ليوارد وجزر: باريادوس، وترينيداد، توباجو.

### سكان هذه الجزر:

تدل الحفريات والتنقيبات الأخيرة على أن هذه الجزر لم تسكن إلا في

العصر الألفي قبل الميلاد وأن سكانها الأصليين من الهنود نزحوا إليها إمّا من شبه جزيرة فلوريدا أو من فنزويلا وإن هذه الهجرة كانت بسبب الصيد البري والبحري. وكان هؤلاء المهاجرون الهنود يسمون (السييني).

وفي مستهل العصر الأول للميلاد نزحت قبائل (أرواك) من فنزويلا واحتلت هذه الجزر وأبقت بأيدي قبائل (السييني) رقعة ضيقة من الجزر الشمالية. وكانت قبائل (أرواك) أكثر تمدناً وحضارة من نبتهم إذا دخلوا الزراعة إلى هذه الجزر. وقد اقتضت حركة التوسع العمراني والزراعي أن يحتل (الأوراك) البقية الباقية من الجزر التي كانت بأيدي قبائل (السييني) وأن يشرّدوا أهلها إلى الأماكن التي لا تصلح للزراعة ولا للعمران.

وفي عام ١٥٠٠م وفدت موجة من الهنود من جيانا وفنزويلا تسمى بقبائل (الكاريب) فاحتلت جزر الأنتيل الصغرى وطرّدت قبائل (الأوراك) إلى جزر الأنتيل الكبرى. ولعلّ البحر الكاريبي سمي باسم هذه القبائل. وكانت قبائل (الكاريب) مشهورة بوحشيتها في الحرب إذ كانت تقتل الرجال وتأكل لحومهم ومن أفعال هذه القبيلة دخلت كلمة (أكل لحوم البشر) (كانيبالزم) إلى اللغة الإنجليزية. والغريب أن قبائل (الكاريب) يقتلون أعداءهم من الرجال ويتزوجون نساءهم. وهكذا فعلوا بقبائل (أرواك) ذبحوا رجالهم وأكلوهم، واستحيوا نساءهم وتزوجوهم. وقد استعمر خلفاء كريستوف كولومبوس الأماكن التي كانت تقطنها قبائل (السييني) و (أوراك)، وتحاشوا احتلال الأجزاء التي كانت تسكنها قبائل (الكاريب) لخلوها من معدن الذهب ولأنه كان من الصعب إخضاعهم لشدة مراسمهم وبأسهم.

وعندما احتل الأسبان هذه الجزر سخروا سكانها من الهنود واستغلّوهم في أعمال المناجم والزراعة: فمنهم من قضى نحبه في العمل ومنهم من مات جوعاً، وآخرون كانوا ضحايا الأمراض التي أدخلها الأوروبيون إلى هذه

الجزر وفي مقدمتها مرض الزهري (الفرنجي والسفلس) وفقد الباقون أرواحهم في محاولات فاشلة للتخلص من نير الأسبان.

وعندما ألغي نظام السخرة في سنة ١٥٥٠م كانت قبائل (السبيني) قد أبيدت من بكرة أبيها، وأما قبائل (أوراك) فقد تبقى منها عدد محترم في جزيرتي كوبا وترينيدا انصهر في بوتقة السكان الأوروبيين، وأما قبائل (الكاريب) فقد ذهب عدد غير قليل منهم في الحروب التي نشبت بين المستعمرين أنفسهم من الأسبان والإنجليز والفرنسيين والهولنديين والدنماركيين. وعندما استخدم الأسبان العبيد في الزراعة والمناجم، هرب قسم من هؤلاء الزنوج إلى الأماكن الوعرة التي كانت تعيش فيها قبائل (الكاريب) واختلطوا بهم ونشأ من هذا الخليط شعب سمي (الكاريب الأسود) لا يزال يعيش حتى الآن في جمهورية الدومنيكان.

وقد حلَّ هؤلاء الزنوج العبيد الذين استوردتهم الأسبان محل الهنود المنقرضين، وعندما نادى الثورة الإفريقية بإلغاء الرق وتحرير العبيد ثار هؤلاء على أسيادهم في جزيرة هايتي وأسسوا جمهورية زنجية في هذه الجزيرة سنة (١٨٠٤م). وقد انتقلت هذه العدوى إلى الزنوج الموجودين في الجزر التي يحكمها البريطانيون الذين اضطروا إلى عتقهم وتحريرهم.

وعندما وجد المستعمرون البريطانيون أن مزارعهم جفت ومصانعهم توقفت بعد تحرير العبيد في منتصف القرن التاسع عشر، لجأوا إلى استيراد عمال غيرهم من الهند والصين ومن جزر الهند الشرقية وتوطينهم في جزيرة ترينيدا، وتوجو وبقية الجزر التي ما تزال ترزح تحت كابوس الاستعمار البريطاني. وما كاد القرن العشرون ينتصف حتى أصبحت أكثرية سكان جزيرتي ترينيدا وتوجو من هؤلاء الوافدين.

وقد حصل تزاوج بين الزنوج والأوروبيين في الجزر التي كانت تستعمرها

أسبانيا وندر مثل ذلك في الجزر التي تستعمرها بريطانيا لتمسكها بسياسة التمييز العنصري.

وبمضي الزمن أصبح زمام التجارة والاقتصاد والسياسة بيد الزوج والآسيويين في قرى ومدن جزر الهند الغربية التي يمثلون فيها الأكثرية، وقل أن يكون لهم ذلك في الجزر التي يسودها العنصر الأوروبي كجزيرتي كوبا وتورتوريكو.

وقد اكتشف كريستوف كولومبس هذه الجزر عام ١٤٩٤ وسماها جزر الهند الغربية لأنه حتى وفاته لم يكن ليعرف أنه اكتشف قارة جديدة وإنما كان يعتقد أنه وصل إلى جزر رأي سكانها من الهنود الحمر فدخل في روعه أنها من جزر الهند، لأن اسم الهند كان له دوى هائل وصيت ذائع بالنظر لما بها من كنوز وخيرات، وحضارة وعمران، وسحر وجمال.. إنها بلاد البهار والعطور واللؤلؤ والحريير. وقد كان لما كتبه العرب المسلمون عن الهند أعظم الأثر على العقلية الغربية.

وقد حكم الأسبان هذه الجزر مدة (١٧١) عام حتى غلبهم عليها الإنجليز والفرنسيون، والهولنديون في عام ١٦٦٥م. وقد احتدم الصراع بين هؤلاء المستعمرين أنفسهم حتى أوائل القرن العشرين حين صفي الاستعمار في جزر الأنتيل الكبرى وهي: كوبا وهايتي والدومنيكان وبورتوريكو. وبعبارة أوضح زال الاستعمار الفرنسي والهولندي من هذه الجزر وبقي الاستعمار البريطاني مسيطراً على جزر الأنتيل الصغرى بالرغم من منحه لهذه الجزر استقلالاً داخلياً، تختلف درجاته باختلاف هذه الجزر وأهميتها.

ولكي يضمن الإنجليز بقاءهم في جزر الأنتيل الصغرى كونوا في عام ١٠٦٥م اتحاداً من هذه الجزر استمر حتى حل في ٣١ مايو ١٩٦٢م عندما انسحبت جزيرتا ترينيدا وتوباغو التي يقال أن التبغ أول ما عرف فيها ومنها

عرفه العالم. أما الجزر الباقية فقد اتفقت على تكوين اتحاد فيما بينها أشبه بالاتحاد الأول ولكن على نطاق ضيق على أن يتم ذلك في عام ١٩٦٤. وأكثر هذه الجزر الأخيرة كثافة في السكان بعد جزيرة ترينيدا هي جزيرة باربادوس، وأجمل جزيرة فيها هي جزيرة (جرينادا) التي قال عنها أحد الكتّاب الأوروبيين:

«هي كل ما يشتهي المرء، من يعيش فيها فكأنما عاش في الجنة».

وطقس هذه الجزر استوائي، وسقوط الأمطار فيها يتراوح ما بين ٤٣ بوصة و (٢٠٠) بوصة وأهم حاصلاتها، السكر والعسل السود والقطن والبهارات والكاكاو والبنديق والفحم الحجري والفواكه والماشية.

### كيف دخل الإسلام إلى هذه الجزر:

مما لا شك فيه أن الإسلام دخل إلى هذه الجزر مع بحارة كريستوف كولومبوس المسلمين الذين كانوا أدلاء، ومرشديه والذين فضلوا الهجرة إلى المجهول ودخول بحر الظلمات وهو ما كان يطلقه العرب على المحيط المسمى حالياً بالمحيط الأطلسي.. أقول فضلوا ذلك على جحيم محاكم التفتيش التي نصبها فرديناند ملك قشتاله وزوجته الملكة المتعصبة ايزابلا حينما طردا العرب من الأندلس. ولقد دخل الإسلام سراً إلى هذه الأماكن ولم يكن هنالك مجال للبحارة المسلمين أن يبشروا به. ومعلوماتنا عن المسلمين في جزر الأنتيل الكبرى: كوبا وهايتي والدومنيكان وبورتوريكو تكاد تكون محدودة جداً وخاصة في المدة الأخيرة عندما دخلت الشيوعية إلى جزيرة كوبا، ولذلك سنقصر كلامنا عن المسلمين في جزر الأنتيل الصغرى وعلى الأخص في جزر: ترينيدا وتوباغو وباربادوس.

دخل الإسلام إلى هذه الجزر مع المسلمين الذين وفدوا إليها طلباً للرزق وكانوا كما أسلفنا من سكان جزر الهند الشرقية والصين والهند وأخيراً من

السوريين واللبنانيين. وقد تركز الإسلام بصورة واضحة في جزيرتي ترينيدا وتوباغو إذ بلغ عدد المسلمين فيها حوالي (١٣٦,٠٠٠) ملم، وهم يسيطرون على أهم مرافق الحياة في هاتين الجزيرتين. وللمسلمين فيها مساجد ومدارس وكليات ومجلة اسمها (اسلاميك هيرالد) أو التبشير الإسلامي تصدر مرة كل ثلاثة شهور ويرأس تحريرها الأستاذ زين الدين خان. ويتزعم المسلمين روحياً في هاتين الجزيرتين الحاج ركن الدين صاحب شيخ الإسلام. وتتبنى هذه المجلة الدعوة إلى توحيد المسلمين في البحر الكاريبي في منظمة تسمى منظمة المسلمين في البحر الكاريبي.

وقد حصلت ترينيدا على استقلالها في ٣١ أغسطس سنة ١٩٦٢م وانضمت إليها جزيرة توباغو وأصبحت الجزيرتان من بعد الاستقلال عضواً في الكومنولث البريطاني. وعاصمة هاتين الجزيرتين هي بورت أف سبين أو ميناء أسبانيا.

ويقوم المسلمون في هاتين الجزيرتين بالدعوة إلى الدين الإسلامي في الجزر المجاورة كجزيرة باربادوس التي بلغ عدد المسلمين فيها (٣٥٠) مسلماً حسب إحصاء عام ١٩٦٣. وللجالية الإسلامية في جزيرة باربادوس مسجد جميل يتوسط مدينة (بريدجستون) عاصمة باربادوس.

وللدعاة في جزيرتي ترينيدا وتوباغو نقابة تشرف على تنظيم الدعوة وعلى التدريس في المدارس وعلى الكتب الإسلامية التي تعرض للبيع كما تتولى جمع التبرعات لبناء المدارس والمساجد والمستشفيات. وهم ساعون في تأسيس مركز إسلامي للمسلمين في البحر الكاريبي. ويتولى رئاسة هذه النقابة الإسلامية الدكتور فضل الرحمن الأنصاري.

## تانزانيا

### أولاً - لمحة جغرافية تاريخية :

وتبلغ مساحة تانزانيا (٣٦٣,٧٠٨) ثلاثمائة وثلاثة وستين ألف وسبعمائة وثمانية ميل مربع وسكانها بحسب إحصاء عام ١٩٦٨ (١٢,٥٠٠,٠٠٠) اثني عشر مليون ونصف المليون وعملتها الشلن التانزاني ويساوي الدولار الأمريكي الواحد (٧,١٤٣) سبعة شلنات ومائة وثلاثة وأربعين من الشلن. وعاصمتها دار السلام. ويحدها شرقاً المحيط الهندي وشمالاً كينيا ويوغندا وغرباً الكونغو الديمقراطية وجنوباً موزمبيق وزامبيا.

وقد احتلها العرب في القرن الثامن للميلاد وأعقبهم البرتغال وبعض المتأمرين الأوروبيين حتى عام ١٨٨٥ حيث احتلها الألمان وسموها إفريقية الشرقية أو (تنجيقا). وبعد الحرب العالمية الأولى دخلت تحت النير البريطاني وبقيت كذلك حتى استقلت تماماً في ٩ ديسمبر ١٩٦١ وأصبحت جمهورية. وفي ٢٦ أبريل ١٩٦٤ احتلت جزيرة زنجبار بعد مؤامرة وحشية سفكت فيها دماء بريئة وأصبحت آنذ جمهورية تانزانيا وزنجبار وظلت كذلك حتى أكتوبر ١٩٦٤ حين ألفت كلمة زنجبار وأصبحت جمهورية تانزانيا.

وأهم حاصلاتها البن والشاي والتبغ وبها الماس والذهب. وقد اكتشف الدكتور لويس لبكي وزوجته بقايا هيكل إنسان يرجع تاريخه إلى مليون سنة.



## ثانياً - المسلمون في تنزانيا :

يبلغ عدد المسلمين في تنزانيا حوالي سبعين في المائة من سكانها الأصليين البالغ عددهم اثنا عشر مليوناً ونصف المليون ولكن الحكومة التانزانية تدعى أن عدد المسلمين لا يتجاوز الأربعة ملايين وذلك حسب الإحصاء الذي قامت به فاحتسبت كل بيت من بيوت المسلمين وحدة واحدة.

بينما كل بيت من هذه البيوت يوجد فيه على الأقل ثلاثة أشخاص إن لم يكن أكثر.

والحكومة المسيطرة على تنزانيا اشتراكية متطرفة وبمعنى أصح شيوعية صينية. والبلاد تحكم بشكل إرهابي وهذا ما يلاحظه كل من يزور تنزانيا. فالخوف يعلو جميع الوجوه والناس يتخافتون ويتهامسون ويسرون ولا يجهرون. والحكومة تحكم البلد بقبضة من حديد ولا سيما بعد الأحداث الأخيرة في زنجبار والتي أعقبتها مصرع الطاغية عبيد كرومي.

وفي الحكومة التانزانية خمسة وزراء مسلمون حتى أن نائب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء رشيد كرامي هو مسلم. ولكن الوزراء المسلمين لا حول لهم ولا طول فسياف الطاغية (ناريري) رئيس الجمهورية حاد وقاطع والشوعية الصينية مع الصليبية الحاكمة تسنده وتؤيده ضد الإسلام والمسلمين. وكل ما يهم «ناريري» وحزبه أن لا يرفع المسلمين رؤوسهم من تحت الكابوس الذي يجثم على صدورهم لأنهم في اليوم الذي يستطيعون فيه زحزحة هذا الكابوس أو هذا النور فقل على الصليبية والشوعية السلام في تنزانيا. ويجب أن لا تنسى دور الصهاينة في الانقلاب الذي أطاح بالحكم الإسلامي في زنجبار وأدى إلى ضمها إلى تنزانيا. ولكن ظل الصهاينة بدأ يتقلص تدريجياً هناك. فقد ألقيت خمس قنابل في يوم واحد في دار السلام، بينما كنت فيها وثبت من التحقيق فيما بعد أن الفاعلين كانوا من الصهاينة،

كما تتواتر الأنباء عن قتل بعض الصهاينة من قبل رجال الحدود التانزانية ومع ذلك فعلي الإغراق في التفاؤل فما يزال التنين الصهيوني موجوداً في التجارة والزراعة والفنادق فالصهاينة عندهم أضخم وأعظم فندق في شرق افريقية هو فندق (كليمانجارو) بدار السلام وعندهم فنادق أخرى منتشرة هنا وهناك.

ومعظم المسلمين في تانزانيا قدموا من الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية والبقية من الآسيويين.

وأكثر المسلمون سنيون باستثناء الإسماعيليين الذين يتزعمون الحركة التجارية في تانزانيا والشيعة الاثنا عشرية وعددهم غير قليل في دار السلام، كما علمت يناصبون المسلمين العداوة ويتعاونون مع الصليبية الحاكمة ضدهم. وقد شكالي أعضاء المجلس القومي الإسلامي مر الشكوى مما يلاقونه من الشيعة الاثنا عشرية وكنت أقول لهم تذرعو بالصبر فالحكومة التانزانية تطرد بين الآونة والأخرى عدداً لا بأس من الشيعة الاثنا عشرية والإسماعيلية، وسوف يأتي الوقت الذي تتطهر فيه بلادكم من أدرانهم. وفي انتظار ذلك الوقت عليكم أن ترفعوا من مستواكم الديني والتفاني والاجتماعي والاقتصادي.

### ثالثاً - المجلس القومي الإسلامي :

قامت حكومة (ناريري) بعد ضمها سلطنة زنجبار إليها بحل الجمعية الإسلامية في دار السلام. وهي الجمعية التي كانت تلعب دوراً كبيراً في مناهضة الحكم «الناريري». ولكن تسيطر الحكومة على المسلمين وتضمن المؤيدين لسياستها من بينهم دعت المسلمين إلى انتخاب مجلس قومي إسلامي يرعى شؤون المسلمين الدينية ويكون مسؤولاً عنهم أمام السلطة الحاكمة.

وهكذا أجرت انتخابات صورية كان من نتائجها انتخاب مجلس قومي أعلى للمسلمين في تانزانيا.

والمجلس القومي الإسلامي هذا غير مؤيد من أكثرية المسلمين في تانزانيا وأثناء وجودي في دار السلام اتصلت بمعارضتي هذا المجلس ودار بيننا نقاش طويل حاد كنت أحاول فيه إقناعهم بأن وجود هذا المجلس خير من عدم وجوده وأنه من الممكن توجيه القائمين عليه لما فيه مصلحة المسلمين وذلك بالتعاون معهم. أما هذا الموقف العدائي فسيضطر أعضاء المجلس الحالي إلى الارتقاء في أحضان السلطة الحاكمة وفيه ما فيه ضرر كبير على المسلمين. وفي لقاءاتي المتكررة مع أعضاء المجلس القومي الإسلامي سواء في مركزهم الرئيسي أو في مدارسهم أوفى احتفاءاتهم الخاصة بي كنت أهيب بهم إلى العمل على كسب ثقة المسلمين في تانزانيا بهم وكسب الثقة لا يكون إلا بالقيام بما يعود بالنفع على جميع المسلمين في بلادهم. وقد أحسست منهم تجاوزاً مشجعاً. والمجلس القومي الإسلامي يكن للملكة ولعاهلها العظيم كل تقدير واحترام. وقد كان رئيس المجلس وأمينه العام وبعض الأعضاء مع وجوه المسلمين في استقبالي في المطار عندما أعلنتهم بقدمي. وقد رتب المجلس برنامجاً لزيارتي للمساجد والمراكز والمدارس والبلدان القريبة من دار السلام العاصمة. وكان الأمين العام للمجلس يرافقتني في زيارتي جميعها وقد سألتني ما إذا كان بالإمكان تعيين ممثل لمسلمي تانزانيا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي فقلت له فليتقدم رئيس المجلس بطلب كهذا إلى الأمانة العامة للرابطة التي لا شك ستدرسه وتقرر رأيها بشأنه. ثم طلب مني تزويد مدارس بالكتب المدرسية للمراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية ويكتب مراجع لمكتبة المجلس فوعده بتلبية طلبه.

#### رابعاً - المركز الإسلامي في دار السلام :

وقد بنته مشيخة الأزهر على قطعة أرض مساحتها خمسة فدادين وسجلته باسم المجلس القومي الإسلامي في تانزانيا ولم يكمل بناء المركز بل توقف

على اثر نكبة، حزيران ١٩٦٧م وبالمركز خمسة أساتذة وطبيب وطبيبة. ويدرس المركز العلوم الدينية التي تؤهل الطالب لدخول الأزهر.

وقد فهمت من الأمين العام للمجلس القومي إنهم غير راضين عن السياسة التي يتبعها المدرسون في هذا المركز وأنهم ينتظرون انتهاء المدة التي حددتها مشيخة الأزهر لتسليم المركز نهائياً للمجلس القومي الإسلامي.

### خامساً - وجوه نشاط المجلس القومي الإسلامي :

أ - للمجلس القومي الإسلامي مدرستان ثانويتان في دار السلام بإحداها (٦٧٧) طالباً وطالبة وبالثانية (٤٠٠) طالب داخلي. ولهم (٢١) مدرسة خارج العاصمة دار السلام. ومدارس المجلس بحاجة إلى مدرسين للغة العربية والدين. ويدرسون الدين حالياً باللغة السواحلية وهي اللغة الرسمية لحكومة تانزانيا. وقد علمت أن هاتين المدرستين قد بناها الأغا خاتيون وقدموهما هدية للمجلس القومي الإسلامي. وبهاتين المدرستين (٢٥) مدرساً ومدرسة.

ب - مدرسة الجنيد الإسلامية: وهي مدرسة ابتدائية أهلية غير كاملة للبنين والبنات أسسها السيد عبد القادر الجنيد أمام المسجد الكبير في دار السلام. والمدرسة تدرس الدين واللغة العربية ومؤسسها من السادة من أهل حضرموت ويجيد العربية ومعلوماته الدينية جيدة. ومدرسته تقوم بنشاط واسع في تعليم الجيل الناشئ من أبناء وبنات المسلمين من الجالية العربية ومن الأفارقة في دار السلام وهي بحاجة إلى الدعم والتوجيه وإني اقترح إعانتها بعشرة آلاف ريال سعودي لمرة واحدة.

وهناك مدارس إسلامية أخرى في دار السلام وهي صغيرة وليس لها مثل نشاط هذه المدرسة.

## سادساً - موعظة دينية في الجامع الكبير :

وفي يوم الجمعة وبعد أن خطبت وصليت بالمسلمين صلاة الجمعة في الجامع الكبير بدار السلام ألقى موعظة دينية دعوت فيها إلى الاتحاد والتضامن ونبذ الخلف والانقسام والتمسك بشعائر الدين الحنيف وتبليغ رسالة الإسلام. وقد ترجمت الموعظة باللغة السواحلية وكان لها وقعها الحسن والله الحمد. فقد تراحم الناس بعد انتهائها للسلام على حتى كدت اختنق من شدة الزحام.

## ثامناً - محاضرة في المركز الرئيسي للحزب الحاكم :

ودعيت من قبل شباب بالحزب الحاكم لإلقاء محاضرة في المركز الرئيسي للحزب فليبت الدعوة وكانت المحاضرة عن دور الشباب المسلم في بناء المجتمع الحضاري الحالي وبعد انتهاء المحاضرة جرى حوار مفتوح حول أفضل الوسائل لتوعية الشباب المسلم توعية دينية سلمية ثم تطرق الحوار إلى ما تبذله المملكة العربية السعودية بالنسبة للطلاب المسلمين في العالم فذكرت مساعداتها لاتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا والطلاب المسلمين في ميونيخ وآخن واتحاد الطلبة المسلمين في المملكة المتحدة وأيرلندا والتعليم المجاني في المملكة مع المكافآت الشهرية لكل طالب جامعي وكذلك ذكرت لهم جهود الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والمنح الدراسية التي تقدمها الطلاب المسلمين في شتى أنحاء العالم وخلصنا إلى الحديث عن رابطة العالم الإسلامي وأهدافها ومنجزاتها وانتهى الحوار وجو من البشر يرين على وجوه المجتمعين.

## المسلمون في جمهورية إفريقيا الوسطى

### حدودها:

يحدّها شمالاً جمهورية تشاد وشرقاً جمهورية السودان وجنوباً جمهورية الكونغو (ليوبولدفيل وبرازفيل)، وغرباً جمهورية الكمرون. وتبلغ مساحتها (٢٣٨,٠٠٠) ميل مربع وسكانها حسب إحصاء سنة ١٩٦٠ (١,١٨٠,٠٠٠) نسمة بينهم (٦٠٠٠) أوروبي. وعاصمتها (بانجوى).

### تاريخها:

إذا أراد إنسان أن يرى شعباً يعيش ٤٠٪ منه عيشة بدائية وكأن شمس القرن العشرين لم تشرق عليه فليذهب إلى جمهورية إفريقيا الوسطى فالفلاحون فيها ما يزالون يستعملون المحاريث الزراعية التي كان يستعملها آبائهم في القرون الوسطى. والدواب ما تزال وسائط النقل ووسائله الوحيدة ولها (استراحات) على الطرقات أو خانات كما لا توجد سكة حديد واحدة في طول البلاد وعرضها.

وإذا درسنا لغات سكان هذه الجمهورية وأجناسهم نجد أن هذا الإقليم قد تعرض في الماضي إلى موجات هجرة متعاقبة. ومع أنه قامت في تشاد والسودان الإقليميين، المتاخمين لهذه الجمهورية، ممالك إسلامية دامت عدة

قرون فإننا لا نجد أي سجل يدل على قيام مملكة إسلامية في هذه الجمهورية. وإذا كنا نجد اليوم أن ٦٠٪ من سكان هذه الجمهورية مسلمون فتعزى مع ذلك إلى جهود الدعاة المسلمين في الماضي.

### كيف دخل الإسلام إلى هذه البلاد:

لعلّ أعظم داعية بين الدعاة الذين وفدوا إلى المنطقة الوسطى من أراضي الزنوج كان المدعو محمد بن عبد الكريم بن ماغلي. وقد قدم هذا الداعية العظيم من شمالي إفريقية في القرن السادس عشر للميلاد فجاب أراضي الزنوج في إفريقية الوسطى وعمل على نشر الإسلام في هذه البقاع وامتدت ظلال الإسلام هناك أكثر فأكثر على أيدي الدعاة السنوسيين الذين قدموا من ليبيا وعلى أيدي أتباع المهدي الذين وفدوا من السودان. لقد كان هؤلاء حملة مشاعل الإسلام في جمهورية إفريقية الوسطى فأصبح المرء وهو يزور هذه البلاد يسمع الأذان أينما ذهب في أرجائها الواسعة. وإنك لا تجد مظهراً لمدينة القرن العشرين إلا في الأماكن التي تكون الأكثرية فيها للمسلمين أما أماكن الوثنيين فما تزال على الحال التي أسلفنا في القول عنها على أن حالة المسلمين في هذه الجمهورية تحتاج إلى رعاية وتوجيه ديني قويم فما تزال البدع والخرافات تسيطر على المسلمين فيها.

### الناحية السياسية:

وهناك مظهر في هذه الجمهورية العجيبة يوحي إليك بأنك تعيش في القرن العشرين ذلك هو نظام الحكم. فقد دخلت هذه البلاد تحت نير الاستعمار منذ (٣٠٠) سنة وظلت ترزح تحت أغلاله حتى أعلن استقلالها في ١٣ أغسطس عام ١٩٦٠، وأنتخب - دافيد داکو) رئيساً لهذه الجمهورية في ١٤ أغسطس ١٩٦٠ وأصبحت عضواً في هيئة الأمم المتحدة في ٢٠ سبتمبر ١٩٦٠.

وإن المرء ليحار حين يرى رؤساء بعض الجمهوريات الإفريقية التي استقلت حديثاً غير مسلمين ولكن هذه الحيرة ربما تتبدد إذا علمنا أن المستعمر حين غادر مكرها هذه الجمهوريات ترك فيها ما يسمى (بمسمار جحا). هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الطبقة المثقفة في هذه الجمهوريات كانت من غير المسلمين لأن الاستعمار حين نصرها فتح لها المدارس التبشيرية فنالت من العلم ما تشاء بينما بقيت الطبقة المسلمة في ديجور مقصود من الجهل والفاقة.

وكانت هذه البلاد - قبل دخول الفرنسيين إليها - تحكم حكماً إقطاعياً قليلاً. ولا يبتدىء تاريخ هذه الجمهورية السياسي إلا في مطلع عام ١٨٨٩ عندما وطد المستعمرون الفرنسيون أقدامهم في (بانجوى) ثم أنشأوا في مستهل القرن العشرين (١٩٠٠م) جهازاً إدارياً في منطقة من هذه الجمهورية عرفت باسم (بانجوى - شاري) وهما اسما نهريين في هذه المنطقة. وفي سنة ١٩٠٦م اتحدت هذه البلاد مع تشاد فتكون المستعمرة التي عرفت آنئذ بمستعمرة (شاد أوبانجوى شاري). وفي سنة ١٩١٠م كوّن الفرنسيون مستعمرة إفريقية الاستوائية من مقاطعات جابون والكونغو الوسطى (المسماة اليوم جمهورية الكونغو)، وأوبانجوى شاري على أن الجهاز الإداري الذي أسس في أوبانجوى شاري عام ١٩١٠ ظل على ما هو عليه حتى سنة ١٩٤٥.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية بدأت الحركة السياسية فيما يسمى اليوم بجمهورية إفريقية الوسطى بقيادة الزعيم (بارتلمي بوغوندو)، الذي أُلّف في عام ١٩٥٧ أول حكومة سياسية مسؤولة. وفي مستهل شهر ديسمبر من عام ١٩٥٨ أُطلق اسم جمهورية إفريقية الوسطى على هذه البلاد وصوت المجلس التأسيسي فيها على الانضمام إلى عضوية رابطة الشعوب الفرنسية الجديدة. وقد سن دستور لهذه الجمهورية في ٩ يناير ١٩٥٩ وفي ١٢ يوليو ١٩٦٠



وقعت اتفاقيات تعاونية بين فرنسا وجمهورية إفريقيا الوسطى على نقل السلطات القضائية من أيدي فرنسية إلى أيدي وطنية.

وفي ١٣ أغسطس ١٩٦٠ أعلن استقلال هذه الجمهورية وقبلت عضواً في هيئة الأمم المتحدة في ٢٠ سبتمبر ١٩٦٠ كما مر معنا.

وكانت وسائل التعليم في هذه البلاد في عام ١٩٥٨ غير مرضية إذ لم يكن فيها سوى (٢٤٤) مدرسة ابتدائية بها حوالي (٤٥,٦٩٨) طالباً. أما التعليم الثانوي فلم يكن به سوى (٨٣٦) طالباً وأما التعليم العالي بما فيه التعليم الصناعي وتدريب المعلمين فقد انحصر في الجاليات المسيحية أو فيمن تنصروا من السكان الأصليين. وهذا سبب رئيسي لتسيدهم البلاد بعد زوال الاستعمار بالرغم من أنهم يمثلون الأقلية الضئيلة فيها. أما ليل الجهل المطبق فقد كان يغمر المسلمين بترتيب وتكتيك من المستعمرين حتى يحرمهم من التوظيف في الدوائر الحكومية وبالتالي يجعلهم في معزل وجهل مطبق عما يدير لهم.

### تاريخها الطبيعي :

تتكوّن بلاد هذه الجمهورية من عدة هضاب يتراوح ارتفاعها من ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ وفيها سهلان خصيبان. والنهران المهمان في هذه البلاد هما، نهر أوبانجي وهو من روافد نهر الكونغو والنهر الآخر هو نهر شاري. وجو هذه البلاد استوائي ويتميز بفصل الجفاف وبيتيديء من نوفمبر حتى يونيو وفصل الأمطار وبيتيديء من يونيو حتى نوفمبر. إذ تتعرض البلاد فيه لأمطار غزيرة. وهذا الجو الحار الرطب يساعد على نمو زراعة الخضروات. ولذلك تعتبر الزراعة أساساً في حاصلات هذه البلاد وثروتها فالكثيرة من السكان منهمكون في الزراعة وفي إنتاجها للاستهلاك المحلي. وأهم الحاصلات الزراعية: الحبوب، والقطن والبن والبقول السوداني. وقد بلغت حاصلاتها من الحبوب

(٣٧,٦٠٦) طن في عام ١٩٥٨. أما الحاصلات الأخرى وهي القطن والبن والبقول السوداني فهي من الحاصلات المخصصة للتصدير. وقد بلغت حاصلات البن في عام ١٩٥٨ (٥٦٠٠) طن وزراعة البن محصورة في أيدي الأوروبيين. أما زراعة البقول السوداني فبأيدي الوطنيين.

## المسلمون في جيانا

### مقدمة :

تضم المنطقة الواقعة ما بين نهر الأمازون والشمال الشرقي من أمريكا الجنوبية مقاطعات جيانا البريطانية، وجيانا الهولندية، وجيانا الفرنسية وأجزاء من البرازيل وفنزويلا.

ومعنى جيانا في لغة سكانها الأقدمين: (أرض المياه)، وكانت جيانا في وقت ما تسمى (الساحل الموحش) لأن ما بها من مستنقعات وأحراش، وموانع طبيعية كل ذلك كان من الأسباب التي لم تجذب المستعمرين الأوائل من الأسبان والبرتغال إليها. فقد اقترب كريستوف كولومبوس من ساحلها في سنة ١٤٩٨ ولكنه لم يرسو بها. ولعلّ مشاهدته هو ومن جاء بعده، من المستعمرين الأسبان والبرتغال. لأماكن أخرى أكثر جاذبية وقابلية للاستثمار كان في مقدمة أسباب ارتدادهم عنها. ولئن نجت جيانا من هؤلاء فإنها لم تنج من الجوايين والمغامرين من شعوب أوروبا الأخرى الذين وجدوا في مستنقعاتها مواقع أمان استراتيجية وفي أراضيها الساحلية الخصبة ربما زراعياً طيباً.

ومن الأسباب التي أدت إلى استيطان الأوروبيين في جيانا هي الأسطورة

التي رواها السير (روبرت داد لي) أثناء تجوابه في عام ١٥٩٥م للسواحل الشمالية من أمريكا الجنوبية عن وجود (مدينة ذهب) في المناطق الداخلية من جيانا.

وأكد السير (روبرت رالي) هذه الأسطورة بعد حملته الاستكشافية التي قام بها في سنة ١٦١٧ - ١٦١٨م. على أن المناطق الساحلية من جيانا عمرت قبل هذا التاريخ بالمستوطنين الأوروبيون الذين أسسوا لهم مراكز فيها للتجارة وزراعة التبغ.

وفي مستهل القرن السابع عشر (١٦٠٤ - ١٦٠٦م)، أقدم (شارل ليه الفرنسي) على مغامرة عقيمة فأسس مستعمرة فيما يسمى اليوم بجيانا الفرنسية، وقد حفز هذا العمل (روبرت هاركورت البريطاني). على ضم ساحل جيانا جميعه باسم الملك جيمس الأول إلى التاج البريطاني، وابتدأ الصراع بينهما سجلاً وتدخلت دولة ثالثة في الصراع هي هولندا. وقد أفاد من هذا الصراع الأسباب والبرتغال إذ عملوا على الاستيلاء على ممتلكات الهولنديين على مصب نهر الأمازون. وعندما أحست الدول الثلاثة المتصارعة بالخطر تذكرت المثل السائر «إنما قتلت يوم قتل الثور الأبيض»، فتناست ما بينها من خلاف دموي ووقفت صفاً واحداً ضد هجمات الأسباب والبرتغال المشتركة.

وعندما زال خطر الأسباب والبرتغال عاد الصراع على أشده بين الإنجليز والهولنديين، ولم يقتصر هذا النزاع على جيانا وحدها بل تعداه إلى مستعمرات هولندا في أمريكا الشمالية. فقد كانت هولندا تستعمر جزيرة مانهاتان وضواحيها التي تقع عليها مدينة نيويورك اليوم وأطلقت عليها اسم (الأراضي الواطئة الجديدة) وهو اسم هولندا نفسها. كما أسمت المنطقة التي تقع عليها نيويورك اليوم (أمستردام الجديدة). وكانت بريطانيا تستعمر ما

يسمى اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية. وفي سنة ١٦٦٤م أصدر الملك شارل الثاني ملك بريطانيا أوامره إلى الكولونيل (نيكلس) باحتلال (الأراضي الواطئة الجديدة) فسار في ثلاثمائة من رجاله وأرغم الهولنديين على الاستسلام والتنازل عن هذه المنطقة لبريطانيا مقابل إعطاء الأخيرة لهم جزءاً من جيانا وهو ما يسمى اليوم بجيانا الهولندية (أو سيرينام) بموجب اتفاقية عرفت في التاريخ بمعاهدة (برده) وذلك في عام ١٦٦٤م. وبعد تنازل هولندا عن هذه المقاطعة منحها الملك إلى أخيه جيمس دوق يورك الذي ألغى اسم (امستردام الجديدة) وسماها نيويورك. وبموجب هذه المعاهدة قسمت جيانا إلى ثلاثة أقسام: القسم الغربي استعمرته بريطانيا، والوسط هولندا، والشرقي فرنسا.

وكان سكان جيانا الأصليون خليطاً من قبائل الورا، والأرواك، والكاريب والماكيوس (والماكيوس يطلق على المولود لأب إسباني وأم من الأرواك).

وقد استورد الأوروبيون الزوج من إفريقية للعمل في مزارعهم فهرب قسم منهم من مزارع أسيادهم في جزر الهند الغربية وفي شواطئ جيانا إلى مناطق الغابات من داخل جيانا. وعندما نادى الثورة الفرنسية بتحرير العبيد ظهر هؤلاء الزوج من غاباتهم واشتغلوا بالفلاحة وقطنوا المدن للعمل في المصانع والشركات وأصبحوا عنصراً بارزاً المعالم والملاح في سكان جيانا الفرنسية.

واحتاج هؤلاء المستعمرون إلى الأيدي العاملة لاستثمار كنوز جيانا وخيراتها فجلبوا الحشود الكبيرة من العمال من جزر الهند الشرقية ومن الهند والصين وإندونيسيا. وقد تمركز الهنود في ما يسمى بجيانا البريطانية وأصبحوا عنصراً بارزاً في سكانها. أمّا في جيانا الهولندية فكانت السيادة

للعنصر الإندونيسي والصيني. وفي جيانا الفرنسية كان عنصر الزنوج العنصر المتميز ويليه عنصر (الكريول) وهو نتاج التزاوج بين البيض والسود. وتحاشت العناصر الآسيوية السكن في جيانا الفرنسية لأن فرنسا كانت تتخذها منفى للمجرمين السياسيين وغير المرغوب فيهم من سكان مستعمراتها الأخرى ولانتشار الملاريا والحمى الصفراء بها بشكل ذريع نظراً للإهمال الصحي من قبل المستعمرين. ولا شك أن فرنسا ستهتم بحل هذه المستعمرة بعد أن أعلن الجنرال ديغول أخيراً اتخاذها قاعدة للصواريخ الموجهة.

وإلى القارئ الكريم بيان عن خصائص كل مستعمرة من هذه المستعمرات الثلاثة:

### جيانا البريطانية:

وتقع في الشمال الشرقي من أمريكا الجنوبية. تحدها فنزويلا غرباً. وجيانا الهولندية شرقاً، والبرازيل جنوباً، والمحيط الأطلسي شمالاً. وتبلغ مساحتها (٨٣,٠٠٠) ميل مربع وسكانها حسب إحصاء (١٩٦٠) (٥٦٦,٠٠٠) نسمة وعاصمتها جورج تاون.

وفي ١٣ أغسطس ١٩٦٢م أعلنت مسودة دستور لاستقلال جيانا ضمن الكومنولث البريطاني. وفي جيانا البريطاني شلالات جميلة ولعل أجملها شلال الملك جورج السادس الذي يبلغ ارتفاعه ١٦٠٠م قدم. وأكثر مناطق جيانا غابات كثيفة وفيها خامات كبيرة من الذهب والماس والمانجنيز والمايكا. ويعد السكر أهم صادرات هذه المستعمرات ويليه الخشب وأهمه الخشب المعروف بالماهوجين والفحم والرز والعسل الأسود.

## جيانا الهولندية :

أو سير نيام، وتقع على الساحل الشمالي من أمريكا الجنوبية. تحدها شرقاً جيانا الفرنسية، وغرباً جيانا البريطانية، وشمالاً المحيط الأطلسي وجنوباً البرازيل. وتبلغ مساحتها (٥٥,٤٠٠) ميل مربع، وسكانها حسب إحصاء ١٩٦١ (٣٠٨,٠٠٠) نسمة وعاصمتها (بارا ماريو). وأهم حاصلاتها الألومنيوم الخام الذي يشكل ٦٥٪ من استهلاك الولايات المتحدة من هذه المادة الهامة. ومن حاصلات جيانا الهولندية للتصدير والحمضيات والأرز والبن.

وبموجب التعديل الذي أجري في الدستور الهولندي في ٢٩ ديسمبر ١٩٥٤م أصبح لسكان جيانا الهولندية وجزر الأنتيل الهولندية نفس الحقوق التي يتمتع بها المواطن الهولندي الأصلي في مملكة هولندا مع استقلال ذاتي داخلي تام وصوت في الحكومة الهولندية :

جيانا الفرنسية: وتقع على الشمال الشرقي من أمريكا الجنوبية تحدها جيانا الهولندية والبرازيل من الشرق والجنوب. وتبلغ مساحتها (٣٥,١٣٥) ميل مربع. وسكانها حسب إحصاء ١٩٦٠م (٣١,٠٠٠) نسمة. ولجيانا عضو من مجلس الشيوخ الفرنسي ونائب في المجلس الوطني بباريس. ولجيانا حاكم ومجلس عام مكوّن من ستة عشر عضواً؛ وعاصمتها كايني.

وكانت فرنسا تتخذ من جيانا منفى للمجرمين السياسيين وغيرهم وكانت تسمى فرنسا جيانا هذه جزيرة الشيطان. ولكن فرنسا في عام ١٩٤٤م أعادت ٢٨٠٠٠ منفيّاً في هذه الجزيرة إلى أوطانهم وأقفلت السجون التي كانت معدة لهم، فعادت الحياة الطبيعية لهذه المستعمرة وستعمر جيانا ولا شك بعد أن اتخذتها فرنسا قاعدة لصواريخها الموجهة.

وتغطي الغابات الفنية بالخشب ٩٥٪ من أراضيها وما يتبقى بعد ذلك يزرع به الأرز والقمح والكاكاو وقصب السكر ويستخرج الذهب من منجم فيها وأهم صادرات جيانا الفرنسية هي: الأخشاب، والذهب والكاكاو والموز.

## كيف دخل الإسلام إلى جيانا:

عندما نادى الثورة الإفريقية بتحرير العبيد ثار هؤلاء على أسيادهم من المستعمرين الذين يملكون الأراضي الزراعية والمصانع في جيانا. فاضطر هؤلاء إلى جلب الحشود الوفيرة من العمال من مستعمراتهم في الهند وجزر الهند الشرقية والصين وإفريقية ومع هؤلاء العمال دخل الإسلام إلى جيانا. ويمكننا القول بأن الإسلام دخل إلى جيانا قبل مائة سنة على وجه التقريب وأول ما أضاء أضاء جيانا البريطانية. وكان معظم المهاجرين من المسلمين إلى جيانا أميين يجهلون دينهم إلا النزر اليسير منهم. وهكذا بقي مشعل الإسلام باهت النور حتى الفترة ما بين ١٨٥٤ و١٨٦٠ عندما تجددت الهجرة على نطاق واسع وحينما أصبحت تعاليم الإسلام تلفت الأنظار وتسترعي اهتمام السكان الأصليين. وبعد ثلاث سنوات أي في سنة ١٨٦٣ شيد أول مسجد في مدينة جورج تاون عاصمة جيانا البريطانية وتلته مساجد أخرى مختلفة من جيانا البريطانية وبلغ عدد المسلمين في جيانا البريطانية أربعين ألفاً وعددهم في جيانا الهولندية اثنين وخمسين ألفاً وفي جيانا الفرنسية ثلاثة آلاف. غير أن المسلمين في جيانا الهولندية والفرنسية بحاجة إلى الرعاية الدينية.

وقد اتصلت رابطة العالم الإسلامي بالجمعيات والهيئات الإسلامية في



جيانا البريطانية وقدمت لهم كتباً ونشرات دينية كما أهدتهم أشرطة سجل فيها القرآن الكريم بصوت المقرئين السعوديين. والرابطة على اتصال وثيق بهم وتحاول عن طريقهم الاتصال بالمسلمين في جيانا الهولندية إلا أن شعار الاستعمار فيها من الحديد الصلب ولكن المحاولات مستمرة ومن الله التوفيق.